

الفنون الزخرفية العربية والإسلامية

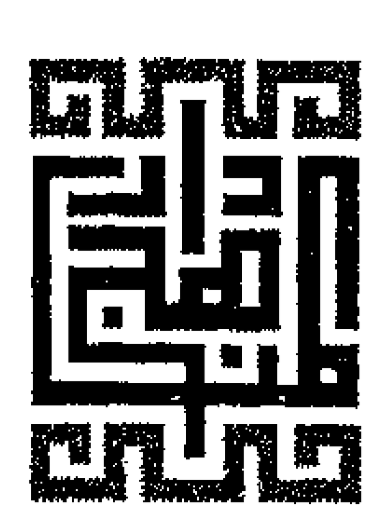
الاستاذ الدكتور
ناهض عبدالرزاق القيسي



الفنون الزخرفية

العربية والإسلامية

دار المناهج للنشر والتوزيع



١٤٢٩ هـ ٢٠٠٩ م

دار المناهج للنشر والتوزيع

عمان /الأردن / شارع الملك حسين

بناية الشركة المتحدة للتأمين

هاتف ٤٦٥٠٦٢٤ فاكس ٤٦٥٠٦٦٤

ص.ب / ٢١٥٣٠٨عمان ١١١٢٢ الأردن

Dar Al-Manahej

Publishers & Distributor

Tel : (00962 6) 4650624

fax: 009626 4650664

Amman-King Hussein St.

P.O.Box: 215308 Amman 11122

Jordan

www.daralmanahej.com

info@daralmanahej.com

manahej9@hotmail.com

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبات والوثائق الوطنية

٢٠٠٨/٥/١٣٨٠

٧٤٥

القيس ،ناهض عبدالرزاق

الفنون الزخرفية العربية والإسلامية/ ناهض عبدالرزاق القيسي

عمان دار المناهج

(   ) ص

ر.إ.: ٢٠٠٨/٥/١٣٨٠

الواصفات: الفنون الزخرفية العربية والإسلامية

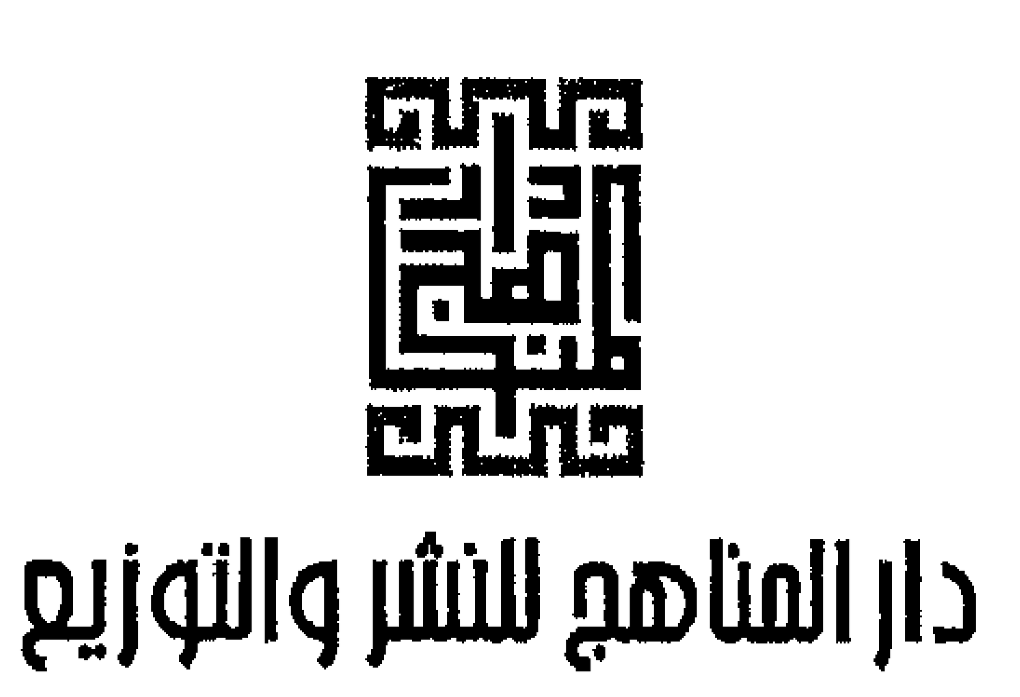
* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الفنون الزخرفية العربية والإسلامية

Arabic Islamic Decorative Arts

تأليف

الأستاذ الدكتور ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي
قسم الآثار – كلية الآداب - جامعة بغداد



دار المناهج للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى روح الأستاذ الدكتور زكي محمد حسن، بمناسبة مرور نصف قرن على صدور كتابه الرائع (أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية) ١٠٥٦ - ٢٠٠٦م.

كما أهدي هذا الجهد إلى أرواح الأساتذة الذين درسونا بقسم الآثار - كلية الآداب - جامعة بغداد (١٩٦٣ - ١٩٦٧م) والذين لا زلنا ننهل من علومهم، كل من الأستاذ الدكتور سعد ماهر رحمهم الله جميعا،، وال الأحياء منهم طوال العمر الأساتذة الدكتور عبد العزيز حميد والدكتور غازي رجب والدكتور عيسى سلمان، ون الله التوفيق

الأستاذ الدكتور
ناهض عبد الرازق دفتر القيسي
قسم الآثار - كلية الآداب - جامعة بغداد

المحتويات

الفصل الاول
المنسوجات

الفصل الثاني
الفخار والخرف الإسلامي

الفصل الثالث
التحف الخشبية

الفصل الرابع
الزجاج والبلور الإسلامي

الفصل الخامس
التحف المعدنية الإسلامية

الفصل السادس
العاج

الفصل السابع
الحلي والتزويق

الفصل الثامن
النقود

الفصل التاسع
الخط العربي

الفصل العاشر
السجاد

الفصل الحادي عشر
الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية

الفصل الثاني عشر
التجليد

الفصل الثالث عشر
الفسيفساء

الفصل الرابع عشر
مدارس التطوير والتزويق

المقدمة

الفنون الزخرفية الإسلامية وتسميتها بهذا الاسم

تطلق تسمية الفنون الإسلامية على التحف المنقولة، وتوجد عادة في ثلاث أماكن، نجدها عند تجار الآثار او نجدها عند هواة جمع التحف،او نجدها في المتاحف.

وتجار الآثار هم أولئك الذين اتخذوا فن التجارة في التحف القديمة مهنة لهم، وهذه التجارة بدأت عندما اتجهت عناية الناس إلى دراسة الماضي والاهتمام بكل ما وصل إلينا من آثاره فأخذ هؤلاء التجار يجمعون من بعض الأسر ما عندهم من تحف،كما إنهم كانوا يغرون خدم المساجد أن يعطوهم ما لديهم من سجاد قديم أو مصابيح زجاجية (قناديل ومشكاوات) بل أن بعض من هؤلاء التجار قاموا بحفريات غير علمية ببعض المواقع للحصول على قطع الخزف أو المنسوجات والزجاجيات والنقود ،أن مثل تلك التقنيات غير العلمية هي تدمير للمواقع الأثرية. كما عملت جهات مختصة في تزييف القطع الأثرية المهمة .

أما هواة جمع الآثار فهم فريق من الناس الأغنياء اقبلوا على اقتناء التحف الإسلامية و(القديمة أيضا) ومن التحف الإسلامية كانت السجاد والخزف والنقود وغيرها وقد اصطلح مؤرخي الفن من الأوروبيون على أن يطلقوا عبارة الفنون الفرعية Minor ARTS على كل التحف المنقولة التي تزدان بالزخارف وذلك تميزا لها عن الفنون العظيمة Major Artوالتي في نظرهم هي العمارة وكان سبب إطلاق كلمة الفنون الفرعية هو أن أول من عني بدراسة الفن الإسلامي كانوا من الأجانب فاستعملوا في هذه الدراسة ما كان مؤلفا لديهم عندما بدانا معشر الشرقيين في العناية بالفن الإسلامي استعملنا أيضا تلك العبارة .ولكن الفن الإسلامي مثل الدين الإسلامي لا يفرق بين الفنون والفنانين فالفن هو فن سواء تمثل في بناء شامخ أوفي قدر صغير في الفخار والفنان فنان سواء ساهم في زخرفة قصر عظيم أو عمل في تجميل آنية صغيرة والذي حمل مؤرخو الفن من الأوربيين على استعمال هذا الاصطلاح هو انه مستعمل عندهم فهم يفرقون بين الفنانين الذين يعملون في رسم الصور الكبيرة (Painting)التصوير،او تجميل العمائر ويطلقون عليهم فنانين (Artist) وبين غيرهم من الفنانين الذين

يشتغلون في زخرفة المنسوجات(Textiles) أو المعادن (Metal) أو الخزف (pottery) او الخشب (wood work) ويطلق على هؤلاء صناع ما هرين.

في حين أن الأمر في الفن الإسلامي مختلف، إذ لا توجد هذه التفرقة، ومن هنا كان استعمال الفنون الزخرفية (Decorative Art) أدق في التعبير عن روح الفن الإسلامي.

والآن بعد ان عرفنا مكان وجود التحف وهي (تجار الآثار) هواة الآثار والمتاحف وهي الأماكن الطبيعية لوجودها) نستطيع أن نقسم مواد الفنون الإسلامية في جميع ارجاء الوطن العربي، هذه المادة التي تدرس في جميع أقسام الآثار في جامعات الوطن العربي إلى المواد التالية؛

(المنسوجات، الخزف، التحف الخشبية، الزجاج والبلور، التحف المعدنية، العاج، الحلي والتزويق، النقود، الخط العربي، السجاد، الآلات الموسيقية، الفسيفساء، ومدارس التصوير الإسلامية والذهب وزخارف نقشته على الحجر في الرخام، ورسوم مائية الجدارية) أرجو أن تكون هذه الدراسة قد تساعد أبناءنا الطلبة في دراسة مادة الفنون الزخرفية العربية الإسلامية

ومن الله التوفيق

الأستاذ الدكتور
ناهض عبد الرازق دفتر القيسي
١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧ م

الفصل الأول

المنسوجـــات

Textiles

تمهيد

ورث العرب المسلمون بعض التأثيرات من الأقوام التي سبقوهم، ولكنهم استمروا بتطوير هذه الصناعة حتى ارتقت على أيديهم إلى مراحل متطورة، وهنا يجب أن نذكر أن من أهم مبادئ العرب التي تمسكوا بها في شتى فروع الحياة لا سيما في النواحي المادية من صناعات وفنون هو أن يبدأ من حيث انتهى المتقدمون عليهم، ولقد كان لهذه السياسية التي وضع جذورها الرسول الكريم(ﷺ) والخلفاء من بعده أثر عظيم في نضوج الفن الإسلامي.

لذلك نجد أن فن النسيج في صدر الإسلام قد استمر يسير على النمط الذي سبقه، ويجب أن يشير إلى أن المنسوجات من المواد العضوية القابلة للتلف لذلك ما وصلنا من المنسوجات السابقة تعتبر قليلة جداً، ولذلك فإننا نستعين بما كتبه لنا المؤرخون في هذا المجال، وما تبقي من نماذج قليلة في بعض المتاحف فقد أشار المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم) إلى أن نوع من النسيج عرف ب(البز) المصنوع في البصرة أول مدينة مصرت بالعراق في الإسلام سنة ١٤ هجرية على يد القائد عتبة بن غزوان، وقد أشار المقدسي إلى نوع (البز) المنسوج في البصرة والكوفة، أما مدينة السلام (بغداد) عاصمة الخلافة العباسية منذ سنة ١٤٦هجرية (استناداً إلى أول درهم مضروب بمدينة السلام كان في سنة ١٤٦هجرية). فقد كانت هذه المدينة تنتج أنواع كثيرة من المنسوجات منها (المنسوجات العتابية) نسبة إلى أحدى محالات مدينة السلام (بغداد) وقد قلد النسيج العتابي المصنوع بمدينة السلام في الأندلس وعن الأندلس انتقلت صناعته إلى أوربا حيث عرفه النساج الايطاليون والفرنسيون خلال العصور

الوسطى وأطلقوا عليه اسم (Tabis) وقد وصفته بعض المراجع الأوربية بأنه كان نوع من الحرير المموج، وعلى أساس هذا الوصف فإن العتابي الغربي هو تقليد للعتابي الشرقي، وقد أمكن تميز هذا النوع من القماش على وجه التقريب فهو أشبه ما يكونه بالقماش الحديث المموج.

استمرت صناعة النسيج في العراق تسير في سبيل التطور وفي أهم العوامل التي أدت إلى تطوير صناعة النسيج منها:

١- **كسوة الكعبة المشرفة (Curtain of kaba)** فقد كانت الكعبة قبل الإسلام تكسى بأنواع مختلفة من المنسوجات بقصد تجميلها، وظلت هذه العادة بعد الإسلام أيضاً. ومن هنا فقد كانت من العوامل المهمة في تجويد النسيج لعمل الأجود والأجمل.

٢- **منح الخلع (Khila,2)** وهي من العادات التي أحييت في الإسلام وقد أحياها الرسول الكريم محمد (ﷺ) عندما خلع على الشاعر كعب بن زهير بردته، وذلك أن كعب هذا كان قد هجا النبي الكريم (ﷺ) ثم فر من أمام المسلمين، ثم عاد تائباً إلى النبي الكريم ومدحه بقصيدته المشهورة والتي مطلعها.

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول　متيماً أثرها لم يعد مكبول

فكافأه الرسول (ﷺ) على ذلك لهذه القصيدة وتوبته بأن خلع عليه بردته التي كان يلبسها، وقد ظلت هذه ألبرده عنده يعتز بها ويحافظ عليها حتى كان زمن معاوية بن أبي سفيان (٤١ -٦٠هجرية) أول خلفاء بني أميه فطلب من الشاعر كعب بن زهير أن يبيعه هذه البردة فرفض، ولما مات كعب بن زهير استطاع معاوية أن يحصل عليها من أولاده بعشرين ألف درهم، وعندما سقطت الدولة الأموية، استولى العباسيون على هذه ألبرده من خزانه مروان بن محمد (١٢٧ – ١٣٢هجرية) أخر خلفاء بني أمية.

٣- **إهداء الملابس.**

إلى جانب كسوة الكعبة وعادة منح الخلع كانت الملابس أيضاً مفضلة عند الإهداء، وقد ورد في بطون الكتب العديد من ذكر إهداء الملابس سواء قبل

الإسلام أو بعده، فقد أهدى ملك الصين إلى كسرى ملك الفرس ثوباً حريراً يزدان بصورة الملك وهو جالس على العرش وكانت الصورة منسوجة بخيوط الذهب على الحرير الأزرق وقد أهدى ملك الروم إلى ملك الفرس عدة أشياء من بينها ألف ثوب من الديباج منسوج بالذهب وملون بألوان مختلفة وقد ذكر المؤرخ المقريزي في خططه أن المقوقس عظيم القبط أهدى الرسول الكريم محمد (ﷺ) فيما أهدى قباء (نوع من الملابس) وعشرون ثوباً من قفاطي مصر.

وقد ذكر المؤرخ الصابئ في كتابه (تحفة الأمراء في تاريخ الوزارة) إن إحدى جواري الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩- ٢٨٩هـ / ٨٩٢ -٩٠٢م شكت مرة من مماطلة بعض أصحاب الدواوين في تسليم إقطاع وهبه الخليفة لها، فقال لها الخليفة كان الصواب أن تبعثي إليه بثياب وألطاف كما يفعل الناس، فكنتي تستغنين عن خطابي، ففعلت ما نصحها به وبعثت بثياب فاخرة وتم لها ما أرادت، ومن الأسباب الأخرى في تقديم صناعة المنسوجات هو.

٤- **الميل الطبيعي فيهم للإكثار من الملابس** وما وجدوا إلى ذلك سبيل إذ كانوا يعتقدون أن الملابس تكسب لابسها من الوجاهة ما تكبره في أعين الناس ويزيد من قيمته عندهم، وقد انعكس هذا الميل الفطري في كثير من أنواع الملابس والمنسوجات التي أشار إليها المؤرخون في كتبهم، وقد كان من شأن هذا الميل أيضاً أنه مهد السبيل إلى النهوض بهذه الصناعة فما كادت تجري الثروة بين أيدي العرب على أثر فتوحاتهم لأقطار ذات حضارة عريقة مثل بلاد الشام والعراق ومصر، حتى اقبلوا على الأقمشة يسرفون في اقتنائها ويدفعون بذلك النساج إلى التسابق في إجادة النسيج وفي ابتداع الأنواع المختلفة منها.

لقد تجلت عناية المسلمين بصناعة المنسوجات في عنايتهم بدور الطراز، وهذه الدور هي مؤسسات حكومية تعني بعمل المنسوجات التي تحتاج إليها الدولة مثل كسوة الكعبة والخلع ثم يضاف إلى هذا ما يحتاج إليه الخليفة شخصياً من ملابس وما تحتاجه حاشيته ورجال دولته منها. والطراز على النوعين كما دل على ذلك ما كشفته التنقيبات الأثرية

من منسوجات فهناك طراز خاص وهو المؤسسة الحكومية التي أشرنا إليهـا والى اليوم لا تزال بقية من هذا الطراز قائمة في السعودية وفي مصر والتي تعرف ب (مديريـة الكسوة) وهناك طراز العامة وهذا إشراف الدولة على مصانع النسيج الأهلية.

أمثلة لبعض المنسوجات الباقية إلى يومنا هذا:

١- قطعة صوفية عثر عليها في صعيد مصر حملت اسم الخليفة العباسي المهدي (١٥٨ – ١٦٩هـ) وتاريخ نسجها سنة ١٦٨هجرية وهذه القطعة تزدان بخمسة أشرطة في بعضها زخارف هندسية، وفي بعضها زخرفة على هيئة أسماك.

٢- قطعة من الكتان محفوظة الآن بمتحف برلين، وهذه القطعة تحمل اسم الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣هـ) ومنسوج عليها بخيوط من الحرير زخرفة هندسية وكتابية بالخط الكوفي نصه: (بسم الله بركة من الله لعبدالله هرون أمير المؤمنين صنعه مروان بن هادي

٣- قطعة في الكتان حملت اسم الخليفة العباسي الأمين (١٩٣ – ١٩٨هـ) وتزدان القطعة بزخارف هندسية وكتابية بالخط الكوفي منسوجة بالحرير المتعدد الألوان، والنص الكتابي: (بسم الله بركة من الله لعبد الله الأمين محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه بما أمر بصنعه في طراز العامة بمصر على يد الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين).

٤- قطعة قماش من عهد الخليفة المأمون ١٩٨ -٢١٨هـ، هذه القطعة محفوظة اليوم، بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة من الكتان عليها نص بالخط الكوفي نقراء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله الأمام المأمون أمير المؤمنين أعزه الله مما عمل في طراز الخاصة سنة ست عشرة وما تبين).

المواد الأولية لصنع الأقمشة

صنعت الأقمشة منذ أقدم الأزمنة من المواد التالية:

١- **القطن:** نبات تعلم الإنسان زراعته منذ أقدم الأزمنة وقد ورد ذكر القطن منذ عهد الملك الأشوري سنحاريب (٧٠٥ – ٦٨١ قبل الميلاد) حيث ورد ذكره كما يلي:

« الشجرة التي تثمر الصوف قطعوها واستخرجوا منها القطن الشعر» – (فريال المختار: المنسوجات العراقية الإسلامية بغداد ١٩٧٦ ص١١) .

وقد نجح الإنسان في جعل القطن مصدر للخيوط استعملها في نسيج ملابسة، بعد أن تمر بعدة مراحل منذ اقتطاف جوزة القطن حتى غزل الخيوط.

وقد عرفت مصر زراعة القطن منذ أقدم الأزمنة، وقد تكون انتقلت زراعته إلى وادي الرافدين نتيجة للعلاقات بين الحضارتين.

٢- **الكتان:** المادة الثانية التي استخدمت في صناعة المنسوجات هو الكتان، وهو من المواد النباتية، وقد عرفت زراعة الكتان في العراق منذ أقدم الأزمنة وقد أطلق عليه لفظة (gade) في العصر السومري- الألف الرابع قبل الميلاد- وقد عرفت صناعة نسيج الكتان في المدن السومرية التالية(أور واريدو)، وفي العصر البابلي نسجت من الكتان الأزر النسائية والرجالية، وقد كشفت التنقيبات الأثرية عن قطع من نسيج الكتان من العصر السومري، وقد استخدمت نسيج الكتان للإلهة والملوك وبعض الكهنة وطريقة عمله. فبعد قطع نبات الكتان قبل نضوجه كي تكون خيوطه ناعمة وبعد تجفيفها تحت أشعة الشمس تضرب وتمشط عندها تكون جاهزة للنسيج. (المختار: المصدر السابق ص١٢)

٣- **الصوف:** ومن مواد المنسوجات المهمة الصوف وعرف منذ أقدم الأزمنة، وقد عثر على نصوص مسمارية منذ العهد السومري تبين أنواع الخراف الصالحة أصوافها

للمنسوجات، إضافة إلى وجود المنحوتات والتماثيل الأشورية لذلك، وقد اشتهرت بابل في العصر البابلي بتصدير الأصواف الجيدة وكانت من أهم أنواع التجارة.

وكان الصوف بعد جزه من الخرفان يمر بعده مرحل منها تنقيع الأصواف في الماء للتخلص من الأتربة والشوائب ثم تشطف عدة مرات، وتجفف بالشمس، بعدها تبدأ عملية الغزل بواسطة المغازل حيث تكون بعدها جاهزة للنسج.

٤- **الحرير:** وعلى الرغم من احتكار الصينيون لمعرفة أسرار صناعة الحرير غير أن الأشوريين عرفوا صناعة الحرير واستخراج المادة الملونة من ديدان القز (الدكتور وليد الجادر: الحرف والصناعات ص١٠٥) وفي العصور اللاحقة احتكر الصينيون صناعة الحرير وأصبحت بلادهم الموطن الأصلي للحرير، ولكن القصة التي تذكر أن أميرة صينية كانت قد تزوجت بحاكم مدينة بخارى، وعند خروجها من الصين إلى مكان زوجها نقلت في شعر رأسها بويضات دودة القز إلى موطنها الجديد وبذلك خرج هذا السر من الصين إلى بلدان أخرى (د. عبد العزيز مرزوق الزخرفة والمنسوجة في الأقمشة الفاطمية، القاهرة ١٩٤٢ ص٤٢) .

أدوات صناعة النسيج

بعد الحصول على المواد الأولية من القطن والكتان والصوف والحرير حيث كانت تغزل بواسطة مغزل خشبي تلف عليه الخيوط المغزولة، وقد عرف المغزل منذ العصور القديمة السومرية وما بعدها.

وبعد إتمام عملية غزل المواد الخام تصبح جاهزة للنسج، ثم يأتي دور النول (Loom) وقد عرفت هذه الآلة منذ أقدم الأزمنة ويعرف أيضاً باسم (الجومة).

والنول معروف اليوم على نوعين:

أ- النول الأفقي (Hori Zontal Loom)

ب- النول العمودي (Vertical Loom)

ويتكون النول من عارضتين عموديتين تربط بينها عارضتان أفقيتان، وتشكل كل عارضيه أفقية بالعارضة العمودية زاوية قائمة في كل جهة، كما تمتد بين العارضتين العموديتين خيوط (السدى) الخيوط الأفقية، أما خيوط (اللحمة) الخيوط العرضية فتنزل من الأعلى بواسطة بكرات معلقة في سقف الغرفة، وعن طريق هذه البكرات تنزلق خيوط إلى النول فتدخل بالنسيج ويضاف إلى النول عادة إطار أو برواز يحصرها حاشية النسيج. (المختار: المصدر السابق ص١٨)

صباغة النسيج

لقد حرص الإنسان على تزين منسوجاته بالألوان منذ أقدم الأزمنة وكانت مصادر الأصباغ من مصدرين حيواني ونباتي إضافة إلى المعادن.

فاللون الأحمر نحصل عليه من لحاء شجر البلوط وهو مصدر نباتي أما نفس اللون من المصادر الحيوانية فقد كانت بعض الحشرات والديدان ومنها دودة القز أو القرمز وذلك بعد تجفيفها وغليها ثم وضعها في محلول ملحي حامض، أو من بعض القواقع البحرية حيث يستخرج اللون الأرجواني أما اللون الأزرق فيؤخذ من نبته النيل، ومن تجفيف وتحليل بعض الأشنات التي تنمو على الأشجار.

أما اللون الأصفر فنحصل عليه من نبات الزعفران والكركم، والإصباغ الصفراء تؤخذ من سحق أزهار وجذور النبات المجففة ثم ينقع المسحوق بماء بارد فينتج لون أحمر ثم يفصل بإضافة مادة قلوية إلى المحلول يكون أحد أطيافه اللون الأصفر، كما يحصل على اللون الأصفر من سحق ثمار شجرة الرمان ومن ثمار السماق.

أما اللون الأخضر فنحصل عليه من خلط مادة من اللون الأصفر مع مادة من اللون الأزرق فنحصل على اللون الأخضر ولتثبيت اللون على القماش استخدمت مواد مختلفة منها قشر الرمان وأشجار الفستق والجوز، وكذلك استخدام مادة الشب كمادة مثبتة.

الزخرفة على المنسوجات

كانت المنسوجات منذ أقدم الأزمنة قد حملت بعض الزخارف فقد كانت ملابس البابلين والأشوريين قد زخرفت بأشكال هندسية بسيطة كالخطوط المتقاطعة، كما عثر على بعض الملابس تحمل زخرفة مطرزة بخيوط وفيها العديد من الخرز والأصداف حيث ثبتت على حافات الثوب أو حافات الأكمام أو بخيوط ذهبية أو فضية.

وفي العصور التي سبقت الإسلام وخاصة العصر الساساني فقد حملت بعض الملابس زخارف نباتية أو حيوانية، كما حملت بعضها الأشكال الادمية، أما الأشكال الهندسية فقد كانت من الدوائر والمربعات أو المضلعات والجامات، والشرائط المضفورة ودوائر تمثل حبات اللؤلؤ، كما حمل بعضها الأشكال الحيوانية، كذلك شاعت في ذلك العصر القصص والأساطير الخرافية وقد حملتها منسوجاتهم، وحملت المنسوجات الساسانية رسوم بعض الحيوانات المتناظرة والمتقابلة مثل الأسود والبط وتفصل بين كل أثنين منهما شجرة تعرف بشجرة الحياة (المختار: المصدر السابق ص٢٥) ومن قطع المنسوجات الساسانية قطعة قماش من الحرير ذات لون أحمر محفوظة اليوم في متحف الفاتيكان، حملت زخرفة في وسطها ديك داخل جامة دائرية وتحيط بالجامة زخارف هندسية ونباتية .

المنسوجات الإسلامية

بعد أن خرج المسلمون من الجزيرة العربية بعد فتحهم لأقطار ذات حضارة واسعة ومهمة مثل بلاد الشام والعراق ومصر، فقد اختلفت الحال في جميع المجالات ومنها المنسوجات حيث ازدهرت هذه الصناعة لتلائم الحالة الجديدة التي انتقلت إليها الحضارة الإسلامية وقد ازدهرت العديد من المدن العربية في صناعة النسيج وخاصة ملابس الحرير والذي عرفه المسلمون باسم (القز) قبل غزله وسموه (أبرسيم) عند خلطه مع الصوف وسمي (خزا) وإذا ما صبغ الأبرسيم بالألوان سمي ذلك بالحرير، وشاع استخدام الحرير لأنه لم يحرم بالقرآن الكريم.

وفي العراق بعد الفتح الإسلامي له ازدهرت العديد من المدن في تطوير صناعة المنسوجات ومنها المدائن – عاصمة الدولة الساسانية بالعراق قبل الإسلام.

ومن المدن الأخرى كانت الأنبار حيث شاع نسيج العباءات من الصوف الأسود وتعرف باسم – القطوانية كما كانت مدينة الحيرة قرب الكوفة مشهورة بصناعة المنسوجات منذ فترة قبل ظهور الإسلام حتى أنها كانت تجهز البلاد الساسانية من المنسوجات الصوفية الجيدة والكتانية والحرير.

- وقد وجد على أحد جدران دير هند الأكبر بالحيرة أبيات من الشعر في مدح آل المنذر ومن بينها والقز والكتان أثوابهم لم يجلب الصوف لهم حالب.

- وقد استمرت الحيرة بعد الإسلام بإنتاج المنسوجات الجيدة (المختار: المصدر السابق ص٤٧)

ومن مدن العراق الأخرى والتي كانت مشهورة بصناعة النسيج النعمانية (قرب مدينة واسط) وكانت منسوجاتها تضاهي منسوجات البصرة، وقد شاعت الملابس المصنوعة بالنعمانية أيام الدولة العباسية، ومن مدن العراق الأخرى التي شاع فيها صناعة المنسوجات مدينة النرسيان ما بين الكوفة و واسط وعرفت منسوجاتها بالمنسوجات النرسية.

كما عرفت حزة بعمل المنسوجات وهذه بلدة صغيرة بالقرب من مدينة الموصل شمال العراق.

وكانت الموصل من أشهر المدن في إنتاج المنسوجات ومنها القطنية، والصوفية، والمنسوجات الحريرية المزينة بخيوط الفضة والذهب، كما برع الموصليون بنسيج المنسوجات الكتانية، وكذلك قماش الشاش حيث كانت له شهرة كبيرة، وقد اشتهرت بعض المدن في إقليم كردستان العراق، وكذلك في جنوب العراق وخاصة ميسان ودست ميسان حيث كان ينتج وينسج الخز والحرير والدرانك إضافة إلى المنسوجات الصوفية حيث تصنع منها الستائر والبسط وأنواع الفرش.

وكذلك كانت الكوفة من المدن المشهورة بصناعة المنسوجات والعديدة من المدن الأخرى.

لقد كشفت لنا المنسوجات الكثير من المعلومات الأخرى فقد حملت بعض المنسوجات الزخارف بكافة أنواعها الآدمية والحيوانية والنباتية والنصوص الكتابية من أنواع الخط الكوفي- البسيط، والمورق، والمزهر، والمضفور والمربع، كما حملت أنواع الخط النسخي مثل الثلث بأنواعه والطومار والرقعة، والديواني، والطغراء، وبقية الأنواع، من ذلك يمكن القول أن دراسة المنسوجات قد قدمت للفنون الزخرفية الإسلامية الكثير من المعلومات. [1]

(1) ١- أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية القاهرة ١٩٥٦

- السيدة فريال داود، المختار : المنسوجات العراقية الإسلامية بغداد ١٩٧٦.

- الدكتور عبد العزيز حميد: ملابس الخلفاء ،مجلة كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٨٠

- الدكتور صلاح حسين العبيدي : المنسوجات الإسلامية.

الفصل الثاني
الفخار والخزف الإسلامي
Un Glazed and Glazed-Pottery

تمهيد

اعتبر الفخار والخزف من المصنوعات المهمة التي يعني بها عناية كبيرة لأنها لازمت الإنسان في جميع أطوار الحياة، ويتميز الفخار والخزف بأنها يقاومان الزمن عكس بقية المواد مثل المنسوجات أو الأخشاب والمواد العضوية الأخرى فإنها تبلى ولا تقاوم عاديات الزمن لذلك فقد وصلتنا كميات كبيرة جداً من كسر الفخار والخزف، ونشاهد الفخار دائماً يغطي سطوح التلول الأثرية وبكميات كبيرة لأنها تقاوم الطبيعة وبسبب التعرية للتلول الأثرية بفعل الرياح والأمطار فتتجمع كسر الفخار من الطبقة العليا على فخار الطبقة الثانية والثالثة وهكذا، كما أن كميات الفخار الكثيرة بسبب أن هذه المادة متصلة اتصالاً وثيقاً بحياة الإنسان كما أن دراسة الفخار والخزف يكون فيها بعض الصعوبات بسبب قلة النصوص الكتابية عليها، ومن هنا تأتي صعوبة دراسته.

تاريخ الفخار

يقدر وجود الإنسان على هذه الأرض إلى ما يقرب من مليوني سنة مضت، وقد سكن الكهوف والمغار وكان يعتمد في حياته على جمع القوت، واستخدام بعض الأواني البسيطة المعمولة من الحجر أو السلال المصنوعة من الجلد والأخشاب وظل هكذا فترة طويلة من الزمن وحاول أن يقلد الطبيعة عندما شاهد بعض الأحجار المقعرة وهي تحتوي على مياه الأمطار لفترات طويلة فحاول أن يقلد الطبيعة بعمل بعض الأواني الحجرية البسيطة أول الأمر ثم طورها، وقد عرفت هذا العصر (بالعصر

الحجري) وقد امتد لعصور طويلة حتى أن المختصين قسموا هذا العصر إلى العصر الحجري السحيق أو القديم، ثم العصر الحجري الوسيط ثم العصر الحجري الحديث وقد ظهرت للإنسان صعوبات في نقل وثقل تلك الأواني الحجرية، وبذل الجهد في تشذيب الحجر لتحويله إلى آنية، هذه الصعوبات وغيرها دفعت الإنسان إلى الانتقال إلى الفخار وكان ذلك بحدود الألف السابع قبل الميلاد حيث كشفت التنقيبات الأثرية في بعض القرى والمستوطنات مثل قرية جرمو شمال العراق حيث وجد في طبقات هذه القرية أن الطبقات السفلى منها استخدموا الأواني الحجرية، أما الطبقات العليا لهذه القرية فقد وجدوا الفخار.

ويبدوا إن الإنسان القديم وجد في الفخار بعض الفوائد في تبريد الماء ونقله، وحفظ السوائل كالزيت والخمور وحفظ الحبوب، كما استخدمت أواني الفخار للطبخ، كما استخدم الفخار لدفن الموتى وخاصة من الأطفال والبالغين أحياناً، كما عمل من الفخار بعض المناجل لحصاد الزرع وصنعوا من الفخار المسامير والأوتاد وكذلك المخاريط الفخارية وزينوا بها بعض جدران معابدهم القديمة، حيث شكلوا زخارف هندسية جميلة، وكذلك صنعوا من الفخار الدمى البشرية والحيوانية واعتبر الفخار من المواد التي لا تبلى ولا تتأثر بالعوامل الطبيعة، ويستفيد المنقبون من تراكمات الفخار في تحديد الحضارات المتعاقبة كما حملت بعض الجرار الفخارية منذ أقدم الأزمنة بعض الرسوم والزخارف المختلفة، منها بعض الأشجار وخاصة النخيل، كذلك الأنهار وما فيها من قوارب وطريقة صيد الأسماك أو صيد بعض الحيوانات، كما عرفنا أنواع من الأسلحة المستخدمة، وبعض ملابس الرجال والنساء، والحيوانات التي عاشت معهم من ذلك تكون دراسة الفخار عوناً كبيراً في إلقاء الضوء على الكثير من المشاهد والعالم والملابس والأسلحة التي استخدمها الإنسان القديم، وقد رسمت الحيوانات والطيور والأشكال الآدمية بأسلوب واقعي أو رمزي.

الأساليب الصناعية التي عمل فيها الفخار

كشفت دراسة الفخار الأساليب الفنية التي صنع بها الفخار حيث كانت الأنواع الأولى منه تصنع باليد حيث حملت بعض النماذج طبقات الأصابع، وبعض الثقوب المفتوحة بأصابع اليد، إضافة إلى ردائه الصنع.

وبعضها عمل بالعجلة ففي فخار الوركاء أو من عصر العبيد حيث توضع الطينة المرغوب تشكليها بشكل جرة أو صحن أو قدح، وتجري عليها عمليات منها الدلك والطلاء والتلوين والزخرفة، ومن ثم التسخين، وتجري عليها عمليات تجعلها ناعمة ملساء.

وقد قسم المختصون في دراسة الفخار حسب أساليب الصناعة ودراسة الطينة ففي العراق القديم كان كما يلي:

١- **فخار جرمو** وتميز بأنه سمج الصنع، سميك الجدران، هش المقاومة، كثير الشوائب، غير مدلوك جيداً وغير ملون .

٢- **فخار حسونة:** تميز هذا الفخار بثلاثة أنواع وكما يلي :

أ. فخار حسونة القديم: مصنوع باليد من طينة غير نقية سطوحه غير مستوية، ولون الطينة تميل إلى اللون البني .

ب. فخار حسونة الخاص: اعتبر أكثر تطوراً من النوع الأول وقد حمل بعض الزخارف التي عملت بالحزوز بآلة حادة وخطوط على شكل أشرطة أو خطوط متكسرة أو أشكال مثلثات ومربعات ودوائر.

ج. فخار حسونة المتطور: لا زالت صناعته باليد ألوانه الأحمر والتيني والبني والأسود، وحمل التلوين والتحزيز وتميزت جرار هذا الدور إن لها قاعدة مدورة ولبعضها عنق طويل كما حملت زخارفه إضافة إلى الخطوط بعض الرسوم الحيوانات وطيور وأسماك وحشرات وبعضها حمل بعض الرسوم الآدمية.

٣- **فخار حلف:** اعتبرت قرية الأربجية (قرب الموصل) فيها الكثير من فخار حلف ويتميز فخار حلف يصنع جرار وصحون وقدور وأقداح لها قواعد مستوية، والزخارف الهندسية عبارة عن خطوط وأشرطة متقاطعة أو متموجة أو منكسرة مرسومة بشكل عمودي أو أفقي، كما رسمت مثلثات ومربعات ومعينات، وأشكال نجوم وأقمار وشمس أما الزخارف النباتية فتتمثل بالأشجار والأزهار، ومن الحيوانات الغزلان ورأس الثور أو قرونه فقط، وأنواع الطيور وزواحف منها الأفاعي، وشاع استخدام هذا النوع من الفخار في شمال العراق وسوريا وتركيا.

٤- **فخار العبيد:** وشاع هذا النوع من فخار في جنوب العراق وفي المدن السومرية مثل أور واريدو وحاج محمد ويبدوان هذا النوع من الفخار قد انتقل إلى شمال العراق وسوريا وتركيا ووصل إلى سواحل الخليج العربي وبلاد فارس.

وفخار العبيد مصنوع باليد وفي طينته بعض الشوائب وذلك لشد الطينة ومنعها من التشقق ومصبوغ باللون الأسود أو البني وقد عملت منه أطباق وأقداح وصحون وحمل الزخارف الهندسية والنباتية والطيور والأسماك.

٥- **فخار الوركاء:** والوركاء من المدن السومرية المهمة تميز فخارها بثلاثة أنواع :

أ. حمل طلاء أحمر اللون أو البرتقالي أو الأحمر البني.

ب. له طلاء رمادي يميل إلى الأسود بسبب الفخر الشديد في الفرن.

ج. استخدمت منه لبعض الطقوس الدينية وصنعت منه جرار وأواني ف كبيرة تميزت الجرار بانتفاخ البدن ولها قاعدة مستوية وأعناقها قصيرة.

٦- **فخار العراق في عصر فجر التاريخ.** وجد هذا النوع من الفخار مع بزوغ الحضارة والتاريخ في العراق منذ الألف الرابع قبل الميلاد في العديد في المدن مثل نفر، الوركاء، جمده نصر، كيش، وتميزت بصناعتها الجيدة ومعمولة على الدولاب وملونة بعدة ألوان وعليها الزخارف الهندسية والنباتية.

٧- **فخار العراق في العصور السومرية والأكدية والبابلية.** تطور فخار هذه الفترات عن الفترات السابقة. وقد أدى معرفة الإنسان للمعادن واستخدامها في بعض الأحيان بدلاً عن الفخار.

٨- **فخار العراق في العصر البابلي وحتى العصر الإسلامي.** تميزت فخاريات هذه الفترة بطينتها الناعمة، وقد استخدم التزجيج – طلاء الفخار بالزجاج الذائب- وبالألوان المتعددة، وقد أنتجت من هذه الفترة صحون غير عميقة وجرار وأكواب ذات أشكال بيضوية وقواعد مسطحة، وفوهات صغيرة وأعناق قصيرة.

أما فخاريات العصر الأخميني والذي بدأ منذ سقوط بابل سنة ٥٣٩قبل الميلاد، حيث اعتبرت الجرار ذات الشكل المغزلي والفوهة البارزة من مميزات فخار هذا العصر، والكؤوس كانت رقيقة جداً وألوانها رمادية وخضراء مصفرة.

أما فخاريات العصر السلوقي بالعراق فقد وجد في كل من تل عمر(سلوقية) وفي بابل وفي نينوى للفترة ما بين ٢٤٠ – ١٤٠ قبل الميلاد حيث تأثر الفخار السلوقي بالفخار الأغريقي وكانت الجرار السلوقية الكبيرة ولها ثلاثة مقابض وحملت الزخارف الهندسية والنباتية أما الفخار الفرثي ١٣٩ قبل الميلاد إلى ٢٢٦ ميلادية وللفخار الفرثي أنواع ومنها الجرار البيضوية الشكل ذات النهاية المدببة والتي كانت تثبت في الأرض، وقد تأثر الفخار الفرثي بالفخار العراقي القديم مثل البابلي والأشوري، وللجرار الفرثية مقبضين ومن النوع المعروف بالامفورا، وبعضها مزجج والبعض الآخر غير مزجج، وقد حملت الجرار الفرثية بعض الأختام الدائرية والأشكال الحيوانية مثل الثيران والغزلان والخيول والطيور.

فخار بلاد الشام (الأردن وفلسطين) في العصور القديمة:

أن الفخار لا يحتاج أكثر من ثلاثة عناصر وهي (التراب والماء والنار) ولدراسة الفخار يتتبع الباحث ما يلي:

١. نوع وشكل قطعة الفخار.

٢. العجينة الصلصالية.

٣. معالجة السطح.

٤. طريقة تقنية الإنتاج.

وقد صنف المختصون في دراسة الفخار في بلاد الشام إلى ما يلي:

١- فخار العصر الحجري الحديث (٨٠٠٠ – ٤٥٠٠) قبل الميلاد

وقسم هذا النوع إلى دورين.

الأول: عرف بالعصر الحجري الحديث قبل معرفة الإنسان للفخار (٨٠٠٠-٦٠٠٠ قبل الميلاد)

الثاني: العصر الحجري الحديث الفخاري (٦٠٠٠-٤٥٠٠ قبل الميلاد)

وقد كشفت التنقيبات الأثرية في أريحا في موقع تل عين السلطان وكشف هذا النوع من الفخار في الجولان قرب بحيرة طبرية، موقع مجد والطبقة العشرون، تل العلي قرب البحر الميت. وقد تميز فخار هذا العصر عن آنية بسيطة عملت باليد يمتاز بالسماجة وسمك الجدران وثقيلة الوزن، وفي عجينتها بعض الشوائب ومنها جرار بدون رقبة، صحون كبيرة، كؤوس بعضها لها قواعد وبعضها بدونها، إضافة إلى طاسات بإحجام مختلفة .

٢- فخار العصر الحجري النحاسي (٤٥٠٠ – ٣١٥٠ قبل الميلاد)

لقد عثر على هذا النوع من الفخار في العديد من المواقع منها:

(بئر السبع، الشونة، تليلات الغسول، تمرد في النقب بيسان الطبقة ١٨، كهوف أم قطافه غرب البحر الميت) تل أبو مطر جنوب بئر السبع وغيرها من المواقع) وتميز فخار هذا العصر بجرار كبيرة استخدمت لدفن الموتى، أو على شكل طاسات حملت بعضها زخارف، ومن خزف هذا العهد الأقماع المخروطية الشكل وهي تشبه القرون الحيوانية.

٣- فخار العصر البرونزي المبكر (٣٣٠٠ -٢٩٠٠ قبل الميلاد)

هذه الفترة في بلاد الشام تقابل فترة السلالة الفرعونية الأولى بمصر وقد كانت الحضارة الكنعانية هي السائدة، وقد كشفت التنقيبات الأثرية في مصر وفلسطين عن تشابه الكثير من اللقى الأثرية، وقد تميز فخار هذا العصر بثلاثة أنواع (فخار الحضارة الشمالية، فخار الحضارة الجنوبية، وفخار حضارة مرج ابن عامر)

٤- فخار العصر البرونزي المتقدم الثاني (٢٩٠٠ – ٢٧٠٠ قبل الميلاد)

وجد هذا النوع من الفخار في العديد من المواقع في فلسطين والأردن ووجد هذا الفخار في مصر أيضاً، ويميز فخار هذا العصر بأن قطر الفوهة للجرار يساوي قطر القاعدة، وطينتها نقية، وسماكتها جيدة، ولها مقابض متعددة، ولها زخرفة المشط، وخطوط متقاطعة ومنها الأطباق ، والكؤوس، والجرار المختلفة.

٥- فخار العصر البرونزي الثالث (٢٧٠٠ – ٢٤٠٠ قبل الميلاد)

ومن فخار هذا الدور نوع يعرف خربة الكرك في جنوب بحيرة طبرية، ويبدو على هذا النوع من الفخار تأثره بالفخار المصري، للسلالات المصرية من الثالثة إلى السادسة.

٦- فخار العصر البرونزي المتوسط الأول (٢٢٠٠ – ١٩٥٠ قبل الميلاد)

وجد هذا النوع من الفخار في فلسطين والأردن، وقد صنف هذا الفخار إلى ثلاثة مجموعات (الشمالية، الجنوبية، ومجموعة مجدو) وقد تميز بالشكل الكروي أو البرميلي، ولونه رمادي يميل إلى اخضرار أما تقنية صناعة هذا النوع من الفخار فقد اشتركت يد الفخار واستعمال الدولاب أي أن هناك ازدواجية بين الأسلوبين، ولشده حرقه له رنين يشبه رنين المعادن وعملت منه المسارج المتنوعة، وله قاعدة منبسطة وثقيل الوزن.

٧- فخار العصر البرونزي المتوسط الثاني (١٩٥٠ - ١٥٥٠ قبل الميلاد)

يشابه فخار بلاد الشام في هذا العهد فخار مصر خلال السلالتين الثانية والثالثة عشرة المصرية ومن أشهر فخاريات هذا العهد (المكاييل ذات البدن البيضوي) وكذلك كؤوس النبيذ، ونوع من القناني برقبة طويلة وضيقة ربما استعملت للزيوت والعطور.

٨- فخار العصر البرونزي المتأخر (١٥٥٠ - ١٢٠٥ قبل الميلاد)

وقد عملت من هذا العصر (مطارات الحجاج وأواني قرفصائية الشكل مضغوطة ولها مقابض ولها صنبور) وكانت فخاريات هذا العهد سميكة البدن، خشنة الملمس، وعدم نقاوة العجينة)

٩- فخار جنوب دلتا النيل

تميز هذا النوع من الفخار بأنه زخرف بثقوب وحزوز غير نافدة وعمل منه قوارير صغيرة، وشاع هذا النوع من الفخار على امتداد الساحل الفينقي الكنعاني وفي قبرص وفي مصر وفي دلتا النيل وفي المناطق الداخلية في بلاد الشام.

١٠- فخار العصر الحديدي (١٢٠٠ - ٣٣١ قبل الميلاد)

وقد قسم هذا النوع من الفخار إلى ثلاثة أنواع.

أ. فخار العصر الحديدي الأول ١٢٠٠ - ٩٠٠ قبل الميلاد أنتج منه (مطارات الحجاج ومباخر وطاسات وغيرها)

ب. فخار العصر الحديدي الثاني (٩٠٠ - ٥٣٩ قبل الميلاد) حدث به بعض التطور حيث ظهرت الدقة والنعومة والعجينة أكثر نقاوة.

ج. فخار العصر الحديدي الثالث (٥٣٩ - ٣٣١ قبل الميلاد) تطور هذا النوع من الفخار أكثر من سابقيه، وأصبحت مطارات الحجاج أكبر حجماً وبدن كروي ولها مقبضين جانبين والفوهة واسعة.

الفخار والخزف في الإسلام

الفخار في اللغة: هو كل ما عمل من الطين وشوي بالنـار، وقـد وردت لفظـة الفخار في القرآن الكريم بقوله تعالى بسم الله الرحمن الـرحيم ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ ﴾ (الرحمن ١٤) صدق الله العظيم

ويمكننا القول بأن لا فرق واضح عند اللغويين بين الفخار والخـزف وكمـا هـو الأمر بالعربية، فإن اللفظة الأجنبية هي Pottery وهي تطلق على الفخـار، أمـا كلمـة سيراميك (Ceramic) الإغريقية فتعني الخزف المزجج Glazing تعني عمليـة إضـافة طبقة رقيقة من الخامات المكونة للزجاج على سطح الأواني الفخارية وحرفها.

طينة الفخار والخزف

يجب أن تكون الطينة نقية وخالية من الشوائب بعد غربلة التراب غربلة دقيقـة، ثم غسل التراب ونقعه بالماء النظيف لعدة أيام، ثم العجن لمرات عديدة حتى تتخلص الطينة من الفقاعات الهوائية.

وبعد تشكيل الطينة إلى الشكل المطلوب تأتي عملية التجفيف وتلخيص الطينـة من الماء الموجود فيها، لذلك يجب أن يكون التجفيف بطيئاً ويفضل أن يكون التجفيف بالظل لأن الشمس المباشرة تساعد على سرعة التجفيف لكنهـا تـسبب تـشقق الآنيـة بسبب التقلص والانكماش المتفاوتة بين السطح للإناء والداخل منه، وقد تحتاج عملية التجفيف بالظل لعدة أيام، وبعد التأكد من عمليـة التجفيـف التـام تنقـل إلى الأفـران المعدة لذلك أن الأفران الخاصة بالفخار تكون مختلفة الأحجام والأنواع، لكنها بـشكل عام كروية الشكل دائرية، الغرض منها هو التخلص من الدخان النـاتج عـن الحـرق، وتتوسط الفرن حفرة مستطيلة ويعرض مناسب تمتد حتى مدخل الفرن الغـرض منهـا وضع الوقود على الأخشاب لإغراض الحرق، وتوجد علـى جوانـب الفـرن فتحـات صغيرة قريبة من الأرض وذلك لتسهيل دخول الأوكـسجين ليساعد علـى اسـتمرار عملية الحرق.

أما عن طريقة وضع الأواني الفخارية داخل الفرن فقد كانت الأواني قريبة من جدران الفرن بصورة عمودية وكانت توضع بين أناء وآخر قطعة فخارية تشبه قدم الطير وذلك لتباعد قليلاً بين أبدان الأواني، وقد كشفت التنقيبات الأثرية بالبصرة حيث عثر على مجموعة من الأفران مختلفة الأحجام يصل قطر بعضها إلى أربعة أمتار ونصف المتر، وبعضها بقطر مترين. وكانت الأواني توضع بداخلها بصفوف أفقية وبذلك تتوزع الحرارة بالتساوي لجميع الأواني الفخارية.

وكانت درجات الحرارة المستخدمة في أفران الفخار تصل إلى ٩٠٠ درجة مئوية، وفي بعض الحالات تصل إلى ١٣٠٠ درجة مئوية أو أكثر.

وبعد أن يتم الفخر بالأفران تترك الآنية تبرد داخل الفرن بعد قطع الحرارة عنها، ويحرص الخزاف على عدم فتح الفرن وتعريضها على البرودة السريعة، بل تترك لتبرد بالتدريج وتصل في بعض الحالات إلى ثلاثة أيام، تخرج بعدها الأواني الفخارية وتطلي بطبقة الترجيح أو ما يعرف بالدهان .

تزجيج الفخار

ما هي الدوافع التي دفعت الإنسان لتحويل الفخار إلى خزف منها كثرة المسامات بالفخار والتي تعمل على ترشيح السوائل كما أن شكل الطين غير مرغوب فيه وصعوبة تنظيف الآنية الفخارية بعد وجود الدهون فيها هذه الصعوبات وغيرها دفعت بالإنسان إلى طلاء الفخار بالزجاج الذائب والانتقال بالفخار إلى الخزف.

وقد ازدهرت صناعة الفخار والخزف في العديد من مواطن العالم العربي والإسلامي ومنها:

الفخار والخزف في الجزيرة العربية

كانت في الجزيرة العربية قبل الإسلام بعض المدن المهمة مثل مكة ويثرب والطائف حيث ازدهرت في هذه المدن وغيرها العديد من الصناعات ومنها صناعة الفخار والخزف وقد كشفت التنقيبات الأثرية عن الكثير من كسر الفخار والخزف كما أن بعض كسر الفخار التي عرفت ب (اللخاف) قد حملت بعض النصوص الكتابية .

وفي زمن الرسول محمد (ﷺ) كان بعض صحابته ﷺ يعلمون في صناعة الفخار حيث صنعوا للرسول (ﷺ) بعضاً منه. وفي إطلال مدينة الربذة الواقعة جنوب شرق المدينة المنورة فقد كشفت التنقيبات الكثير من الفخار والخزف إلى جانب المواد الأخرى وينحصر تاريخ مدينة الربذة ما بين القرن الأول والثالث الهجري. ومن دراسة قطع الفخار من الربذة اتضح أنها عملت باليد وبالدولاب وبعضها بالقالب، أما خزف الربذة فيبدو أنه كان قد تأثر بخزف سامراء بالعراق حيث كانت الربذة تقع على طريق الحج بين العراق والديار المقدسة، كما عرفت الربذة الخزف ذو البريق المعدني متعدد الألوان وحمل الزخارف الهندسية والنباتية.

فخار وخزف الرقة في بلاد الشام

لقد كشفت التنقيبات الأثرية التي جرت في مدينة الرقة عن الكثير من الفخار والخزف، وعدد من الأفران مما تؤكد إنتاج الفخار والخزف محلياً فيها، كما عثر على الكثير من الخزف التالف قرب الأفران وقد أنتجت الرقة أنواع الخزف منها :

١- خزف لقبي وهو نوع متعدد الألوان وذو زخارف بارزة ويتميز هذا النوع من الخزف بأرضية بيضاء .

٢- خزف ذو البريق المعدني، حيث أنتجت الرقة الأواني الكبيرة الحجم والقدور والسلطانيات العميقة ذات الفوهات الواسعة وألوانها المميزة التي كانت تميل إلى الخضرة أو الزرقة وكذلك اللون الزيتوني.

وقد حملت الزخارف الآدمية والطيور والحيوانات إضافة إلى العناصر النباتية كالأغصان الحلزونية والمتموجة والتي تنتهي بأزهار الزنبق واللوتس، كما حملت بعض التحف الخزفية المنتجة بالرقة الخط العربي النسخي.

٣- الخزف المعماري، اشتهرت الرقة بإنتاج الخزف المعماري وهو ما يعرف بالقراميد الخزفية ـ وهذه تستخدم في إكساء القباب في المساجد والقصور والجدران المهمة، كما استخدمت في إكساء المحاريب بالمساجد، وقد كشفت الحفريات بالرقة عن

بلاطات مزججة بالبريق المعدني، ومن أشهرها ثلاثة بلاطات محفوظة اليوم بمتحف الدولة ببرلين، ووصفها .

أ. زينت بصورة فرس تعدو بين الشجيرات وحركة الفرس رائعة ودقيقة مع تناسب أعضاء جسم الفرس.

ب. البلاطة الثانية فقد حملت زخارفها صورة الأسد تحيط به تفريعات نباتية محورة عن الطبيعة تنهي بمراوح نخيلية.

ج. والبلاطة الثالثة من بلاطات الرقة يبدو في وسطها طير كبير تحيط به عناصر نباتيه مشابه لعناصر البلاطة الثانية.

٤- الموائد الصغيرة الخزفية، وقد أنتجت الرقة موائد صغيرة منها مائدة مسدسه الأضلاع استخدمت بعملها طريقة النقر واللسان (التعشيق) ونقش عليها عناصر نباتيه إضافة إلى الخط النسخي الجميل في كلمات منها (الإقبال) و (السعادة) و (السؤدد) ولمثل هذه الموائد ستة أرجل غليظة وقصيرة .

٥- وسائل الإنارة (المشكوات) في إنتاج خزف الرقة حيث أنتج الخزافون في الرقة وسائل الإنارة والتي تعرف بالمشكاوات ومنها واحدة من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي حملت الزخارف النباتية والخط النسخي الجميل، وقد ظلت مدينة الرقة مزدهرة لعدة قرون منذ أن بناها الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣ هجرية) وحتى غزوها من قبل المغول سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م، كما أن نهر الفرات كان قد غير مجراه عنها مما أدى إلى خرابها.

الفخار والخزف الإسلامي بالعراق

لقد شجع المسلمون أصحاب الصناعات من الاستمرار في أعمالهم ومن تلك الصناعات الفخار والخزف، وعندما ما اتخذت الكوفة عاصمة للدولة العربية الإسلامية في عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (٣٥-٤٠ هجرية) قصدها الكثير من العلماء والأدباء وكذلك صناع المهن المختلفة ومنهم صناع الفخار والخزف.

من وفي العصر الأموي حيث بنيت مدينة واسط وأصبحت المدن الأموية المهمة حيث أنتجت أنواع من الفخار والخزف إلى جانب البصرة والكوفة، وقد أنتجت بالعراق الجرار الكبيرة والمسارج المتنوعة والأواني والجرار الصغيرة وقد تميزت طينتها بأنها خالية من الشوائب، ومحروقة حرقاً جيداً ولها أسطح ناعمة، وقد حمل بعضها زخارف من الأشكال الهندسية مثل الخطوط المتموجة أو المستقيمة، والزخارف النباتية فقد حملت أغصان الأشجار، وقد أنتجت الصحون والأكواب وتميزت أواني الطبخ بفوهات واسعة ولها مقابض، كذلك أنتجت المسارج للإنارة ومعظمها غير مزججة، وقد حملت بعض النماذج في العصر الأموي بعض النقوش الكتابية.

فخار وخزف العراق في العصر العباسي

وخاصة بعد اتخاذ مدينة السلام (بغداد) عاصمة للدولة العباسية حيث انتعشت الصناعات ومنها صناعة الفخار والخزف في كل من البصرة والكوفة و واسط ومدينة السلام. وقد أشار الرحالة الذين زاروا العراق ومنهم الجغرافي اليعقوبي المتوفى سنة (٢٨٤ هجرية) حيث ذكر عن البصرة ما يلي:

(كانت للبصرة شهرة عظيمة في صناعة الخزف منذ مطلع العصر العباسي الأول.) ويذكر أن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ) كان قد استقدم الصناع من جميع الأنحاء ومنهم صناع الخزف من البصرة والكوفة و واسط، كذلك فعل الخليفة العباسي المعتصم بالله (٢١٨ - ٢٢٧هـ) عندما بنى مدينة سامراء في سنة ٢٢١ هجرية فأحضر من البصرة من يعمل بالزجاج والخزف).

وكانت صناعة الفخار والخزف بالبصرة واسعة الانتشار حيث أنها صدرت إنتاجها إلى أماكن أخرى وهذا ما كشفته التنقيبات التي جرت بالرقة عن جرة كبيرة عليها كتابة تذكر في أخر الشريط : (عمل بالبصرة من عمل حسان خاصاً بصاحب الحيرة) وعثر أيضاً على جرة خزفية مزينة بالزخارف الهندسية وعليها شريط كتابي يذكر : (اشرب هنيئاً مرياً وأحمد الذي جعله عذباً فراتاً عملت بالبصرة من عمل يحيى

بن أمية لصاحب الحيرة وسمحة وخير)، وقد كشفت التنقيبات بالبصرة عن الكثير من الأفران لعمل الفخار والخزف، كما عثر على الكثير من المسارج و الجرار المزججة وبعض الأواني الكبيرة ذات اللون الأزرق الغامق كذلك عرفت البصرة صناعة فخار الباربوتين (أي إضافة الجدائل والحبال المضفورة إلى الفخار) مثل أشكال بعض الحيوانات والزواحف كالأفاعي وبعض الطيور وزينت بعضها بأشكال الزهور.

كما كانت مدينة السلام (بغداد) مشهورة بصناعة الفخار والخزف وقد ذكر المؤرخ اليعقوبي: أن الكثير من سلع الصين كانت ترد على أسواق مدينة السلام حيث كانت تلاقي رواجاً وإقبالا كبيرين، كما ذكر أن للخزف الصيني كانت له أسواقاً خاصة بالعاصمة مدينة السلام، وقد كان للخزف الصيني الأبيض المعروف ب (البلورسلين) قد حظي بإعجاب المسلمين، مما شجع الصناع المحليين على تقليده لجماله ولغلاء ثمنه، كما أنتجت مدينة السلام العديد من أنواع الخزف ومن أهمها الخزف ذو البريق المعدني في مراحله الأولى.

أما فخار وخزف سامراء (٢٢١ – ٢٧٩ هجرية) حيث نضجت صناعة الخزف بجميع أنواعه ومنها الخزف ذو البريق المعدني، هذا النوع من الخزف الذي يصنع من صلصال أصفر نقي يغطي بطبقة غير شفافة من المينا القصديرية ترسم عليها العناصر الزخرفية بأكاسيد معدنية بعد إدخالها إلى الفرن في المرة الأولى، ثم تكون المرة الثانية بدرجات حرارية أقل من المرة الأولى حيث تتحول الأكاسيد المعدنية باتحادها مع دخان الفرن إلى طبقة معدنية رقيقة ولها لمعان براق، ويبدو أن الخزاف المسلم، كان على دراية كبيرة في المواد الكيماوية والأكاسيد لاستخراج البراقة.

وقد عثر في تنقيبات سامراء على أنواع أخرى من الفخار والخزف منها :

١. الفخار غير المطلي.
٢. الخزف المزجج ذو لون واحد.
٣. خزف ذو زخارف تحت التزجيج.
٤. خزف ذو زخارف فوق التزجيج.
٥. خزف الباربوتين (الإضافة)

وقد حملت نماذج الخزف المنتج في سامراء التكوينات الهندسية من المربعات والمثلثات والدوائر والتي تحصر بداخلها عناصر نباتية من وريقات الأشجار، كما حملت رسوم حيوانية وطيور، وأنتجت سامراء أنواع من الخزف منها الأكواب الصغيرة إضافة للأواني المنزلية المختلفة، ويضم متحف المتروبولتان سلطانية من صناعة سامراء، تميزت زخارفها بأشكال الأوراق النباتية من السيقان المزهرة والمراوح النخيلية والألوان غلب عليها الأخضر مع الأزرق على الأخضر، كما حملت بعض القطع المنتجة بسامراء أسماء الصناع منها (عمل الأحمر) و (عمل أبي خالد) و (عمل كثير بن عبد الله).

لقد كشفت الحفريات في سامراء والتي أجرتها البعثة الألمانية برأسه هرتسفلد وزارة بالكشف عن أنواع كثيرة من الخزف، ومنها خزف ذي البريق المعدني والذي اختلف المختصون في أصله.

١- فقد ذكر الفرنسي ميجون Migeon في كتابه عن الفنون الإسلامية المنشور سنة ١٩٠٧م بأن إيران هي الموطن الأول لصناعة خزف ذي البريق المعدني.

٢- في حين ذكر كل من هرتسفلد وزاره (Herzfeld and sarra) في كتابهم خمسة مجلدات (تنقيبات سامراء) ١٩٢٣ – ١٩٣٠م إن سامراء كانت هي المواطن الأول لصناعة الخزف ذي البريق المعدني.

٣- ونشر بتلر Butter كتابه سنة ١٩٢٦م ذكر فيه أن مصر كانت موطن صناعة خزف ذي البريق المعدني.

ولابد من الإشارة إلى أن سامراء كانت مدرسة نضوج تجربة الخزف ذي البريق المعدني بعد أن بدأت في كل من البصرة والكوفة و واسط ثم مدينة السلام، ونضجت تلك التجربة في سامراء، وخاصة وأن أهم مجموعة من الخزف ذي البريق المعدني المعماري نجدها اليوم في القيروان بالمسجد الجامع بتلك المدينة وهي بلاطات محراب مسجد سيدي عقبة، ويبلغ عددها ١٣٩ بلاطة وهذه البلاطات نوعان، زخارف النوع

الأول متعددة الألوان، أما الثاني فذو لون واحد، وقد جلبت هذه البلاطات من العراق على يد الأمير الأغلبي أبي إبراهيم أحمد في السنوات ٢٤٢-٢٤٩هـ/ ٨٥٦-٨٦٣م، وصنع البعض منها محلياً على يد صانع عراقي جاء مع البلاطات الخزفية المعمارية الأولى، إضافة إلى تلك البلاطات الخزفية، هناك شواهد أخرى للخزف ذي البريق المعدني العراقي في متحف المتروبولتان بنيويورك صحناً من صناعة العراق يزدان بزخارف قوامها أشكال أزهار محورة عن الطبيعة ومراوح نخيلية ثلاثية الفصوص ومراوح مجنحة وفي متحف الفن بشيكاغو قدراً من الخزف ذي البريق المعدني من العراق، وللقدر مقابض متعددة وزخارفه نباتية وعناصر زخرفيه تشبه عقود مدببة تبدو وكأنها مثلثات قائمة على رؤوسها وهي مقسمة على هيئه رقعة الشطرنج .

وفي متحف برلين بلاطات تزين بعضها ديك داخل إكليل من الغار والوريقات النباتية .

وقد تميز خزف سامراء خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بطينة ناعمة ملساء متماسكة الأجزاء، وجدرانها رقيقه بسبب النقاء وخلوها من الشوائب، ويغلب عليها اللون البرتقالي، وقليل منه ذو لون أسمر مائل للاخضرار، وتميزت خزفيات سامراء بالزخارف البارزة، حيث عثر على الكثير من الكسر الخزفية من هذا النوع، ويضم متحف اللوفر بباريس جرة كبيرة ذات زخارف بارزة مزججة بلون أخضر، وترجح زاره على أنها من سامراء مقارنة بالكسر الخزفية التي وجدتها في سامراء من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، كما شاع في سامراء نوع من الأطباق ذات قواعد مسطحة وجدران مستقيمة منخفضة وحملت زخارف نباتية إضافة إلى الأكواب الصغيرة والمسارج حملت زخارف هندسية. والملاحظ أن خزف سامراء كانت فيه الخطوط العربية الجميلة، كما عثر في سامراء على الخزف المبقع، ويعتقد المختصون أن هذا النوع من الخزف كان تقليداً للخزف الصيني الذي ظهر أيام حكم أسرة تانج Tang (٦١٨-٩٠٦م) ويبدو أن الخزف الصيني كان له تأثير كبير على

أنواع الخزف بالعراق، حيث كان في مدينة السلام (بغداد) سوقاً خاصاً لبيع الأواني الصينية الخزفية، حيث ذكر المؤرخ اليعقوبي عن رحلة التاجر (سليمان التاجر) حيث قال: بالعراق يجيدون عمل الغضار ويصنعون منه أقداحاً في رقة القوارير الزجاجية مع أنها من الغضار.

أما أبن الفقيه فقد ذكر في كتابه (البلدان): «أن الله خص أهل الصين بأحكام الصناعة وأنه منهجهم في ذلك ما لم يمنحه لغيرهم، فكان لهم الحرير والغضار الصيني».

ويذكر الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٠هجرية وكتابة (لطائف المعارف) عن مهارة الصينيين في الفنون فيقول : (وأما الصين ما اختص به فإن العرب تقول عن الأواني الصينية بأنها الألطاف.

من خلال هذا الإعجاب الكبير بالخزف الصيني دفع العراقيين إلى تقليد الخزف الصيني رغبة في كسب الذوق العام، وقد ذكر كل من القزويني ، والبيروني، وابن بطوطة وغيرهم أن الخزف الصيني كان يعمل من طينة لا تتوفر إلا في بلادهم وأن هذه الطينة كانت تخمر بطريقة خاصة والفترة طويلة كما أن هذه الطينة تتحمل درجات حرارة عالية، وهذا ما يميز الخزف الصيني عن غيره.

كما قلد في العراق الخزف الصيني المبقع أيضاً وهو خزف البورسلين والذي يتميز بطينة خاصة وبعد إدخاله الفرن بدرجات حرارية عالية يصبح له رنين يشبه رنين المعادن، ويتميز هذا النوع من الخزف بلونه الأبيض، وكانت أسعار الخزف الصيني عالية بسبب نوعيته الجيدة.

ولم يقف الخزافون المسلمون على تقليد الخزف الصيني بل ابتدعوا أنواعاً جديدة من الخزف المزجج إلى زخارف ذات تزجيج أزرق عن طريق استخدام الكوبلت واللون الأخضر باستخدام النحاس، واللون الوردي المنغينزي، وكان التزجيج واللون يثبتان في عملية حرق واحدة داخل الفرن وقد عرف ذلك عند الخزافون العراقيون منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، حيث عثر في تنقيبات سامراء مثل تلك

الأنواع، وعن سامراء انتقلت تلك الأساليب إلى بقية البلدان والمدن مثل مصر وبلاد الشام وسمرقند ونيسابور ومناطق أخرى من بلاد فارس حيث يظهر تأثير الخزف العراق بوضوح على خزف تلك البلدان من الناحية التقنية الصناعية والعناصر الزخرفية، ومنها النقوش الكتابية التي عرفت بسامراء بنمطين الأول: الكتابة المنقوشة بسطر واحد كخط مائل من الحافة أو وسط الإناء، والنمط الثاني هو التفاف النص الكتابي حول البدن، كما تضمن بعضها أسماء الصناع.

خزف بلاد فارس وشرق العالم الإسلامي

بعد الفتوحات الإسلامية لبلاد فارس وبلاد ما وراء النهر لم يحدث تغيير يذكر في صناعة الخزف، فظلت على ما عليه في صدر الإسلام والعصر الأموي وحتى بداية العصر العباسي، لقد أولى الملوك الساسانين لصناعة التحف المعدنية من الفضة والذهب اهتماماً كبيراً في حين أن الفخار والخزف فخار وخزف لم يصل إلى مراحل متطورة وكان مقتصراً على الجانب النفعي.

ومنذ بداية العصر العباسي استفاد الخزافون في بلاد فارس من تطوير قابليتهم في مجال التقنيات الخاصة بالتركيبات الكيماوية وخاصة أسرار التزجيج حيث أنتجت أنواع من الخزف ذو الزخارف المحززة، كما اشتهرت بلاد فارس بإنتاج خزف جبري. كما أنتجت بلاد فارس الخزف المرسوم تحت التزجيج أما الخزف ذي البريق المعدني والذي تطور بعد انتقال الخزافين المصريين إلى بلاد فارس بعد زوال الحكم الفاطمي، واشتهرت بعض المدن بهذه الصناعة ومنها الري حيث كشفت التنقيبات بهذه المدينة عن الكثير من الخزف ذو البريق المعدني، أما خزف قاشان فقد أخذ شهرة كبيرة وكان متطوراً من النواحي الفنية والزخرفية حيث ظهرت على خزف قاشان قصص الحب والغرام الشائعة في الأدب الفارسي إضافة إلى مشاهد البلاط وداخل القصور، كما حمل خزف قاشان النصوص الكتابية، وأسماء الكثير من الصناع ومنهم (سعيد شمس) و (أبو زيد) و (محمد بن أبي طاهر) و (علي الحسيني كابتي) و(حسن بن علي بن أحمد جابويه البنا) وقد تميز خزف قاشان ببعض المميزات منها:

١- تندمج الرسوم الآدمية والحيوانية بشكل مباشر.
٢- تميزت خزفيات قاشان باستخدام الزخرفة الدقيقة.
٣- تنفيذ الرسوم الآدمية بدقة وخاصة مشاهد الحب والغرام.
٤- السحن تبدو متأثرة بالملامح الصينية والتركية.
٥- إظهار الشخص الرئيسي بحجم أكبر من البقية.
٦- إعطاء الملابس عناية كبيرة وإظهار تفاصيلها الدقيقة .
٧- الزخارف النباتية بعضها محورة عن الطبيعة.
٨- استخدام النصوص الكتابية بكثرة وقد كتبت بالخطوط العربية، والفارسية.

خزف مصر في العصرين الطولوني والفاطمي

خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي أعلن أحمد بن طولون استقلاله عن العباسيين، لكن استمر الفن متأثراً بما موجود في العراق ومنها المئذنة في مسجد أحمد بن طولون حيث كان لها بعض الشبه بالملوية في سامراء، كما أن الخزف الطولوني كان متأثراً بخزف سامراء ويبدوا أن أحمد بن طولون كان قد استقدم بعض الخزافين من العراق حينذاك، فقد عثر في تنقيبات الفسطاط على مجموعة من كسر الخزف ذي البريق المعدني وهي شبيه بخزف سامراء حينذاك وقد عثر على صحن يحمل نقشاً نصه: (هذا من صنع أبو نصر البصري) وقدح حمل اسم (حسين)، كما عثر على خزف المبقع والمخطط المتأثر بخزف سامراء وعرف بمصر خزف الفيوم، وفي سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٩م سيطر الفاطميون على مصر خلال خلافة الفاطمي المعز أبي تمام (٣٤١ – ٣٦٥هـ) حيث تم فتحها على يد القائد جوهر الصقلي، و شهدت القاهرة نهضة كبيرة في العمارة والفنون ومنها صناعة الخزف حيث أولى الفاطميون صناعة الخزف اهتماماً كبيراً حيث أورد الرحالة ناصر خسرو في قوله: (ويصنعون في مصر خزفاً بالغ الشفافية والرقة حتى أن المرء إذا وضع يده في أحد جوانب الإناء رآها في الجانب الآخر من شدة الشفافية، ويتخذون من هذا الخزف الأقداح والأطباق ويلونون ذلك الخزف بألوان جميلة فتبدو كذيل الطاووس فيه كل الألوان الجذابة ويصنعون من

ذلك الخزف أباريق يعلو صفاؤها صفاء الزبرجد ويبيعون تلك الأباريق وزناً وكأنها الذهب» لقد أنتجت مصر أنواع الخزف المعروفة طوال العصر الفاطمي ومنها الخزف المحزز تحت التزجيج الأحادي اللون، والمبقع وذو الزخارف القالبية إضافة إلى البسيط والغفل من الزخارف إضافة إلى الخزف ذو البريق المعدني الذي شاع استخدامه في مصر ووصل إلى مراحل متقدمة في العصر الفاطمي وقد قسم المختصون ذلك الخزف على فترتين الأول باسم (مدرسة مسلم) والثانية (مدرسة سعد) أو يسميها البعض طراز مسلم وطراز سعد حيث تميز كل منهم بمميزات خاصة.

الخزف التركي (العثماني)

لقد ازدهرت الفنون بصورة عامة في العصر العثماني على أساس أنهم جاءوا وحكموا بعد أن مرت الفنون بمراحل طويلة، كما أن العثمانيين سيطروا على معظم أجزاء العالمين العربي والإسلامي ولمدة زادت على أربعة قرون.

وقد عمل السلاطين العثمانيين على جلب امهر الصناع والفنانين من كل أنحاء العالم العربي والإسلامي والتي أصبحت تحت هيمنتهم لذلك يعتبر الخزف العثماني على جانب كبير من التقدم واشتهرت بعض المدن التركية حيث تميزت كل مدينة بمميزات خاصة ومنها.

١- **خزف بروسة**: عاصمة الدولة العثمانية في النصف الأول في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي حيث أصبحت مركزاً عظيماً في صناعة الخزف، وامتازت بإنتاج البلاطات من القاشاني لتغطية الجدران وبالإشكال متعددة منها المسدسة والمستطيلة ومزخرفة بالألوان المتعددة تحت التزجيج أو بالمينا المتعددة الألوان، ولا زالت بعض البلاطات ظاهرة بمدينة بروسة في الجامع الأخضر والذي شبيد سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م.

٢- **خزف كوتاهيه.** تميز هذا النوع من الخزف من صحون ومشكاوات وأواني أخرى من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، تميزت زخارفه على العناصر

النباتية فقط كالفروع النباتية والزهور إضافة إلى النقوش الكتابية مرسومه بـاللون الأزرق والأخضر على أرضية بيضاء، ومن أبدع التحف لخزف كوتاهيـه مـشكاة محفوظة في متحف اللوفر بباريس، قوام خزفتها نقوش كتابية بخط النسخ، وفـروع نباتيه ملتوية وزهور إضافة إلى زخرفـة التوريـق، كمـا حمـل هـذا الخـزف بعـض الرسوم المسيحية.

٣- **خزف مدينة ازنيق.** اعتبرت مدينة ازنيق من أعظم وأشهر مراكز صناعة الخـزف خلال القرن العاشر والحادي عشر الهجـري/ ١٦-١٧ ميلاديـة، وقـد تميـز لـون الخزف في مدينة ازنيق لون الطماطم، ويغلب عليها رسـوم الزهـور الطبيعيـة ولا سيما الأزهار والورود وأهمها زهرة السوسن والقرنفل والسوسن البري.

كما أنتجت ازنيق بلاطات من هذا الخزف كسيت بها جدران كثير مـن مـساجد اسطنبول وغيرها من المدن التركية.

مما تقدم نجد أن الفخار والخـزف مـن المـواد المهمـة في مـادة الفنـون الزخرفيـة الإسلامية، وجاءت كثر تهما من خلال استخدمهما للعديد من الأغراض اليومية

مراجع مادة الفخار والخزف

١- أ. د. ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي: الفخار والخزف دراسة تاريخية أثارية عمان / الأردن ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م دار المناهج.

٢- الأستاذ الدكتور تقي الدباغ: حضارة العراق الجزء الثالث بغداد ١٩٨٥

٣- الدكتور مؤيد سعيد: حضارة العراق الجزء الثالث بغداد ١٩٨٥.

٤- الأستاذ الدكتور جابر خليل: حضارة العراق الجزء الثالث بغداد ١٩٨٥.

٥- الدكتور فرج بصمجي: الفخار مجلة سومر العدد الرابع بغداد ١٩٤٨.

6- Frank fort,H Studies in Early pottery . London 1924

٧- محاضرات الأستاذ الدكتور نبيل الخيري قسم الآثار – الجامعة الأردنية.

٨- الأستاذ الدكتور زكي محمد حسن: أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٦.

9- Migeon .G. Manuel dart musulman sval paris 1907

10- Kennel Die Lslamische kunst Berlin 1929

الفصل الثالث
التحف الخشبية

الأخشاب wood work

الأخشاب من المواد الأولى التي عرفها الإنسان بحكم حياته بين الكهوف والأشجار وصنع من الأخشاب ما صنع عبر العصور، وبما أن الأخشاب مادة عضوية قابله للتلف وعدم قابليتها للمقاومة إضافة إلى احتراقها بسرعة هذه الأسباب وغيرها جعل ما وصلنا من تحف خشبية تعتبر قليلة مقارنة مع الفخار والخزف والزخرفة على الأحجار والفسيفساء وغيرها إضافة إلى إمكانية نقل التحف الخشبية من مكان لأخر وقد حملت التحف الخشبية العديد من العناصر الزخرفية منها (الأغصان الحلزونية، كيزان الصنوبر، الأوراق النباتية المختلفة حبات الصنوبر، حبات اللؤلؤ، حبات المسبحة، عناصر قشور السمك، أوراق العنب وعناقيدها، والأقواس المفصصة، الأشكال الهندسية المختلفة، والخطوط الكتابية المختلفة)

ومن التحف الخشبية التي تنسب إلى العراق منها:

١- باب خشبي عثر عليه في تكريت من القرن الثاني الهجري واليوم محفوظ بمتحف بناكي بأثينا، يتكون من مصراعين، كل مصراع يتكون من ثلاثة جامات زخرفت بالزخارف الهندسية والمعمارية فالحافة العليا ومساحتها نصف المصراع فيها ما يشبه جذع الشجرة تنتهي من الأعلى بعنصر بصلي له التواءان وبقية المنطقة ملئت بالأغصان والأوراق النباتية وفيها أوراق عنب ثلاثية وخماسية الفصوص.

أما الجزء الثاني في الباب فيبدو شكلاً مثمناً من تقاطع مربعين داخل دائرة والأرضية ملئت بالعناصر النباتية.

أما الجزء الأسفل من الباب فتبدو الزخارف النباتية قد غطت المساحة بأكملها مع ما يشبه الزخارف الهندسية في الأعلى.

وقد ضمت هذه الباب العناصر الزخرفية التالية

(الأغصان والأوراق النباتية في حركة حلزونية، العناصر الكأسية ذات الشكل البصلي، كيزان الصنوبر، الشرفات المسننة) عناصر قشور السمك، أوراق العنب ثلاثية وخماسية الفصوص ، الأقواس المفصصة ، زهور مفصصة مختلفة) وعلى الرغم من العثور على هذه الباب في تكريت إلا أنها يحتمل أن تكون منقولة من مكان أخر.

٢- قطعتان من الخشب محفوظتان اليوم بمتحف المترو بولتان في نيويورك، وتنسب هاتين القطعتين إلى تكريت أيضاً

أ. القطعة الأولى مربعة الشكل تتألف من خمسة ألواح خشبية متلاصقة مع بعضها يؤطرها شريطان مؤلفان من عناصر زخرفية تشبه أسنان المشط.

ب. القطعة الخشبية الثانية: مستطيلة الشكل ضمت زخارف منها الأعمدة المضفورة، الأعمدة الحلزونية، الأقواس المفصصة، كيزان الصنوبر، أوراق العنب و أنصاف المراوح النخيلية، وقد قدر المختصون أن هذين القطعتين تعودان إلى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي ومن العراق أيضاً، وقد تميزت هاتين القطعتين بحملها عناصر زخرفية جديدة عن الباب السابق هي:

١. الأشرطة المشابه لأسنان المشط.
٢. الخطوط المضفورة.
٣. الأعمدة الحلزونية.
٤. أما العناصر الزخرفية المشابه للباب السابق فهي (الأقواس المفصصة، وأوراق العنب وكيزان الصنوبر).

الزخارف الخشبية لمنبر القيروان بتونس

منبر خشبي موجود في مسجد القيروان ومؤرخ سنة ٢٤٨هجرية

وقد ذكرت المصادر التاريخية أن الأمير أبا الأغلب أحمد كان قد جلب أخشاب هذا المنبر من مدينة السلام (بغداد) وعند مقارنة العناصر الزخرفية نجد أن فيه الكثير من الشبه مع زخارف باب تكريت، وقد يكون هذا المنبر قد عمل بالعراق و أرسل إلى القيروان.

ويتكون المنبر من قوائم وعوارض مرتبطة مع بعضها بطريقة (النقر واللسان) أي بدون استخدام مسامير لربطها وإنما بطريقة التعشيق.

ويتألف هذا المنبر من جانبين كل جانب يتكون من عدة حشوات خشبية مزخرفة بزخارف نباتية وهندسية ويمكن تقسيم زخارف هذا المنبر إلى :

١. الزخارف الهندسية: أشكال مستطيلات ودوائر ومعينات ومربعات وشكل نجمي سداسي تكون من تعامد مثلثين.

٢. الزخارف النباتية: تتكون من إنصاف أوراق نخيلية، وأوراق كاسية، والأغصان تدور بين الأوراق.

٣. العناصر المعمارية، حيث حملت أحدى الحشوات لهذا المنبر شكل محراب له عقد نصف دائري، وعقد أخر مدبب الشكل.

ويعتبر هذا المنبر من أقدم المنابر الإسلامية الباقية، ولازال يحتفظ بمعالمه الأصلية ويمتاز بدقة صناعته، وينسب تاريخ صناعته إلى العصر العباسي خلال القرنين الثاني أو الثالث الهجري/ الثامن أو التاسع الميلادي.

زخرفة الأخشاب في بلاد الشام ومصر

في العصر الأموي عندما أصبحت دمشق عاصمة للدولة العربية فقد استقطبت الكثير من الحرفيين المهرة ومنهم مزخرفي الأخشاب ومن النماذج المهمة الباقية كسوات أطراف العوارض الحاملة لسقف البلاطة الوسطى للمسجد الأقصى بالقدس، فقد حملت زخارفها الأشكال الهندسية، والعناصر النباتية والزخارف المعمارية المختلفة. إن بعض المختصين يرجحون أن هذه الكسوات تعود لإصلاحات الخليفة العباسي المهدي (١٥٨ – ١٦٩هـ) وفي سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠هجرية ثم أعيد وضعها في العصر الفاطمي زمن الخليفة الظاهر لإعزاز الله الفاطمي.

ويضم متحف الفن الإسلامي بالقاهرة مجموعة من التحف الخشبية تعود إلى مصر بعصور مختلفة وهذه المجموعات هي :

أ. حملت زخارفها الزخارف النباتية وحيوانية، مثل الزهريات والأغصان النباتية ووجود السمك.

ب. المجموعة الثانية من الأخشاب الموجودة في مصر فإنها ذات علاقة وثيقة بالتحف الخشبية العراقية التي وجدت في تكريت .

ج. المجموعة الثالثة حملت الأشرطة بالخط الكوفي .

د. المجموعة الرابعة فيها بعض التحف الخشبية الملونة حيث رسمت الزخارف بالألوان.

ه. كما يوجد مجموعة من الأخشاب المزخرفة بواسطة الجلد حيث يتم ذلك بعد تقطيع الجلود إلى أشرطة ولصقها على الأرضيات الخشبية حسب أشكال الزخارف المطلوبة.

الحفر على الأخشاب في العصر الفاطمي

استمرت الأساليب الفنية المتبعة في زخرفة الأخشاب في التطور و الإتقان، وهذا ما ظهرت عليه خلال العصر الفاطمي حيث دخلت عناصر زخرفية جديدة إلى العناصر السابقة .

من العناصر الجديدة: الرسوم الآدمية والحيوانية والطيور بأنواعها المختلفة، إضافة إلى العناصر الهندسية والنباتية، وقد ازدهرت هذه الزخارف الخشبية في العصر الفاطمي نتيجة الإقبال على تنوع الزخارف المذكورة، كما دخلت الكتابة كعنصر جديد في الزخارف الخشبية، كما حملت بعضها المشاهد اليومية من صيد ومجالس طرب ومجالس الخلفاء. وقد وصلنا بعض النماذج الخشبية من العصر الفاطمي ومنها محراب السيدة رقية، وهو من المحاريب الخشبية المتنقلة، وقد اهتم الفنان بإخراج هذه التحفة بجهود مضنية، حيث غطت الزخارف جوانب المحراب وكانت عناصرها هندسية ونباتية والخط الكوفي وكما يلي:

العناصر الهندسية: عبارة عن أشكال نجمية ذات ستة رؤوس والنص الكتابي يذكر بأن هذا المنبر معمول للسيدة رقية، كما حملت العناصر النباتية ومنها أوراق العنب وعناقيده وأوراق نباتية ثلاثية وخماسية الفصوص.

ويضم متحف الفن الإسلامي بالقاهرة حشوة خشبية تنسب إلى العصر الفاطمي مطعمه بالعظم، والعناصر الزخرفية فيها تتكون من دوائر ومستطيلات وإشكالاً نجميه، كما حملت هذه القطعة الخشبية رسوم الطيور والحيوانات مثل الأرانب ويبدو الأرنب رافعاً رأسه إلى الأعلى، والى جانبه يقف طير النسر كما حملت بعض القطع الخشبية الفاطمية زخارف مشابهه لإشكال الصلبان، إضافة إلى الكتابة الكوفية.

الحفر على الخشب في العصر الأيوبي

جاء الأيوبيون بعد الفاطميين وتميز عصرهم بالهجمات الصليبية، وعلى الرغم من الحروب الصليبية لكن جوانب عديدة من الفنون كانت قد ازدهرت وتطورت ومنها صناعة الزخارف الخشبية، تبين ذلك بوضوح في بقايا الأخشاب المتقنة الصناعة والتي كانت على شكل حشوات خشبية تتوسطها أشكال نجميه، وقد أضيفت في العصر الأيوبي عنصراً جديداً في زخرفة الأخشاب وهو الخط النسخي إضافة إلى العناصر الزخرفية السابقة التي كانت في العصر الفاطمي.

حيث حملت الأخشاب في العصر الأيوبي الخطين الكوفي والنسخي جنباً إلى جنب، وهناك العديد من النماذج الأيوبية ومنها:

ومن الأمثلة الأيوبية تابوت خشبي من جامع الأمام الشافعي مؤرخ سنة ٥٧٤هجرية وشكله مستطيل فيه العديد من الحشوات ذو الزخارف النباتية داخل أشكال نجميه سداسية الرؤوس وقد تضمنت النصوص الكتابية آيات من القرآن الكريم وفيه كتابة تشير إلى تاريخ الصنع (٥٧٤هجرية) كما حملت عبارات دعائية واسم الصانع (ابن معالي) و أسماء أخرى.

كما توجد تحفة خشبية أخرى تنسب إلى العصر الأيوبي كتب عليها أنها مصنوعة بأمر من السلطان نور الدين زنكي. ومن النفائس للتحف الخشبية الأيوبية في الشام محراب المدرسة الحلوية وتاريخه سنة ٦٤٣هجرية، والمحراب عبارة من شكل مجوف ملأت كافة أجزائه بالوحدات الهندسية المتنوعة تتخللها الزخارف النباتية، تعتمد في تكويناتها على حركة الأغصان، ويوجد على هذا المحراب نص كتابي بخط الثلث يظهر فيه اسم الصانع وهو (أبو الحسن محمد بن الحراني) والملاحظ في الزخارف المحفورة على التحف الخشبية في الشام، أنها تأثرت بالميزات والخصائص التي كانت سائدة قبل العصر الأيوبي.

الحفر على الخشب في العصر المملوكي

ظهرت نماذج كثيرة من الأخشاب المزخرفة عما كانت عليه في العصر الأيوبي، وقد أبدع الفنانون في ابتكار المراوح النخيلية والزخارف النباتية ذات الأشكال الدقيقة، وتميزت النماذج الخشبية من هذا العصر بكثرة الصلبان على الأخشاب المزخرفة والتي دخلت في كافة الصناعات الخشبية، كما ازدهرت في هذا العصر الأساليب التقنية في تطعيم الأخشاب بالعاج والعظم والأبنوس، ويمكن تقسيم العصر المملوكي في صناعة الخشب إلى فترتين :

١- الأولى فترة ازدهار وبدأت في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وحتى التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

٢- أما الفترة الثانية والتي بدأت بعد القرن التاسع الهجري حيث اعتبرت فترة تدهور لهذا الفن.

وتضم متاحف العالم العديد من التحف الخشبية المملوكية (كالمنابر والأبواب والكراسي والمشربيات والسقوف الخشبية) ومن تلك التحف منبر جامع أحمد ابن طولون الخشبي والذي أمر بعمله السلطان المملوكي (لاجين) سنة ٦٩٦ هجرية ويتكون من حشوات تضم عناصر هندسية وأشكال نجميه إضافة إلى العناصر النباتية، وحشوة خشبية أخرى محفوظة في متحف فكتوريا والبرت بلندن تنسب إلى مسجد طولون في القرن الثامن الهجري/ ١٤ميلادي، ومن التحف الخشبية المملوكية مجموعة أخرى من المنابر ومنها منبر مسجد المؤيد وتاريخ صنعه ٨١٧ هجرية، ومنبر مسجد المرداني بالقاهرة وتاريخ صنعه ٧٤٠ هجرية ومن المدارس المملوكية وصلتنا بعض المنابر الخشبية منها منبر المدرسة الفخرية وتاريخ صنعه ٨٢١ هجرية، ومدرسة قايتباي ومنبرها مؤرخ سنة ٨٧٩ هجرية.

المشربيات الخشبية في العصر المملوكي

المشربيات: وتعني المشبكات الخشبية، وقد زادت صناعتها في العصر المملوكي بأشكال متعددة منها أشكال معينة أو مربعات، أما استخدام المشربيات فقد كان لعدة أسباب منها:

١- تقليل شدة الضوء الداخل إلى الغرف.

٢- الحد من كميات الأتربة والغبار وخاصة في فصل الصيف .

٣- يمكن للشخص الواقف وراء المشربية أن يشاهد ما يحدث في الخارج ولا يمكن مشاهدته من الخارج بسهولة.

٤- والمشربيات تتمثل في فتحات منها واسعة ومنها صغيرة تتكون من تعامد الأخشاب وتقاطعها على أخشاب أفقية فينتج شكل فتحات حيث كسيت تلك الفتحات أحياناً بعناصر زخرفية، وبوجود تلك الزخارف لا يظهر تقاطع الأخشاب واضحاً، والعناصر الرئيسية للزخارف كانت الأوراق النباتية وأشكال الزهور المختلفة.

أما طريقة تطعيم الأخشاب بمواد أخرى منها العاج والعظم والأبنوس، فيبدو أن الفنان كان متأثراً بما موجود من صناعة (التكفيت) في المعادن، وقد استخدم تطعيم الخشب في الفترة المملوكية بعدة استخدامات منها تطعيم الأبواب والكراسي وبعض الخزانات الخشبية، ويضم متحف (فكتوريا والبرت) بلندن قطعة خشبية مطعمة بالعاج تنسب إلى العصر المملوكي.

الحفر على الخشب في العصر السلجوقي

والسلاجقة قبائل من الأتراك كانوا يعيشون في منطقة تركستان خلال القرون الإسلامية الأولى، وتسميتهم نسبة إلى زعيمهم سلجوق وقد كان التنقل والترحال

الصفة المميزة لهم، وفي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ظهروا على المسرح السياسي وبسطوا نفوذهم على مناطق عديدة من العالم الإسلامي منها العراق والشام ومصر، وقد ازدهرت في عهدهم العديد من الصناعات والفنون ومنها زخرفة الأخشاب، حيث تحتفظ المتاحف اليوم العديد من التحف الخشبية السلجوقية، وقد تميزت تلك النماذج بطريقة الحفر والحشوات الزخرفية وتداخلها مع بعضها وخاصة الزخارف النباتية، كما حملت الأساليب السلجوقية العديد من العناصر الزخرفية الهندسية إضافة إلى رسوم الحيوانات والطيور إلى جانب النصوص الكتابية والتي تضمنت آيات قرآنية كريمة وعبارات دعائية وأسماء الصناع، ومن مميزات زخرفة الأخشاب في العصر السلجوقي:

١. استخدام الخطين الكوفي والنسخي.
٢. استخدام أساليب التخريم للأخشاب.
٣. استخدام العناصر النباتية والهندسية والأشرطة الكتابية وهي متداخلة ومن التحف الخشبية التي تنسب إلى العصر السلجوقي

حشوة خشبية كبيرة على هيئة عقد مدبب عليها أشرطة كتابية بالخط الكوفي وتحمل تاريخ صنعها ٥٤٦هجرية واسم الأمير السلجوقي (علام الدين كاليجار).

وفي متحف طهران بإيران مصراع باب ينسب إلى نهاية القرن الخامس الهجري غطت الزخارف النباتية معظم مساحته وأطرت تلك الزخارف بأشرطة كتابية تتضمن نصوص قرآنية ويعتبر منبر جامع علاء الدين بمدينة قونية التركية تحفة خشبية مهمة من العصر السلجوقي مؤرخة سنة ٥٥٠ هجرية، وقد غطت الزخارف النباتية والهندسية معظم السطح، كما يوجد فيها عقد مخصص. وفي المتحف الإسلامي ببرلين يوجد باب ينسب إلى العصر السلجوقي يتكون من مصراعين يربطها قائم خشبي محدب ولكل مصراع ثلاثة حشوات، الوسطى ملئت بالزخارف الهندسية من اطباق نجميه تحيط بها

الزخارف النباتية، كما يوجد في متحف قونيه بتركيا بابان ينسبان إلى بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي، يماثلان في زخارفها زخارف الباب الموجود في متحف برلين.

ومن التحف السلجوقية الأخرى كرسي للمصحف الكريم يرجع إلى القرن السابع الهجري/ ١٣م، كان بالأصل في مسجد علاء الدين بقونية، ومحفوظ اليوم في متحف الدولة ببرلين ويتكون من لوحين متداخلين في بعظهما بواسطة حشوات صغيرة كما حملت زخارف هذا الكرسي خطوط كوفيه مضفورة ويعتبر هذا النوع من الخط متطوراً، وقد نقش هذا الخط على أرضية زخرفية نباتية تعتمد في تكوينها على التفاف الأغصان الحلزونية مع بعضها.

ومن التحف الخشبية الأخرى التي تعود إلى العصر السلجوقي تابوت خشبي باسم (محمود الحيراني) ويرجع إلى القرن السابع الهجري، وفي متحف قونية يوجد مصراع نافذة من ضريح صدر الدين القوني.

الحفر على الخشب في الأندلس وبلاد المغرب

لقد تأثر الحفر على الخشب في بلاد الأندلس خلال الخلافة الأموية وملوك الطوائف بالطراز الفنية التي سادت في المشرق العربي، وهي الطرز المعروفة في العصر الأموي والعباسي والفاطمي، لكن علينا أن نذكر بأن بعض التحف الخشبية التي صنعت بالأندلس تأثرت بالفنون الأسبانية في الفترة التي سبقت عصر المرابطين ، ومن التحف الخشبية الموجودة هناك منبر خشبي وحاجز المقصورة في جامع قرطبة.

وفي عصر المرابطين الذين تمكنوا من توحيد الأندلس والمغرب خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، حيث نشطت الناحية الفكرية، وأصبح الأسلوب الأندلسي مميزاً وذلك لاختلاط المغرب والأندلس، وقد تميزت الزخارف الخشبية بكثرة العناصر الهندسية ورشاقة الزخارف النباتية، وخاصة الأغصان

وتفرعاتها ويتجلى هذا الأسلوب في سقف المسجد الجامع بمدينة تلمسان الذي يرجع إلى سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٩م ولا تزال منابر خشبية في المغرب العربي من القرنين الخامس والسادس الهجريين ومنها المنبر الخشبي في المسجد الجامع لمدينة الجزائر وقوام زخارفه من العناصر الهندسية والنباتية والنصوص الكتابية.

كذلك منبر جامع القرويين في مدينة فاس ويتميز بحشواته التي غطتها الزخارف الهندسية وخاصة الأطباق النجميه والرسوم النباتية الدقيقة، كما طعمت الحشوات بالعاج والأخشاب الثمينة.

ومن عصر الموحدين الذين خلفوا المرابطين في سنة ٥٢٤ هجرية، يوجد منبران وهما منبر جامع الكتبة والذي يتألف من حشوات هندسية متشابكة على هيئة نجوم ثمانية الرؤوس وبوضعيات مختلفة وتحصر بينها أشكال نجميه سداسية زينت بزخارف نباتية دقيقة كما يضم هذا المنبر نصوص من الخط الكوفي البسيط والمورق.

أما المنبر الثاني والذي يوجد في جامع القصبة فلا يقل روعة عن سابقه، وقد غطت الزخارف المعمارية والهندسية والنباتية معظم جوانبه، كما طعمت بعض الأجزاء من هذا المنبر بمادة العاج والأخشاب الثمينة، أما الزخارف المعمارية فتتمثل بصف من الأقواس تحصر بينها أشكال شبيهة بالمحاريب.

ومن العناصر النباتية أوراق متعددة الأنواع وكيزان الصنوبر، كما تميزت الأخشاب في الأندلس في العصور اللاحقة وخاصة بعد القرن الثامن الهجري بالأساليب الفنية التي كانت في المشرق في العصر المملوكي، وتعتبر الأبواب في قصر الحمراء في غرناطة، وأبواب قصر اشبيلية، والأخشاب الموجودة في المساجد خير مثال على الأساليب الزخرفية المتبعة في الأندلس.

المراجع

١- الأستاذ الدكتور زكي محمد حسن: أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، مطبعة جامعة القاهرة/ ١٩٥٦ .

٢- الأستاذ الدكتور زكي محمد حسن: فنون الإسلام. القاهرة ١٩٤٨.

٣- الدكتور فريد شافعي: الأخشاب المزخرفة في الطراز الأموي / القاهرة ١٩٥٢ .

٤- الدكتور حميد والعبيدي وقاسم (عبد العزيز، صلاح، وأحمد) الفنون الزخرفية العربية الإسلامية، بغداد ١٩٨٢.

الفصل الرابع
الزجاج والبلور الإسلامي

الزجاج

الزجاج: هو مادة صلبة شفافة نحصل عليها من خلط الرمل والحجر الجيري وكربونات الصودا، مع إضافة بعض الأكاسيد أحياناً لإغراض التلوين، تصهر هذه المواد في أفران خاصة ذات حرارة عالية فتتحول هذه الخامات إلى عجينة بالإمكان تشكليها حسب الرغبة.

تاريخ صناعة الزجاج: ذكر المؤرخ بليني في القرن الأول للميلاد قصة الزجاج في كتابه (التاريخ الطبيعي) قال فيها: إن تجاراً من الفنيقيين خيموا عند شاطئ نهر بيلوس وطبخوا طعامهم على قطع من النطرون حيث كانت معهم، وفي الصباح وجدوا أن الرمل والصودا التي تكونت منها تلك القطع قد اتحدت وكونت مادة زجاجية، ورغم أن في القصة بعض من الخيال لكنها نبهت إلى شيء مهم، ورغم أن الزجاج يحتاج إلى درجة حرارية بحدود ١٥٠٠ درجة مئوية، وهي ليست من السهولة توفرها من الطبخ لكن هذه القصة جلبت الانتباه لصناعة الزجاج، وقد استعمل الإنسان القديم الزجاج البركاني الطبيعي، وهو زجاج شفاف.

ما هو أصل الزجاج وأين ظهر لأول مرة ومتى، هو موضوع الاختلاف بين المختصين في مجال دراسة الزجاج وقد رشحوا ثلاثة بلدان كمواطن لظهور الزجاج، وهي العراق ومصر وبلاد الشام، حيث وجدت أثار للزجاج في هذه الأقطار الثلاثة.

يعتقد فليب حتي أن شمال سوريا كانت مركزاً الصناعة الزجاج في حضارة بلاد الشام بما فيها لبنان وفلسطين، وعن هذه المناطق انتقلت صناعة الزجاج إلى جزيرة كريت في الألف الرابع قبل الميلاد، ثم وصلت إلى مصر في بدايات عهد السلالات،حيث عثر على الكثير من الأواني الخزفية المطلية بالزجاج في قبور الفراعنة

كما يذكر الأستاذ حتي أيضاً أن الكنعانيين قد اشتهروا بصناعة الزجاج المصنوع في بلادهم، أو من صناعة مصر، وأن الزجاج المصنوع في فينيقية كان متقن الصناعة وذو ألوان جميلة، وفي بلاد الشام وجدت كتل من الزجاج الذائب في مواقع متعددة، مما يؤكد وجود صناعة محلية للزجاج.

في حين ذكر المؤرخ هاينز في كتابه عن الزجاج أن مصر كانت الموطن الأول لصناعة الزجاج وذلك لوجود الغابات في دلتا النيل يعني توفر الوقود، كما أن توفر النطرون وهي المادة الرئيسية في صناعة الزجاج، لذلك فقد قامت في مصر لصناعة الزجاج، كما يشير إلى معرفتهم بصناعة الزجاج المعتم، واستخدموه بقطع المواد الصلبة، كما عرف المصريون القدامى صناعة الأواني الزجاجية بواسطة القوالب، وقد عثر على الأواني الزجاجية في قبور الفراعنة من السلالة الثامنة عشرة (١٥٨٠ – ١٣٥٨ قبل الميلاد).

أما صناعة الزجاج في العراق، فيذكر (روبرت برل) أن في العراق صناعة للزجاج منذ أقدم الأزمنة وقد كشفت التنقيبات الأثرية عن أقدم نموذج للزجاج في العراق وهي (العصا الخضراء) والتي عثر عليها في موقع ايشنونا (تل اسمر) في ديالى بالعراق وتعود إلى (٢٦٠٠ قبل الميلاد) كما وجدت قطعة من الزجاج الأزرق في اريدو – جنوب العراق) تعود إلى ما قبل سنة (٢٢٠٠ قبل الميلاد)، كما عثر على خرزات زجاجية وجدت في عتبات بعض الأبنية التي شيدها الملك السومري اورنمو مؤسس سلالة أور الثالثة (٢٠٥١ – ١٩٤٥ قبل الميلاد).

ومن القرن السابع عشر قبل الميلاد عثر على رقيم طيني عليه كتابة مسمارية في (تل عمر) من العصر السلوقي، احتوى على أوصاف ونصائح لصناع الزجاج، ومن القرن السابع قبل الميلاد عثر على رقيم طيني من مكتبة أشور بانيبال في نينوى (٦٦٩- ٦٢٥ قبل الميلاد) يتعلق بعضها بتحضير الزجاج.

مما تقدم نجد أن الزجاج عرف في العراق منذ الألف الثالث قبل الميلاد وبعده في بلاد الشام ومصر.

الزجاج في الإسلام

الزجاج لفظاً (بضم الزاي أو فتحه أو كسره) على القناديل ومفردها زجاجة.

وقد وردت في القرآن الكريم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ (النور ٣٥)

ويعتبر الزجاج موصل رديء للحرارة والكهرباء، وهو شفاف لا يحجب ما وراءه، ولا تؤثر فيه الأحماض والقلويات وعند تحليل قطعة زجاج من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي وجد إنها تحتوي على العناصر التالية:

أ. سليكات ٤,١٧٪

ب. اكاسيد الصوديوم ٩٨,١٦٪

ج. اكاسيد البوتاسيوم ٢٧,٠٪

د. أكاسيد الكالسيوم ٧٤,٢٪

ه. اكاسيد الألمنيوم ٧٥,٤٪

و. اكاسيد المغنسيوم ٨١,٠٪

ز. اكاسيد الحديد ٠٢,٠٪

ح. اكاسيد الكبريت ١٢,٠٪

ط. ماء ٢٨,٠٪

طرق صناعة الزجاج

١- **القطع البارد**، وتعتبر هذه الطريقة من أقدم الطرق التي عرفها الإنسان، حيث كان يقطع الصخور الزجاجية البركانية حسب الأشكال المطلوبة.

ومن المعروف أن الزجاج الطبيعي البركاني موجود في الطبيعة منذ أقدم العصور، وعمل الإنسان على تشظية تلك القطع من جوانبها أو أطرافها، وقد استخدم الفنان المسلم هذه الطريقة وخاصة بعض الأقداح المعمولة من البلور الصخري.

٢- **استخدام القالب،** وتتخلص بوضع العجينة الزجاجية بعد إذابتها على قالب معمول أو داخل القالب ثم تضغط جوانبها للحصول على الشكل المطلوب الذي صنع القالب من أجله، وعادة تكون تلك القوالب من الرمل أو الطين وعندما يبرد الزجاج يكسر القالب لنحصل على الشكل المطلوب.

ويضم المتحف العراقي اليوم على نماذج زجاجية وخاصة القناني التي عثر عليها في حفريات مدينة واسط من العصر الأموي وسامراء من العصر العباسي كانت قد عملت تلك التحف باستخدام القالب.

٣- **النفخ داخل القالب:** وهذه الطريقة تتم بنفخ العجينة الزجاجية بواسطة قصبة أو أنبوب معدني داخل القوالب المعدة إعداداً خاصاً، وقد عمل بهذه الطريقة الكثير من القناني الكبيرة ذات الفوهات الضيقة ويمكن أن تكون العجينة الزجاجية داخل القالب وبعد أن تبرد يفتت القالب فيخرج الشكل الزجاجي المطلوب.

٤- **النفخ الحر:** وهذه الطريقة تتم باستخدام قصبة أو أنبوب معدني توضع العجينة الزجاجية بنهايته من الاتون أو (الفرن) وينفخ بالأنبوب من جهته الثانية فيندفع الهواء في وسط العجينة لتتحول إلى ما يشبه البالون وبتحريك الأنبوب بسرعة إلى جهة اليمين واليسار والأعلى والأسفل بنسب معلومة فيتخذ البالون الزجاجي الشكل المطلوب، وقد كانت هذه الطريقة ولا زالت حتى يومنا هذا مستخدمة في صناعة الأواني الزجاجية، ومن خلال النماذج المعمولة بهذه الطريقة، ويمكننا القول أن بلاد الشام عرفت هذه الطريقة قديماً كما كشفت التنقيبا ت الأثرية في مدينة نفر السومرية عن نماذج زجاجية معمولة بهذه الطريقة منذ سنة (٢٥٠ قبل الميلاد).

وفي العصور الإسلامية شاعت هذه الطريقة في العديد من المناطق وخاصة القناني الزجاجية ذات الفوهات الضيقة وتضم المتاحف اليوم نماذج عديدة منها.

صناعة الزجاج الإسلامي في العراق

تميز الزجاج بالعراق قبل الإسلام بسمكه ويغلب اللون الأخضر عليه وبدرجاته المختلفة، ويبدو أن معظم النماذج كانت قد عملت بطريقة النفخ بالقالب أو النفخ الحر، أما إشكالها فكانت ذات بدن كروي أو اسطواني، وإن معظمها خالية من الزخارف والتي حملت الزخرفة كانت عبارة عن شريط مقر نص حول الرقبة، وبعضها حمل الأسلاك الزجاجية المضغوطة على البدن.

وفي العصر الإسلامي كشفت التنقيبات الأثرية في المدن الإسلامية مثل البصرة والكوفة و واسط ومدينة السلام وسامراء، فيلاحظ التطور الحاصل في صناعة الأواني الزجاجية وتميزت زجاجيات العصر الإسلامي بالعراق بنقاوة الزجاج وظهور اللون الأزرق والأزرق المائل للخضرة، كما أن الزخارف عليها كان استمراراً لما عرف قبيل الإسلام ويضم اليوم المتحف العراقي على العديد من النماذج الزجاجية الإسلامية ومنها:

١- قنينة على شكل جمل حمل على ظهره قارورتين مزخرفة بأسلاك زجاجية وصناعة هذه القنينة يعود إلى العصر الإسلامي المبكر أو قبل ذلك بقليل.

٢- قنينة مزينة بأسلاك زجاجية مضافة، تنسب إلى صدر الإسلام أو قبله بقليل أيضاً.

أما في العصر العباسي فقد ازدهرت صناعة الزجاج، ففي حصن الأخيضر الذي يعود تاريخه إلى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي فقد كشفت التنقيبات الأثرية على الكثير من الكسر الزجاجية، يميل لونها إلى الأزرق المائل للخضرة عليه زخارف محززة بواسطة آلة دقيقة وقوام تلك الزخرفة هي العناصر النباتية والهندسية، وبعضها حمل كتابات بالخط الكوفي البسيط، ويمكن معرفتها من بعض الحروف على بعض الكسر الزجاجية.

ومن سامراء عاصمة الدولة العباسية بعد مدينة السلام، ومنذ سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦م، تولى ثمانية خلفاء عباسيين كان أولهم الخليفة المعتصم بالله (٢١٨ – ٢٢٧هـ/ ٨٧٠ – ٨٩٢م) استمرت سامراء عاصمة ما يقرب من نصف قرن، وقد كشفت التنقيبات الأثرية التي جرت في سامراء عن كميات كبيرة من الزجاجيات المختلفة،

وجميعها تعود إلى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، كما وجدت كذلك بعض الزجاج الطبيعي فيها وهو البلور.

وكانت صناعة الزجاج في سامراء متطورة عما كانت في مدينة السلام (بغداد)، ومعظم زجاجيات سامراء كانت قناني بعضها لها ابدان كروية، والبعض الأخر اسطواني البدن وبعضها مضلعة والبعض الأخر على هيئة جرس، أما الزخارف التي حملتها تلك الزجاجيات فكانت قد نفذت أما بطريقة التحزيز أو القطع، وكان بثلاثة أنواع (القطع غير العميق، القطع الغائر، والقطع المائل).

كما تطورت صناعة الزجاج في العراق بعد سامراء حيث ذكر المؤرخون والرحالة عن ذلك، ومنها ما ذكره البلداني (أبو بكر أحمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه، ت سنة ٣٦٥هـ) قوله: (ولهم في الذي لا يشاركهم فيه أحد الثياب البيض المروية والزجاج المحكم في الأقداح والأقحاف والكاسات والطاسات والغضائر الحجرية).

وذكر يا قوت الحموي (ت سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) بأن مدينة سامراء كان يعمل فيها الزجاج، كما ذكر الرحالة ابن جبير خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي عن زيارته لمكة المكرمة ذكر ما يلي: بأنه كان للكعبة المشرفة خمسة مضاوي عليها زجاج عراقي بديع النقش.

ومن القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي أشار الرحالة ابن بطوطة إلى شهرة الزجاج العراقي في أيامه واستعماله في مدن بعيدة عن العراق.

وكتب المؤرخ أبو الفدا المتوفي سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م في كتابه (تقويم البلدان)، وبأن القادسية الواقعة جنوب سامراء كانت تشتهر في أيامه بصناعة الزجاج.

واشتهر العراق خلال العصر العباسي بالكتابة بالذهب على الزجاج، وإنتاج أنواع من الزجاج المذهب والمموه بالمينا. كما تميز الزجاج العراقي بنقاوته وجوده صناعته.

الزجاج في بلاد الشام (سوريا – فلسطين، لبنان والأردن)

كانت لبلاد الشام شهرة واسعة بصناعة الزجاج منذ أقدم الأزمنة، حتى أن الدولة البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية كانت تستورد التحف الزجاجية من بلاد الشام وخاصة من مدينة حلب.

وفي العصر الإسلامي تميزت صناعة الزجاج في بلاد الشام بصنع القوارير ذات الأبدان الكروية المزينة بصفوف من الأقراص الصغيرة البارزة إضافة إلى وضع الأسلاك الزجاجية على البدن.

كما صنعوا قناني زجاجية بهيئة حيوانات مختلفة وكانت أشهر مدن لانتاج الزجاج في سوريا هي حلب ودمشق والرقة، وقد أنتجت الرقة أواني زجاجية مموهة بالمينا وخاصة الأكواب، وقد ذكر الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م، إن الأكواب الزجاجية المعمولة بالشام تضرب بها الأمثال لرقتها ونقاوتها، كما ذكر المؤرخ القزويني المتوفي سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م عند زيارته إلى حلب فقد أشار إلى سوق الزجاج وأنواعه الفاخرة وكان يحمل منها تحف وهدايا ثمينة.

أما دمشق فكانت زجاجياتها تعد أبدع ما صنع على الإطلاق، وأصبحت في العصر المملوكي في عهد السلطان بيبرس ٦٥٨ – ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ – ١٢٧٧م من أهم مراكز إنتاج الأواني الزجاجية وفي القرنين السابع والثامن الهجريين/ الرابع والخامس عشر الميلاديين وإن دمشق صدرت لمعظم البلدان الأوربية أنواع الزجاجيات المذهبة والمموهة بالمينا، وحملت زجاجيات بلاد الشام العناصر الزخرفية النباتية والرسوم الآدمية والحيوانية وتمثل مشاهد صيد وموسيقيين،كما أنتجت بلاد الشام أجمل المشكاوات المذهبة والمموهة بالمينا خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/ ١٣ و ١٤م.

الزجاج في مصر في العصور الإسلامية

عرفت صناعة الزجاج بمصر منذ العصور الفرعونية حيث كشفت التنقيبات الأثرية عن بقايا مصنع للزجاج في تل العمارنة واستمر الاهتمام بالزجاج في العصور اللاحقة.

وفي العصر الإسلامي ازداد الاهتمام بصناعة الزجاج، وخاصة في عهد الدولة الطولونية (٢٥٤ – ٢٩٢هـ/ ٨٦٨ – ٩٠٥م) حيث شهدت صناعة الزجاج تطوراً كبيراً، وخاصة في زخرفة الزجاج ومنها التحزيز والحفر، وأنتجت الدوارق الزجاجية ذات الإشكال الكمثرية.

وفي العصر الفاطمي تطورت صناعة الزجاج في مصر كثيراً وخاصة القناني ذات الأسلاك الزجاجية الزرقاء، كما رسموا على الآنية الزجاجية بالذهب الخالص، كما نقشوا الكثير من النقوش على الزجاج من عناصر نباتية ورسوم أدمية وطيور وحيوانات إضافة إلى الخط الكوفي.

كما أنتجت مصر بالعصر الفاطمي نوع من الآنية الزجاجية عديمة اللون وسميكة وسميت بكؤوس القديسة هدويج، كما أبدعوا بصناعة التحف المصنوعة من البلور الصخري، فعملوا منه الكؤوس والأباريق، وتحتفظ اليوم الكثير من الكنائس والمتاحف على نماذج رائعة من العصر الفاطمي، والتي حملت الكثير من العناصر الزخرفية النباتية كالأشجار وفروعها ووريقات وأنصاف وريقات، كما حملت بعضها الإشكال الحيوانية والطيور مثل الغزلان والصقر، كما حمل بعضها شكل الهلال، والبعض الأخر حمل أسماء بعض الخلفاء الفاطميين.

وقد استمرت صناعة الزجاج في مصر يعد الفاطميين عند الأيوبيين والمماليك، وكذلك في العصر العثماني.

المراجع

١- السيدة هناء عبد الخالق: الزجاج الإسلامي. بغداد ١٩٧٦.

٢- الدكتور عبد العزيز حميد: الزجاج/ حضارة العراق والجزء التاسع/ المبحث الخامس. بغداد ١٩٨٥.

٣- الدكتور عبد العزيز حميد والدكتور صلاح العبيدي والدكتور أحمد قاسم الفنون الزخرفية العربية الإسلامية بغداد ١٩٨٣.

٤- أحمد تيمور: التصوير عند العرب. القاهرة ١٩٤٢.

٥- الدكتور محمد أبو الفرج العش: الزجاج السوري المموه بالميناء والذهب مجلة الحوليات السورية م ١٦ و ١٧ دمشق ١٩٦٦ - ١٩٦٧.

٦- مديرية الآثار العامة: حفائر سامراء بغداد ١٩٤٠.

٧- الأستاذ محمد علي مصطفى: تقرير أولي عن التنقيب في الكوفة للموسم الأول مجلة سومر م١٢ بغداد ١٩٥٦.

٨- الدكتور زكي محمد حسن: أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٦.

٩- عبد الرؤوف علي يوسف: دراسة في الزجاج المصري القاهرة ١٩٧١.

١٠- الدكتور ناهض عبد الرزاق دفتر القيسي: محاضرات ألقيت على طلبة قسم الآثار في الدراسات العليا في الجامعة الأردنية لسنة ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م

الفصل الخامس

التحف المعدنية الإسلامية

تمهيد

لقد عرف الإنسان المعادن واستخدمها منذ أقدم الأزمنة وصنع من المعادن أدواته المعدنية المختلفة (النحاس والبرونز والذهب والفضة والحديد) فصنع من هذه المعادن الأسلحة كالسيوف والخناجر والرماح والدروع، وصنع منها الحلي المختلفة، وصنع منها الأدوات المنزلية المختلفة. ويجب أن نذكر أن التحف المعدنية القديمة ممكن صهرها وإعادة صبها وبذلك نفقد الكثير من المواد التي صنعها الإنسان في العصور القديمة والإسلامية، ويجد الباحثون في تميز التحف المعدنية المصنوعة قبيل ظهور الإسلام، وفي عصور فجر الإسلام.

لقد صنع الإنسان من المعادن تحف مختلفة منها: (الإطباق والصواني والأباريق والمباخر والهوا وين والشمعدانات) وتحتفظ متاحف العالم اليوم بأعداد كبيرة من هذه المواد، وفي العصر العباسي ازدهرت صناعة التحف المعدنية في كافة مجالاتها، وكانت مدينة السلام (بغداد) قد أصبحت من المراكز المهمة في صناعة التحف المعدنية، وفي ذلك ذكر المؤرخ ابن الفوطي في كتابه (الحوادث الجامعة ص٣٣١) ما يلي وفي حوادث سنة ست وخمسين وستماية للهجرة إلى شهرة بغداد في إنتاج التحف وخاصة النوع الذي يستخدم في صناعته طريقة التكفيت والتطعيم فهو يقول: (وكان أهل الحلة والكوفة والسيب يجلبون إلى بغداد الأطعمة فينتفع الناس بذلك، وكانوا يبتاعون بأثمانها الكتب النفيسة وصفر المطعم وغيره من الأثاث).

وقع متحف الهرميتاج في مدينة لينينغراد (السابقة) إناء فضي من مجموعة (ستروجانوف) له بدن كروي وعنق مخروطي الشكل، وزخرفته على البدن رسم طاووس يمسك في منقاره ورقة، وفي الأعلى عبارة دعائية بالخط الكوفي ومن خلال

أسلوب صناعته يرجح أن يكون من صناعة القرن الثالث أو الرابع الهجري / التاسع أو العاشر الميلادي ويعتقد أنه من صناعة العراق.

ومن المرايا المعدنية عليها زخارف بارزة مصنوعة من البرونز ومحفوظة اليوم بمتحف برلين وهي من صناعة العراق، وزخارفها رسم حيوانين مجنحين لهما رأسين آدميين وحولهما زخارف نباتية ويحيط بها شريط كتابي يتضمن عبارات دعائية.

ومن المباخر المعدنية واحدة من العصر العباسي محفوظة اليوم بمتحف المترويولتان بنيويورك معمولة على هيئة أسد واقف وقد زينت بشكل أشرطه مجدولة وتوجد المباخر في العديد من المتاحف منها متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ومتاحف أخرى، ويضم المتحف البريطاني بلندن مبخرة من صناعة الموصل مصنوعة من النحاس الأصفر المكفت بالفضة، وكانت المباخر على نوعين بعضها كبيرة والأخرى صغيرة الحجم. ويضم متحف برلين هاون معدني من بغداد مصنوع من البرونز يعود تاريخيه إلى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

ومن المعادن صنعوا المحابر والدواة ويضم متحف الفن الإسلامي بالقاهرة مقلمة مصنوعة من النحاس الأصفر المكفت بالفضة باسم الأمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) عليها كتابة بالخط النسخي نصها (لخزانة مولانا الأمام الرباني الأعظم والصدر المعظم مفتي الفرق لسان الحق علامة العالم، سلطان العلماء عمدة الأمام كنز الحقائق أفضل المتأخرين محي الدين حجة الإسلام محمد الغزالي.) كما برزت الموصل في صناعة التحف المعدنية ومنها (العلب والأباريق والشمعدانات، والهواوين وطسوت وآلات فلكية وزهريات وصناديق ومباخر ومحابر) ومن أشهر صناعات الموصل إبريق أحمد الذكي الموصلي وتاريخ صناعته ٦٢٠ هجرية ومحفوظ هذا الإبريق اليوم في متحف كليفلاند ومصنوع من النحاس الأصفر المطروق وتزينه زخارف وكتابات مكفته بالفضة.

ارتفاع الإبريق (٣٦,٥سم)وشكله العام يتكون من بدن كروي له قاعدة مستديرة ومقبض يخرج من كتف البدن ويتجه نحو الأعلى ثم ينحني نحو الداخل حيث كتف البدن بصورة مستقيمة .

وعلى البدن من الأعلى شريط كتابي بالخط ألنسخي نصه: (عمل أحمد الذكي النقاش الموصلي في سنة عشرين وستماية والعز لصاحبي) ويوجد شريطين أخرين إلا أنه لا يمكن قراءتهما لأنهما ممسوحين.

التحف المعدنية الفاطمية بمصر

تطورت التحف المعدنية في مصر خلال العصر الفاطمي وخاصة الشمعدانات والتماثيل الصغيرة والتي كانت تصب في قالب وحمل بعضها اسم (ابن الملكي)،

ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة على العديدة من التحف المعدنية الفاطمية من بينها أرنب طويل الأذان فاتحاً فمه زخرف جسم هذا الأرنب فروع نباتية ما يشبه ثمار الرمان.

ويوجد عقاب برونزي له أسد مجنح عليه كتابات بالخط الكوفي وهذا العقاب محفوظ في (مقبرة كائنة في مدينة بيزاً في إيطاليا) وعنق العقاب وجناحاه مغطاة بريش على شكل قشرة السمك.

وهناك الكثير من التحف المعدنية الفاطمية مزخرفة بالمينا ومتعددة الألوان، ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة عليها زخارف بالمينا ذات الفصوص.

وقد كتب الرحالة ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري/ ١١ميلادي كذلك ذكر المؤرخ المقريزي عن ازدهار صناعة التحف المعدنية في العصر الفاطمي وعما كانت تحتوي عليه قصورهم من كنوز نفيسة.

وكذلك يضم متحف برلين صينيه برونزية عليها الكثير من الزخارف الهندسية (الدوائر) ضمت رسوماً من الطيور، من ذلك نلمس عن تقدم صناعة التحف المعدنية خلال العصر الفاطمي.

التحف المعدنية الأيوبية بمصر

يبدو أن الغزو المغولي للعراق ومدينة السلام (بغداد) بالذات في سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م أدى هذا الغزو إلى هروب العديد من صناع التحف المعدنية من بغداد والموصل حيث استقر بعضهم في بلاد الشام أولاً ثم الانتقال إلى القاهرة حيث تطورت صناعات التحف المعدنية في دمشق والقاهرة حتى سميت بعض التحف (التحف الموصلية – الدمشقية) أو (التحف الموصلية – القاهرية) ويحتفظ متحف اللوفر بباريس طست مصنوع من النحاس الأصفر وذو زخارف مكفتة بالفضة، وعلى الحافة يوجد شريط كتابي بالخط الكوفي تحتوي عل اسم وألقاب السلطان العادل أبي بكر، ويضم هذا الطست العديد من الزخارف الهندسية والنباتية ومشاهد للصيد بالقوس والسهم، ومشاهد طرب وغناء، وقد ملئت الزخارف جميع أجزاء هذا الطست وهذا الطست من صناعة الصناع العراقيين في مصر، ومن التحف الأخرى لصناعة الموصليين في العصر الأيوبي في دمشق إبريق محفوظ بمتحف اللوفر بباريس ويزدان بالزخارف والكتابات المكفتة بالفضة، ويذكر الشريط الكتابي اسم الصانع وتاريخ ومكان صناعة الإبريق والنص يتضمن ما يلي: (نقش حسين ابن محمد الموصلي بدمشق المحروسة سنة سبع وخمسين وستماية).

وأنتجت مصر وسوريا خلال الحكم الأيوبي العديد من النماذج المعدنية منها إسطرلاب وهو اله فلكية من النحاس عليه كتابه تشير إلى أنه (من صنع عبد الكريم المصري.... سنة ٦٣٣هجرية)، وفي متحف الفن الإسلامي بالقاهرة مبخرة من النحاس الأصفر المكفت بالفضة وتقوم هذه المبخرة على ثلاثة أرجل وهي مصنوعة في عهد السلطان العادل أبي بكر بن السلطان الكامل.

التحف المعدنية المملوكية بمصر

صنعت العديد من التحف المعدنية في العصر المملوكي بمصر منها (الأبواب، ثريات، كراسي ، صناديق، مقلمات، طسيوت، شمعدانات، مرايا) وغيرها وتميزت تلك التحف بأنها نفذت بالحفر أو التخريم أو التصنيع والتكفيت. وقد ذكر المؤرخ المقريزي سوق الكفتين بالقاهرة، واشار بأنه يشتمل على عدة حوانيت لعمل الكفت وهو ما تطعم به أواني النحاس من الذهب والفضة.

وقد ظهرت أعمال الصناع من الموصل من الذين وصلوا إلى القاهرة، حيث يحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بشمعدان من البرونز المكفت بالذهب والفضة ومؤرخ سنة ٦٦٨ هجرية، وقد حمل الزخارف الهندسية والنباتية ورؤوس لبعض الحيوانات والطيور إضافة إلى النصوص الكتابية بالخط النسخي نصها: (نقش محمد بن حسين محمد بن حسين الموصلي رحمة الله عليه بمصر المحروسة في سنة ثمان وستين وستماية هجرية والعز والبقاء). وفي متحف كلستان بطهران إبريق مصنوع من مادة البرونز ومكفت بالذهب والفضة مصنوع سنة ٦٧٣ هجرية ويظهر عليه الشريط الكتابي بالنص التالي (نقش علي بن حمود الموصلي في سنة ثلاثة وسبعين وستماية) إضافة إلى العناصر الزخرفية الأخرى من العناصر النباتية والهندسية ومشاهد الصيد والرقص والموسيقي، وفي متحف الفن الإسلامي بالقاهرة شمعدان مصنوع النحاس ومكفت بالفضة وعناصره الزخرفية النباتية والهندسية والكتابية بالنص التالي: من (نقش علي بن حسين بن محمد الموصلي بالقاهرة المحروسة في شهور سنة أحد وثمانين وستماية العز الدائم والعمر السالم والجد الوارد النعيم الخالد أبداً له) وهناك الكثير الكثير من النماذج الملوكية

التحف المعدنية في العصر العثماني

تطورت جميع الفنون خلال العصر العثماني وخاصة التحف المعدنية مثل (الأواني، والأباريق، ثريات، صناديق أقلام، مرايا، وصناديق لحفظ المصاحف الشريفة

وشمعدانات وغيرها) يحتفظ متحف فكتوريا والبرت بلندن باابريق عثماني مصنوع من الذهب والفضة من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. كما يضم نفس المتحف إبريق أخر مصنوع من الذهب والفضة كان قد عمل خصيصاً إلى قيصرة روسيا والدة بطرس الأكبر في سنة ١٦٩٢م، وقد صنع لها في مدينة اسطنبول ويحتفظ متحف طوبقابوسراي باسطنبول على مرآة عثمانية من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي والمرايا المذكورة ظهرها مصنوع من المعدن المكفت بالذهب والمرصع بالأحجار الكريمة ومن الشمعدانات العثمانية واحداً منها محفوظ في متحف الاتنجرافي في أنقرة مصنوع من النحاس ومطعم بالفضة، عليه الزخارف الهندسية والنباتية والرسوم الآدمية وفي متحف اسطنبول توجد مقالم للكتابة من العصر العثماني مصنوعة من الفضة وتنسب إلى السلطان أحمد الثالث وتحمل اسم صانعها (محمد).

الأسلحة المعدنية

لقد صنعت العديد من الأسلحة من المعادن مثل: (السيوف، والرماح، والتروس، والبيضة) وغيرها من الأسلحة.

١- **السيف:** وهو من الأسلحة اليدوية التي يستعملها المقاتل في الاشتباك القريب في حالتي الهجوم والدفاع وقد اعتز العرب بالسيف كثيراً وذكروه في إشعارهم وكان للسيف العديد من التسميات منها (البتار والمعصوب والرسوب والقلعي والغضب، ومن أشهر السيوف السيف المعروف باسم (ذو الفقار) الذي غنمه يوم معركة بدر وقد نسبت السيوف إلى أماكن صناعتها مثل الهندي أو الهنداوي والمهند، والسيف اليماني نسبة إلى اليمن والبصروية نسبة إلى بصرى بالشام، والكوفية نسبة إلى الكوفة بالعراق، وفي المسجد الحسيني بالقاهرة سيف ينسب إلى الرسول (ﷺ) .

٢- **أما الرمح:** وهو عود طويل يصنع من القنا وهو قصب مسدود من الداخل يركب في رأسه نصل من الحديد يطعن به وقد عرف الرمح من فترة قبل الإسلام، وزاد اهتمام المسلمون به، ولقد أشاد رسول (ﷺ) بالرمح عندما رأى القوس بقوله: (بهذه وبرماح القنا تفتحون البلاد) وقوله (ﷺ) (جعل رزقي تحت ظل رمحي) وقد وضع العرب أسماء للرماح منها الرديني والسمهرية) وكانت السهام التي كانت تطلق عن القوس والوتر تصنع من خشب قوي يثبت فيه نصل من حديد مدبب.

٣- **الدروع.** ومن وسائل الحرب كانت الدروع، والدرع هو رداء يلبس في الحرب لتغطية الصدر والظهر ونصف الذراعين لوقاية لابسة من ضربات السيوف وطعنات الرماح وتأثير السهام وتتخذ الدروع من زرد الحديد وتكون على شكل حلقات صغيرة كثيرة العدد، والدروع على نوعين: السابغة والبتراء.

السابغة: هي الدروع الواسعة الفضاضة التي تصل إلى الأرض أو إلى الكعبين طولاً، وهذا النوع من الدروع يوفر حماية كافية للمقاتلين الذين يرتدونها.

أما درع **البتراء:** فهي القصيرة والتي تصنع بلا أكمام ويصل طولها إلى أسفل الركبة أو فوقها بقليل، وهذا النوع من الدروع يوفر حرية الحركة للمقاتل. ومن الوسائل الحربية الأخرى المصنوعة من المعادن كان الترس وهو آلة حربية دفاعية تحمل باليد بواسطة مقبض ويقي المقاتل نفسه من ضربات السيف والرمح والسهم والحجارة. وصنعت من الحديد والفولاذ، وهناك أنواع عملت من الخشب.

٤- والبيضة: غطاء لحماية الرأس يصنع من الحديد والفولاذ هذه الأسلحة التي مر ذكرها تعتبر من الأسلحة الخفيفة، في حين توجد أسلحة ثقيلة ومنها المنجنيق والعرادة والدبابة والقذائف النارية والبارودية.

١- المنجنيق: آلة حربية تستخدم لدك المدن والحصون لرمي بالحجارة الثقيلة والقذائف النارية.

٢- أما العرادة المستخدمة في رمي الأحجار والسهام والنفط المشتعل على أسوار الأعداء.

٣- أما الدبابة، فهي آلة كبيرة على شكل برج متحرك يكون بداخلها المقاتلون ليفتحوا ثغرات في الأسوار لحصون الأعداء. وقد تطورت هذه الأسلحة المعدنية في العصور العباسية والعصور اللاحقة لها.

الأسلحة المعدنية في العصر العثماني التركي

اولى العثمانيون الأسلحة اهتماماً كبيراً بعد أن طوروا الكثير منها في صناعتها وزخرفتها وتكفينها بالمعادن الغالية والأحجار الكريمة، وتضم المتاحف اليوم العديد من الأسلحة العثمانية مثل السيوف والسهام والدروع والمدافع والبنادق وغيرها .

وتميزت السيوف العثمانية بأنها ذات نصال مقوسة تقوساً خفيفاً، وتنتهي بطرف مذنب ومنحني، إلى جانب استخدامهم لبعض السيوف المستقيمة أيضاً.

ويحتفظ متحف طوبقابوسراي بسيف مؤرخ سنة ٩٢٠ هجرية وهو مصنوع من الحديد ويزدان بزخارف مكفته بالذهب ومرصعة بالأحجار الكريمة، وله مقبض من البلور الصخري وهناك الكثير من السيوف العثمانية.

كما تطورت في العصر العثماني الخوذ (غطاء الرأسي) كانت تصنع من الحديد ومكفتة بالذهب، عليها زخارف نباتية وشريط كتابي حمل : (أنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) ومحفوظة في متحف طوبقابوسراي أيضاً.

واستخدمت الدروع في العصر العثماني للمقاتل وللخيول وذلك لحمايتها من الأسلحة التي توجه إليها من قبل الأعداء.

واستخدام العثمانيون المدافع، وقد تطورت صناعة المدفع كذلك البنادق التي كانت معمولة من البرونز والنحاس، وكانت المدافع تضرب أنواع عديدة من المقذوفات إضافة إلى الكرات الحجرية والمعدنية.

الفصل السادس

العـــــاج

تمهيد

عرف العاج منذ أقدم الأزمنة وخاصة في الحضارة الفرعونية بمصر، وفي العراق كشفت في أحد أبار مدينة نمرور أحدى عواصم الدولـة الأشـورية في شمـال العـراق على العديد من التحف العاجية، ويبدو أنها وصلت إلى هنـا مـن خـلال العلاقـات التجارية وتبادل الهدايا ما بين الأشوريين والفراعنة المصريين، والعاج مـصدره أنيـاب الفيل.

وفي العصر الإسلامي ظهرت التحف العاجية في مدينة الفسطاط حيث استخدم العاج في تطعيم التحف الخشبية، بأشكال هندسـية مختلفـة مثـل المربعـات والمعنيـات والدوائر، كما عثر على قطع للشطرنج مـصنوعة مـن العـاج في تنقيبـات الفـسطاط، خلال صدر الإسلام والعصر الأموي.

وفي العصر العباسي تطورت صناعة العاج وعملـت منـه نمـاذج متنوعـة علـى شكل حشوات وصناديق وعلب وأبواق ومحابر وقطع شطرنج، وهذه النماذج العاجية موزعة في مختلف متاحف العالم، ففي متحف برلين توجد حشوة علـى شـكل شـريط يمثل مشاهد للطرب والغناء يظهر فيه شخص يحمل آلة عود وآخر يعزف على العود.

وفي المتحف الفن الإسلامي بالقاهرة حشوات عاجية تحمـل زخـارف ورسـوم يظهر فيها أرنب يعدو فوق أرضية نباتيه ويضم نفس المتحف على حشوة أخرى تمثل صياد يمسك طيراً، والصياد يمتطي صهوة جواده ويمسك رمحاً ودرعاً.

وفي المتحف البريطاني بلندن حشوتان من العاج الإسلامية، ومن الصناديق العاجية تحتفظ كاتدرائية طرطوسه باسبانيا، وهو من الخشب المغطى بالعاج وتاريخه يعود إلى القرن السادس الهجري/ ١٢م وزخارفه دوائر تضم رسوماً آدمية ورسوم حيوانية إضافة إلى الأشرطة الكتابية.

أما الأبواق فيضم متحف برلين بأحدها يزدان بزخارف من رسوم طيور وحيوانات موضوعة داخل إشكال هندسية دائرية، وفي متحف المتروبولتان توجد أربعة أبواق تزينها أشكال طيور وحيوانات تبدو في حالة صراع داخل مناطق مستديرة على أرضية نباتية.

وعملت المحابر من العاج و واحده محفوظة بمتحف المتروبولتان عليها زخارف حيوانية وطيور يمثلها طاووسين متقابلين، وغزلان وأسود وأرانب. ومن العلب العاجية المحفوظة في العديد من المتاحف وهي تحمل مشاهد كالطرب والغناء والصيد، ومنها واحدة منها محفوظة في كاتدرائية. وفي المكتبة الوطنية الأهلية بباريس فبل من العاج للعبة الشطرنج، فكانت هذه القطعة ضمن الهدايا التي قدمها الخليفة العباسي هارون الرشيد إلى شارلمان ملك فرنسا والقطعة الشطرنجية تمثل ملكاً على ظهر فيل يحف به حرسه من الفرسان ويشاهد على خرطوم الفيل بهلواناً رأسه أسفل ويداه ممسكتان بنابي الفيل، وعلى قاعدة هذه التحفة كتابة بالخط الكوفي نصها: (من عمل يوسف الباهلي)

التحف العاجية في بلاد المغرب والأندلس

ازدهرت صناعة التحف العاجية في بلاد المغرب، وتضم اليوم العديد من المتاحف نماذج من تلك العاجيات وبعضها يحمل تاريخ الصنع واسم صانعها واسم من صنعت له التحفة، ومن التحف التي صنعت في بلاد المغرب والأندلس مثل الصناديق المستطيلة الشكل، وعلب اسطوانية الشكل لها أغطية مقببة، وقد حملت تلك التحف العاجية عناصر زخرفية نباتية وخاصة رسوم الزهور كما حملت رسوم

الحيوانات، والأشكال الآدمية، ومشاهد للصيد، وحياة البلاط، ومن الصناديق المصنوعة في مدينة الزهراء ومحفوظة اليوم في متحف (بلنسيا) والنص الكتابي عليه.

«بسم الله الرحمن الرحيم بركة من الله ويمن وسعادة وسرور ونعمة لا حب ولادة مما عمل بمدينة الزهراء سنة ٣٥٥ عمل خلف». وفي متحف اللوفر بباريس علبة عاجية دائرية الشكل لها غطاء مقبب ومرتبط بالبدن، عليها الكثير من العناصر الزخرفية الهندسية والنباتية وآدمية وحيوانية إضافة إلى الخط النسخي نصه، (بركة من الله ونعمة سرور وغبطة للمغيرة ابن أمير المؤمنين رحمة الله مما عمل سنة سبع وخمسين وثلث مائة) وفي متحف مدريد علبة أسطوانية الشكل ذات غطاء وعليها زخارف نباتية وشريط كتابي نصه: (بركة من الله للأمام عبد الله الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين مما أمر بعمله للسيدة أم عبد الرحمن على يدي دري الصغير سنة ثلث وخمسين وثلث مائة). ومن صناعات الأندلس العاجية علبة مؤرخة من سنة ٤٤١ هجرية ومحفوظة في متحف الآثار بمدريد عليها زخارف نباتية ومشاهد صيد ورسوم طيور وحيوانات وكتابة بالخط الكوفي نصها: بسم الله الرحمن الرحيم بركة دائمة ونعمة شاملة وعافية باقية وغبطة طائلة ولاء متتابعة وعز وإقبال وإنعام وأفضال وبلوغ أمال لصاحبه أطال الله بقاه مما عمل بمدينة فونكة بأمر الحاجب حسام الدول أبو محمد إسماعيل بن المأمون ذي المجدين الظافر ذي الرياستين ابن محمد بن ذي النون اعزه الله في سنة إحدى وأربعين وأربع ماية عمل عبد الرحمن بن زيان) والأمير الذي ورد اسمه في هذا النص هو أمير طليطلة يحيى المأمون.

المراجع

١- الدكتور صلاح حسين العبيدي: الفنون الزخرفية العربية الإسلامية بغداد ١٩٨٧

٢- الدكتور زكي محمد حسن: أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية القاهرة ١٩٥٦.

٣- الدكتور عبد العزيز حميد والدكتور صلاح العبيدي والدكتور أحمد قاسم: الفنون الزخرفية العربية الإسلامية. بغداد ١٩٨٢.

الفصل السابع
الحلي والتزويق

تمهيد

حرص الإنسان (الرجل والمرأة) منذ أقدم الأزمنة على استخدام الحلي والتزويق حيث عثر عن بعض الهياكل البشرية وهي تضع القلائد على رقبتها أو المعاضد على أيديهم.

استمر ذلك إلى العصور التي سبقت الإسلام ففي حضارة العرب قبل الإسلام كانت الفاو الحضر في العراق ودولة الأنباط في بلاد الشام وفي الفاو في السعودية وغيرها ومن خلال التماثيل من تلك الدول نلاحظ الاهتمام بوسائل الحلي للنساء والرجال، وتصفيف الشعر المختلفة عند النساء الحضريات والتدمريات والنبطيات، وسائل التزين بالحلي للرقبة والصدر ومنها (العقود والأطواق والمخانق والقلائد وغيرها) .

والعقود: ومفردة عقد وهو خيط أو سلك تنضد فيه الأحجار الكريمة أو خرزات من الذهب أو الفضة.

أما الأطواق: والطوق حلية مستديرة تحيط بالعنق والمخنقة فهي قلادة ضيقة تلتصق بالرقبة، وأن بعض المخانق مطعمة باللؤلؤ أو المرجان أو بقية الأحجار الكريمة.

والقلائد: وهي على نوعين منها القلائد الطويلة تتدلى إلى أسفل البطن وتنتهي عادة بحلية كبيرة، والنوع الثاني من القلائد تكون قصيرة بعض الشيء.

ومن وسائل الحلي الأخرى الأساور والخلاخيل والخواتيم فهي كثيرة ومتنوعة جداً في الفترات التي سبقت ظهور الإسلام، كما استخدمت المرأة خاصة الوشم وقد وجد ذلك حتى في المومياءات المصرية.

وعن تصفيفات الشعر فقد كشفت التماثيل عن الضفائر، الغدائر، والقرون، ووصل الشعر وهي إضافة خصل من الشعر لشعرها الأصلي والتي باتت غير مستحبة في الإسلام كما استخدمت المرأة لتجميل شعرها الكثير من المواد مثل الحناء أو أصباغاً أخرى، كما كان الكحل من وسائل التجميل للعين.

وقد ورد في شعر العرب قبل الإسلام الكثير من الإشارات حول وسائل التزين ففي المخانق ذكرت الشاعرة هند بنت عتبة

نحـــــن بنـــــات طـــــارق   نمـــــشي علـــــى النمـــــارق

والـــــدر في المخـــــانق   والمـــــسك في المفـــــارق

وقال الشاعر النابغة الذبياني في وصف العقد:

بالـــدر واليـــاقوت زيـــن نحرهـــا   ومفـــصل مـــن لؤلـــؤ وزبرجـــد

وذكر الشاعر قيس بن الخطيم:

وجيـــد كجيـــد الـــرئم صـــاف يزينـــه   توقـــد يـــاقوت وفـــص زبرجـــد

وفي الإسلام ذكرت الزينة والأساور في القرآن الكريم منها

بسم الله الرحمن الرحيم﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾ (سورة فاطر آية ٣٣)

وقوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ ﴾(سورة الأعراف آية ٣٢)

وقد حبذ النبي الكريم محمد (ﷺ) استعمال الكحل في قوله: (عليكم بالاثمد فأنه يجلو البصر)

الحلي والتزين في صدر الإسلام

كما مر بنا أن القرآن الكريم كان قد أورد في بعض الآيات ذكر وسائل الزينة، ولم يحرم الدين الإسلامي التزين والحلي للمرأة غير أنه نهى في بعض جوانب منها مثل الوشم حيث ورد في بعض الأحاديث النبوية الشريفة منها قوله (ﷺ) : (لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة) والوصل هو استخدام الشعر المستعار وهو نوع من الغش، في حين حبذ في الإسلام استخدام الحناء مثلاً، فقد روى عن النبي (ﷺ) قوله: «أن أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكم» وقوله (عليكم بالحناء فإنه خضاب الإسلام) أما بالنسبة لوسائل الزينة الأخرى، فكان عقد جزع لعائشة بنت أبي بكرﷺ ، وقلادة جزع ضفائر للسيدة زينب (عليها السلام) بنت الرسول الكريم (ﷺ) حيث كان هذا العقد هدية من أمها السيدة خديجة الكبرى (عليها السلام) عند زواجها، ومن أيام الرسول (ﷺ) إشارات في المصادر عن بعض الأساور والدمالج والخلاخيل والخواتيم، وفي القران الكريم ورد ذكر الأساور في سورة الكهف حيث جاء

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ ﴾ (سورة الكهف آية ٣١)

وفي سورة الزخرف (آية ٥٣ قوله الكريم ﴿ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ ﴾ صدق الله العظيم، وفي سورة الفاطر آية ٣٣ جاء بها﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾

وفي حديث نبوي شريف ذكر الأسوار وكما يلي: قال رسول الله (ﷺ) (أني رأيت فيما يرى النائم أن في عضدي سوارين من ذهب وكرهتهما) صدق رسول الله.

أما بالنسبة للخواتيم فقد روي أنه في عصر الرسول (ﷺ)كانت النساء يتختمن في أكثر من أصبع واحد. وفي الخواتم ما كان يوضع في أصابع الأرجل.

الحلي والتزين في العصر الأموي

اختلفت الحالة في العصر الأموي خاصة بعد اتخاذ بلاد الشام ودمشق خاصة مركزاً للخلافة الأموية، أضافه إلى بناء القصور واستخدام الأثاث الفاخر، ولإكمال صوره الترف الذي كانت عليه الدولة الأموية، كان تزين النساء قد أخذ جانباً كبيراً من الحياة، وقد ورد في المصادر التاريخية عن بعض تلك المظاهر ومنها تصفيفات شعر النساء إضافة إلى ما كانت عليه قبل الإسلام، ومنها ما عرفت بـ (الكعكبية) وهي أن تجعل المرأة شعرها في أربع غدائر مضفورة وتداخل بعضهن في بعض، (كما ورد ذلك عند الأصفهاني في كتابة الأغاني ج١١ ص ١٢٣)

وكذلك ظهرت (العثاكيل) وهي خصل الشعر غير متساوية بالطول ومبرومة في شكل قرون متهدلة إلى الأسفل.

وبالنسبة للحلي فقد أقبلت النساء في العصر الأموي في تزين الأذنين والرقبة والصدر والأصابع والمعصم والأرجل وقد أورد القاضي الرشيد ابن الزبير أن معاوية بن أبي سفيان (٤١ – ٦٠هـ/ ٦٦١ – ٦٨٠م) كان قد أهدى عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنه قرطاً من ذهب فيه جوهر قدرت ثمنه بمئة ألف درهم. وقد كشفت بعض الرسوم الجدارية من العصر الأموي كما في قصر (خربة المفجر) نجد في الرسوم بعض الأقراط يتدلى منها ما يشبه اللآلئ الكبيرة أو الأحجار الكريمة بعضها كروية والبعض الآخر بيضوية

أما القلائد في العصر الأموي فقد كانت من القلائد التي تتصلق بالرقبة وهو ما يعرف بـ(المخانق) وهذا ما ظهرته صور قصير عمره كما استخدمت النساء في العصر الأموي الأطواق. وقد ذكر الأبشهيي في كتابه المتسطرف ج٢ ص٣١ أن معاوية بن أبي سفيان كان قد بعث إلى عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنه) طوقاً من ذهب فيه جوهرة بمائة ألف دينار.

وقد استخدمت النساء في العصر الأموي أنواع من العقود وهذا ما أظهرته التماثيل الجصية التي عثر عليها في قصر هشام بن عبد الملك وكذلك كشفت الرسوم

الجدارية في قصير عمره، وكذلك الخواتيم وتذكر السيدة زكية عمر العلي: أن بعض نساء العرب في العصر الأموي كن يضعن الخواتم بأصابع أيديهن العشر.

الحلي والتزيين في العصر العباسي

اعتبر العصر العباسي عصر الترف والرخاء في جميع المجالات وخاصة بعد اتخاذ مدينة السلام (بغداد) عاصمة للدولة العباسية، حيث استقطبت مدينة السلام العلماء والأدباء والفنانين في جميع مجالات الحياة وتوسعت الأسواق مما أدى إلى ازدهار الحركة التجارية، وفي ذلك ذكر البغدادي أنه (لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها وفخامة أمرها وكثرة علمائها وإعلامها وتميزها خواصها وعوامها وعظم أقطارها وإطرارها وكثرة دورها ومنازلها وشعوبها ومحلاتها وأسوقها) وقد كانت تقام في قصورها الحفلات الكبرى من تنصيب الخلفاء الجدد أو إقامة الإعراس للخلفاء والأمراء، ومواكب الحج واحتفالات أخرى كثيرة، ومن تلك الحفلات المشهورة زواج هارون الرشيد على زبيدة، حيث وهبت فيها الأموال وقدرت تلك الأموال بحوالي خمس وخمسين مليون من الدراهم، كذلك زفاف الخليفة العباسي المأمون (١٩٨ – ٢١٨هـ) على بوران والذي قدر ما صرف فيه حوالي أربعين مليون درهم.

وقد ذكر الخطيب البغدادي بشأن سيدات المجتمع العباسي وفخامة ملابسهن وزينتهن وحليهن. وفي الحفلات الكبيرة التي جرت في العصر العباسي حفلة ختان المعتز بالله ابن الخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٣٢ -٢٤٧هجرية) بلغت تكاليف تلك الحفلة ست وثمانين مليون درهم. كما أن نفقات زواج قطر الندى ابنة خمارويه أمير مصر من الخليفة العباسي المعتضد بالله (٢٧٩ – ٢٨٩هـ) أكثر من عشرين مليون دينار وقد شاع في العصر العباسي من وسائل التزين (الوشم) وتصفيفات الشعر حيث كشفت المخطوطات والتحف الأثارية من (خزف وتحف معدنية وعاجية، ومنحوتات حجرية، ففي رسوم سامراء الجدارية من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي/ تظهر تصفيفات الشعر المختلفة وفي تصفيفات النساء في العصر العباسي قول الشاعر أبو نؤاس:

له عقربا صدغ على ورد خده كأنهما نونان من كف ماشق

أما بالنسبة للحلي في العصر العباسي فقد ظهرت واضحة نتيجة الغنى والترف والحضارة، فقد ذكر ابن الزبير كتابه الذخائر والتحف أن شجاع أم الخليفة المتوكل على الله كانت قد تركت من الحلي والجواهر ما قيمته مليونين من الدنانير، كما كشفت التنقيبات الأثرية التي جرت في العراق ومصر وإيران عن بعض من تلك الحلي في العصر العباسي، ويضم المتحف العراقي اليوم بعض الأقراط، وقد أشارت المصادر التاريخية عن ذكر بعض القلائد وخاصة المخانق كما كشفت رسوم المنمات التي ترجع إلى العصر العباسي عن الكثير من الحلي المختلفة.

ومن أهم المواد المستعملة في صناعة الحلي

١- **الذهب:** ويعرف الذهب قبل تصفيته بالتبر، أما بعد تصفيته وتصنيعه يسمى (العين)، وتوجد مناجم الذهب في مناطق في إفريقيا وتعتبر تلك المناجم هي المصدر الرئيس للذهب في حين نلاحظ أن بلاد المشرق تندر بها مناجم الذهب وتكثر فيها مناجم الفضة.

٢- **الفضة:** تعتبر الفضة في الدرجة الثانية يعد الذهب في صناعة الحلي، وتكثر مناجم الفضة في المشرق وتنذر في المغرب وإفريقيا.

٣- **اللؤلؤ:** ويسمى سيد الأحجار، وله عدة تسميات، فاللؤلؤة الكبيرة تسمى (الدرّة) واللؤلؤة التي لم تثقب تسمى العذراء ويستخرج اللؤلؤ من البحار والخلجان.

٤- **الياقوت:** ومن أجود أنواع الياقوت، الياقوت الأحمر، والياقوت الأزرق، أما اللون الأبيض منه فيعتبر أقل جودة.

٥- **المرجان:** وهو نبات بحري متشعب ولونه يميل إلى الاحمرار.

٦- **العقيق:** له ألوان متعددة وهو نوع من الحجارة، ومن ألوانها الأحمر بالدرجة الأولى، والأصفر والأزرق والأبيض، ويكثر العقيق في بلاد اليمن ويكون شديد الاحمرار.

٧- **الماس:** من الأحجار الكريمة وأصل التسمية يونانية، وألوانه متعددة منها الأبيض والأحمر والأخضر والأسود والأصفر، وأحسن الأنواع هو الأبيض البلوري، ويكثر الماس في سيلان وفي جزيرة سرنديب.

٨- **الزمرّد (الزبرجد):** ويكون لونه أخضر وكلما زاد اخضراره ازدادت جودته، وأحسن الأنواع من لم يحمل عروقاً سوداء.

٩- **الفيروز:** والتسمية أجنبية، والفيروز نوع من الأحجار الكريمة، وأجودها اللون الأزرق الذي يميل إلى الخضرة ويكثر الفيروز في إقليم نيسابور في إيران.

١٠- **الجزع:** وهو من الأحجار الكريمة لونه أبيض وأسود وبعضه يشبه شكل العين، وهناك أنواع أخرى من مواد الزينة منها المحار والصدف ومواد أخرى استخدمت في الحلي النسائية.

ومن حلي الرأس عند النساء

وتشمل التيجان والنظم والعصائب والزنانير والأمشاط.

١- **التيجان(الأكاليل)** وكان يصاغ التاج والإكليل من الذهب ويرصع بالجواهر المختلفة، وقد كشفت التنقيبات الأثرية والمخطوطات العديد من رسوم التيجان وبأشكال مختلفة.

٢- **النظم:** وهي عبارة عن سلك يربط مجموعة من الأحجار الكريمة لتزين الرأس، وقد كان هذا النوع من الزينة معروفاً منذ العصر السابق للإسلام، واستمر استعماله في العصور الإسلامية اللاحقة، وقد وصلتنا العديد من الصور من المخطوطات وبعض الصور الجدارية التي ظهرت فيها النساء وهن بتزيين بالنظم.

٣- **العصائب:** وهي عبارة عن قطعة قماش مزينة الجواهر وقد ظهرت لدينا بعض الرسوم الجدارية من الفترة الأموية مثل قصير عمره ورسوم خربة المفجر بعض رؤوس النساء وعليها العصائب، كما ورد وصفها في نصوص الشعر العربي ومن العصر العباسي يوجد صحن خزفي من القرن الرابع الهجري/ العاشر

الميلادي عليه نقشاً لامرأة وهي ترتدي العصابة كما زينت العصابات بأشكال وريدات مختلفة حملت رسومها الآثار المختلفة.

٤- **الزنانير** وقد كانت على نوعين.

أ. **النوع الأول:** عبارة عن قطعة معدنية تستخدم لتثبيت طرفي الرداء وتسمى (الكلاب) .

ب. **النوع الثاني:** قطعة معدنية أيضاً في الجهة الأمامية من الرأس لربط العصابة، وقد حملت بعض الزنانير بعض الزخارف كما حملت بعضها نصوصاً كتابية.

٥- **الأمشاط الذهبية.** وقد رصعت بعض الأمشاط بالأحجار الكريمة، وقد كشفت لنا التنقيبات الأثرية في سامراء بعض الرسوم في قصر الجوسق الخاقاني تبدو فيها راقصات وعلى رؤوسهن أمشاط مرصعة بالحجار الكريمة.

حلي الأذان

الأقراط والشنوف

الأقراط حلية معدنية توضع في الجزء الأسفل من الأذان، أما الشنوف فهي قطعة معدنية تعلق في الجزء العلوي من الأذن والأقراط حلية معروفة منذ أقدم الأزمنة واستمر استخدامها في العصور الإسلامية، حيث ذكرت المصادر أنواع عديدة من الأقراط، كما حملت بعض الرسوم الموجودة في القصور الأموية وخاصة قصر خربة المفجر، رسوم النساء لهن أقراط في أذانهن واختلفت أحجام الأقراط في مختلف الأزمان ويبدو أنها تطورت أكثر في العصر العباسي حيث نجد في سامراء رسوم الراقصتين في الجوسق الخاقاني وهن يلبسن الأقراط.

وكانت الأقراط في العصر العباسي على أنواع مختلفة، منها ما هو على شكل هلال مجوف وكان يوضع في هذا التجويف بعض العطور والروائح الطيبة، وبعض الأقراط تتدلى منها بعض اللآلىء، وهناك أشكال أخرى على شكل أقراص، أو عنقودية، ولا زالت الأقراط مستعملة في الوقت الحاضر وبأشكال مختلفة.

القلائد

والقلائد لها أشكال متنوعة منها ما يربط بسلسلة ومنها على شكل طوق مزين بالأحجار الكريمة والقلائد تستخدم لتحلية الرقبة.

الخواتم والأساور

لقد استخدمت من الخواتم منذ أقدم العصور واستمر استخدامها في العصور الإسلامية، وقد كشفت لنا الرسوم الأموية بأن بعض النساء كانت تلبس الخواتم في أصابعها العشرة، كذلك تحلى بعض الرجال بلبس الخواتم.

أما في العصر العباسي حيث اتخذ الخلفاء العباسيون وكبار رجال الدولة الخواتم وزينوها بالفصوص الثمينة، كما استخدمت الخواتم في بعض الأحيان كختم يحمل اسم صاحبه وقد عملت الخواتم من الذهب والفضة ورصعت بالأحجار الكريمة، أما الأساور فهي حلية للمعصم، وكانت على أنواع مختلفة منها ما يعمل من المعادن الثمينة والنوع الآخر من العاج أو الزجاج.

أما حلي الأرجل فهي الخلاخيل وكانت تصنع من الذهب وتحلى ببعض الأحجار الكريمة، وفي بعض الأحيان تصدر أصواتاً نتيجة لحركة القدم اثنا السير وقد حملت بعضها الزخارف الهندسية والنباتية والكتابية كالأدعية والأبيات الشعرية، أما الحجل فيكون أرفع بعض الشيء ويكون خالي من الزخارف.

المراجع

القرآن الكريم

١- زكية عمر العلي: التزويق والحلي عند المرأة في العصر العباسي بغداد ١٩٧٦.

٢- الدكتور عبد العزيز حميد والدكتور صلاح العبيدي والدكتور أحمد قاسم الفنون الزخرفية العربية الإسلامية. بغداد ١٩٨٢ .

٣- ابن الزبير، القاضي الرشيد: الذخائر والتحف، الكويت ١٩٥٩.

٤- الابشهي: المستظرف ج١ طبعة مصر ١٩٥٢ .

٥- الخطيب البغدادي: بغداد ج١.

٦- الدكتور صلاح حسين العبيدي: الفنون الزخرفية العربية الإسلامية . بغداد ١٩٨٧.

الفصل الثامن

النقود

Coins

تمهيد

اعتبرت النقود من الفنون الزخرفية المهمة حيث حملت النقود أنواع من الخط العربي من الكوفي والنسخي، كما حملت أنواع الزخارف الهندسية والنباتية والآدمية والحيوانية.

عرفت النقود لأول مرة منذ أكثر من ٢٧٠٠ سنة من الآن عندما أمر الملك الأشوري سنحاريب (٧٠٥ – ٦٨١ قبل الميلاد) بصنع قوالب لسك الشيقل ونصف الشيقل بعد أن كانت المقايضة سلعة بسلعة وعندما ظهرت بعض الصعوبات وأهمها عدم توافق رغبات الأطراف ظهرت السلعة الوسيطة وهي تحديد سلعة معينة تكون مقابلة لقيمة السلعة المعروضة وقد اختلفت السلعة الوسيطة من بلد لأخر ففي العراق كانت الحبوب (الشعير) والمعادن (الفضة) سلعة وسيطة وهذا ما كشفته الشرائع والقوانين العراقية القديمة مثل (شريعة أو نمو شريعة لبت عشتار وقانون ايشنونا وقانون حمو رابي) وفي بلاد مصر كشفت الرسوم الجدارية الفرعونية من استخدام الثور والسلاح كسلع وسيطة وفي بلاد العرب الجزيرة العربية كان ولا زال البعير سلعة وسيطة تحدد به دية القتيل أو صداق العروس.

أما في بلاد الصين فقد كان المحار هو السلعة الوسيطة، وكان ابتكار الأشوريين للشيقل ونصف الشيقل كوحدة نقد يعد أن كانت لفظة الشيقل معروفة منذ العصر السومري والاكدي والبابلي والأشوري كوحدة وزن، ولكن الملك الأشوري سنحاريب جعلها وحدة نقد عندما أمر بصب شيقل ونصف شيقل ومنذ ذلك الحين ظهرت النقود، أن هذا الاكتشاف الأشوري كان قد انتقل إلى الليديين سكان بلاد

الاناضول وقد طوره ونقشوا على نقودهم الأولى (رأس الأسد فاتح فمه) والسك الثاني (رأس الأسد يقابل رأس الثور) وعن الليديين انتقلت صناعة النقود إلى بقية ارجاء المعمورة وقد انتقلت النقود إلى بقية البلدان أما بطريق التجارة والسلام أو بالحروب كما هو الحال عند انتقالها إلى بلاد فارس فقد حدث ذلك بعد الحروب ما بين الفرس والليديين وقد اتخذت كل دولة أو مدينة كبيرة شعاراً معيناً نقشته على نقودها ولازال ذلك مستمراً حيث تنقش كل دولة أشهر شيء لديها فنقود استراليا تحمل حيوان (الكنغر) ونقود العراق المعدنية حملت (النخلة) وبعض نقود دول الخليج العربي حملت (الدلة) وهكذا.

وفي العصور التي سبقت ظهور الإسلام فقد كانت ثلاثة أنظمة نقدية معروفة وهي الدنانير الذهبية البيزنطية في كل من بلاد الشام ومصر وشمال افريقية، وكان الدينار الذهبي البيزنطي عبارة عن قطعة ذهبية دائرية الشكل وزنها مثقال واحد حملت على الوجه صورة للملك البيزنطي هرقل مع ولديه يمسك كل منهم صليب طويل، وعلى الجانب الثاني من الدينار الذهبي البيزنطي يظهر المدرج يقوم الصليب فوقها، ونقشت الكتابية اللاتينية تذكر اسم الملك وسنة الضرب من سنوات حكم ذلك الملك ولم تحمل مكان السك.

أما النقود الساسانية الفضية والتي كانت متداولة في العراق لأن الدولة الساسانية حينذاك كانت فارضة هيمنتها على العراق. وكانت النقود الفضة الساسانية على نوعين الأول هي البغلية وكانت تزن ثمانية دوانق والطبرية ووزنها أربعة دوانق، والنقد الفضي الساساني عبارة عن قطعة فضية دائرية الشكل حملت على الوجه صورة نصفية جانبية للملك الساساني الحاكم متجه نحو اليمين وقد اعتمر التاج المجنح وقد توزعت صورة الهلال والنجمة في الأركان الأربعة للنقد، أما الجانب الثاني فقد حمل دكه النار المجوسية في الوسط ويقف إلى جانبها حارسان لإدامة النار في الموقد وكذلك توزعت صورة الهلال والنجمة وهي رمز الرخاء عند الشرقيين في الأركان الأربعة، وقد توزعت الكتابة البهلوية. الفارسية القديمة- على الجانبين تذكر اسم

الملك وتاريخ السك من سنوات حكم ذلك الملك ومدينة السك وعبارات وعائية للمملكة- دامت المملكة نامية. وقد حرص كل ملك ساساني على الاهتمام بالتاج المجنح وقد ميز كل ملك تاجه عن غيره من الملوك.

وكان العرب قبل الإسلام يتداولون في أسواقهم مثل سوق عكاظ وسوق نجران وأسواق أخرى بالدنانير الذهبية البيزنطية والنقود الفضية الساسانية، حيث ورد ذكر الدينار والدرهم في إشعار العرب قبل الإسلام وكانت آلة القسطاس وهي ميزان خاص بالنقود.

وقد عرف الرسول الكريم محمد (ﷺ) الدنانير الذهبية البيزنطية والنقود الفضية الساسانية وذلك عندما كان قد عمل التجارة لحساب السيدة خديجة (عليها السلام).

النقود في صدر الإسلام

لقد ورد ذكر الدينار والدرهم في القرآن الكريم وكما يلي:ففي سورة آل عمران الآية ٧٥ نصها بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾أما بالنسبة للدراهم فقد ورد ذكرها في سورة يوسف الآية ٢٠ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ وكما ورد ذكر الدنانير والدراهم في الأحاديث النبوية الشريفة ومنها عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الكريم (ﷺ) (أن هذا الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم ولأراهما إلا مهلكيكم) وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال رسول الله (ﷺ): (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم الذي إنما همه دينار أو درهم يصيبه فيأخذه) (رواه الطبراني في الكبير والأوسط وإسناده حسن، مجمع الزوائد الجزء العاشر ص٢٤٥ وص٢٤٨)

لم يحدث تغير في النقود زمن الرسول (ﷺ) وبقيت الدنانير الذهبية البيزنطية والنقود الفضية الساسانية على ما هي، والتغيير الوحيد الذي حدث زمن الرسول

للنقود الساسانية هي الوزن حيث أصبح الوزن الشرعي للدرهم في الإسلام ستة دوانق وقد كان صداق فاطمة (عليها السلام) من الأمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قدره (٤٨٠ درهماً) فقد روى عن الأمام علي (عليه السلام) قوله زوجني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاطمة (عليها السلام) على أربعمائة وثمانين درهماً وزن ستة. (ابن سلام: كتاب الأموال مصر ١٣٥٣هـ ص٥٢٥) وفي عهد الخليفة الراشد الأول أبو بكر (رضي الله عنه) ١١ – ١٣ هجرية حيث كانت مدة خلافته قصيرة وحدثت في عهده الردة وأنشغل في إخمادها، ونشر الدين الإسلامي وتنبيه ولم يحدث تغير للنقود في عهده.

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب ١٣ – ٢٣ هجرية/ ٦٣٤ – ٦٤٤م فتحت بلدان مهمة ذات حضارة عريقة وهي بلاد الشام والعراق ومصر، وعند فتح العراق وجد الفاتحون في المدائن عاصمة الدولة الساسانية بالعراق قبل الإسلام العديد من دور سك النقود الساسانية، وقد استفاد المسلمون من تلك العدد، عندما نقش المسلمون عبارات بالعربية عن قوالب النقود الساساني، حيث كتبوا البسملة (بسم الله) و(بركة) و (محمد) وكلمات أخرى، وسكت النقود بعد ذلك حيث سميت تلك النقود الساسانية والتي حملت كلمات وعبارات بالعربية بـ(النقود العربية على الطراز الساساني) وتلك النقود مثلث المراحل الأولى لتعريب الدراهم، حيث استمرت تلك النقود العربية على الطراز الساساني حتى سنة ٧٨ هجرية حيث عربت الدراهم في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦ هجرية). وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣ – ٣٥ هجرية).استمرت النقود العربية على الطراز الساساني، حيث بدأت تلك النقود بحملها الكثير من الكلمات والعبارات بالعربية وفي عهد الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) ٣٥ – ٤٠ هجرية، ففي المكتبة الأهلية الوطنية بباريس يوجد درهم عربي مضروب بالبصرة سنة أربعين والدرهم معرب تعريباً كاملاً.

وقد عزز صحة هذا الدرهم درهم أخر ضرب بالبصرة أيضاً في سنة ٤٩هجرية فقد أيد صحة هذا الدرهم السيد فوزي عبد اللطيف حيث نال درجة الماجستير بعد الدراسة الواسعة لتلك الدراهم في كلية الآثار – جامعة القاهرة سنة ٢٠٠١م.

النقود في العصر الأموي ٤١ – ١٣٢هـ

بعد اغتيال الخليفة علي بن أبي طالب (ﷺ) في رمضان سنة أربعين للهجرة، تولى الخلافة بعده ابنه الأمام الحسن (ﷺ) ولمدة تقرب من ستة أشهر حيث بدا النزاع مع الأمويين وحفاظاً على حقن دماء المسلمين تنازل الأمام الحسن (عليه السلام) عن الخلافة حيث بدأت الدولة الأموية منذ سنة ٤١ هجرية.

واستمرت الدنانير الذهبية البيزنطية بالتداول دون تغير، وكذلك استمر التداول (بالنقود العربية على الطراز الساساني) حيث زادت العبارات العربية على النقود التالية: (بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله) وفي الوسط حول الصورة للملك الساساني (سنة خمس... وسبعين) وحذفت من الظهر دكه النار المجوسية واستبدلت بصورة الخليفة الواقف عبد الملك بن مروان وحوله (أمير المؤمنين – خليفة الله) وعلى درهم أخر ظهرت النصوص العربية التالية: (بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله) وأمام وجه الملك الساساني كتب (الحجاج بن يوسف).

وبالنسبة للدنانير الذهبية البيزنطية فقد حدثت تغيرات وخطوات تعريبية للسنوات ٧٤ – ٧٧ هجرية.

١. حيث حذف جزء من الصليب وأصبح على شكل T.
٢. استبدلت الحرفين L B وأصبحت B.1.
٣. حذفت صورة الملك هرقل وولديه وحلت محلها صورة الخليفة الواقف وهو يتمنطق بسيفه.
٤. حملت النصوص العربية على الوجه والظهر فعلى الوجه (بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله) وعل الظهر: (بسم لله ضرب هذا الدينر في سنة ست

وسبعين) وفي سنة ٧٧ ظهر نوعان من الدنانير الذهبية الأول هو طراز الخليفة الواقف والثاني معرب تعريب كامل وحذفت كل التأثيرات البيزنطية أو المصورة وحملت دنانير سنة ٧٧ هجرية العربية وكما يلي :

لا إله إلا

مركز الوجه: الله وحده

لا شريك له

الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

الله أحد الله

مركز الظهر: الصمد لم يلد

ولم يولد

الطوق بسم الله ضرب هذا الدينر في سنة سبع وسبعين

وقد استمر هذا النمط من الدنانير الأموية حتى نهاية الدولة الأموية عدا سنوات السك وصولاً إلى سنة ١٣٢ هجرية.

أما الدراهم الفضية فقد لاحظنا أنه بعد فتح العراق بدأت عملية تعريب الدراهم عندما حملت الدراهم الساسانية بعض الكلمات والعبارات بالعربية ومنها البسملة (بسم الله) ثم زادت العبارات العربية وصولاً إلى سنة ٧٨ هجرية حيث ظهرت الدراهم العربية الأولى حيث سكت الدراهم العربية في عدة مدن منها الكوفة وأرمينيه وأذربيجان وغيرها

وكانت نصوص درهم رامينية كما يلي:

لا أله إلا

مركز الوجه: الله وحده

لا شريك له

الطوق: محمد رسول الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون

مركز الظهر:

الله أحد
الله الصمد لم
يلد ولم يولد
ولم يكن له
كفوا أحد

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدرهم بأرمينية في سنة ثمان وسبعين.

ويزن هذا الدرهم ثلاثة غرامات وقطره ٢٧ملم ومحفوظ هذا الدرهم النادر في المتحف العراقي تحت رقم ١٤٤٧٢مس.

لكن هذا النمط من الدراهم كان قد تغير في السنة اللاحقة ٧٩ هجرية وأصبح كما يلي:

درهم ضرب بالبصرة سنة ٧٩ هجرية ونصوصه كما يلي:

مركز الوجه:

لا اله إلا
الله وحده
لا شريك له

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدرهم بالبصرة في سنة تسع وسبعين.

مركز الظهر:

الله احد الله
الصمد لم يلد
ولم يولد ولم يكن
له كفوا أحد

الطوق: محمد رسول الله أرسلة بالهدى ودين الحق ليظهر على الدين كله ولوكره المشركون. هذا الدرهم محفوظ بالمتحف العراقي تحت رقم ١٥١٣٨مس.

استمر هذا النمط للدراهم الأموية طيلة فترة الدولة الأموية إلا أن الدراهم الأموية قد حملت شعار الدعوة العباسية منذ سنة ١٢٧هجرية أي قبل خمس سنوات من سقوط الدولة الأموية وشعار الدعوة العباسية نقش بطوق فوق نصوص مركز الوجه وكما يلي: (قل لا اسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) لقد حملت الدراهم الأموية هذا الشعار منذ سنة ١٢٧ هجرية في حين أشارت المصادر التاريخية أن الثورة العباسية أعلنت لأول مرة في ٢٥ رمضان سنة ١٢٩ هجرية وبذلك تكون النقود أصدق بما ورد في بطون الكتب من المعلومات كما حملت بعض الدراهم الأموية المضروبة سنة ١٢٨ هجرية شعار الخوارج (لا حكم إلا الله) وبذلك تكون الدراهم الأموية قد أدت دوراً إعلامياً إضافة إلى دورها الاقتصادي وقد حملت بعض الدراهم الأموية دوائر صغيره موزعة حول الطوق فقد حملت بعضها أربعة دوائر وبعضها خمسة دوائر، وقد فسرت تلك الدوائر بأنها تشير إلى أمر السك في الدار أو تفسير إنتاج كل مجموعة من المجاميع العاملة بدار الضرب للنقود.

لقد سكت الدراهم الأموية في أكثر من مئة مدينة عربية إسلامية منها:

(الكوفة، أرمينية، ابر شهر، أبر قباذ، اذر بيجان، أران، أرد، أرد شيرخره، ارمينية، استان، اصطخر، افريقية، ابير، الأندلس، انبيار، اوذ، الباب، بيزيجاخسرا، بدخشان، بردسير، بردعة، برمقباذ، البصرة، بلخ البليخ، بهرسير، بهقباذ الاسفل، بهقباذ الأوسط، بهقباذ الأعلى، تستر، تفليس، تنبرك، توج، شق التميره، جرجان، الجزيرة، الجسر، جندي سابور، جنزه، جور جي، جرفت، حران، حلوان، الحيرة، خسر شاذهر، دريجرد ،درد، دساكر، دستو، دشت ميسان، دمشق، دبيل، راذن، رامهرمز، الري،« زريخ، زوابي، سابور، السامية، بسجستان، سرخس، سرق، السوس، سوق الأهواز، طبرستان، العال، عُمان، الفرات، فسا، الفيل أو النيل، القندل، قومس، كرمان، الكر، كسكر، الكوفة، ماه البصرة، ماه الكوفة، ما هي، المبركة، المباركة، المدينة العتيقة، مرنان أو مزنان، مرو، المغرب، مناذر، مهرجان قذق، الموصل، ميسان، نهر بوق، نهر تيري، النيق، نيشبور، هر، هراة، همذن، واسط).

إن هذا العدد الكبير من مدن سك النقود في العصر الأموي يدل على سعة الدولة الأموية، وأن اختيار المدينة لسك النقود فيها دلالة على أهمية تلك المدينة، وقد اختيرت بالعراق أكثر من عشرين مدينة لسك النقود فيها، وقد أصبحت واسط في العصر الأموي ذات أهمية كبيرة حتى ذكر أن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك أراد أن يتخذها عاصمة للدولة الأموية وذكر بعض المختصين بالنقود أن في واسط سكت حتى الدنانير الذهبية والتي كانت لا تسك في العصر الأموي إلا في العاصمة دمشق، كما أوقف الخليفة هشام بن عبد الملك السك في العديد من المدن الأواسط وهذا ما يؤكد على أهمية هذه المدينة وقد كانت الدنانير الذهبية الأموية لا تحمل مكان السك فلا يستعبد أن بعض الدنانير سكت في واسط بالعراق.

النقود العباسية

لقد سك قادة الدعوة العباسية دراهم منذ سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٥م علماً بأن الدعوة العباسية لم تعلن رسمياً إلا في ٢٥ رمضان سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٧م وذلك عندما سقطت عدة مدن لسيطرتهم مثل مرو وهرات وبلخ، لقد تميزت الدراهم العباسية بإضافة طرق جديد حول مركز الوجه نقش فيها الآية الكريمة: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(الشورى ٢٣) وقد كان الدرهم الأول المعروف من هذا النوع من الدراهم كان قد سك في (جي) سنة ١٢٧هجرية وقد سكت مثل هذه الدراهم التي حملت شعار الدعوة العباسية في العديد من المدن منها (جي، الري، رامهرمز، الكوفة، ما هي، اصطخر، سابور، مرو، همدان، بلخ)، وغيرها. وقد كانت الغاية الرئيسية من تلك الدراهم استقطاب الأنصار حول الدعوة العباسية، وقد ساهمت فعلاً بالقضاء على الحكم الأموي في سنة ١٣٢ هـ/ ٧٤٩م وفي هذه السنة ظهر أول دينار عباسي ونصوصه كما يلي:

مركز الوجه:

لا اله إلا
الله وحده
لا شريك له

الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

محمد

=مركز الظهر: رسول

السله

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدينر سنة اثنين وثلين ومئه

ونلاحظ أن النقود العباسية قد حملت في نصوص مركز الظهر عبارة (محمد رسول الله) بدلاً من سورة الإخلاص التي حملتها النقود الأموية ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ في الدنانير، وفي الدراهم كانت ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

في العصر العباسي انتقل مركز الحكم من بلاد الشام (دمشق) إلى العراق (الهاشمية،،الأنبار) ثم مدينة السلام (بغداد) وأصبحت نصوص الدرهم العباسي الأول في مدينة السلام والمضروب سنة ١٤٦ هجرية، وكما يلي:

لا اله إلا

مركز الوجه: الله وحده

لا شريك له

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة ست وأربعين ومئه

محمد

مركز الظهر: رسول

السله

الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. سكت الدراهم العباسية منذ سنة ١٣٢ هجرية في العديد من المدن العربية والإسلامية، وكذلك الدنانير الذهبية بنفس نصوص الدينار العباسي المضروب

سنة ١٣٢ هجرية، ولكن بعض دنانير سنة ١٣٩ هجرية حملت عبارة (لله جعفر) وقد تكون هذه السنة هي تنصيب جعفر لمنصب ما أو مناسبة اجتماعية خاصة.

أما في عهد الخليفة العباسي المهدي ١٥٨ – ١٦٩ هجرية، فقد احدث هذا الخليفة تغييراً مهماً على الدراهم الفضية عندما حملت عبارة (الخليفة المهدي) وبذلك يكون المهدي أول خليفة بالإسلام ينقش لقبه واسمه، وفي سنة ١٦٧ هجرية انتقل الخليفة المهدي عن مدينة السلام إلى قصر السلام وسك فيه الدراهم التي حملت عبارة (بقصر السلام) كما ميز دنانيره المضروبة بقصر السلام بأنها حملت شكل هلال فوق مركز الظهر وفي سنة ١٦٩ هجرية وهي آخر سنة من خلافة المهدي سك الدراهم بقصر السلام وهي تحمل عبارة (لله الحمد) ويبدو إنها سكت لأغراض إعلامية حيث تمكن الخليفة المهدي من القضاء على (الزنادقة) وهي فئة خارجية عن الدين الإسلامي. أما نقود الخليفة العباسي الهادي (١٦٩ – ١٧٠ هـ) فقد احدث تغيراً على الدراهم الفضية عندما نقش اسم وزيره (إبراهيم) وهو إبراهيم بن ذكوان الحراني على دراهم سنة ١٦٩ و١٧٠ هـ، عندما نقش اسم ابنه (جعفر) عندما نصبه ولياً للعهد بدلاً من هارون الرشيد حيث عزله عن منصب ولاية العهد بدلاً من أخيه هارون الرشيد وكانت نقود الخليفة هارون الرشيد ١٧٠ – ١٩٣ هجرية حيث نقش اسمه ولقبه على الدنانير والدراهم منذ السنة الأولى لخلافته ١٧٠ هجرية (مما أمر به عبد الله هرون أمير المؤمنين) وبذلك يكون الخليفة هارون أول خليفة بالإسلام بنقش اسمه على الدنانير كما نقش هارون على دنانير العديد من الأسماء مثل (علي، موسى، عمر، إبراهيم وجعفر) ويبدو أن هذه الأسماء كان لها مركزاً في دار السك آهلتهم أن ينقشوا أسمائهم على الدنانير الذهبية وقد عكست النقود في عهد الخليفة الأمين وأخيه المأمون عكست الصراع الذي حدث بينهما وبذلك تكون النقود مرآة عاكسة للأحداث.

وقد اعتبر الخليفة المأمون ١٩٨ – ٢١٨ هجرية أول خليفة بالإسلام يثبت دار السك على الدنانير الذهبية ومنذ سنة ١٩٨ هجرية وكانت (مدينة السلام) أول مدينة

تحملها الدنانير سنة ١٩٨ هجرية وفي السنوات اللاحقة حملت أسماء مثل (بالعراق) (بمصر) (بالمغرب) (بالمشرق)وغيرها ومنذ سنة ٢١١ هجرية أصبحت الدنانير تحمل مكان السك في الطوق، واستمرت النقود تحمل اسم الخليفة واسم ولي عهده وألقابه على النقود العباسية.

النقود البويهية ٣٣٤/ ٤٤٧هـ/ ٩٤٥ – ١٠٥٥م

قامت السلطة البويهية في العراق بعد غزو أحمد بن بويه للعاصمة مدينة السلام عاصمة الخلافة العباسية بعد ثلاث محاولات قام بها البويهيون وقد كانت المحاولة الأولى سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٢م وقد حاربهم عبد الله البريدي والي البصرة فتراجع أحمد بن بويه إلى الأهواز في إقليم عربستان ودفعتهم إطماعهم التوسعية إلى إعادة الكرة ثانية سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٤م وردتهم الجيوش العباسية بقيادة الخليفة العباسي المستكفي بالله ٣٣٣ – ٣٣٤ هـ وطردهم خارج حدود إقليم العراق. وأعاد أحمد بن بويه الحملة مرة أخرى وتمكن من دخول العاصمة مدينة السلام في ١١ جمادى الأولى سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥م، واضطر الخليفة العباسي بعد ذلك على منح الألقاب للأمراء البويهيين فلقب أحمد بن بويه بلقب (معز الدولة) والأخ الأكبر علي أبو الحسن بلقب (عماد الدولة) والأخ الأوسط الحسن أبو علي بلقب (ركن الدولة) وقد تعاقب على حكم العراق أحد عشر حاكماً بويهياً ما بين ٣٣٤ – ٤٤٧هـ وهم (أحمد بن بويه (معز الدولة)، عز الدولة أبو منصور، عضد الدولة أو شجاع، صمصام الدولة شرف الدولة، سلطان الدولة، مشرف الدولة، بهاء الدولة، سلطان الدولة، والملك الرحيم أبو نصر)

وقد منح الأمراء البويهيين أنفسهم الألقاب الرنانة وظهرت على نقودهم ومنها الدينار والمضروب بمدينة السلام سنة ٣٥٦هجرية ونصوصه كما يلي:

لا اله إلا الله

وحده لا شريك له

مركز الوجه: ركن الدولة

أبو علي

عضد الدولة

أبو شجاع

بويه

لله

محمد رسول الله

مركز الظهر: صلى الله عليه وسلم

الطائع لله

عز الدولة

أبو منصور

عمدة الدولة

أبو اسحق

ومن ألقابهم (الملك العادل شاهنشاه بهاء الدولة وضياء الملة وغياث الأمة أبو نصر)

نقود السلاجقة ٤٤٧ – ٥٥٥هـ

في ٢٢ رمضان في سنة ٤٤٧ هجرية قدم الملك الرحيم أبو نصر آخر أمراء البويهين تقديم الطاعة للأمير السلجوقي طغرلبك وبذلك انتهت السلطة البويهية لتحل محلها السلطة السلجوقية، والسلاجقة قبائل سكنت سهول تركستان في منطقة ما وراء النهر، وقد استطاع السلاجقة بقيادة طغرلبك من دخول مدينة السلام والقضاء على البويهين بعد الفوضى والضعف الذي ساد البلاد في عهد أخر أمراء البويهين، وقد دخلت الخلافة العباسية تحت هيمنة سلطة السلاجقة. وقد سك السلاجقة النقود الذهبية (الدنانير) والفضية (الدراهم) والنحاسية (الفلوس) وقد تلقب أمراء السلاجقة بالعديد من الألقاب والكنى على نقودهم وقد توالى ثمانية من

سلاطين السلاجقة على حكم العراق وهم: (ركن الدولة والدين طغرل الأول، عضد الدولة ألب إرسلان، جلال الدولة، ناصر الدولة، ركن الدين برقوق، معز الدين ملك شاه، غياث الدين محمد الأول، معز الدين سنجار) ومن ونقودهم الدينار المضروب بمدينة السلام سنة ٤٦٠ هجرية ونصوصه كما يلي:

مركز الوجه:

لا إله إلا الله
وحده لا شريك له
الأمام القائم بأمر
الله أمير المؤمنين
وولي عهده
عون الدين

الطوق الأول: بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة السلام سنة ستين وأربع ماية.

الطوق الثاني: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

مركز الظهر:

لله
محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم
السلطان الأعظم
شاهنشاه
محمد بن طغرلبك
سيف الله

الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وقد انقسمت الدولة السلجوقية إلى قسمين قسم في خراسان وما يليها غرباً، وقسم في العراق وعرف هؤلاء في (سلاجقة العراق) تمييزاً لهم عن سلاجقة خراسان، وقد تضمنت نقود السلاجقة على العديد من الألقاب الرنانه منها

(شاهنشاه وملك الإسلام، والسلطان الأعظم معز الدين ركن الإسلام ملكشاه أبو الفتح) ومن ألقاب محمود بن محمد من سلاجقة العراق ٥١١ – ٥٢٥هـ/ ١١١٧ – ١١٣٠م وردت على دينار مضروب بمدينة السلام سنة ٥١٣ هجرية منها (مغيث الدنيا والدين معز الدنيا والدين)

النقود الفاطمية ٢٩٧ – ٥٦٧هـ / ٩٠٩ – ١١٧١م

ظهرت الدولة الفاطمية أولاً في المهدية بتونس بعد أن تمكن عبيد الله بن المهدي أول خلفائهم من القضاء على حكم دولة الأغالبة في شمال أفريقيا سنة ٢٩٧ هجرية ثم استطاع أن يوسع نفوذه على بلاد المغرب باجمعه ثم توجهوا نحو مصر لما كانت تمتاز به من ثروات ولضعف حكومتهم الأخشيديه، وقد تمكن رابع خلفائهم (المعز لدين الله) من فتح مصر على يد القائد جوهر الصقلي وذلك سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م، وقد سك الفاطميون دنانير من سنة ٣٤١ هجرية على أنها مضروبة بمصر ونصوصها كما يلي:

الطوق الخارجي: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

الوجه: الطوق الأوسط: وعلي أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين.

الطوق الداخلي: لا إله إلا الله محمد رسول الله

الطوق الخارجي: بسم الله ضرب هذا الدينر بمصر سنة أحدى وأربعين وثلثمائة

الظهر: الطوق الأوسط: دعا الأمام معد لتوحيد إلا له الصمد.

الطوق الداخلي: المعز لدين الله أمير المؤمنين.

لقد تعاقب على حكم الدولة الفاطمية أربع عشرة خليفة ما بين سنة (٢٩٧ – ٥٦٧هـ / ٩٠٩– ١١٧١م) وهم: (عبيد الله المهدي، القائم بأمر الله، إسماعيل بن منصور، المعز لدين الله، العزيز بالله، الحاكم بأمر الله، الظاهر بالله، المستنصر بالله، المستعلي بالله، الأمر بالله، الحافظ بالله، الظاهر بالله، الفائز بالله، المعاضد بأمر بالله)

وقد سك جوهر الصقلي الدنانير الذهبية باسم الخليفة المعز لـدين الله في مـصر ومنها الدينار المضروب سنة ٣٥٨هـ وهي سنة دخول الفاطميون إلى مصر ونـصوصه مشابهه للدينار السابق عدا سنة السك وهي سنه ثمان وخمسين وثلثمائة.

النقود في الأندلس وافريقية

تشمل لفظه الأندلس جميع المناطق التي حكمها العرب في اسبانيا وقـد أرسـل الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦ هـ) القائد موسى بن نصير إلى قيادة الجيوش في افريقية، وقد تمكن من طرد البيزنطيين من افريقية، ونجح في نشر الإسلام هناك.

وقد وجه موسى بن نصير عامل الأمويين على افريقية مولى له يدعى طريف في حمله عسكرية سيطرت على جزيرة سميت باسمه فيما بعد، ثم أكمل القائد طارق بن زياد والقائد موسى بن نصير من العبور إلى إسبانيا سنة ٩٣ هجرية، وفتحت كل مـن قرطبة وطليطة وأشبيلية، وتولى الأندلس (الحـر بـن عبـد الـرحمن الثقفـي) سـنة ٩٧ هجرية، وحملت النقود لأول مرة اسم (الأندلس) في سـنة ٩٨ هجريـة، وقـد عربـت النقود في الأندلس، ففي قرطبة كانت سنة ١٠٢ هـ للدنانير الذهبية، والدراهم عربت سنة ١٠٤ هجرية، والفلوس النحاسية عربت سنة ١٠٨ هجرية.

وقد توالى عدد من الولاة على الأندلس للفترة ما بين ٩٢ – ١٣٨ هجريـة ثـم تلتها فترة الأمارة (١٣٨ – ٣٠٠هـ)، بعدها أصبحت الأندلس مركـزاً للخلافـة الـتي أعلنها عبد الـرحمن الناصـر (٣٠٠ – ٣٥٠ هجريـة) ثـم قامـت دول الطوائـف بعـد سقوط الخلافة الأموية هناك سنة ٣٥٠ – ٤٨٨ هـ، ثم جاء حكـم المـرابطين ٤٨٨ – ٥٤٠هـ، ثم دولة الموحدين ٥٢٤ – ٦٢٤ هجرية، ثم دولة غرناطة الـتي أسـسها بنـو الأحمر ٦٢٤ – ٨٩٨ هجرية، وبسقوط غرناطة سـنة ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م زال الحكـم العربي في الأندلس. ومن نصوص النقود العربية المضروبة بالأندلس:

بسم الله

الوجه الرحمن

الرحيم

الطوق: ضرب هذا الدينر بالأندلس سنة اثنيتن وميه

لا اله ا

الظهر: لا الله

وحده

الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق.

وكانت نصوص الدنانير المضروبة بافريقية كما يلي:

الله احد الله

مركز الوجه: الصمد لم يلد

ولم يولد

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدينر بافريقية سنة أربع عشرة ومية

لا اله إلا

مركز الظهر: الله وحده

لا شريك له

الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

أما نصوص الدراهم المضروبة بأفريقية فكانت كما يلي:

لا اله إلا

مركز الوجه: الله وحده

لا شريك له

الطوق: بسم الله ضرب هذا الدرهم بافريقية سنة ستين ومئه

الله أحد الله

مركز الظهر: الصمد لم يلد

ولم يولد ولم يكن

له كفوا احد

الطوق: محمد رسول لله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

النقود المغولية

أصل المغول هم قبائل متنقلة سكنت هضبة منغوليا التي تمتد من شمال التبت وجنوبي سيبريا وغربي منشوريا وشرقي تركستان، وقد كانت تلك القبائل تجوب الهضبة معتمدة في معيشتها على الغزو والنهب والصيد، واعتبر جنكيزخان من أوائل ملوكهم والذي سعي لتوحيد هذه القبائل المتنافرة فيما بينها، وكون منهم مملكة واسعة الأطراف وبعد وفاة جنكيزخان سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م اقتسم أولاده المملكة الواسعة ولم يحصل أولاد جنكيزخان على مكانة أبيهم.

بل طغت سمعه حفيده هولاكو وأصبح اسمه رمزاً للرعب والطغيان وعرفت دولته بالدولة الايلخانية (مغول الفرس) وتوسعت دولته بعد أن ضم إليها بلاد فارس (بقايا مملكة خوارزم شاه) وفي سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م دخل هولاكو بغداد، وبدخولهم دب الضعف والمصائب والدمار للبلاد.

لقد تعاقب على حكم الدولة الايلخانية سبعة عشر حاكماً للسنوات ما بين ٦٥٤ – ٧٤٥هـ/ ١٢٥٦ – ١٣٤٢م وهم (هولاكو، اباقا بن هولاكو، أحمد تكودار، ارغون بن اباقا، كيخاتوخان، بايدو، غازان محمود، اولجايتو محمد، أبو سعيد بها درخان ، ارباخان، موسى خان، محمد خان، طغا تيمور، جهان تيمور، ساتي بك خاتون، سليمان خان، ونوشروان).

وقد سك السلاطين المغوليين النقود من الدنانير الذهبية، والنقود الفضية – الدراهم والفلوس النحاسية (الفلوس).

ويمكن تقسيم الدراهم الفضية المغولية إلى ثلاثة أنواع:

أ. الدراهم المنقوشة نصوصها داخل دائرة.
ب. الدراهم المنقوشة نصوصها داخل مثلث.
ج. الدراهم المنقوشة نصوصها بصورة اعتيادية.

أما الفلوس النحاسية المغولية فتنقسم إلى أربعة أنواع:

أ. الفلوس المنقوشة بصور آدمية بوضع جانبي.
ب. الفلوس المنقوشة بصور حيوانية.

ج. الفلوس المنقوشة بزخارف هندسية.

د. الفلوس التي تحمل نصوص اعتيادية (بدون صور أو زخارف)

وقد سك المغول نقودهم في العديد من المدن العربية والإسلامية مثل (بغداد، الموصل، سنجار، اربل، همدان، تبريز)

ومن نصوص نقودهم دينار ضرب ببغداد سنة ٦٥٦هـ وكما يلي:

مركز الوجه: لا إله إلا الله
محمد رسول الله
صلى الله عليه
وسلم

الطوق: اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء

مركز الظهر: قاآن الأعظم
موناكو قاآن
هولاكو
خان

الطوق: ضرب هذا الدينار ببغداد في سنة ست وخمسين وست ماية. ونلاحظ في نصوص هذا الدينار الايلخاني الأول والمضروب سنة ٦٥٦ هـ ما يلي:

١. لأول مرة تحمل النقود اسم بغداد بدلاً من مدينة السلام.
٢. استخدام نصوص قرآنية جديدة لم تستخدم من قبل.
٣. استخدام طوق واحد للوجه وواحد للظهر.

النقود الجلائرية ٧٣٦ – ٨١٣ هجرية.

الدولة الجلائرية سميت بهذا الاسم نسبة إلى قبيلتهم الجلاير وهي قسم من أقسام الدولة الايلخانية.

وقد استولى حسن الجلائري على بغداد سنة ٧٣٦ هـ وقضى على حكم دولة المغول في العراق وأسس الدولة الجلائرية وقد تعاقب على حكم الدولة الجلائرية أربعة سلاطين وهم :

١. الشيخ حسن الكبير ٧٣٦ – ٧٥٧ هجرية.
٢. السلطان أويس بها درخان ٧٥٧ – ٧٧٦ هجرية.
٣. السلطان حسين بن أويس ٧٧٦ – ٧٨٤ هجرية.
٤. السلطان أحمد بن اويس ٧٨٤ – ٨١٣ هجرية.

ومن نصوص نقودهم:

مركز الوجه:

لا أله إلا
الله وحده
لا شريك له

الطوق: سنة...... خمس.......... وسبعمائة.

مركز الظهر:

سنة
لا أله إلا
الله وحده
لا شريك له
ضرب
بغداد

(على الجانبين: سبعمائة – خمس)

الطوق: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

وكانت نقود اويس بهادرخان داخل مربع، وحملت (السلطان الأعظم ضرب في شيخ اويس بهادر بغداد خان خلد ملكه)

وعلى الظهر: (لا أله إلا الله محمد رسول الله)، وعلى الطوق: أبو بكر عمر عثمان علي.

النقود العثمانية

لقد تعاقب على حكم الدولة العثمانية واحد وأربعون سلطاناً ما بين ٦٨٠ – ١٣٤٢هـ/ ١٢٨١ – ١٨٢٤م وقد احتل العثمانيون العراق سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م في عهد السلطان سليمان الأول الملقب بالقانوني.

تضم المتاحف اليوم الكثير من النقود العثمانية، وخاصة العثمانية بحملها نقش الطغراء، والطغراء نصوص كتابية تضم اسم السلطان واسم أبيه ولقبه والدعاء له بطريقة فنية، حيث تبدو الطغراء بشكل فني مزخرف.

وقد سك العثمانيون نقودهم من الدنانير الذهبية والدراهم الفضية والفلوس النحاسية في العديد من المدن منها (اسلاميول، القسطنطينية، بغداد، الموصل، البصرة، والحلة) ومن نقودهم دينار ذهبي مضروب بالقسطنطينية سنة ١١٨٧ هجرية ومحفوظ اليوم بالمتحف العراقي تحت رقم ٣٦١٤ مس

الوجه: شكل الطغراء
ضرب في
قسطنطينية
١١٨٧

الظهر: سلطان البرين
وخاقان البحرين
السلطان أبن
السلطان

المراجع

الأستاذ الدكتور ناهض عبد الرازق دفتر القيسي.

١. المسكوكات ١٩٨٢ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراق.

٢. المسكوكات وكتابة التاريخ، وزارة الثقافة والإعلام بغداد ١٩٨٨.

٣. المسكوكات وقراءة التاريخ (مشاركة) عمان ١٩٩٤م

٤. موسوعة النقود العربية/ عمان ٢٠٠١م.

٥. النقود في العراق – بغداد بيت الحكمة ٢٠٠٢ م

٦. الدينار العربي الإسلامي – عمان ٢٠٠٤ م دار المناهج

٧. الدرهم العربي الإسلامي – عمان ٢٠٠٤م دار المناهج.

٨. الفلس العربي الإسلامي – عمان ٢٠٠٥ م دار المناهج

٩. النقود في كردستان سليمانية ٢٠٠٥م.

الفصل التاسع
الخط العربي

تمهيد

الخط والكتابة كان لظهورهما شأن كبير في حياة الإنسان فيمكن القول أن الكتابة قد وضعت الحد الفاصل بين عصور طويلة وسحيقة عاشها الإنسان قبل معرفته للكتابة، وقد سميت تلك العصور بعصور ما قبل التاريخ، إذن الخط والكتابة هي بداية التاريخ، تعتمد الدراسات على حل رموز الكتابات المسمارية خلال العصور السومرية والأكدية والبابلية والأشورية، وقد قامت بعض الحضارات بعد الأشوريين مثل مملكة الحضر منذ القرن الثاني قبل الميلاد، حيث كتبوا بالخط الآرامي حيث تميز الخط الآرامي بمميزات خاصة، وبعد زوال الحضر قامت ممالك أخرى مثل الأنباط، وعن الخط النبطي انحدر الخط العربي حيث في النصوص الأخيرة من الخط النبطي ظهرت حروف وكلمات عربية، واليوم نجد أن الخط العربي بحروفه التسع والعشرون نستطيع الكتابة فيها ما نريد.

أصل وتطور الخط قبل الإسلام

إن الكتابة المسمارية وخاصة السومرية كانت هي أولى الخطوط التي ظهرت التي ظهرت وقد مرت الكتابة السومرية بثلاثة أطوار وهي (الصوري، والرمزي، والصوتي) وفيه استخدمت العلاقة من خلال صوتها، وقد ظهرت الكتابة أول الأمر لتسجيل واردات المعبد وازدهار الاقتصاد، وقد بلغت عدد العلامات المسمارية على ألفي علامة ثم اختزلت وأصبحت ثمانمائة علامة ثم اختزلت أكثر وأكثر، وقد كتب السومريون على الطين (الرقم الطينية) وتضمنت تلك الكتابة نصوص اقتصادية وإدارية وسجلت أعمال الملوك، وقد انتشر الخط السومري خارج حدود بلاد الرافدين، وأصبح الخط السومري بين ملوك العراق ومصر وسوريا.

الكتابة الأكدية

لقد حوت الكتابة الاكدية الكثير من الكلمات المستعارة من السومرية والتي يصل عددها إلى حوالي ٢٥٠ كلمة ومن مميزات الخط الأكدي سقوط الحروف الحلقية مثل (ح، ع، غ).

الكتابة الآرامية

الآرامية اسم يطلق على قبائل كبيرة كان أول ذكر لهم في القرن الرابع عشر قبل الميلاد في رسائل تل العمارنة في مصر، ومن جنوب بلاد الشام قامت أربع إمارات آرامية امتدت من سهل البقاع حتى جنوب حوران وأخذت اللغة الآرامية تنافس الأكدية منذ القرن السابع قبل الميلاد، عندما اختارها الملوك لغة سهلة ومفهومة بين جميع الشعوب التي خضعت لهم، بقيت الآرامية بين سكان الشرق الأدنى حتى الفتح العربي الإسلامي، وقد تكلم الآرامية بعض الأقوام أمثال التدمريون والحضريون والأنباط، وتعود أقدم الكتابات الآرامية إلى القرن الأول قبل الميلاد، وامتدت حتى القرن الثالث الميلادي، وقد كتب التدمريون بالآرامية التي غلب على قلمها التربيع، علماً بأن اغلب الأسماء التدمرية كانت عربية، كذلك كانت كتابات دولة الحضر في شمال العراق – قرب الموصل- بالآرامية.

الخط النبطي

بعد زوال الخط الآرامي ظهر الخط النبطي في دولة الأنباط (البتراء بالأردن وبصرى في بلاد الشام ومدائن صالح في المملكة العربية السعودية) اعتبر الأنباط أجداد العرب وقد ترك لنا الأنباط الكثير من الشواهد منها النقوش التذكارية، والنقود، وقد اهتم الكثير من الباحثين والمستشرقين في دراسة الخط النبطي منهم (الرحالة السويسري يوهان لودفيج بروكهادت منذ سنة ١٨١٢م. المستشرق الفنلندي جورج اغطس ولين ١٨٤٥م، الرحالة الهولندي سنوك هرغويه ١٨٨٥ – ١٨٨٦م، الانكليزي تشارلز دوني سنة ١٨٨٨م، والباحثان هوبر واويتنج للسنوات ١٨٧٦ – ١٨٨٤م، العالم التشيكو

فاكي الويس موسيل، والانكليزي برترام توماس ١٩٢٩م، وهنري سان جون فلبي (عبد الله فلبي) ١٩٥١ – ١٩٥٢م، البعثة الأمريكية ١٩٦٢، روت شيل ١٩٦٦م والمستشرق الفرنسي دوسو في كتابة (العرب في سوريا قبل الإسلام) هؤلاء جميعهم درسوا الخط النبطي، وقسم المختصون الخط النبطي إلى عدة أنواع وهي:

١. نقوش تذكارية قصيرة.
٢. نقوش دفن: وهي نوعين الأول حمل اسم المتوفى، والثاني في حمل اسم قبر.
٣. نقوش معمارية: يذكر فيها اسم المبنى والباني والتاريخ.
٤. نقوش وقفية: يذكر منها اسم الواقف والشيء الموقف.
٥. نقوش تكريمية: وهي نادرة عند الأنباط.
٦. نقوش نبطية: مثل توقيعات البنائين، واسم الصانع.
٧. النقود النبطية والتي يمكن اعتبارها من المواد الأولى التي حملت الخط النبطي. وقد حملت النقود أسماء الملوك والملكات إضافة إلى نصوص أخرى ومن النقوش النبطية المتأخرة حيث ظهرت فيها بعض الحروف والكلمات العربية

أ. نقش وادي المكتب في شبه جزيرة طورسينا مؤرخ سنة ٢١٠ ميلادية.
ب. نقش وادي فران في وادي طور سينا مؤرخ من سنة ٢٣٠ ميلادية.
ج. نقش طور سينا مؤرخ من سنة ٢٥٣ ميلادية.
د. نقش مدائن صالح مؤرخ ٢٦٧ ميلادية ويتكون من تسعة اسطر ضمت بعض الكلمات العربية.
ه. نقش أم الجمال مؤرخ ٢٧٠ ميلادية.
و. نقش النمارة.مؤرخ سنة ٣٢٨ ميلادية وهو شاهد قبر للملك امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب، ظهر فيه حروف وكلمات عربيه. ثم يحدث انقطاع خلال القرن الخامس الميلادي، غير أن الأساتذة السعوديين المختصين في هذا المجال وجدوا بعض الشواهد تكمل هذا الانقطاع وهم في قيد دراسة تلك

الشواهد ونشرها لكن خلال القرن السادس الميلادي هناك نقوش عربية خالصة مثل:

١. نقش زيد (٥١٢ ميلادية) عثر على هذا النقش في موقع بين قنسرين ونهر الفرات جنوب حلب ونقش هذا النقش على لوح حجري كتب بثلاثة لغات هي (اليونانية والسريانية والعربية) ومحفوظ اليوم بمتحف بروكسل في بلجيكا، بمتحف الفن والنقش مؤرخ حسب تاريخ بصري وعند إضافة ١٠٥ سنة يظهر التاريخ الميلادي.
٢. نقش اسيس (٥٢٨ ميلادية) سمي بهذا الاسم نسبة إلى جبل اسيس جنوب شرق دمشق، وقد عثرت عليه البعثة الألمانية سنة ١٩٦٥ ويتكون النقش من أربعة اسطر ومؤرخ سنة ٤٢٣ حسب تاريخ بصري وعند إضافة ١٠٥ سنة إليه يصبح (٥٢٨ بالميلادي)
٣. نقش حران (٥٦٨ ميلادية) عثر علي هذا النقش في بقايا كنيسة في جنوب حران ونقش النص بلغتين هما (اليونانية والعربية) ومؤرخ سنة (٤٦٣) وعند إضافة ١٠٥ سنة يصبح بالميلادي (٥٦٨ ميلادية)
٤. نقش أم الجمال الثاني (من القرن السادس الميلادي) وعثر على هذا النقش في موقع أحدى الكنائس وتسمى الكنيسة المزدوجة في بلاد الشام، والنقش غير مؤرخ وعند مقارنة حروفه مع حروف النصوص السابقة من القرن السادس الميلادي ويتكون النص من خمسة اسطر.

ولقد عرف الخط العربي قبل ظهور الإسلام من خلال النصوص التي مر ذكرها إضافة إلى المعلقات الشعرية، الكتب الدينية، والعقود والمواثيق، الصكوك، والرسائل المتبادلة بين الأشخاص.

الخط العربي في الإسلام.

للإسلام فضل كبير في المحافظة على الخط وتطويره، والخط هو الوسيلة للتفاهم، ويدل على الكلام بواسطة القلم دون اللسان وللخط معان كثيرة، ولفظه الخط هو الكتابة بالقلم، خط الشيء بخطه كتبه بقلم، وفي ذلك ذكر الشاعر امرؤ القيس:

لمن طال أبصرته فشجاني كخط الزبور في عسيب يماني

أما الزمخشري فقد عرف الخط بقوله:

خط الكتاب بخطه وكتاب مخطوط، والخطة من الخطّ.

وقد عرف البستاني الخط: خط بالقلم وغيره يخط خطاً كتب أي صوّر اللفظ بحروف هجائية، وخط على الشيء رسم عليه علامة وخطره.

وقال اقليدس: الخط هندسة، روحانية وأن ظهرت بآلة جسمانية. وعرفه الأستاذ محمد طاهر الكردي، الخط ملكة تنضبط بها حركة الأنامل بالقلم على قواعد مخصوصة.

وذكر القلقشندي عن الخط: أن وزن الخط مثل وزن القراءة فأجود الخط أبينه، كما أن أجود القراءة أبينها.

الخط العربي في صدر الإسلام

ورد في القرآن الكريم في العديد من نصوصه المقدسة ذكر الخط والقلم والحث على الكتابة ومنها:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ (سورة العلق آية ١-٥)

ومن سورة (القلم آية ١) قوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾

وقولـــــه تعـــالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾(من سورة البقرة آية ٢٨٢) وتـضمن القـرآن الكـريم الكـثير مـن الآيـات الأخرى حول الكتابة منها: (اذهب بكتابي هذا فالقه إليهم ثم تول عنهم فـانظر مـاذا يرجعون، قالت يا أيها الملأ أني القي إلى كتاب كريم أنه مـن سـليمان وأنـه بـسم الله الـرحمن الـرحيم)صـدق الله العظـيم وقولـه تعـالى: ﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ ﴾.(الأعراف ١٤٥)

وقولـــه تعـــالى: ﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ (الأنبياء ١٠٥) إضافة لنصوص القـرآن الكـريم، فقـد كـان رسول الله محمد (ﷺ) مجوداً للخط العربي وحاثاً على تعلمه، ومن أحاديثه القدسـية الشريفة قوله: (قيدوا العلم بالكتاب) وقوله (ﷺ) «ما حق امرئ لـه مـا يوصـى فيـه يبيت ثلاثة إلا وصيته عنده مكتوبة»، ونـصح رجـلاً بقولـه (ﷺ) (اسـتعن بيمينـك) وقوله (ﷺ): «حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية».

وفي تجويد الخط كان للنبي الكريم خبرة كبيرة منها قوله: (إذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فلا يمدها قبل السين يعني حرف البـاء، وقولـه (ﷺ) : (إذا كتبـت بسم الله الرحمن الرحيم فبين السين فيه) والمقصود بها شكل السين بأسنانه، كما شجع الرسول(ﷺ) النساء على تعلم القراءة والكتابة، وللإمام علي بن أبـي طالـب (رضي الله عنه) رابع الخلفاء الراشدين، (رضوان الله عنهم) باع طويل في الخط العربـي وكتـب بيـده الكريمة عدة نسخ من القرآن الكريم، ومن أقواله في الخط (الخط الحـسن يزيـد الحـق وضوحاً) وفي صدر الإسلام كان عدداً من الصحابة وهم من كتـاب الـوحي ومـنهم (أبو بكر، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبـي طالـب، زيـد بـن ثابـت، معاوية بن أبي سفيان، عبد الله بن الأرقم، عبد الله بن سعد، الزبير بن العـوام، العـلا بن الحضرمي، شرحبيل بن حسنة، عمرو بن العاص، حنظلـه بـن الربيـع، خالـد بـن حيان، أبي عامر بن أبي فهرة ، معقب بن أبي فاطمة، وأبيّ بـن كعـب) (رضـوان الله عنهم جميعاً)

وكان عدداً من اسرى جيش قريش من الـذين وقعـوا أسـرى في معركـة بـدر، طلب منهم الرسول (ﷺ) أن يعلم كـل مـنهم عـشرة مـن صـبيان المـسلمين القـراءة والكتابة لقاء إطلاق سراحه من الأسـر. كمـا طلـب الرسـول (ﷺ) مـن عبـادة بـن الصامت أن يعلم الناس الكتابة، كذلك طلب من عبد الله بن سعيد بن العاص.

وتكريماً للقلم وهو أداة الكتابة فقد ذكر الرسول محمد (ﷺ) عنه (أول ما خلق الله من شيء القلم.

وذكر أن الرسول الكريم محمد (ﷺ) قد بعث الرسائل إلى ملوك وأمراء الـدول المجاورة للجزيرة العربية يدعوهم فيها للإسلام وهـم: (هرقـل ملـك الـروم، كـسرى ابرويز ملك فارس، النجاشي ملك الحبشة، المقوقس حاكم الإسكندرية، والمنـذر بـن ساوي ملك البحرين، وجيفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان، وثمامه بن اثال وهوذه بن علي الحنفيين ملكي اليمامـة، والحـارث بـن عبـد كـلال الحمـيري ملـك الـيمن، والحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام)

وقد وصلتنا منها خمسة رسائل (الخمسة الأوائل بهذه القائمة).

وقد شك المختصون بالخط العربي بهذه الرسائل للأسباب التالية:

١. كثرة الأخطاء الإملائية في بعض تلك الرسائل.
٢. استخدام بعض الحروف غير المألوفة.
٣. عدم تناسب الأسطر والمسافات بين الكلمات.
٤. بعض الحروف ناقصة لبعض الحروف.
٥. خلو الرسالة الموجهة إلى النجاشي من البسملة وختم الرسول (ﷺ).
٦. إعادة تحبير بعض الكلمات بعد التشقق والتلف الذي أصابها.
٧. حفظ تلك الرسائل عند أعداء الإسلام علماً بـأنهم لم يـستجيبوا للـدعوة في أول الأمر.

الخط العربي في الكوفة ٣٥ – ٤٠ هجرية

بعد اتخاذ الكوفة عاصمة للدولة العربية الإسلامية في عهد الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) ٣٥ – ٤٠ هجرية، استقطبت الكوفة العلماء والأدباء والفقهاء وكذلك الخطاطون حيث جود الخط في الكوفة، وقد كان الخط يعرف بأسماء المدن ففي مكة عرف بالخط المكي، وفي المدينة عرف بالخط المدني، وفي البصرة الخط البصري وفي الكوفة بالكوفي، وفي الكوفة اشتهر خطها، بحيث غطى على بقية المدن وعرف الخط العربي بالخط الكوفي، وتميز الخط الكوفي حينذاك بالكوفي البسيط أو اليابس وقد تميز بوجود الزوايا القائمة وسمك وقصر الحرف وهو خالي من أي ضرب من ضروب الزخرفة.

الخط العربي في الدولة الأموية ٤١ – ١٣٢هـ / ٦٦١ – ٧٥٠م

نقل معاوية بن أبي سفيان مقر الخلافة من الكوفة إلى دمشق حيث اتسعت رقعة الدولة الأموية من شمال اسبانيا غرباً إلى حدود الصين شرقاً، وفي العصر الأموي استخدام الخط بكثرة وأصبح العمود الفقري للفنون المعمارية والفنون المنقولة مثل (النقود، الفسيفساء، الزجاج، النحاس، الخزف، المنسوجات، العاج، الأخشاب وغيرها) وأصبح الخط من أهم العناصر الزخرفية، وخاصة بعد ابتعاد الفنانون عن الرسوم الآدمية والحيوانية والتي كانت سائدة في الفنون السابقة على الإسلام (البيزنطي والساساني) وكانت المواد التي حملت الكتابة في العصر الأموي هي (النقود، لفائف البردي، الرقوق والجلود، والنصوص التذكارية والحجرية من شواهد القبور، نصوص قبة الصخرة، أميال الطريق وغيرها، كما ظهرت المنسوجات كمادة للكتابة في العصر الأموي ومنها عمامة سمويل بن موسى. وفي العصر الأموي ظهر خطاطون جودوا الخط العربي ومنهم:

١. خالد بن أبي الهياج. وقد كتب المصاحف بخط جميل، وقد كتب في المسجد النبوي الشريف في جدار القبلة (الشمس وضحاها إلى أخر القرآن الكريم بالذهب.

٢. شعيب بن حمزة الكاتب المتوفى سنة ١٦٢هجرية وكان من خطاطي الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥هـ)
٣. مالك بن دينار المتوفى سنة ١٣٠هجرية وكان يكتب المصاحف بالأجرة.
٤. قطبة المحرر المتوفى سنة ١٥٤ هـ وقد قيل عنه (اكتب الناس على الأرض في العربية) وكان يكتب المصاحف للخليفة الوليد بن عبد الملك وكذلك كتب أخبار العرب وأشعارهم.

مواد الكتابة في العصر الأموي

١- **النقود:** حملت النقود الكلمات والعبارات العربية منذ عصر الراشدين وقد زادت في العصر الأموي قبل التعريب وبعد التعريب.

٢- **لفائف البردي:** عرفت بعد فتح مصر سنة ٢٠ هجرية وقد شجع الخلفاء الأمويين على استخدام البردي وذلك لرخص ثمنه في عهد عبد الملك بن مروان وأبنه الوليد وكذلك في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز.

٣- **الرقوق والجلود.** الرقوق هو جدار المعدة للحيوان وأجودها رق الغزال بسبب بياضه وليونته حيث كتبت عليه المصاحف.

٤- **كتابات الأحجار.** شواهد القبور، أميال الطريق والنقوش التذكارية ومنها :
أ. نقش سد الطائف في سنة ٥٨ هجرية.
ب. نقش العزاق من كربلاء بالعراق سنة ٦٤ هجرية.
ج. شاهد قبر عباسة أبنت حديج سنه ٧١ هجرية.
د. نصوص قبة الصخرة سنة ٧٢ هجرية.
ه. أميال الطريق من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ٦٥ – ٨٦ هـ.
و. نقش قصر البرقع في الأردن سنة ٨١ هجرية.
ز. نقش قصر الحرانة بالأردن سنة ٩٢ هجرية.
ح. نقش تاج عمود قصر الموقر بالأردن ١١٥ هجرية.

ط. كتابات قصر هشام/ خربة المفجر ١٠٥ – ١٢٥ هجرية

٥- **المنسوجات.** ومن مواد الكتابة التي ظهر لأول مره في العصر الأموي. واعتبرت عمامة سمويل بن موسى سنة ٨٨ هـ، من أهم النماذج في ذلك.

وقد صنف الخطاطون الخط في العصر الأموي إلى عدة أنواع منها:

أ. الطومار: ويمتاز بضخامة حروفه.

ب. الجليل: وسمى بـ (أبو الأقلام) ويتميز بطول حروفه وهو صعب الأداء.

ج. قلم السجلات: واستخدام هذا النوع من الخط في العمليات التجارية من بيع وشراء وعقود.

وقد استخدم في العصر الأموي الخطين الكوفي اليابس واللين النسخي.

وقد فرضت المادة التي يكتب عليها نوع الخط، فالخط الكوفي اليابس ذو الزوايا القائمة كان يفضل الكتابة به على الأخشاب والمعادن والأحجار بواسطة الازميل والمطرقة، أما الخط اللين فكان يكتب به على البردي بواسطة القصبه والمداد لذلك كان الخط ارشق وحروفه ممتدة.

الشكل والإعجام في الخط العربي.

الشكل: يعني الحركات لضبط الكلمة وتلفظها بالصورة الصحيحة.

الإعجام : هو التنقيط لتميز الحروف المتشابه لم يكن الخط العربي في صدر الإسلام مشكولاً (عليه حركات) ولا منقوطاً، وكان العربي يقرأ النص على السليقة، ولكن المشكلة بدأت عندما توسعت الدولة العربية الإسلامية وفتحت أقطار عديدة ودخل الكثير من الأعاجم (أي عنصر غير عربي) إلى الإسلام ومن هنا بدأ اللحن في القراءة وخاصة قراءة القرآن الكريم وهنا تصدى مصلحون لغويون لإصلاح الأمر ومنهم:

أ. أبو الأسود الدوؤلي من البصرة بالعراق وضع الندب على الحروف لإغراض الحركات باللون الأحمر أو الأخضر، وبذلك كان هذا هو الإصلاح الأول في اللغة.

ب. الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو من البصرة أيضاً توفي الخليفة العباس هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣ هجرية) وكانت وفاته سنة ١٧٥ في خلافة هجرية حيث وضع الفراهيدي الحركات من الضمة والفتحة والكسرة والسكون وبقية الحركات التي لا زلنا إلى اليوم نستخدمها وبذلك هذا الإصلاحي الثاني.

أما الإعجام وهي التنقيط للحروف المتشابه، فقد ذكرت المصادر التاريخية أن (نصر بن عاصم الليثي المتوفى سنة ٩٠ هجرية) و (يحيى بن يعمر الو شقي المتوفى سنة ١٢٩هجرية) وهما من البصرة في العراق أيضاً، هما أول من وضع النقاط على الحروف وذلك لتميز الحروف المتشابه، في حين كشفت الأدلة الأثارية بأن بعض الوثائق ومنها البردية المؤرخة سنة ٢٢ للهجرة كانت بعض حروفها منقطة، ويبدو أن التنقيط (الرقش) كان معروفاً من زمن الرسول الكريم محمد (ﷺ).

الخط في العصر العباسي

بعد اتخاذ مدينة السلام (بغداد) عاصمة للدولة العربية الإسلامية أصبحت مدينة السلام قبلة للعلماء والأدباء والفنانين ومنهم مجودي الخط العربي ومنهم الضحاك بن عجلان، واسحق بن حماد، وإبراهيم الشجري وأخيه يوسف الشجري، حيث طور هؤلاء الخط العربي إلى مراحل متقدمة ثم جاء دور ثلاثة خطاطين جعلوا للخط العربي مدارس وطوروه وأوصلوه إلى قمة عالية وهم:

١- **الخطاط ابن مقلة (أبو علي محمد بن الحسين) (٢٧٢ – ٣٢٨هـ)** ولد وتوفي في مدينة السلام (بغداد) وجود وأحسن ووضع له قواعد في قياس أبعاده، وكان حسن خطه سبباً في وصوله لمنصب الوزراء لثلاثة خلفاء هم (المقتدر بالله) القاهر بالله ، الراضي بالله) وقيل فيه (ذاك نبي في الخط) أو (ذاك نبي فيه) أفرع الخط في يده كما أوحي إلى النحل في تسديس بيوته.

٢- **الخطاط ابن البواب:** عاش ومات في مدينة السلام (بغداد) في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري وفاته ٤١٣ هـ عمل أولاً في تزويق الكتب وأخيراً أمتهن الخط، وقد أذهل وحير من لحقه من الخطاطين، وقد لقب ابن البواب (قلم الله في أرضه) وله قصيده طويلة حول تعلم أساليب الخط وإسداء النصيحة لمن يرغب بالخط والإبداع فيه وتحضير الحبر واستعماله وقد بقيت القواعد التي وضعها ابن البواب ثابتة إلى يومنا هذا.

٣- **الخطاط ياقوت الرومي المعروف بالمستعصمي**، وهو الشيخ جمال الدين ياقوت المستعصمي البغدادي، وقد بلغت شهرته الأفاق وعرف بـ(قبلة الخطاطين) عاش في عهد الخليفة العباسي المستعصم بالله ٦٤٠ – ٦٥٦هـ/ ١٢٤٢ – ١٢٥٨م.

وقد جود الخط وأصبح من الأئمة المجودين في حسن الخط وقواعده، وقد ألف الكثير في قواعد الخط العربي، وتوفى ببغداد سنة ٦٩٨هجرية وكان رحمه الله خطاطاً و أديبا وشاعراً.

أنواع الخط الكوفي

قسم المختصون الخط الكوفي الأنواع التالية:

أ. **الخط الكوفي البسيط**، وقد شاع استخدام هذا النوع من الخط منذ صدر الإسلام واستمر استخدامه حتى منتصف القرن الثاني الهجري تقريباً، ولم ينقطع نهائياً بعد هذا التاريخ وقد تميز بخلوه من العناصر الزخرفية، ووجود الزوايا القائمة وسمك وقصر حروفه، وشاع استخدامه على النقود وشواهد القبور والنصوص التذكارية والأخشاب والمعادن وغيرها من المواد.

ب. **الخط الكوفي المورق:** تميز بوجود أغصان نباتية تخرج من هامات ونهايات الحروف وكانت بدايتها رأس سهم أو رأس رمح وسمي من البعض بالخط ذو الرؤوس المثلثة ثم بدأت الورقة بالانفتاح إلى فصين أو ثلاثة وملئت الأغصان الفراغ الموجود بين حرف وأخر، وذكر المختصون أن هذا النوع من

الخط شاع استخدامه بحدود النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وحتى نهاية القرن الثالث الهجري وشاع استخدام هذا النوع في شواهد القبور.

ج. **الخط الكوفي المزهر**: نتيجة للاهتمام الكبير للخط من قبل أولي الأمر من الخلفاء و الأمراء والخطاطون.إضافة إلى قابلية الحرف العربي على المطاوعة والتطور ظهر الخط الكوفي المزهر خلال القرن الرابع الهجري حيث ملئت الأغصان النباتية والمنتهية بأشكال أزهار مختلفة، وقد اختلفت المختصون في مكان وزمان ظهور الخط الكوفي المزهر، والذي تميز بجماله وروعته.

د. **الخط الكوفي المضفور**: ويعد هذا النوع من الخط الكوفي من الأنواع التي بولغ في تشكيلها فقد تضفر حروف الكلمة الواحدة على بعضها، كما تضفر كلمتان متجاورتان أو أكثر على بعضهما وقد اختلف المختصون في مكان وزمان ظهور الخط الكوفي المضفور أو المترابط.

هـ ـ **الخط الكوفي المربع أو (الهندسي)**

امتاز هذا النوع من الخط باستخدام كلمة أو عبارة تكتب ثم تدور حول المكان، ويعرف هذا النوع بالتربيع والتدوير والصفة الهندسية ظاهرة فيه، فحروفه شديدة الاستقامة قائم الزوايا، ويبدوا أساسه الزخرفة بالطابوق، وقد شاع استخدام هذا النوع من الخط في قاشاني المنائر خاصة

أنواع الخط ألنسخي

كما قسم المختصون في دراسة الخط العربي الخط الكوفي إلى أنواع كذلك قسموا الخط النسخي (اللين) إلى أنواع منها:

١ - **خط الثلث وأنواعه** (الثقيل والخفيف) وقد مر خط الثلث باثنا عشر نوعاً وهي (المحقق، الريحاني، التوقيع، الرقاع، الثلثين، المسلسل، الثلث العادي، الثلث الجلي، المحبوك، الثلث، المتأثر بالرسم، الثلث الهندسي، والثلث المتناظر) وسمي بالثلث لأنه يكتب بثمانية شعرات من مجموع ٢٤ شعرة، ومن يتمكن من خط الثلث يتمكن من جميع الخطوط.

٢- **خط الطومار:** والطومار يعني الصحيفة ويتميز بضخامة الحجم ووضوح المعالم دقيق النهايات ويكتب بأربعة وعشرين شعرة (من شعر حيوان البرذون – الفرس)

٣- **خط التعليق.** يتميز خط التعليق بجماله ودقة امتداد حروفه ويتميز بالوضوح وعدم التعقيد، ويستخدم في كتابة عناوين الصحف والمجلات والإعلانات التجارية.

٤- **خط الرقعة:** يكون واضحاً وجميلاً ويميل إلى البساطة وقد شاع استخدامه خلال العصر العثماني، وكتب به السلطان سليمان القانوني والسلطان عبد الحميد الأول.

٥- **الخط الديواني.** وينقسم إلى قسمين الديواني الجلي، والديواني الزورقي، وسمي بالديواني نسبة إلى ديوان الحكومة في الدولة العثمانية.

٦- **خط الطغراء.** وشاع استخدام هذا النوع في العصر العثماني وهو يتضمن اسم السلطان وألقابه والدعاء له وكان لكل سلطان عثماني طغراء خاصة به نقشها على باب قصره أو في بداية الفرمان الذي يصدره، وكانت الطغراء معروفة قبل العصر العثماني لكنها تطورت في هذا العصر.

٧- **خط الإجازة:** وكان يكتب بهذا النوع من الخطوط على الشهادة أو الإجازة التي تمنح للمتفوق بالخط عند بلوغه الذروة في جودة الخط، وسمي هذا الخط بخط التواقيع لأن الخلفاء كانوا يوقعون به.

٨- **الخط ألغباري:** وهو من اسمه بتميز الكتابة الناعمة جداً حتى وصل الأمر على الكتابة على حبة الرز أو البيضة بعض النصوص القرآنية، كما كتب المصحف وحفظ في صناديق صغيرة تعلق بالرقبة وقد شاع هذا النوع في العصر العثماني.

٩- **خط المثني:** وهذا النوع من الخط يكتب بالحالة المنعكسة أي تقرأ طرداً وعكساً وهذا النوع من الخط يكشف مهارة الخطاط العثماني إذ هو يكتب العبارة الواحدة مرتين، بحيث يمكن قرأتها من اليمين ومن اليسار.

المراجع

القرآن الكريم

١- الدكتور عبد العزيز حميد صالح، الدكتور ناهض عبد الرزاق دفتر، والدكتور صلاح العبيدي الخط العربي – بغداد وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ١٩٩٠م.

٢- الدكتور فاضل عبد الواحد علي: الخط المسماري واللغة الأكدية ١٩٧٩ بغداد.

٣- الدكتور جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٩٥١ – ١٩٥٧.

٤- سهيلة الجبوري: أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي بغداد ١٩٧٧.

٥- إبراهيم ضمرة: الخط العربي: حذوره وتطوره الأردن الزرقاء ١٩٨٥.

٦- الدكتور صفوان خلف التل: تطور الحروف العربية على أثار القرن الهجري الأول الإسلامي. عمان ١٩٨١.

٧- محمد أبو الفرج العش: نشأة الخط العربي وتطوره الحوليات ١٩٧٣.

٨- حمزة حمود حمزة: التوريق والتزهير في الخط الكوفي. رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد ١٩٨١.

الفصل العاشر

السجـــاد

Carpets

تمهيد

عرف الإنسان وضع فراش تحت أقدامه بسبب البرودة منذ أقدم الأزمنة، وخاصة الرعاة المتنقلون بحثاً عن الكلأ حيث وضع هؤلاء الرعاة جلود حيواناتهم تحتهم خاصة في فصل الشتاء البارد، وذلك لتوفير الدفء لهم. وهذا يعني ذبح الكثير من ماشيتهم وأغنامهم لتوفير الجلود المطلوبة، عندها فكروا بالاستفادة من الأصواف والوبر والشعر من على حيواناتهم دون التضحية بها، وعندها عرفوا كيف يحلقون حيواناتهم كلما طالت أصوافها أو وبرها أو شعرها، وتعلموا كذلك كيف يخلصون تلك الأصواف مما يعلق بها لتصبح صالحة للاستعمال، فيغسل بالماء ويضرب بين حجرين لإزالة المواد الذهنية، ويجفف بالشمس والهواء، ويمشط ويغزل باليد أو بالعجلة ليتحول إلى خيوط للاستفادة منها.

تعلم الإنسان صياغة السجاد بالنول اليدوي – والذي لا زال يستعمل حتى يومنا هذا لعمل السجادة اليدوية – ويتكون النول من عارضتين من الخشب متوازيتان ومثبتتان بين قطعتين من الخشب، وتمتد بين هاتين العارضتين مجموعة من الخيوط المثبتة تعرف بخيوط السدى (Weet) وتحت العارضة العليا توجد أسطوانة من الخشب تربط بها الأطراف العلوية لهذه الخيوط، وتحت العارضة السفلى أسطوانة أخرى من الخشب كذلك تلف حولها الأطراف السفلية لتلك الخيوط.

ويحدد طول كل من العارضتين عرض السجادة، أما طولها فأمره متروك لرغبة النساج، فيستطيع التحكم في أن يزيد الطول حسب المطلوب.

إن أقدم سجادة معروفة اليوم تعود إلى ما يقرب من ٥٠٠ قبل الميلاد في منطقة جبال الطاي (أو التاي) احدى جمهوريات الإتحاد السوفيتي السابق، ونموذج أخر اكتشف جنوب سيبريا وغرب الصين.

ويبدو أن قدماء العراقيين من البابليين والأشوريين قد عرفوا صناعة السجاجيد، وقد استخدموها ملوكهم في قصورهم الكبيرة وخاصة الأشوريين حيث أن أماكنهم وإقامتهم كانوا في شمال العراق حيث تتميز المنطقة بالبرودة، وقد أشارت بعض النصوص المسمارية إلى ذلك – (الدكتور وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية ص٣٢٠) وقد عثر على نموذج منحوت من الرخام الموصلي في أحد بوابات مدينة خرسباد، أحدى عواصم الدولة الأشورية – ومحفوظة اليوم في متحف اللوفر بباريس، شكل شجادة أشورية محفورة على الرخام بكافة عناصر السجادة من الرسوم أشكال هندسية ولها حاشية مشابه لحاشية السجادة، وقد أشار المؤرخ بليني بجودة السجاجيد البابلية سواء في حسن حبكها أو في جودة الوانها.

وقد كشفت تنقيبات البعثة اليابانية في كهوف الطار قرب كربلاء بالعراق على كمية كبيرة من المنسوجات يصل عددها إلى ١٥٠٠ قطعة بينها أجزاء من بسط سميكة وسجاجيد يغلب عليها ألونين الأحمر والأصفر، وحملت زخارف بعضها وجوه أدامية وبعد فحص تلك القطع بالأساليب الحديثة للفحص، وجد أنها تعود ما بين القرنين الثاني والأول قبل الميلاد)

ويعتقد بأن شهرة بابل في إنتاج أجود أنواع السجاد، وخلال الغزو الأخميني لبابل نقلوا عدداً من مهرة الصناع للسجاد إلى سوسة ليعملوا في إنتاج السجاد أيام دار يوس الأول ٥٢١ – ٤٨٦ قبل الميلاد، وكذلك في عهد الملك احشوريش، ولا يستبعد أن صناعة السجاد في إيران قامت أول الأمر بأيدي هؤلاء النساج العراقيين.
(د. وليد الجادر: السجاجيد الأشورية، مجلة المثقف العربي، العدد ٢٤ بغداد ١٩٨٧ ص١٢٧)

صناعة السجاد الإسلامي

يبدأ نسج السجادة، بعد أن تعقد حول خيوط السدى خصل الصوف، وإذا ما انتهى النساج من عمل العقد حول جميع خيوط السدى التي أمامه في اتجاه أفقي، ثبت هذه العقد في مكانها بواسطة الضرب عليها ثم الشد فوقها بخيط أو أكثر يمر بها فوق العقد فتجري أفقية وتسير محاذية لعارضتي النول، وتسمى هذه الخيوط الأفقية بـ(اللحمة) - Raft – وهكذا تتكون خيوط السجادة من خيوط السدى الطولية، وخيوط اللحمة الأفقية وهذه جميعاً تكون رقعة السجادة، ثم من خصل الصوف التي تعقد حول خيوط السدى وهذه تكون الخمل للسجادة (pile carpets) .

وقد قسم المختصون في دراسة السجاد الإسلامي إلى ثلاثة أنواع:

١ – **النوع الأول:** عقد تلف فيها خصلة الصوف حول خيطين متجاورين من خيوط السدى، بحيث تجمع بينهما من أعلى ثم يدور طرفاها وراء هذين الخيطيين ثم يجتمعان فينفذان بينهما صاعدين معاً متلامسين إلى وجه السجادة، وقد شاع هذا النوع في السجاجيد التركية.

٢– **النوع الثاني:** عقدة تلف الخصلة فيها حول خيط واحد من خيوط السدى وتحتضن الخيط المجاور له، وفي هذا الالتفاف والاحتضان ينتهي طرفاها إلى وجه السجادة، وقد شاع هذا النوع في السجاجيد الإيرانية.

٣– **النوع الثالث :** من السجاجيد، شاع هذا النوع في الأندلس ويتمثل بعقدة ثالثة تلتف فيها الخصلة حول خيط واحد من خيوط السدى، ثم يخرج طرفاها إلى وجه السجادة بعد أن يمر أحدهما فوق الأخر.

تسميات السجاجيد عند العرب

وقد سميت السجاجيد عند العرب بعدة تسميات منها الطنافس والقطيف أو القطيفة، والقطيف عرف بأنه بساط له خمل، وأن لفظة القطيف معروفة قبيل الإسلام، وكذلك في صدر الإسلام، وكانت للرسول الكريم محمد (ﷺ) قطيفة لها علم، كما

وضعت قطيفة حمراء حين دفن الرسول الكريم (ﷺ) ابن حنبل: المسند ج١ص ٢٨٨ – كما أن لفظة قطيفة جاءت على أنها نوع من اللباس، وعندما فتح المسلمون المدائن (عاصمة الدولة الساسانية بالعراق قبل الإسلام) كانت في إيوان كسرى بالمدائن سجادة قياسها ستين ذراعاً في ستين (الطبري، تاريخ، ج٤ ص٢٢) أي أن مساحتها تقرب من تسعمائة متر مربع.

وفي القرآن الكريم وردت لفظة (زرابي) وتعنى السجادة التي لها خمل، ونفس الاسم لا زال مستخدماً في المغرب العربي .

وقد ورد في سورة الغاشية، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ (الغاشية ١٣-١٦) صدق الله العظيم وفسرت أن زرابي بأنها البسط ذات الخمل (تفسير الجلالين) وفي العراق تعرف السجاجيد بـ (الزوالي) ومفردها زولية، وقد ذكر أبن الجوزي في أحداث سنة ٤٩٤هـ / ١١٠٠م إشارة إلى تسمية زولية ومنها (فوجد لأحدهم سبعون بيتاً من الزوالي) – ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص١٢٠ –

وفيي المعاجم اللغوية ذكرت في لسان العرب لابن منظور أن الاسم (طنفسه) في حين ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان باسم (قطيفة).

الزخارف على السجاجيد الإسلامية

وقد حملت السجاجيد الإسلامية أنواعاً من الزخارف ويمكن تقسيمها حسب زخارفها إلى الأنواع التالية:

١- سجاجيد ذات الصرة:

وقد شاع هذا النوع من السجاد في شمال إيران وتبريز وقاشان، وقد تميزت تلك السجاجيد بأنها تحتوي على صرة في الوسط، ويتدلى من أعلاها زخرفة تشبه

المشكاة، كما تزين الأركان الأربعة من هذه السجادة ربع هذه الدائرة الوسطية، كما تزين حواشي السجادة بأشرطة زخرفية.

٢- سجاجيد ذات رسوم حيوانية

وقد اشتهرت بصناعة هذا النوع من السجاجيد مناطق شمال إيران أيضاً، وقد حمل بعضها إضافة إلى الرسوم الحيوانية رسوم آدامية وزخارف نباتية وأشجار عالية، وحمل بعضها رسوم فرسان ومشاهد صيد.

٣- سجاجيد حملت رسوم الزهور

اشتهرت مدينة هرات بصناعة هذا النوع من السجاد حيث توزعت رسوم الزهور يتناسق تحيط بها إطارات تشمل على زخارف نباتية مختلفة، ويغلب اللون الأحمر عليها، ولها أطر باللون الأخضر، وتغطي زخارف التوريق (الارابسك) مساحة السجادة.

٤- السجاجيد ذات الزهريات:

اشتهرت بهذا النوع من السجاد مناطق وسط إيران حيث غلب على زخارفها زهريات مختلفة الأنواع بعضها دائرية والبعض الأخر مستطيلة.

٥- سجاجيد الصلاة

سميت سجادة نسبة إلى السجود وتميز هذا النوع من السجاجيد يحملها زخارف على هيئة محراب تزينه الزخارف الكتابية، وهي صغيرة الحجم عملت لأغراض الصلاة عليها.

وقد تميزت الدول بإنتاج السجاد ومنها:

أ. السجاد التركي:

اشتهرت تركيا بصناعة السجاد وتصديره إلى بقية الأقطار المختلفة، وقد ساعدت الظروف تركيا بإنتاج أجود أنواع السجاد للأسباب التالية:

١. وجود المراعي لتربية الأغنام ذات الأصول الجيدة والمشهورة بصوفها الجيد.

٢. توفر المياه الخالية من الأملاح والتي تساعد في تثبيت الأصباغ والألوان.

٣. منافسة السجاد التركي للسجاد الإيراني، مما دفعهم بتجويد صناعتهم وقد أشار العديد من الرحالة الأجانب والعرب ومنهم مارك بولو خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلى جودة صناعة السجاد في تركيا ومنها السجاد السلجوقي الجميل، كما أشار الرحالة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي إلى وجود صناعة السجاد الجيد في تركيا.

وقد اشتهرت مدينة قونية بصناعة السجاد في تركيا.

مميزات السجاد التركي:

١. وجود مساحة أو أرضية متوسطة للسجادة فيها رسم رئيسي.
٢. وجود إطار قوامة مجموعة أشرطة تختلف في العرض حسب نوع السجادة.
٣. يتميز السجاد التركي بالنسيج الغليظ بعض الشيء
٤. يتميز السجاد التركي بالتنسيق بين الألوان وخاصة الأحمر والأزرق والأصفر، وكان الصانع التركي ينسق بين هذه الألوان بكل مهارة وذوق.
٥. ندرة الرسوم الآدمية على السجاد التركي المبكر، ولكن منذ القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، فقد دخلت رسوم الكائنات الحية ومنها الحيوانات والطيور، وقد صدرت تركيا الكثير من سجادها إلى هولندة حيث وجده في الكثير من الرسومات الهولندية نماذج من السجاد التركي، كذلك اقتنت بعض الكنائس والقصور من السجاد التركي، وكذلك ايطاليا أيضاً.

أهم مراكز صناعة السجاد التركي:

١. المناطق المحاذية لشواطئ البحر المتوسط ومنها مناطق (النجاد، عشاق، قولة، كوردس) وجميع هذه المناطق تقع غرب تركيا.

٢. أزمير اشتهرت هذه المدينة بإنتاج أنواع جيدة من السجاد التركي، حيث أصبحت أزمير منذ القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي مركزاً مهماً لتصدير السجاد ومن الأنواع الأخرى من السجاد في تركيا نوع يعرف بسجاد ذات الطيور وتتميز بالزخارف الهندسية على أرضية بيضاء، وعليها رسوم زهور وأوراد، إضافة إلى زخارف الرقش العربي (الارابسك) إضافة إلى رسوم طيور ذي رأسين باتجاهين مختلفين.

ومن سجاد تركيا نوع يعرف بسجاد دمشق، لأن زخارفها تشبه قاشاني دمشق، وربما أنتجتها مصانع دمشق التي أسسها السلطان سليمان القانوني خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

ب. السجاد المصري:

اشتهرت مصر بصناعة السجاد والذي يتميز بما يلي:

١. تكون أرضيته حمراء إضافة إلى اللون الأخضر البراق واللون الأزرق في بعض أجزائها.

٢. سجاجيد مصر معمولة بصوف مميز له لمعة خاصة وأنه معقود على سدى من الحرير.

٣. زخارف السجاد المصري يغلب عليها الرسوم الهندسية.

٤. رسوم الأزهار والأشجار محورة عن الطبيعة.

٥. الألوان واحدة في الوسط والإطار.

٦. خلو السجاجيد المصرية من الرسوم الأدمية والحيوانية.

وقد صدرت مصر إنتاجها من السجاد إلى أوربا بعد القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

المراجع

القرآن الكريم

١- الدكتور زكي محمد حسن: أطلس الفنون الزخرفية والصادر الإسلامية مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٦.
الدكتور زكي محمد حسن فنون الإسلام القاهرة ١٩٤٨

٢- الدكتور عبد العزيز مرزوق: الطنافس اليدوية الإسلامية. مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٦٩.

٣- الدكتور عبد العزيز حميد: الطنافس صناعة عراقية عربية قديمة.

٤- الدكتور وليد الجارد: الحرف والصناعات اليدوية في العصر الأشوري المتأخر . بغداد ١٩٧٢ .

٥- الدكتور وليد الجادر: السجاجيد الأشورية، مجل المثقف العربي العدد الرابع ١٩٧٨.

٦- ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم مطبعة حيدر أباد ١٣٥٧هـ

٧- ابن منظور: لسان العرب. بيروت ١٩٥٦.

الفصل الحادي عشر
الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية

تمهيد

عرفت الموسيقى منذ أقدم الأزمنة ومن خلال الشواهد الأثرية فمنذ العصر السومري كانت القيثارة المشهورة والتي عثر عليها في مدينة أور السومرية واستمر استخدام الآلات الموسيقية في العصور اللاحقة الأكدية والبابلية والأشورية، ومن حضارة العرب قبل الإسلام حيث عثر في مدينة الحضر قرب الموصل بالعراق العديد من الشواهد. لذلك ويوجد عقد كامل جميع حجارته عبارة عن كل قطعة منه تمثل آلة موسيقية معنية (أو موسيقى يعزف عليها).

وفي العصر الإسلامي ظهرت بعض الآلات البسيطة في صدر الإسلام والعصر الأموي، وفي العصر العباسي تطور الاهتمام بالآلات الموسيقية إلى مراحل متقدمة، حيث ظهرت طائفة من الفلاسفة والموسيقيين مؤلفات قيمة وصل إلينا بعضها وفقد البعض الآخر، ومن هؤلاء المؤلفين:

١- الكندي (المتوفى سنة ٢٦٠ هـ/ ٨٧٤م) كان الكندي صديقاً للخليفة العباسي المتوكل على الله ومؤدباً لأبنه أحمد، وقد وضع الكندي سبع مؤلفات في الموسيقى وهي (رسالة يعقوب بن أسحق الكندي في خبر صناعة التأليف، رسالة الكندي في اللحون، والنغم، كتاب المصونات الوترية من ذوات الوتر الواحد إلى ذات العشرة أوتار رسالة الكندي في أجزاء خيرية في الموسيقي، وغيرها، وقد اعتبر الباحثون الأجانب والمختصون في الموسيقى أن الكندي كان أول عالم عربي في الموسيقى.

٢- الفارابي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ/ ٩٥٠م فهو أشهر من كتب عن الموسيقى في كتابة (الموسيقى الكبير) وله كتب أخرى.

٣- أما ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م وله مؤلفات عديدة في هذا المجال منها (كتاب الشفاء) و(كتاب النجاة).

٤- أما جماعة (أخوان الصفا) خلال القرن الرابع الهجري فقد خصصت الرسالة الخامسة من القسم الرياضي من رسائلهم للبحث عن المواضيع الموسيقية.

٥-كما اشتهر الحسين بن محمد بن زيله المتوفى سنة ٤٤٠ هجرية/ ١٠٤٨م وكتابة المشهور (الكافي في الموسيقى).

٦-اعتبر صفي الدين عبد المؤمن الأرموي البغدادي المتوفى سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٩٤م أعظم علماء العرب في الموسيقي بعد الفارابي وقد شغل منصب رئيس الموسيقيين في عهد الخليفة العباسي المستعصم بالله، وله كتاب مشهور اسمه (كتاب الأدوار) وقد قسم المختصون في الآلات الموسيقية الآلات إلى ما يلي: (الآلات الوترية، الآلات الإيقاعية، الآلات الهوائية).

١-الآلات الوترية

أ. **العود:** آلة طرب يضرب بها والعواد الضارب بالعود وتضرب أوتار العود بواسطة الريشة.

وقد عرف العود منذ العصر الأكدي (٢٣٥٠ – ٢١٥٠ قبل الميلاد) حيث يظهر في نقوش بعض الأختام الأسطوانية،واستمر استخدامه إلى العصور الإسلامية فقد ورد ذكره عند العديد من المؤرخين منهم (الأصفهاني، العسكري: أبو هلال، أبن سيده، ابن منظور،) ويتكون العود من صندوق صوتي مصنوع من الخشب بشكل نصف كمثرى وله أوتار مثبته برأسي العود والملاوي. وقد ورد ذكر العود في العصر الأموي في مجالس الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦ هـ) وفي العصر العباسي زاد الاهتمام بالعود وشاعت شهرة العواد منصور زلزل في عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣هـ) وشاعت شهرة (زرياب) الذي كان تلميذاً لاسحق الموصلي، وقد أضاف

زرياب وتراً خامساً للعود، وقد سك نقد للصلة من عهد الخليفة العباسي (المقتدر بالله) يظهر فيه عازف للعود، وقد حملت التحف الأخرى مشاهد يظهر فيها العود منها إبريق أحمد الذكي ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م وعلى صحن خزفي محفوظ بالمتحف البريطاني بلندن ظهرت عازفه للعود كما حملت بعض الشمعدانات رسوم العازفين للعود وبعض الصواني كما حملت مقامات الحريري في رسومها بعض العازفين بالعود.

ب. **القانون:** ومن الآلات الوترية الأخرى هي آلة القانون والتي يعزف عليه بواسطة الريشة على أوتارها، ويذكر بأن الفارابي هو أول من ركب القانون وقد أطلق على القانون (سلطان الآلات) ويصنع القانون من الخشب وهو على شكل شبه منحرف قائمة الزاوية تشد عليه مجموعة من الأوتار، وتظهر صورة القانون في تصويره لمخطوط كتاب (كنز التحف) من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، المحفوظة في اسطنبول.

ج. **الجنك:** يتألف الجنك من صندوق صوتي ورقبة تخرج منه أوتار وآلة الجنك ظهرت في الآثار العراقية القديمة منذ الألف الثالث قبل الميلاد أما في العصور الإسلامية فقد ظهر الجنك في رسوم بعض التحف المعدنية منها إبريق أحمد الذكي الموصلي ٦٢٠هجرية/ ١٢٢٣م المحفوظ بمتحف كليفلاند ويظهر الجنك في رسوم أبريق نحاسي من صناعة شجاع بن منعة الموصلي محفوظ في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، أما على الأخشاب فظهر على إفريز خشبي من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي يظهر عليه مشهد موسيقي يعزف على آلة الجنك – وعلى صحن خزفي محفوظ بمتحف الفن بالقاهرة رسم لسيدة تعزف على جنك.

د. **الكنارة (القيثارة)** وقد أختلف في أصل الكنارة فمنهم من ذكر أنها عراقية وردها آخرون إلى أصول مصرية، وقد ظهرت في الآثار العراقية منذ سنة ٢٧٠٠ قبل الميلاد من عصر جمدة نصر، ومن المقبرة الملكية في أور (٢٥٠٠ – ٢٣٥٠ قبل الميلاد) عثر على بقايا لكنارة ذهبية – وهي آلة تشبه القيثارة أما في

النقوش المصرية فأقدم ذكر لها من عهد الملك الفرعوني أمنحوتب الثاني (١٩٣٨ - ١٩٠٤ قبل الميلاد)

والكنارة السومرية معروضة في المتحف العراقي ببغداد (ولها رأس ثور من الذهب يعلو مقدمة الصندوق الصوتي الذي يشبه شكل شبه المنحرف فيها شرائط معدنية وفيها أوتار أفقية) ولم تصل الينا نماذج من العصر الإسلامي

هـ. **الرباب**: من الآلات الوترية ذات القوس، وهي على هيئة صندوق مربع الشكل مقوس الجانبين إلى الداخل قليلاً مشدود عليه جرزة من شعر الخيل يعزفون عليها بقوس نظير الكمنجة، وعرفت بعدة تسميات ففي العراق عرفت باسم الجوزة وقد ذكرها المؤرخون العرب ومنهم (الخليل بن أحمد الفراهيدي، وفي مصر الرباب المصري، وفي تركيا سميت بالكمنجة، والجاحظ، والفارابي وأبن سينا)

و. **الطنبور**: والطنبور آلة وترية وهي من فصيلة العود، وكان الطنبور بأنواع عديدة.

٢- الآلات الإيقاعية:

والنوع الثاني من الآلات الموسيقية كانت الآلات الإيقاعية وهي (الدف، الطبل)

أ. **الدف**: والدف بالضم الذي يضرب به النساء والذي يضرب به يصنع الدف من غشاء المعدة (معدة الشاة) مشدود على الإطار أو الصندوق الصوتي، والدفوف على أنواع منها المستدير، والمربع والكبير والصغير، ويظهر رسم الدف على جرة من الفخار من عصر فجر السلالات بالعراق، ومحفوظة بالمتحف العراقي ومن العصور الإسلامية يظهر الدف على كسرة من الزجاج المزخرف محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة لشخص جالس يضرب على دف. وعلى إبريق معدني محفوظ بالمتحف البريطاني بلندن (إبريق شجاع

بن منعة) يظهر شخص يضرب على دف مستدير الشكل، كما يظهر الدف على الكثير من التحف المعدنية منها (إبريق، وطشت، وكذلك حملت رسوم المخطوطات، والتحف الخشبية، والتحف الزجاجية.

ب. **الطبل:** وهي من آلات النقر، ويتكون الطبل على شكل اسطوانة مجوفة يشدون على فوهتيها رقاً من الجلد يضربون عليه.

واستخدمت الطبول في عدة استخدامات منها طبول الصيد وطبول الأغراض العسكرية الحربية، وقد ورد رسوم الطبول في المخطوطات من رسوم الواسطي في موكب الحج، ومخطوط الجزري، وكذلك على بعض التحف المعدنية.

٣-الآلات الهوائية: (المزمار والناي)

المزمار اسطوانة من خشب نحو شبر مثقوبة الوسط أما الثاني فقصبة جوفاء مفتوحة الطرفين ويقع النفخ فيها مباشرة على حافة فتحتها.

وقد عثر في الأدلة الأثرية إلى آلة النفخ من عصر العبيد (الألف الخامس قبل الميلاد) وعثر في المقبرة الملكية في أور بالعراق على أجزاء من آلة الناي مصنوع من الفضة يحتوي على أربعة ثقوب متساوية الأبعاد فيما بينها، كما نجد رسم الناي في ختم اسطواني من عصر فجر السلالات الثالث (٢٥٠٠ – ٢٣٥٠ قبل الميلاد)وفي مصر عثر على أقدم مثال للناي خلال (النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد) (عصر نقاده) للأسرة الخامسة ٢٥٦٣ – ٢٤٢٣ قبل الميلاد. وعصر الأسرة السادسة (٢٤٢٣ – ٢٢٤٢ قبل الميلاد) أما في العصر الإسلامي فمن العصر الأموي في قصر الحير الغربي صور مرسومة بالألوان المائية ويشاهد فيها الموسيقي ينفخ في مزمار.

كما ظهر على بعض التحف النحاسية (الأباريق)، وكذلك على المخطوطات ومنها رسوم الواسطى.

المراجع

١- الدكتور صبحي أنور رشيد/ الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية بغداد ١٩٧٥م.

٢- الدكتور صلاح حسين العبيدي: الفنون الزخرفية العربية الإسلامية بغداد ١٩٨٧م.

٣- الدكتور حسين علي محفوظ: معجم الموسيقى العربية. بغداد ١٩٦٤

٤- أحمد تيمور باشا: الموسيقى والغناء عند العرب ١٩٦٣ .

٥- عبد الكريم العلاف: الطرب عند العرب. بغداد ١٩٦٣.

الفصل الثاني عشر

التجليد

عند ظهور الإسلام كانت مواد الكتابة عديدة منها: لفائف البردي، عسب النخيل، الحجارة، كسر الفخار، جلود ورقوق الحيوانات، ثم كتبوا على المنسوجات ثم عرفوا الورق وبمعرفته قامت نهضة حضارية كبيرة.

وكان رق الغزال هو المفضل لما يمتاز به من ليونة وبياض وكتبوا عليه القرآن الكريم بعد أن كتب على مواد مختلفة هذه الرقوق كانت بحاجة إلى جمعها ضمن غلاف ليحفظها فكان ظهور فن التجليد أو فن التسفير كما يعرف في بلاد المغرب العربي، أو التصحيف كما يعرف بالعراق وقد مر فن التجليد في الإسلام بمراحل عديدة واستفادوا ما كان معروفاً قبل الإسلام خاصة عند الأحباش والأقباط حيث كانت تصنع الأغلفة من الألواح الخشبية أو من البرديات القديمة وقد اقتصر استخدام البردي للكتب الصغيرة أما الخشب فكان يستخدم في تغليف الكتب الكبيرة، فكانت هذه الأغلفة خالية من الزخرفية أول الأمر، ثم زخرفها بالتطعيم بالعاج وأحياناً بصفائح من الذهب والفضة ومرصعة بالأحجار الكريمة، أو بالقماش المطرز أو الجلد المزخرف.

لقد وصلتنا من فترات قبل الإسلام جلود بعض الكتب من الأقباط حيث أجادوا في تغليف الكتب بالجلد، وفي الإسلام كان القرآن الكريم خاصة بعد كتابته على الرق في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان (ﷺ) ٢٣ – ٣٥هـ خاصة بعد استشهاد عدداً من كتاب الوحي في الفتوحات التي تمت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) ١٣-٢٣هجرية حيث فتحت كل من بلاد الشام والعراق ومصر، وكان كتاب الوحي(رضي الله عنهم) يكتبون نصوص القرآن الكريم على مواد مختلفة من الحجارة والكسر الفخارية، والأخشاب والجلود وغيرها من المواد ويحفظونها في أماكن طاهرة وكانوا ينقلون نصوص القرآن شفاهاً للمؤمنين، ولكن بعد استشهاد عدداً منهم استنسخوا خمسة نسخ أرسلت إلى الأمصار وبقيت واحدة عند الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) في المدينة المنورة وقد وقعت عليها قطرات من دمه الطاهر عند اغتياله.

وقد يكون رقوق المصاحف هي أول كتب جلدت بالإسلام وقد تكون التسمية بالمصحف جاء من تجليد القرآن الكريم وعن المصاحف الخمسة استنسخت أعداد كبيرة من المصاحف وكانت الكتب على نوعين الأول على شكل أفقي والأخر على شكل سفينة، وكما ذكرنا أن الأغلفة الأولى قد عملت من الخشب المغلف بالجلد وكانت تصنع على هيئة صندوق زود بقفل يعمل على أحكام غلقه، وكانت معظم تلك الصناديق ذات شكل أفقي وقد شاع ذلك خلال القرنين الثاني والثالث الهجري/ الثامن التاسع الميلادي، ولم يكن من السهل استخدام الأغلفة هذه بسبب صعوبة تقليب الصفحات، ثم تقدم المجلد في عمله عندما جعل الشرائح الملتصقة بالجوانب لينة يمكن طيها عندما ما يراد فتح المخطوط وثنيها بواسطة رزات قائمة عند حافاته عندما ما يراد غلقه.

وفي عصر العباسي كان العراق أسبق العالم الإسلامي في إتقان فن التجليد الذي ازدهر في مدينة السلام (بغداد) التي أصبحت مركزاً للحضارة ومقراً للعلوم وللفنون واستقطبت الكثير من الأدباء والعلماء وكتاب ومترجمين، وقد زاد اهتمام الخلفاء العباسيون بالكتاب، وكانوا يكتبون على القرطاس (البردي) الذي كان يجلب من مصر، وفي عهد الخليفة العباس هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣هـ) انشأ الخليفة بيت الحكمة وكانت من أعظم خزائن الكتب في العالم الإسلامي وزادت أهمية بيت الحكمة في عهد الخليفة العباسي المأمون ١٩٨-٢١٨ وكانت صناعة الورق قد انتشرت في العاصمة مدينة السلام (بغداد)، وقد ترجمت واستنسخت العديد من الكتب من اللغات الأخرى إلى العربية وهذا يعني أن ترجمة نسخ تلك الكتب بحاجة إلى تجليدها وكان في بيت الحكمة إلى جانب المترجمين والمؤلفين أمهر الكتاب والمجلدين من مختلف الأجناس والأديان، وقد أورد ابن النديم في كتابه (الفهرست) أسماء بعض المجلدين في بيت الحكمة ومنهم (ابن أبي الحريش) وكان يجلد في خزانه الحكمة، (شفة المقراض العجيفي)، أبو عيسى بن شيران، دميانة الأعسر، ابن الحجام إبراهيم وأبنه محمد، والحسين بن الصفار)، واعتبر عمل المجلد مكملاً لعمل الخطاط والمذهب

والمزوق، وكانوا جميعاً يتعاونون تعاوناً كاملاً لإخراج مخطوطات متكاملة، إن التجليد مهم جداً لحفظ ورقات الكتاب من التمزق، وازدهر فن التجليد للكتاب في العالم الإسلامي في كل من العراق ومصر وإيران وبلاد الشام.

فبعد معرفة الإنسان لصناعة الورق قل استخدام الرقوق والأخشاب التي كانت تغلفها، واستبدالها الجلد بورق سميك غلف بالجلد، حيث كان الجلد من الصناعات المهمة في العراق وكان أهل بغداد يسمونه الدارش(الجلد الأسود) واللكاء (الجلد المصبوغ) وقد استخدم الجلد المدهون في تجليد الكتب، وقد ذكر الجاحظ إلى استخدام الجلد والأقمشة منها (الحرير والديباج) في تغليف بواطن الأغلفة خصوصاً في تجليد المصاحف.

وفي القرنين الرابع والخامس الهجريين كانت مدن العراق تزخر بخزائن الكتب مما يدل على أن فن الكتاب بما فيه التجليد كان مزدهراً، وخلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي تطور تجليد الكتب إضافة إلى مادة الجلد والأقمشة استخدمت المعادن النفسية المرصعة بالأحجار الكريمة.

وقد ذكر في ذلك القرطبي مشيراً إلى أن أصحاب الحلاج كانت لهم كتب مكتوبة بماء الذهب ومجلدة بالادم الجيد ومبطنة بالديباج والحرير، وقد كانت بعض كتب الزنادقة التي أحرقت سنة ٣١١هـ/ ٩٢٣م على باب العامة بمدينة السلام (بغداد) بعض كتبهم فسقط منهما ذهب وفضة مما كان على هذه الكتب.

وقد ذهب عدداً من المجلدين من بغداد إلى الأندلس وعملوا في قصور الخلفاء هناك.

وقد احترقت الكثير من الكتب بمدينة السلام (بغداد) عند غزوها من قبل طغر لبك السلجوقي بما فيها من كتب ومصاحف كتبت بيد أمهر الخطاطين أمثال ابن مقلة وابن البواب وقد نقل طغر لبك عند عودته إلى بلاطه حذقه المجلدين والنساخين، ومن أعمال الخطاط ابن البواب يوجد اليوم مصحف محفوظ في مكتبه جستربتي في دبلن امتازت جلدته بزخارف دقيقه من الرقش العربي (الأرابسك) وحملت زخارف هندسية نفذت بالختم على الجلد بآلة ساخنة، ومما زاد في جمال هذه الزخارف

استخدام ماء الذهب في تجميل الوحدات الزخرفيه وجميع هذه الزخارف نفذت من قبل ابن البواب المتوفى سنه ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م والذي كان نقاشاً ثم اشتغل في زخرفة الكتب وتجليدها بعدها اهتم بالخط وأصبح مشهوراً فيه.

وفي خزانة كتب قصر بغداد بمتحف طوبقا بوسراي باسطنبول مخطوطات ومصاحف نادرة ثم نسخها وتجليدها في العراق خلال العصر العباسي وللمخطوط أهمية أخرى هو احتواء جلدة المخطوط على اللسان الذي استخدم لحماية حافة المخطوط بلغ عرضه من أوله ونهايته ثلث الجلدة ويتسع في الوسط حتى ينطبق مركزه على مركز صفحة الجلدة، وجعل بهذا الشكل حيث يصلح أن يكون ظرفاً للمجلد الذي ينطبق فوقه، وفي بعض الأحيان زودت حافته المدببة بثقب ونتوء في الجلدة الأمامية فعندنا يطبق الكتاب يدخل الجزء الناتئ في هذا الثقب مما يعمل على إحكام غلق الغلاف.

واللسان كان معروفاً عند الأقباط قبل الإسلام الا أنه لم يكن بالشكل والحجم الذي عليه في الكتب الإسلامية وقد تطور على يد المجلد العباسي في عهد ابن البواب.

وقد زخرفت أسطح التجليد للكتاب وخلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين/ الخامس عشر والسادس عشر الميلادية زخرفت المصاحف المملوكية في مصر والشام.

كما كانت أغلفة الكتب في العراق متطورة في العصر الصفوي والعصر العثماني إلا أن ما حل بالعراق من نكبات أتلفت الكثير الكثير من تلك الروائع بعدم وصولها إلينا.

المراجع

١- الدكتورة اعتماد يوسف القصيري: تجليد الكتاب حضارة العراق الجزء التاسع ١٩٨٥.

٢- الدكتورة اعتماد يوسف القصيري: فن تجليد الكتاب عند المسلمين دار الحرية - بغداد ١٩٧٩.

٣- الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق: المصحف الشريف مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٢٠ بغداد ١٩٧٠.

٤- ناصر النقشبندي: المصاحف الكريمة في صدر الإسلام مجلة سومر ج١-٢ المجلد ١٢ بغداد ١٩٥١.

٥- ابن النديم: الفهرست. بيروت ١٩٦٤.

الفصل الثالث عشر

الفسيفساء

تمهيد

لفضة الفسيفساء غير عربية ومأخوذة عن اللفظة الإغريقية (Muses) وتعني الزخرفة، وتعرف المعاجم اللغوية الفسيفساء بأنها: (الوان تؤلف من الخرز فتوضع في الحيطان يؤلف بعضه على بعض وتركب في حيطان البيوت من الداخل كأنه نقش مصور) والفسيفس : البيت المصور بالفسيفساء. قال أبو منصور: ليس الفسيفساء عربية، والفسيفسة: لغة في الفصفصه وهي الرطبة والصاد وأعرب وهما معربان والأصل فيهما اسيست (ابن منظور: لسان العرب ج٦ بيروت ١٩٥٦ ص١٦٤).

والفسيفساء هي زخارف ملونه معمولة بقطع صغيرة من المرمر أو الزجاج أو الأصداف بشكل واحد تقريباً ومتشابه بالحجم والسمك، كان الاستخدام الأول للفسيفساء هو تزين الأرضيات، وقد شاع استخدامها في بلاد الإغريق وخاصة في العصر الروماني وفي مدينة بومبي الإيطالية، ثم استخدمت الفسيفساء فيما بعد في تزين الجدران من الداخل والخارج وكذلك السقوف.

النماذج الأولى لزخرفة الفسيفساء في الأرضيات جاءت من أثينا والجزر الإغريقية، وكانت المادة الرئيسية للزخارف هي الحصاة السوداء والبيضاء، وقد استخدمت الحصاة السوداء أرضية أو خلفية في حين شكلت الزخارف والأشخاص أو الرموز باللون الأبيض، إضافة إلى ألوان أخرى من الحصى منها الأحمر والأخضر والرمادي، ومن أقدم اللوحات الفسيفسائية تلك التي عثر عليها في مدينة بيلا فكرونيا الإغريقية، والتي تقع على بعد بضعة أميال من مدينة سالونيك في شمال اليونان حيث كانت عاصمة للإمبراطور الإسكندر الأكبر، وكانت اللوحة معمولة من الحض الملون

(الأسود والأبيض والقهوائي والأزرق) وتمثل رجلين يحاولان قتل أسد، يبدو هائجاً متوتر العضلات، ويمسك الرجل الأول والذي على الجانب الأيسر رمحاً باليد اليمنى وسيفاً باليد اليسرى، أما الشخص الأخر فأنه يرفع سيفه باليد اليمنى عالياً ويهم بضرب الأسد في حين يمسك غمد السيف باليد اليسرى، وتبدو ملابسه مرتفعة عن جسمه، وبذلك جسد الفنان حركة فنية رائعة.

ومن القرن الثاني قبل الميلاد خلدت لنا زخرفة الفسيفساء انتصار الإسكندر الأكبر على الملك الفارسي داريوس في معركة افسوس بالقرب من قيليقية في تركيا، والتي وقعت بينهما سنة ٣٣٣ قبل الميلاد، عندما عزز الإسكندر جيشه وسار باتجاه الجنوب ودخل (كبادوكيا) ثم عاود سيره باتجاه الشرق، وكان داريوس يتجنب الاشتباك بجيش الإسكندر، وأخيراً حدثت المواجهة عند الضفة اليمنى من نهر بيناروس، ولم يكن داريوس موفقاً باختيار مكان المعركة حيث كان محصوراً في بقعة صغيرة بجيشه الكثير والذي بلغ تعداده ستمائة ألف مقاتل بضمنهم ثلاثون ألف إغريقي من المرتزقة، فلم يتمكن هذا العدد الضخم من المناورة، فهجم عليه الاسكندر وحقق الانتصار الشامل حيث هرب داريوس من ساحة المعركة مخلفاً وراء أمه وزوجته وقد أحسن الاسكندر معاملتهما بعد وقوعهم في الأسر.

هذه اللوحة الفسيفسائية محفوظة اليوم بالمتحف الوطني في نابولي وقد عملت من مليون ونصف المليون قطعة فسيفساء. ويبدو فيها الملك الفارسي داريوس مهزوماً من المعركة بعربته إلى الخلف في حين تتجه رماح جنوده نحو الاتجاه المعاكس لحركة العربة، وقد نفذت هذه اللوحة على الجدار.

وفي القرن الأول قبل الميلاد تطورت صناعة وزخرفة الفسيفساء عندما حملت نقوشها مشاهد من الحياة اليومية. وفي القرون الميلادية كثر استخدام تصوير الحيوانات والطيور والأسماك، وتصوير الوجوه الآدامية بحجم كبير.هذه الصفات شاع استخدامها خلال القرون الثلاثة الميلادية الأولى. ومنذ القرن الرابع الميلادي بدأت زخرفة الفسيفساء تخلد الموضوعات للديانة المسيحية، كما هو الحال في كنيسة سانتا

كوسينا بروما ويظهر في الوسط صورة شخص يعتقد بأنه قسطنطين تحيط بـه أغـصان وأوراق العنب إضافة إلى مجموعة من طيور الحمام إضـافة إلى صـور الأطفـال عـراة، وكثر استخدام فن الفسيفساء في دور العبادة المسيحية وخاصة خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين.

وتعتبر مدينة مادبا في الأردن مدرسة متميـزة في صـناعة فـن الفسيفـساء، وقـد احتوت هذه المدينة على أربع عشرة كنيسة بيزنطية، وأشـتهر فيهـا فنـانون في صـناعة الفسيفساء مـنهم (نعـوم وكريكـوس وتومـاس وسـلمينوس) ومـن أشـهر لوحـات الفسيفساء فيها ما ضمتها أحدى كنائس مدينة مأدبا وهي خارطة لمدينة القدس حوت أهم معالمها خلال القرن السادس الميلادي.

وفي المغرب العربي تميزت صناعة الفسيفـساء بقـدر كـبير مـن التطـور بـسبب ازدهار الفنون الرومانية، وخاصة في الجزائر الـتي بناهـا الإمبراطـور تراجـان (٩٨ – ١١٧ميلادية) وبقيت هذه المدينة على جانب من الاهتمـام عـدداً مـن الحكـام حيث اتسعت في عهد الإمبراطور (سبتيوس سفيروس) في العقد الرابع من القرن الـسادس المـيلادي والـتي احتلتهـا قـوات جـستينان وبـني فيهـا العديـد مـن الكنـائس المزينـة بالفسيفساء وإضافة إلى حماماتها المشهورة، وفي مدخل أحدى حماماتها لوحة فسيفسائية حملت رسم أربع شحاطات اثنتان منهـا تمثـل الـدخول للحمـام والاثنتـان الأخريـان تمثلان الخروج من الحمام، وفي أعلى اللوحة نص كتابي (BENELAVA) ومعناها استحممت جيداً أما النص الكتابي في الأسفل فهو غير واضـح وقـد يكـون يرحـب بالداخلين للحمام، وهذه اللوحة من القرن الثامن الميلادي. وهناك نماذج أخرى كثيرة عملت بالفسيفساء.

الفسيفساء في الإسلام

قبة الصخرة سنة ٧٢ هجرية

في نهاية القرن السابع الميلادي (٦٩٤ ميلادية) وصلنا أقدم أثر إسلامي تجلت فيه روعة زخرفة الفسيفساء بابهى صورها وهي قبة الصخرة بالقدس الشريف، والتي بنيت سنة ٧٢ هجرية زمن الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦ هـ/ ٦٨٥ – ٧٠٥م) وقد زينت زخرفة الفسيفساء الكثير من الأجزاء الداخلية للقبة، وقد حذفت من تلك الزخارف الأشكال الآدمية والحيوانات والطيور، واقتصرت زخارفها الفسيفسائية على الأشجار والنخيل والمزهريات التي تخرج منها الفروع النباتية وبعض أنواع الفواكه وبعض رسوم أشكال الأهلة والنجوم، وتعتبر الكتابة الكوفية المعمولة بالفسيفساء من أبرز معالم هذه القبة، وبلغ طول الشريط الكتابي الذي يحيط بالقبة من الداخل والجدران نحو (٢٤٠ متراً) استخدمت فيه نصوص الفسيفساء المذهبة على أرضية زرقاء داكنة، ونصوص الكتابة آيات من الذكر الله الحكيم، كما تضمن النص في نهايته تاريخ بناء القبة واسم بانيها الخليفة عبد الملك بن مروان، ولكن الخليفة العباسي المأمون ١٩٨ – ٢١٨ هجرية كان قد استبدل اسمه بدلاً عن اسم عبد الملك بن مروان، لكن التاريخ بقي سنة ٧٢ هجرية وهذا أيعود إلى فترة عبد الملك وليس إلى فترة المأمون.

وقد اعتبرت فسيفساء قبة الصخرة نموذجاً متطوراً، وقد أكدت الباحثة (ماركريت فان برشم) بعد دراستها المفصلة لفسيفساء قبة الصخرة بأنها كانت من صنع عمال عرب من بلاد الشام، كما جاءت العناصر الزخرفية مغايرة للعناصر السابقة للإسلام، واقتصرت على الفنون التي اعتمدها الفنانون العرب في صدر الإسلام باعتماد العناصر الهندسية والنباتية والخطوط الكتابية، وابتعدوا عن الرسوم الآدمية أو الحيوانية والطيور والتي كانت شائعة الاستخدام قبل الإسلام.

زخارف المسجد الأموي بدمشق

تعتبر زخارف الفسيفساء في المسجد الأموي في دمشق الذي شيده الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ – ٩٦هـ/ ٧٠٥ – ٧١٥م) بين الأعوام ٨٨ و ٩٦ هجرية نماذج رائعة للفسيفساء في العصر الأموي بعد قبة الصخرة، وأراد الخليفة الوليد بناء مسجد يضاهي بعظمته وفخامته الكنائس ودور العبادة التي كانت في بلاد الشام حينذاك، وقد أشرف الخليفة الوليد بن عبد الملك على بناء المسجد وتزينه بالفسيفساء والرخام، وكانت الجدران مغطاة بلوحات رخامية إلى ارتفاع قامة الإنسان، وفوق هذه اللوحات الرخامية زخارف من الفسيفساء والملونة والمذهبة ولا تزال باقية حتى اليوم جزء كبير من هذه الفسيفساء في الرواق الغربي، ونلاحظ انعدام الرسوم الآدمية والحيوانية من هذه الزخارف واقتصارها على مشاهد من الطبيعة تتمثل بنهر جارٍ تقوم عليه مجموعة من القناطر وتقع بعض القصور بالقرب منها، إضافة إلى مجموعة كبيرة ومتنوعة من الأشجار المثمرة، ويعتقد بأن هذه الطبيعة تمثل جزءاً من بلاد الشام في ذلك الوقت.

زخارف الفسيفساء في قصر هشام بن عبد الملك

والأثر الإسلامي الثالث المهم الذي ظهرت فيه زخرفة الفسيفساء هو القصر الذي بناه الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥هـ) ويقع في خربة المفجر على مقربة من أريحا بفلسطين، ويتميز بوفرة الزخارف الفسيفسائية، وقد نقب هذا القصر كل من (هاملتون وبرامكي) في السنوات ١٩٣٥ – ١٩٤٨م، وقد عثر فيه على ما يقرب من مائتين وخمسين لوحة مصورة، كما عثر على عدداً كبيراً من اللوحات الفسيفسائية التي بقيت بحالة جيدة، وقد نقلت أكثر هذه القطع إلى المتحف الفلسطيني بالقدس، ومن أهم تلك الألواح الرائعة للفسيفساء ما وجد في قاعة الاستراحة بالحمام الكبير وتزين القسم المجوف المرتفع والذي يقع في نهاية القاعة. كما إن أرضية القاعة زينت أيضاً بالفسيفساء، ويعتقد هاملتون إن اللوحة الأرضية عملت على شكل بساط، لأن فيها أهدابا تشبه حاشية البساط، ولكن اللوحة الرائعة تتكون من شجرة كبيرة تشبه شجرة التفاح أو النارنج، وتحتها صورة أسد ينقض على غزال

خائف، وفي الجانب الأخر من الشجرة غزالان هادئان ينعمان بقضم بعض الأوراق النباتية، وتتميز هذه اللوحة الرائعة للفسيفساء بقربها من الطبيعة من حيث النسبة والتناسب بين الشجرة وبقية الحيوانات. إضافة لحركة عضلات جسم الأسد والغزال الخائف، كما أن الألوان متناسقة والأوراق النباتية بالأخضر والثمار باللون الأحمر.

أصل الفسيفساء

اعتقد بعض الباحثين أن المخاريط الحجرية الملونة التي ظهرت في الوركاء في الألف الثالث قبل الميلاد يمكن اعتبارها بداية للفسيفساء، لكن الواقع أن الفسيفساء.

وكما ذكرنا تتميز، بحجم صغير ومتساو، ومادته هو الحجر الملون أو الحصى، في حين كانت المخاريط في الوركاء معمولة من الفخار، كما أن شكلها مغاير تماماً للفسيفساء، ولكن يمكن اعتبار تلك المخاريط هي البدايات الأولى للزخارف الجدارية.

كذلك الحال بالنسبة للخزف المعماري الذي زين قاعة العرش في بابل إذ يمكن اعتباره بلاطات خزفية وليس فسيفساء وذلك لما امتازت به من كبر حجمها وبوجود طبقة الطلاء الزجاجي الذي غطى الطوب الفخاري.

إن استخدام الفسيفساء في العراق قديماً وفي العصور الإسلامية كان قليل جداً، وربما يعود ذلك إلى ندرة المادة الحجرية الملونة أو الحصى الملون والمتناسق حجماً، كما أن مناخ العراق الجاف والتباين بين حرارة الصيف والشتاء والليل والنهار أثراً في عدم نجاح تماسك قطع الفسيفساء لفترات طويلة.

وقد وردت بعض الإشارات التاريخية خلال العصر العباسي في عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣هـ) كان قد استخدم الحصى لتزين الممرات وخاصة في الحدائق والبساتين، فقد رسموا في طريق الحديقة من أشكال الكائنات الحية وغير الحية بترصيف الحصى على اختلاف ألوانها فصوروا بذلك زهوراً بألوانها وأسوداً أو فيلة بأشكالها على نحو ما يفعلون بالفسيفساء (عمر أبو النصر، هارون الرشيد، بيروت ١٩٣٤ ص٦٤) وكانوا يقيمون لكل من هذه الفنون صناعاً ممن أتقنوا

الصناعة وتفننوا في أساليب الهندام ، كما ذكر بعض الباحثين أن جدران المسجد الجامع في سامراء كانت مزينة بالفسيفساء ومن الفصوص الزجاجية، وقد ذكر المؤرخ الغزولي في كتابه (مطالع البدور) أن أحد حمامات أمراء بغداد كانت فيه غرف مستقلة أحداها زينت (بفصوص حمر وخضر ومذهبة، وكلها متخذة من بلور مصبوغ بعضه أصفر وبعضه أحمر فأما الأخضر فقيل أنه حجارة تأتي من الروم والمذهب فهو زجاج ملبس بالذهب).

خطوات صناعة الفسيفساء

لاحظنا أن البدايات الأولى للزخرفة كانت معمولة من الحصى في بلاد اليونان واستخدم الحصى الطبيعي من اللونين الأبيض والأسود وبقية الألوان، واستخدمت مادة لاصقة كالاسمنت في تثبيتها، وعند اختيار قطع الفسيفساء من الحجر أو الزجاج أو الأصداف، كانت نثبت بعض القطع سوية ثم تنقل إلى المكان المطلوب وتثبت فيه، ويوضع الفسيفساء قبل جفاف المادة اللاصقة، وكانت التصاميم المطلوبة ترسم على ورق الكارتون وبالأحجام المطلوبة وتنقل بعد ذلك إلى المكان المطلوب، ويجب أن يسطح المكان جيداً أو بمستوى واحد، ثم توضع المادة اللاصقة ويجري نقل قطع الفسيفساء المعدة لتثبيتها قبل جفاف المادة اللاصقة، وفي طريقه ثانية يثبت الرسم المراد زخرفته بالفسيفساء بالريشة الحرة، وعند إكمال الرسم يبدأ بوضع قطع الفسيفساء وتثبيتها بالمادة اللاصقة، ويكون عمل الفسيفساء عادة من الأعلى إلى الأسفل ويتطلب عمل الفسيفساء عدداً من الفنيين منهم:

١- قاطع الحجر وهو الذي يقوم بتقطيع الحجر بالحجم المطلوب من قطع الفسيفساء.

٢- مهيىء المادة اللاصقة، ويجب وضع كميات مناسبة حتى يتمكن الفنان من تركيب قطع الفسيفساء قبل جفاف المادة اللاصقة.

٣- الفنان الذي يركب قطع الفسيفساء، وقد يتمكن من وضع خمسين إلى ستين قطعة في اليوم الواحد.

وقد تطورت صناعة الفسيفساء بتعدد الألوان منذ القرن الثاني قبل الميلاد، حيث ضمت أحدى اللوحات خمسة عشر لوناً عملت من حجر الرخام وأحجار أخرى شبه كريمة.

ومنذ القرن الرابع الميلادي شاع استخدام الفسيفساء الذهبي اللون في عمل الهالة حول رأس الشخص المهم وخاصة بعد انتشار الديانة المسيحية، وزاد عدد الألوان المستخدمة في اللوحات الفسيفائية خلال القرن الخامس الميلادي حتى وصل إلى خمسة وأربعين لوناً، ويظهر ذلك بوضوح في لوحة فنية موجودة في كنيسة (ماريا مكروس) في روما.

مما تقدم نجدان زخرفة الفسيفساء قد ازدهرت في الأماكن التي تتميز بمناخ بارد، لذلك نجدها مستخدمة في بلاد الشام والمغرب العربي، وقليلة أو معدومة في المناطق التي تتميز بمناخ حار وجاف وذلك لتباين درجات الحرارة في الصيف والشتاء والليل والنهار فيسبب في تمدد المواد اللاصقة وانكماشها وسهولة تساقطها .

وعن المغرب العربي انتقلت صناعة الفسيفساء إلى الأندلس (أسبانيا) وبلغت ذروة اتقائها هناك.

المراجع

١- الدكتور ناهض عبد الرزاق دفتر: زخرفة الفسيفساء وأهميتها مجلة سومر تصدرها دائرة الآثار والتراث بالعراق المجلد ٤٥- بغداد ١٩٨٧ – ١٩٨٨.

٢- محمد تغليسيه: دليل أثار متحف تيمقاد الجزائر ١٩٨٢.

٣- الدكتور زكي محمد حسن: فنون الإسلام القاهرة ١٩٤٨ .

٤- الدكتور زكي محمد حسن أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٦.

٥- الدكتور عفيف بهنسي: الشام لمحات أثارية فنية بغداد ١٩٨٠.

6- Hetherington , P.B. Mosaies . London 1967 .

٧- الدكتور حسن الباشا: التصوير الإسلامي في العصور الوسطى .

٨- ايتنكهاوزن :فن التصوير عند العرب ترجمة الدكتور عيسى سلمان و سليم طه.

الفصل الرابع عشر
مدارس التصوير والتزويق

مدارس التصور في الإسلام

عرف العرب من التصوير قبل الإسلام، حيث ذكر الأزرقي أن جدران الكعبة كانت مزينة بالرسوم، وفي العصر الأموي وصلتنا بعض النقود من الدنانير والدراهم والفلوس وهي تحمل رسم الخليفة عبد الملك بن مروان – في حين مرحلة تعريب النقود، وفي العصر العباسي زادت عمليات نسخ الكتب والتي حملت بعضها الكثير في الرسوم كما سكت نقود الصلة المصورة، وحملت جدران تصور سامراء رسوم راقصات، وبعد زوال الدولة العباسية في سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م ظهرت مدارس التصوير العديدة.

المدرسة المغولية في التصوير الإسلامي

المغول: من أواسط أسيا أو من منطقة منغوليا بين الصين وأواسط أسيا والظاهر أن علاقتهم بالصين سياسياً وحضارياً لم تنقطع طيلة بقاءهم كأباطرة في العراق وإيران وأواسط أسيا.

بدأ الغزو المغولي للشرق الإسلامي منذ سنة ١٢١٨م وتوج بغزوهم لبغداد سنة ١٢٥٨م. والظاهر أن المغول كانوا بدواً غير متحضرين ويدينون بالوثنية، وأنهم بعد أن احتلوا العالم المتحضر أسرتهم الحضارة الإسلامية واعتنق بعض أباطرتهم الدين الإسلامي، وصاروا من أكبر الرعاة للحضارة الإسلامية، ويشهد على ذلك مجموعة العمائر والمخلفات الأخرى كالمخطوطات المزوقة والخزف وغيرها من منتجات الفن الإسلامي. استطاعوا في البداية اكتساح أواسط أسيا فدمروا معظم

المدن العامرة ثم تقدموا واحتلوا العديد من المدن الإيرانية ودمروها مثل نيسابور وتبريز وسمرقند وفارس والري وغيرها والواضح أن عملية القتل الجماعي لسكان هذه المناطق والتخريب المتعمد للمدن كان الهدف منه تسهيل السيطرة على هذه البلاد وأدارتها، وفعلاً فقد أنتجت ذلك ، فقال أحد المؤرخين: إن البلاد أمينه جداً وذكر إذا خرجت المرأة وعلى رأسها تيجان الذهب وتنتقل كيف تشاء دون أن تتعرض للنهب أو السلب، وفي بداية السيطرة المغولية انتكس الفن الإسلامي بجميع مجالاته وخاصة الرسوم والتزويق لأن الكثير من المزوقين قد قتلوا وهرب القسم الأكبر منهم إلى بلاد الشام ومصر.

ولكن بعد استتباب الأمر واعتناق بعض أباطرة المغول الإسلام، بدأت الحياة الحضارية تنمو مرة أخرى، فشهد العالم الإسلامي نهضة حضارية خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، أي منذ بداية السلطان المغولي (غازان خان) واتخذ المغول أكثر من عاصمة لملكهم ومنها بغداد وتبريز ومراغة وقد ازدهر فن التصوير الإسلامي في تلك الفترة.

سميت المدرسة التي ازدهرت تحت الحكم المغولي (بالمدرسة المغولية) وكان أحسن إنتاجها في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، وتنسب المخطوطات التي أنتجت في تلك الفترة إلى بغداد وتبرير ومراغه وشيراز وتتصف منمنات هذه المدرسة إلى مجموعة خصائص منها:

١- امتزاج الأساليب وعناصر المدرسة العربية والتي ازدهرت في بغداد مع أساليب المدرسة الإيرانية في بلاد فارس مع أساليب المدرسة الصينية، حيث استقدم الحكام المغول بعض الفنانين من الصين واعتمدوا عليهم.

٢- اغلب تلك الرسومات شاعت فيها الكتابة الفارسية حتى أن بعض الكتب ترجمت من العربية إلى الفارسية كما هو الحال في كتاب (منافع الحيوان) لا بن بختيشوع.

٣- كما كان الإقبال واسعاً على الكتب التاريخية فزوقت الشاهنامة للفردوسي، وجامع التواريخ لرشيد الدين، والآثار الباقية للبيروني، بالإضافة إلى تاريخ الطبري.

٤- الاهتمام الكبير بكتب الحيوان ومنها منافع الحيوان، ونعت الحيوان وكتاب كليلة ودمنة.

٥- الاهتمام بكتب الفلسفة والأدب ومنها مقامات الحريري، رسائل أخوان الصفا، كتاب عجائب المخلوقات للقز ويني وغيرها

٦- ومن الميزات الفنية لهذه المدرسة المغولية إن أسلوبها كان أقرب إلى الطبيعة من المدرسة العربية وربما كان سبب ذلك هو تأثير المدرسة الصينية حيث رسمت الأشجار قريبة من الطبيعة.

٧- ملامح الأشخاص في المدرسة المغولية يغلب عليها الطابع التركي والأردية التركية والمغولية وخاصة في أغطية الرأس.

٨- الإكثار من الرسوم الأدامية في منمنات المدرسة المغولية ولكن يظهر بوضوح أن هذه المدرسة فيها الكثير من تأثيرات المدرسة العربية أكثر من التأثير الصيني ويظهر ذلك بوضوح في تصاوير مخطوطة (رسائل أخوان الصفا) المؤرخة - ٦٨٦هجرية/ ١٢٨٧م وتنسب إلى بغداد ومحفوظة اليوم في مكتبة جامع السليمانية في إسطنبول، وتصوير نسخة من مقامات الحريري غير مؤرخة، ربما تعود إلى الربع الأخير من القرن الثالث عشر الميلادي، ويحتمل أنها زوقت في تبريز، ومحفوظة اليوم في دار الكتب الوطنية بباريس تحت (رقم ٣٩٢٩) وفي نسخة في كتاب منافع الحيوان لعبد الله بن بختيشوع التي زوقت في مراغة بين ١٢٩٤ - ١٢٩٩م وهذه النسخة محفوظة اليوم في مجموعة موركان في نيويورك تحت (رقم ٥٠٠) وكذلك نشاهد سيطرة الأساليب المدرسة العربية في تصاوير أو منمات نسخة من عجائب المخلوقات للقزويني نسخت في واسط سنة ١٢٨٠م،

ومخطوطة الأغاني في مكتبة الدولة في ميونخ، ثـم نـشاهد هـذا الأثـر في منمـات جامع التواريخ لرشيد الدين أو في قسم منها. وخلال النصف الثاني مـن القـرن الثامن الهجري (٧٥٠ هجري) الرابع عشر الميلادي وبعـد أن اسـتقرت الأمـور وصار الدين الإسلامي دين الدولـة المغوليـة، أخـذ الأبـاطرة المغـول يـشجعون الثقافة الإسلامية التي لم يـستطيعوا مقاومتهـا. وقـد زوقـت مجموعـة مـن كتـب التاريخ تعد بحق من أحسن الأمثلة للمدرسة المغولية، ومن بين هذه الكتب كتاب (جـامع التـواريخ) لرشـيد الـدين، وكتـاب (الآثـار الباقيـة) للبيرونـي وكتـاب (الشهنامة) للفردوسي وكتـاب (كليلـة ودمنـه) وتتـصف منمنـات هـذه الفـترة بوضوح الأثر الصيني. وطغيان عناصره على عناصر وأسـلوب المدرسـة العربيـة كما ظهرت السحنة المغولية في هذه المنمنات وكثر استعمال الغيوم على الطريقـة الصينية أي رسمها بصورة محورة وغير طبيعية، ثم ظهر (التنين) الحيوان الخـرافي الصيني في عدد من هذه المنمنات، وأصبح أسلوبها أكثر قرباً من الطبيعة بالنـسبة لأسلوب المنمنات في المدرسة السابقة، ويتمثل ذلك في تجـسيم طيـات الملابـس، وظهور البعد الثالث في الرسوم بصورة عامـة، ثـم جعـل التـصوير ذات خلفيـة بعيدة عن الأمامية، وتترابط معها بمجموعة من الخطوط لتعبر عن العمق كما زاد الإقبال على الإكثار من رسوم الأشجار والجبال والأنهار وذات طابع قريب من الطبيعة، وهذا أثـر صـيني واضـح، وبالإضـافة إلى ذلـك فـإن الملابـس وأغطيـة الرؤوس أكثرها صينية وتركية، وفي منمنات هذه الفترة نرى أنها محاطـة بخطـوط تحيط بالصورة مكونة لها إطار يفصلها عن النص حتى إذا أدى إلى قطع جزء مـن الصورة، ونشاهد في منمنات هذه الفترة عنصر الكآبة أي أن جميع الوجوه تعـبر عن حزن عميق، حتى إذا كان المنظـر يمثـل مـشهد فـرح، وهـذا نـاتج عـن الألم الاجتماعي الذي أصاب المجتمع الإسلامي في هذه الفترة، وتكثر كذلك الرسـوم ذات الطابع الحربي وهذا غير غريب في فترة كانـت فيهـا الحـروب هـي الطـابع السائد والعام.

وخير ما يمثل هذه الصفات منمنات نسخة من كتاب (جامع التواريخ) لرشيد الدين قد زرق في تبريز سنة ٧٠٧هـ/ ١٣١٤م) ومحفوظة هذه المنمنة اليوم في الجمعية الملكية الأسيوية في لندن (تحت رقم ٢٦ مخطوط عربي) وهناك جزء آخر من هذه المخطوطة محفوظة في مكتبة الجامعة في مدينة ادنبره وكذلك نسخ وزوق في تبريز ومؤرخ خلال العقد الأول من القرن الثامن الهجري.

وهناك أيضاً منمنات نسخة من كتاب الآثار الباقية للبيروني محفوظة أيضاً في مكتبة الجامعة في ادنبره تحت رقم (١٦١ مخطوط عربي) وهذه النسخة مؤرخة ١٣٠٧ – ١٣٠٨م ومنسوخة في تبريز، أن منمنات هذه النسخة تمثل اتجاهين وهما المدرسة المغولية والمدرسة العربية ويظهر أيضاً التأثير الصيني، وتمتاز الرسوم الآدمية في هذه المخطوطة بقصر الأجسام وضخامة الرؤوس وكبر الأيادي، ومعظم الرؤوس الآدمية محاطة بهالة ذهبية، كما أن الألوان قوية، ويقل فيها التدريج بعكس الألوان في المخطوطة السابقة والتي تمتاز بالرقة والتدرج.

ويظهر أن أسلوب المدرسة المغولية قد أخذ بالتطور السريع حيث اختفت المؤثرات السابقة وظهرت المنمنات في الربع الثاني من القرن الثامن الهجري بأسلوب جديد، حيث زاد الاهتمام بالأرضيات وأوصلت بخلفية التصويرة وانصهرت العناصر الصينية والعربية وأصبحت المنمنات ذات مظهر تكتيكي جميل ومتقن – وخير ما يمثل هذا الاتجاه مجموعة من المنمنات تزين نسخة من الشهنامة للفردوسي والتي تسمى (شهنامة ديموات) نسبة إلى مالكها الأول، وهي اليوم في متحف الفنون الجميلة في مدينة بوسطن تحت رقم $\frac{30}{105}$ وتؤرخ هذه المخطوطة ما بين ١٣٣٠ – ١٣٣٦م ومنسوخة في مدينة تبريز أن هذه المنمات تمثل مرحلة النضوج الفني في المدرسة المغولية. ويمثل نفس الاتجاه منمنات نسخة من مخطوط كليلة ودمنة والتي كانت بحوزة الشاه طهماسب وانتقلت إلى قصر يلدز في اسطنبول ثم جعلت اليوم في مكتبة الجامعة في مدينة اسطنبول، وتمتاز هذه المنمنات بالإتقان الفني والعناية الكبيرة بالمناظر الطبيعية خصوصاً رسوم الأشجار والماء وظهور تقنية جديدة تتمثل بامتداد

الأشجار، وبعض الرسوم الأخرى خارج الإطار المخصص للصورة، وتتصف بالعناية الكبيرة بالألوان، وتؤرخ هذه المنمنات ما بين ١٣٦٠ – ١٣٧٤م وتنسب كذلك إلى مدينة تبريز والعناية بموضوع الأشجار والأزهار حيث يعتبر ذلك مقدمة للمدرسة التمورية والتي ازدهرت في القرن الخامس عشر الميلادي.

رسوم الفترة الجلائرية والتي دام حكمها ما يقرب من خمسين سنه ما بين ٧٥٠ – ٨٠٠ هجرية استمر ازدهار فن التصوير وتطور أكثر وزادت العناية برسوم الأشجار والأزهار، وصارت بغداد من المراكز المهمة في فن التصوير الإسلامي خلال هذا العهد وتعتبر من منمنات هذه الفترة المهمة نسخة من كتاب كليلة ودمنة اعتبرت من أورع الأمثلة للمدرسة الجلائرية التي ازدهرت خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي.

والجلائرون جزء من المغول واعتبر الشيخ حسن برزك مؤسس هذه السلالة للسنوات ٧٣٦ – ٧٥٧ هجرية جاء بعده جلال الدين حسين حتى سنة ٧٨٤ هجرية، ثم السلطان أحمد حيث كانت بغداد مقر أقامتهم وعند انتهاء حكمهم ظهرت بعدهم الدولة التيموريه.

ومن ميزات منمنات الفترة الجلائرية

١. ذوبان العناصر الصينية في التصوير الإسلامي.
٢. ظهور المناظر البرية وأصبح لها أهمية كبيرة في التصويرة.
٣. قربها من الطبيعة ما زاد الاهتمام برسوم الأشجار والرسوم الآدمية ورسوم العمائر.
٤. تتصف الألوان في هذه المدرسة بالغنى أو القوة.
٥. زاد الإقبال على رسوم الحدائق.
٦. زاد الاهتمام بالمواضيع الخيالية.
٧. أكثروا من رسوم مشاهد البلاط ومشاهد العشق والصراع بين الأبطال ومواضيع الفرح والطرب.

٨. اهتم الجلائريون برعاية المزقون كثيراً.
٩. تميزت الأجساد الآدمية بأنها طويلة ورشيقة.

ومن المزوقين المشهورين (جنيد السلطاني) حيث زوق نسخة من ديوان السلطان الجلائري أحمد في بغداد سنة ١٤٠٥م وهذه النسخة محفوظة اليوم في مكتبة متحف فريز بواشنطن وتشمل المخطوطة على ثمانية منمنات رسمت لتزين الصفحات الأخيرة من المخطوطة، وتتصف هذه المنمات بالإتقان والجودة والروعة.

ومن الكتب المهمة التي زوقت في بغداد هو كتاب (البلهان) سنة ١٣٩٩م ومحفوظ اليوم في مكتبة البودليان في اكسفورد تحت رقم ١٣٣، وتمثل منمنات هذه النسخة أسلوب التصوير الجلائري في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، حيث تطورت رسوم الأشجار إلى مظهر زخرفي وزادت العناية بالرسوم الآدمية والحيوانية.

لم تفقد تبريز مكانتها وأهميتها بعد اتخاذ بغداد عاصمة من قبل السلطان الجلائري أحمد، وتعرضت تبريز إلى غزوة حيث استولى عليها تيمورلنك سنة ١٣٨٦م وظل فيها حتى سنة ١٤١٠م، عندما أنتزعها منه فره يوسف التركماني والذي كان من إقطاعي البيت الجلائري.

كان السلطان أحمد يقيم ما بين بغداد وتبريز حتى وفاته سنة ١٤١٠م.

ومن بين المخطوطات التي تنسب إلى تبريز خلال حكم السلطان أحمد هي مخطوطه ديوان خسرو وشيرين للشاعر نظامي وهي محفوظة اليوم في متحف فيرير بواشنطن وجاء في صفحتها الأخيرة على أنها نسخت في مملكة تبريز من قبل (علي بن الحسن السلطاني) ولكن التاريخ غير واضح.

وعلى ضوء مقارنة منمنات هذه المخطوطة والذي يبلغ عددها خمسة فقط مع منمنات ديوان خواجة كرماني ويبدو أنها زوقت ما بين ١٤٠٥ – ١٤١٠م، وتتصف منمناتها بالعناية الكبيرة بالرسوم الادامية وبزخرفة العمائر بأدق الزخارف، ثم رشاقة الأجسام الآدمية.

مدرسة شيراز للتصوير

كانت مدينة شيراز عاصمة لمقاطعة فارس خصوصاً خلال السلطات الايلخانية والجلائرية، وكانت عائلة انجو الحاكمة تمثل حكم الايلخانين في المقاطعة، ويظهر أن المدينة حصلت على استقلال بداية العهد الجلائري، وبعد وفاة السلطان الجلائري الأول أبي سعيد ١٣٣٥م، وانتهى نفوذ هذه السلطة بقيام سلطة جديدة هي السلطة المظفرية، حيث استطاعت أن تبسط نفوذها على أقسام أخرى من جنوب غربي إيران، وظلت هذه العائلة مسيطرة إلى أن فتحت مدينة شيراز من قبل تيمورلنك سنة ١٣٩٤م ويظهر أن أبا اسحق السلطان الأنجوي، وشاه شجاع الحاكم المظفري المعروف قد رعيا الفن وعاش في زمنهم الشاعر الشيرازي المعروف حافظ.

إن أبرز ما تتصف به منمنات مدرسة شيراز هو اختفاء الأثر الصيني بعد أن كان ظاهراً في مدرستي الايلخانيه والجلائرية ثم أن أغلب هذه المنمات قد عملت خلال حكم (آل انجو) في مدينة بشيراز، كما أن هذه المنمنات تتصف بسيطرة التقاليد الفارسية والتي كانت مزدهرة قبل الفترة الايلخانيه، خاصة ما نجده من صفات للرسوم التي تزين الخزف الميناني المنتج في بلاد فارس خلال القرنين الثاني والثالث عشر الميلادي حيث يسيطر الأسلوب المحور خصوصاً في رسوم الأشجار، وتختفي تقريباً الخلفيات في التصاوير وتبتعد رسوم البشر ورسوم الحيوانات من تمثل الطبيعة تمثيلاً صادقاً.

مخطوطة الشهنامة

وصلتنا أربعة نسخ من كتاب الشهنامة وقد تفرقت منمنات اثنين منها في متاحف عديدة، وتنسب هذه المخطوطات الأربعة إلى مدينة شيراز في الفترة المحصورة للسنوات (١٣٣٠ – ١٣٥٢م) وذلك لأن إحدى هذه النسخ مهداة إلى الوزير قوام الدين حسن وزير آل انجو وراعي الشاعر حافظ، وبما إن منمنات هذه النسخ الأربعة متشابه بالأسلوب والألوان والعناصر فإن جميعها على الغالب تمثل الفترة الزمنية التي حكم فيها هذا الوزيرة ومما تتصف به منمنات هذه المخطوطات إن

خلفيات أغلبها ذات لون واحد ويسود اللون الأحمر فيها ويظهر أن سيطرة هذا اللون متوارث منذ العصر الساساني، خصوصاً في إيران، وكما ذكرنا أن هذه المنمنات تعكس أسلوب التصوير الذي انتشر في إيران قبل الفترة المغولية خصوصاً ذلك الذي يمثله الخزف الميناتي والقراميد وغيرها من منتوجات الفن الإيراني.

مخطوطة مؤنس الأحرار

للمزوق محمد بن بدر الجرجاني والمؤرخة سنة ١٣٤١م، والمحفوظة اليوم في مكتبة متحف المتروبولتان في نيويورك، وجزء من منمناته محفوظة في متحف مدينة برنستين وفرير، وتتصف منمنات مؤنس الأحرار بأنها متقنة وتعتبر من أحسن الأمثلة التي تنسب إلى شيراز وتمتاز الرسوم الآدمية بأنها أكثر رشاقة ورسوم الحيوانات أكبر دقة من رسوم مخطوطة الشهنامة.

نسخة أخرى من الشهنامة مؤرخه سنة ١٣٧٠م وتنسب إلى شيراز ومحفوظة اليوم في مكتبة متحف طوبقا سراي في اسطنبول تحت (رقم ١٥١١) وتتصف المناظر البرية في منمنات هذه النسخة بسيطرتها على المنمنة وهي بذلك تختلف عن المنمنات المنسوبة إلى مدينة شيراز والمنتجة خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، وكما ذكرنا أثناء الكلام عن المدرسة الجلائرية أن سيطرة الرسوم البرية قد امتدت وسادت في العصر التيموري وكذلك امتدت وسادت ظاهرة المظهر الزخرفي لرسوم الأشجار.

ويمكن تقسم مدارس الرسوم إلى ما يلي:

١- المدرسة التيمورية ٧٧٢ – ٩٠٨ هجرية/ ١٣٧٠ – ١٥٠٢م خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي

حصل غزو مغولي لإيران، قام به الحاكم المغولي (تيمور لنك) وذلك سنة ٧٨٨هجرية ثم بعدها توجه نحو العراق سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م بعدها توجه نحو الأناضول وذلك سنة ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م.

توفي تيمور لنك سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م خلفه ابنه (شاه رخ) (٨٠٧- ٨٥١هـ/ ١٤٠٥ – ١٤٤٧م) حيث نقل مقر الحكم إلى مدينة هرات، واستمرت الدولة التيمورية حتى سيطرة الصفويين بقياده الشاه إسماعيل الصفوي سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م. لقد اهتم تيمورلنك بالفنون وقد استقدم الفنانين المهرة من جميع المناطق إلى سمرقند حيث ازدهرت المدرسة التيمورية للفنون، وخاصة في عهد ابن تيمورلنك (شاه رخ) حيث جمع الخطاطين والمصورين في مدينة هرات التي ازدهرت في عصره، جاء بعده ابنه (بايسنقر بن شاه رخ) والذي استمر باهتمامه بالفنون واستقدم الخطاطين والمذهبين والمصورين والمجلدين من تبريز وسمرقند وشيراز إلى هرات، وكان من أشهرهم (مولانا جعفر) والمعلم جعفر البيسنقري، وقد تأثرت المدرسة التيمورية للرسم بالفنين الصيني والإيراني.

اهتم رسامي مدرسة هرات عناية برسوم العمائر ونقوشها وزخرفها وخاصة بالأشجار المورقة والمزهرة ورسم الجبال واستخدام الألوان الزاهية، وتصوير المشاهد الحربية والحركات الاستعراضية واشتهر من رسامي مدرسة هرات المصور (كمال الدي بهزاد) والذين عاصر الدولتين التيمورية والصفوبة حيث حظي برعاية الشاه إسماعيل الصفوي وأبنه الشاه طهماسب، وقد اهتم الرسام بهزاد بتوقيع اسمه على رسومه، جاء بعده الرسام (قاسم علي) والذي سار على أسلوب بهزاد وخاصة في رسم الصور الشخصية.

ومن أهم مميزات المدرسة التيمورية

١. وجود التزويق في المنمنات وتأثرها بالأساليب الصينية والإيرانية.
٢. الاهتمام برسوم الحيوانات والطيور الطبيعية والخرافية.
٣. استخدام الحبر الصيني، واستخدام التذهيب في الصور.
٤. الاهتمام بالرسوم الفلكية، والابتعاد عن الاقتباس.
٥. الرسم على جلود الكتب، وتنظيم الألوان الزاهية والبراقة.
٦. رسوم العمائر وزخرفتها ببراعة، ورسم الأشجار المورقة.

7. رسوم المعارك الحربية، والاهتمام بالنسب في رسوم الأشخاص
8. رسم الجبال والمرتفعات.

[إبراهيم عبد الرازق رحيم (المنمنات العثمانية في بغداد)]

٢- المدرسة المملوكية ٦٤٨ – ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ – ١٥١٧م

وقعت بلاد الشام ومصر تحت حكم المماليك بعد انتهاء الدولة الأيوبية، ويرجع أصل المماليك إلى قبائل التركمان وقد عملوا حرساً خاصاً لما تميزوا به من تربية عسكرية. وبعد إن استلم المماليك مقاليد الحكم اهتم سلاطينهم بالعلوم والفنون، وقد أنتجت في مصر وسوريا مجموعة من المنمنات عرفت عند المختصين بالمدرسة المملوكية، وقد اختلفت عن المدرسة السابقة، وقد اهتم سلاطين المماليك بالأساليب المدرسة العربية في بعض أنواع الكتب مثل (مقامات الحريري) و كتاب (كليلة ودمنة) إضافة إلى بعض الكتب العلمية والحربية وقد تكون المدرسة المملوكية متأثرة بأساليب المدرسة العربية بسبب هجرة الكثير من المزوقين من العراق بعد الغزو المغولي إلى مصر والشام ونقلوا معهم أساليبهم الفنية، ومن أهم مميزات المدرسة المملوكية هي البساطة والبعد عن التعقيد، والابتعاد عن الطبيعة، ظهور الكتابات والزخارف إضافة إلى رسوم الجمال والخيل، وقد اهتموا باستنساخ بالتزويق النسخ القرآنية الكبيرة.

من خصائص المدرسة المملوكية

1. المحافظة على أساليب المدرسة العربية.
2. عكست الطابع الإسلامي من خلال رسم المناسبات الإسلامية.
3. البساطة في الرسم، والابتعاد عن التعقيد.
4. الاهتمام بالملابس وإعطائها الطابع الفضفاض.
5. ظهور الكتابة والزخارف على الملابس بشكل أشرطة.
6. الاهتمام برسم الخيل والجمال، والحيوانات والطيور بالإشكال الزخرفيه.
7. ظهور بعض الأشكال الهندسية والنجمية والخطوط المتداخلة.

8. الاهتمام برسم الأشخاص ذو الوجه المستديرة والعيون اللوزية وبعض السحن المتأثرة بالطابع التركي.
9. رسم الأشخاص بالزي الحربي والسلاح.
10. رسم الكثير من طيات الملابس، وهذا ما هو معروف بالمدرسة العربية

[المصدر السابق]

٣- المدرسة الصفوية (٩٠٧ -١٣٣٥هـ/ ١٥٠٢ - ١٧٢٢م)

اعتبر الشيخ إسماعيل الصفوي مؤسس هذه الأسرة الحاكمة، وقد اتخذ مدينة تبريز عاصمة له، وامتد نفوذهم نحو العراق سنة ١٥٠٨م، وفي عهد الشاه عباس الأول (١٥٨٧ - ١٦٩٢م) جعل أصفهان عاصمة للدولة الصفوية تأسست المدرسة الصفوية بعد سيطرة الشاه إسماعيل على مدينة هرات سنة ١٥١٠م ونقل المصورين المشهورين فيها إلى عاصمته تبريز ومنهم (بهزاد) وتلامذته، وامتد الاهتمام من تبريز إلى قزوين، وقد تمثلت المدرسة الصفوية برسم الأشخاص وعليهم مظاهر الثراء، كما أن غطاء الرأس كان عبارة عن عمامة مخروطية الشكل، ومن أشهر رسامي الكتب العلمية مثل مخطوطة (الجامع بين العلم والعمل) أو النافع في صناعة الحيل لابن الرزاز الجزري والذي ألفه لأمير من بني أرتق، كما وضحت كتب الحيوان والطب، وكانت مقامات الحريري وكليلة ودمنه، ومن الكتب الأدبية والتي راج سوقها في عصر المماليك هذا بالإضافة إلى بعض الكتب الحربية مما يدل على اهتمام سلاطين المماليك بفنون الحرب، ويظهر بوضوح تأثيرات المدرسة العربية على مدرسة المماليك وهذا ما يؤكد هجرة المزوقين في بلاد ما بين النهرين إلى سوريا ومصر فراراً من غزو المغول للعاصمة مدينة السلام (بغداد) حيث نقل هؤلاء المزوقين أساليبهم إلى بلاد الشام ومصر. وبالإضافة إلى ذلك فإن الأساليب التي ازدهرت في القاهرة ودمشق وحلب خلال العصر الأيوبي قد لعبت دوراً كبيراً في تكوين المدرسة المملوكية. ونواصل الكلام عن المدرسة المملوكية وذلك لأهميتها في مجال الرسم.

ومن منمنات المدرسة المملوكية مخطوطة (دعوة الأطباء) للمختار بن الحسن بن بطلان وتاريخ تزويقها كان ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م وتتكون من أحدى عشرة منمنة، وهنا المخطوط محفوظ اليوم في مدينة ميلانو تحت رقم (١٢٥).

مقامات الحريري

نالت مقامات الحريري عناية خاصة في المدرسة المملوكية فكثر نسخها وتزويقها، ولكن أقدم ما وصل إلينا منها نسخة محفوظة في مكتبة المتحف البريطاني بلندن تحت رقم (٢٢١١٤) هذه المخطوطة غنية بالمنمنات والتي بلغ عددها أربع وثمانين منمنة، ولكن من المؤسف له أن هذه النسخة غير مؤرخة، ولم يذكر فيها اسم المدينة التي زوقت فيها، ومن أهم ما يلاحظ في منمناتها إنها قريبة جداً في أسلوبها وصيغها وعناصرها من منمنات مخطوطة (دعوة الأطباء) لابن بطلان. كما أن منمنات مقامات الحريري تكشف عن أثار قوية وواضحة.

بصيغ وعناصر فنية انتشرت في بغداد والموصل وسوريا خلال الفترة التي ازدهرت فيها المدرسة العربية، فنجد فيها صيغ معروفة في المنمنات التي رسمها الواسطي، وكذلك صيغ وعناصر من منمنات نسسخة من مقامات الحريري مؤرخة سنة ٦٢١هجرية/ ١٢٢٢م ومنسوبة إلى مدينة دمشق ويعتبر عدم الأكثار من الرسوم الآدمية والرسوم المعقدة وخلو الأثاث والعمائر من الزخارف الدقيقة، وتعتبر هذه الصفة من صفات المدرسة المملوكية، وعلى ضوء أسلوب منمنات هذه النسخة والطريقة التي رسمت بها طيات الملابس والمشابه مع المخطوطة (دعوة الأطباء) والمقامات الحريرية المؤرخة سنة ٦٢١هجرية، وعلى ضوء التطور الذي أصاب الأسلوب فإن هذه النسخة من مقامات الحريري يمكن أن تؤرخ حوالي سنة ١٣٠٠ميلادية، ومن المحتمل أنها زوقت في سوريا، وتنسب إلى سوريا أيضاً نسخة أخرى من مقامات الحريري مؤرخة سنة ١٣٢٣م، ومحفوظة اليوم في مكتبة المتحف البريطاني بلندن تحت رقم (٩٧١٨) وقد تشوهت معظم الرسوم في عصور لاحقة. وتحمل رسوم هذه المنمنة أثر مدرسة الموصل.

وخير ما يمثل المدرسة المملوكية في التصوير الإسلامي منمنات نسخة مؤرخة من مقامات الحريري سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م محفوظة اليوم في دار الكتب الوطنية في فينا تحت رقم (A F.q) وجاء فيها أن ناسخها هو (أبو الفضل بن اسحق) والذي

أتم نسخها في شهر رجب من سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م ولكن الناسخ لم يذكر اسم المزوق أو المدينة التي عملت فيها. وهذه النسخة مزوقة بسبعين منمنة بما فيها منمنة (الغرة) وتعتبر هذه المنمنات بحق أروع الأمثلة للمدرسة المملوكية وتتصف هذه المخطوطة بتصميم واهتمام كبير برسوم البشر ودقة فائقة في توزيعها وقوة في الألوان وعناية واضحة برسوم الزخارف خصوصاً الأرابسك واستعمال الذهب بكثرة حيث استعمل كخلفية (أرضية) لهذه المنمنات مما اكسبها طابعاً زخرفياً وعلى ضوء الملابس المستعملة هنا وخصوصاً أغطية الرأس (العمائم) فعلى ذلك يحتمل أن تكون قد زوقت في القاهرة لأمير أو لسلطان مملوكي ومن بين المنمنات المهمة لهذه النسخة منمنة الغرة أو الفاتحة حيث نشاهد أمير متربع على عرش تركي يحيط به إتباعه، وفوق رأسه عصابة يمسكها ملاكان طائران. وهذه المنمنة محاطة بشريط مشغولة بزخارف نباتية متقنة جداً، والمنمنة كذلك مشغول بزخارف نباتية متقنة جداً، والمنمنة كذلك عملت على أرضية ذهبية ، ومن صفاتها أن الكثير من عناصرها كانت معروفة في أساليب المدرسة العربية خصوصاً مدرسة الموصل حيث نرى نفس الصيغة في منمنة الغرة لجزء من أجزاء كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني مؤرخ ما بين ١٢١٥ – ١٢١٩م حيث نشاهد أميراً جالساً يحيط به أتباعه وفوق رأسه ملاكان، وكذلك فإن هذه التصويره محاطة بشريط زخرفي وعلى خلفية ذهبية، كما توجد نفس الصيغة بنسخة (مخطوطة الترياق) لجالينوس المنسوبة إلى الموصل، وفي صورتنا هذه نشاهد أن وجوه الأشخاص تركية ومغولية، وكذلك الملابس، ولكن الأمير معمم بعمامة عربية كانت خاصة بالأمراء المماليك.

أما أسلوب التصويرة وكذلك بقية التصاوير فمحور جداً، وغير معبر أي أن الجمود يسيطر عليها تماماً، بالرغم من أن المنظر يمثل حفلة طرب وألعاب رياضية حيث يقوم البعض بالعزف وهناك بهلوان يعرض فنه أمام الأمير أو الحاكم، وامتد الجمود هذا حتى إلى طيات الملابس، وزينت بعض الملابس بالزخارف النباتية ونشاهد هذه المنمنات التابعة لهذه المخطوطة أن رسوم الحيوانات أقرب إلى الطبيعة من رسوم

البشر، وأن رسوم المناظر البرية محورة وغالباً ما تكون رمزية وكذلك رسوم العمـائر، ونشاهد هنا أن الرسوم الآدامية قصيرة وذات رؤوس كبيرة وترتدي الملابـس العربيـة وسحناتها عربية، وتتشابه مـع نـسخة أخـرى مـن مقامـات الحريـري مؤرخـة سـنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م، ولكنها خالية من اسم المدينة التي زوقت فيها، ونسبت إلى القاهرة أيضاً ومحفوظة اليوم في مكتبة البودليان في أكسفورد تحت رقم (٤٥٨مارش).

ومن الكتب الأدبية التي اعتنى بها في العصر المملوكي مخطوطه (كليلـه ودمنـه) وموزعة اليوم في كل من دار الكتـب الوطنيـة ببـاريس (تحـت رقـم ٣٤٦٧) وهـذه النسخة غير مؤرخة والنسخة الأخرى من هذه المخطوطة محفوظة في مكتبة البودليـان في أكسفورد تحت رقـم ٤٠٠ وهـذه النـسخة مؤرخـة سـنه ٧٥٥هــ/ ١٣٥٤م، أمـا النسخة الثالثة من هذه المخطوطة محفوظة في المكتبة الوطنية في ميونخ تحت رقم (٦١٦ مخطوط عربي) وهذه النسخة غير مؤرخة ويحتمل أنها زوقت في دمشق.

وكان كتاب (الحيل الميكانيكية) أو كتاب العلم والعمل النافع في صناعة الحيـل للجزري من الكتب التي نسخت وزوقت في العصر المملـوكي ومنهـا نـسخة مؤرخـة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م ومحفوظة اليوم في مجموعـة خاصـة هـي مجموعـة (كيفوركيـان) في مدينة نيويورك وقد توزعت بعض منمنـات هـذه النـسخة وحفظـت في العديـد مـن المتاحف الأمريكية، ويستدل من صيغ وأسلوب منمنات هذه النسخة مؤرخة في سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م ويحتمل أنها زوقت بالقاهرة في عهد الملك الـصالح المتـوفى سـنة ١٣٤٥م. كما تحتفظ مكتبة جامعة أكسفورد بنسخة من هذه المخطوطـة مؤرخـة سـنة ١٤٨٦م وورد فيها أنها زوقت بالقاهرة ومـن المخطوطـات المزرقـة والـتي تنـسب إلى مصر ومنها (عجائب المخلوقات) للقزويني ومحفوظـة اليـوم في مجموعـة الـسيدة زاره (Sarra) في برلين، وتضم هذه المنمنة مجموعة من الحيوانات والطيور ورسوم فلكية، وتتصف رسوم الحيوانات بإتقانها ودقتها.

والى هذه المدرسة ينسب مخطوط من كتاب الحيوان للجاحظ محفـوظ اليـوم في مكتبة في ميلانو تحت رقم ١٤٠ ويؤرخ من الربع الثاني للقرن الرابع عـشر الميلادي

ويحتمل تزويقها في دمشق، ومن المخطوطات المهمة للعصر المملوكي مخطوطة كشف الأسرار لابن غانم المقدسي ومحفوظة اليوم في كتبة السليمانية باسطنبول تحت رقم ٥٦٥ حيث ظهرت رسوم العمائر وتكشف عن عناصر فنية من العصر الساساني مثل التناظر ولتماثيل، وفي متحف الفن الإسلامي بالقاهرة مخطوطة حول العاب الفروسية. ونعود للحديث عن المدرسة الصفوية واشهر رساميها وهم بهزاد و (سلطان محمد) وشيخ زادة، ومظفر علي، ومير سيد علي، ومحمدي، وسيد مير نقاش، وشاه محمد، و دوست محمد)

وقد ظهر تأثير مدرسة هرات على أسلوب مدرسة تبريز، ويتجلى أسلوب المدرسة الصفوية في مخطوطات (المنظومات الخمس) لنظامي، ومن أشهر رسوم سلطان محمد صورة قصة المعراج والتي يظهر فيها الرسول الكريم محمد (ﷺ) ممتطياً البراق فوق السحب وأمامه جبريل (عليه السلام) ومن حوله الملائكة.

واعتبر الرسام (محمدي) من أشهر رسامي المناظر الريفية في المدرسة الصفوية ومنها لوحة رسمت سنة ١٥٧٨م.

وفي القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ازدهرت الفنون في بخارى وكان أسلوبها متأثراً بأسلوب مدرسة بهزاد بعد أن تمكن الرسام (محمد مذهب) تلميذ بهزاد في هرات

وفي عهد الشاه عباس الكبير (١٥٨٧ – ١٦٢٩م) جعل أصفهان من المدن المشهورة وظهرت فيها مدرسة للرسم عرفت بالمدرسة الصفوية الثانية والتي تميزت برسم الأشخاص ذوي العمائم الكبيرة ذات الريش والأزهار وأشتهر الفنان (رضا عباس) خلال القرن السابع عشر الميلادي ومن تلامذته (معين)، ويبدو إن الشاه عباس الثاني (١٦٤٢ – ١٦٦٦م) كان معجباً بالفن الغربي الأوربي وكان الرسام (محمد زهان) من رسامي هذا الأسلوب الأوربي وخاصة القديسين والملائكة وهي من المناظر المسيحية، وقد فقد فن التصوير الإيراني خصائصه.

ومن مميزات المدرسة الصفوية هي:

١. رسم العمائم المخروطية والرسم الواحد تجمع الكثير من الأشخاص.
٢. إضفاء مظاهر الغنى والثراء على الأشخاص وتزين الملابس بالزخارف المختلفة.
٣. استخدام الألوان المتناسقة، والأسلوب الواقعي.
٤. الصور عكست أحداث تاريخية ودينية واحتفالات التتويج.
٥. إبراز العمائر (القصور) والأشجار والزهور.
٦. إخفاء وجه الرسول (ﷺ).
٧. اعتماد الخيال الواسع والحركة والحياة (الأساطير الخيالية).
٨. تزين جدران العمائر بالصور الكبيرة.
٩. التركيز على الأحاسيس الدينية بقوة وبساطة.
١٠. الجمع بين منظرين في الرسم الواحد.

[إبراهيم عبد الرازق رحيم. المصدر السابق]

المدرسة الصفوية للتصوير ٩٣٠ – ٩٨٤/ ١٥٢٤ – ١٥٧٦م

بعد استيلاء الشاه إسماعيل الصفوي على هرات هاجر العديد من المزوقين إلى تبريز وقزوين، وفي عهد الشاه طهماسب ابن الشاه إسماعيل الصفوي ٩٣٠ – ٩٨٤هـ/ ١٥٢٤ – ١٥٧٦م حيث ازدهرت الفنون في عهده وخاصة المزوقين وصار العديد منهم مقربين للشاه طهماسب ومن هؤلاء المزوقين (بهزاد، اغاميرك، سلطان محمد)، لذلك جاءت المزوقات الصفوية غاية في الروعة يتمثل فيها آبهة البلاط وحياة الترف، كما اهتموا برسم الطبيعة من حدائق وأزهار وعمائر جميلة، ضخمة، وملابس فاخرة ومجالس للشرب والطرب، ورسمت جميع هذه الأشياء في نسب موزونة وألوان بديعة وتوزيع الأشخاص توزيعاً مناسباً.

ومن مميزات المدرسة الصفوية الثانية

١. تميزت مزوقات العصر الصفوي برسوم اطار مزخرف باللون الذهبي.

٢. قوام الزخارف (أشجار وزهور وحيوانات من اسود ونمور وغزلان وخيول وأرانب وطيور وبعض الحيوانات الخرافيه)
٣. حسن توزيع الأشخاص في المنمنة.
٤. حسن تنظيم الألوان وتوزيعها.
٥. لباس الرأسي الصفوي هو العمامة ترتفع باستدارة على هيئة شبه مخروطية تحتها طاقية حمراء، ويبدو ذلك كان شعارهم.
٦. الإبداع في رسم المناظر البرية والزهور والأشجار.
٧. حملت بعض المنمنات الصفوية إمضاء المصدر أمثال سلطان محمد الذي درس على يد المصور بهزاد.
٨. الخروج على الإطار في بعض الحالات.
٩. المنظومات الخمس وهي (مخزن الأسرار، خسرو وشيرين ، ليلى والجنون، المصدر السبع، واسكندر نامة).

ومن أشهر المنمنات الصفوية خلال القرن السادس عشر الميلادي.

١- مخطوط المنظومات الخمس لنظامي وتنسب للمصور سلطان محمد للسنوات (٩٤٦ – ٩٥٠هـ/ ١٥٣٩ – ١٥٤٣م) محفوظة في المتحف البريطاني.
٢- محفوظ يمثل المعراج وتمثل الرسول محمد (ﷺ) راكباً البراق وأمامه سيدنا جبريل يقود الركب، وهذه المنمنة متكاملة من حيث التنسيق والألوان وتوزيع رسوم الملائكة وتحيط برأس الرسول (ﷺ) هالة باللون الذهبي وعمد المزوق إلى إخفاء سحنة وجه الرسول (ﷺ) وامتاز غطاء رأسه وهي العمامة تنتهي بشكل مذنب وهي صفة المدرسة الصفوية.

ومن أشهر إعلام المزوقين في المدرسة الصفوية هم:

(آفاميرك، سلطان محمد، مظفر علي، محمدي، مير سيد علي، سيد نقاش، شاه محمد، شاه قولي التبريزي، وشيخ زاده، وعبد الصمد، ورضا عباسي) وقد زوق هؤلاء المزوقين العديد من المخطوطات منها:

(خسرو وشيرين، بهرام جور، المعراج، المنظومات الخمس، وغيرها)

ومن أشهر المزوقات الصفوية

١. منمنة خسرو وشيرين ونشاهد فيها خسرو يفاجئ شيرين وهي تستحم.

٢. منمنة بهرام جور يصيد الأسد، أو بهرام وحبيبته بعد أن طلبت منه أن يثبت لها مهارته في الرماية وحقق بهرام ذلك بعد أن أطلق سهماً ثبت حافر الحمار في أذنه، وختام القول أن عصر الشاه طهماسب كان غنياً في الإنتاج الفني

المدرسة الصفوية الثانية ٩٨٥ – ١٠٣٨هـ/ ١٥٨٧ – ١٦٢٩م في عهد الشاه عباس (١٥٨٧ – ١٦٢٩م) والشاه صفي ١٦٢٩ – ١٦٤٢م أخذت الفنون بالتدهور في المدرسة الصفوية، إلا أن تزويق المخطوطات ظلت مستمرة لا سيما (شاهنامه الفردوسي) غير أن الميل نحو تزويق مناظر الدراويش والأمراء في صورة مفردة وفق أسلوب أستاذ محمدي في معظم الأحيان، وكان الشاه عباس من كبار رعاة الفن وشاع في عصره أسلوب جديد في رسم العمائر الكبيرة ذات الريش والأزهار.

اتخذ شاه عباس مدينة أصفهان عاصمة له وأنشأ فيها معهداً لفنون التصوير، وفي متحف المتردبولتان مخطوطتين من الشهنامة يعودان إلى عصر شاه عباس.

الأولى: تحمل تاريخ تزويقها وهي سنة ٩٩٦هجرية/ ١٥٨٧ – ١٥٨٨م وتحتوي على أربعين منمنه مزوقه تزويقاً بديعاً.

الثانية: مؤرخة بين السنوات ١٠١٤ – ١٠١٦هـ/ ١٦٠٥ – ١٦٠٨م وتحتوي ٨٥ منمنه من تزويق الفنان رضا عباسي والذي يعتبر أشهر مزوقي وخطاطي عصر الشاه عباس، وقد شاعت شهرة المزوق رضا عباس ما بين (١٥٩٨ – ١٦٤٣م) وتميز بميزات خاصة منها:

١. امتاز برسم الأشخاص والصور الفردية.
٢. دقة الملاحظة واضحة بأسلوبه للكثير من شؤون الحياة.
٣. تأثيره بأسلوب الكتابة الخطية من حيث تكوينها من عدة خطوط منحنية.
٤. أغلب صوره تحمل إمضاءه.

٥. ألوانه هادئة.
٦. تأثر به الكثير من فناني عصره.

بعد ذلك أخذ التصوير الصفوي بالتدهور بسبب التأثير الأوربي وانعدام المقدرة الإنشائية في الأمة حينذاك،

٤- المدرسة العثمانية للتصوير

واستمرت مدارس التصوير في العصر العثماني بالتطور، واتصلت المدرسة العثمانية التركية بالمدرسة الإيرانية بحكم العلاقات بينهما وقد اعتمدت المدرسة العثمانية أول نشؤها على فنانين إيرانيين حيث أحضرهم السلاطين العثمانيين من تبرير في إيران إلى القسطنطينية ومنهم (حاجي محمد نقاش أصفهان، وشاه قولي، وولي جان) حيث أصبح لهؤلاء مكانة في البلاط العثماني.

ومن مميزات المدرسة العثمانية هي:
١. التأثر بالتصوير الإيراني.
٢. رسم صور للسلاطين العثمانيين ووضعها في دوائر صغيرة.
٣. الملابس تمثلت بالقفطان والجبة والعمائم الكبيرة.
٤. تسجيل الأحداث التاريخية مثل المعارك.
٥. رسم الأشخاص بحجم كبير وبعمائم كبيره.
٦. استخدام الألوان البراقة وتنسيقها.
٧. التأثر بالفنون الأوروبية.
٨. تصوير الرسول محمد (ﷺ) وال بيته في مواقف مختلفة.
٩. استخدام الألوان الزيتية.
١٠. استخدام الألوان الذهبية والفضية بكثرة.

المراجع

١- الدكتور زكي محمد حسن: أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٦.

٢- ايتنكها وزن: فن التصوير عند العرب ترجمة الدكتور عيسى سلمان وسليم طه التكريتي. بغداد ١٩٧٢.

٣- الدكتور عيسى سلمان حميد: التزويق حضارة العراق الجزء التاسع بغداد ١٩٨٥.

٤- بشر فارس: سر الزخرفة الإسلامية القاهرة ١٩٥٢.

٥- أحمد تيمور: التصوير عند العرب القاهرة ١٩٤٢.

٦- إبراهيم عبد الرازق رحيم الجبوري: المنمنات العثمانية في بغداد وعلاقتها بمدارس الإسلام للفترة من القرن العاشر- القرن الثاني عشر الهجرة رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الفنون الجميلة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م غير منشورة.

الفصل الخامس عشر

التذهيب

تذهيب الكتب من الصناعات التي عرفت قبل الإسلام حيث كتبت المعلقات الشعرية بماء الذهب وعلقت على أستار الكعبة تخليداً لها وتمجيداً، وعرفت بالمذهبات وفي الإسلام كانت بداية الأمر عندما بدأ أبو الأسود الدؤلي بوضع الندب بلون مغاير إلى لون المداد المكتوب فيه النص وكانت الندب بالأحمر والأخضر إذا كان النص بالأسود وقد تكون تلك حركات الأعراب هي بداية ظهور الألوان على المخطوط العربي خصوصاً القرآن الكريم، وقد انتقلت هذه من البصرة إلى المغرب والأندلس، حيث كان أهل المغرب يستعملون اللون الأحمر للضمة والفتحة والسكون والكسرة، واللون الأخضر للهمزة واللون الأصفر للتشديد، وقد أضفت هذه الألوان مسحة جمالية على المخطوط، بعد ذلك كتبت عناوين الكتب والفصول بحروف أكبر من بقية الكتاب، وفي مرحلة أخرى كتبت العناوين بلون مغاير إلى لون مداد الكتابة، وكان اللون الأحمر ثم استعمل اللون الذهبي وعلى القرآن الكريم بدأت أول الأمر ندب الحركات (الأعراب)، ثم بدأت تظهر النقاط التي تفصل بين آياته الكريمة، حيث كانت على شكل دوائر ومربعات تحليها وريقات وزخارف ملونه مذهبة ثم بعد وقت كتبت أسماء السور بماء الذهب، ثم بدأت أساليب زخرفة المصاحف وتذهيبها تبرز بصورة دقيقة وجميلة وأصبحت فواتح المصاحف (أي سورة الفاتحة وأول سورة البقرة) تزخرف بأشكال هندسية ونباتيه ملونة ومذهبة تحيط بالكتابة وتملأ جميع الفراغات الموجودة في الحواشي، كما زخرفت بعض الصفحات وكتبت أسماء السورة داخل مستطيل تحيط به زخارف هندسية ونباتية على شكل أزهار وأغصان ملونة ومذهبة.

لقد ارتبط فن التذهيب أول الأمر بالقرآن الكريم، وقد كتب في العصر الأموي الخطاط خالد بن أبي الهيجاء كتب في قبة المسجد النبوي الشريف بالذهب قرآناً كريماً من سورة (**الشمس**) إلى أخر القرآن الكريم.

وقد طلب الخليفة الأموي عمر بن العزيز ٩٩- ١٠١هجرية من الخطاط نفسه أن يكتب له مصحفاً بماء الذهب وقوله:

(أريد أن تكتب لي مصحفاً على هذا المثال).

ويقال أن الخليفة العباسي المأمون ١٩٨- ٢١٨ هجرية كان قد أهدي مصفحاً مكتوباً بماء الذهب على رق ازرق داكن. وقد ذكر المقريزي أن خزانة كتب العزيز بالله أخرج منها ألفان وأربعمائة ختمة قرآن في ربعات محلاة بالذهب والفضة وهذا يعني أن في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين كان قد استعمل الذهب والفضة في زخرفة المصاحف.

أما بالنسبة إلى بقية المخطوطات فكانت الصفحات الأولى منها تنال عناية المزخرفين والمذهبين، حيث كانت تزخرف أجزاؤها العليا بعناصر نباتية وهندسية ملونة ومذهبة، وكذلك الحواشي وبدايات الفصول والأبواب.

قسمت الصفحة الأولى إلى ثلاثة حقول شريط في الأعلى وأخر في أسفل ودائرة في الوسط، يكتب عنوان المخطوط في الشريط الأعلى ثم يكتب اسم المؤلف في الدائرة الوسطية وعادة ما يكمل اسم المؤلف وعنوان المخطوط في الشريط الأسفل، ويكتب اسم صاحب الخزانة الذي أهدى له المخطوط وأسم المؤلف وديباجة الإهداء تكتب هذه بالمداد الذهبي أو بالألوان المختلفة وماء الذهب.

كما كانت تحلى الصفحات الأخيرة لبعض المخطوطات بحلية زخرفية مماثلة، وقد امتدت الزخارف إلى الصفحات الداخلية من المخطوط خصوصاً في القرن الخامس الهجري وما بعده وزخرفت الكثير من الحواشي للمخطوطات وتخللت الزخارف الفراغات بين السطور في بعض المخطوطات إلا أنها لم تؤثر على النص

الكتابي. وقد أشار ابن النديم إلى أسماء بعض المذهبين للمصاحف منهم (إبراهيم الصغير، أبو موسى بن عماد، ابن السقطي، أبو عبد الله الخز يمي) وغيرهم.

وكان ابن البواب قد ذهب وزخرف أوائل الكثير من المخطوطات ومنها رسالة الواثق إلى محمد بن يزيد اليماني النحوي حيث رسم في صفحة العنوان وحدة زخرفية على شكل قلب يحيط به شريط يتضمن أوراقاً نباتية مظللة بالألوان وفي وسطها حلية من الزخارف النباتية المتداخلة رسمت بالمداد الذهبي، وعلى هذا الشكل الزخرفي في كتب عنوان المخطوط وبخط الثلث الجيد، ومن المزخرفين سعد بن مسعود المقرئ الذي كتب نسخة خزائنية من كتاب الصحاح للجوهري والتي كتبها للخليفة العباسي المستظهر بالله، وقد كتب إهداءه داخل حلية زخرفية في صفحة العنوان وجعل الكتابة بمداد أبيض وبخط الثلث على أرضية مذهبة وداخل شكل رباعي مفصص ويحيط به مربع أخر يختلف عن المربع الأول حيث زخرفت زواياه الأربع بعناصر زخرفية نباتية رسمت بالذهب على أرضية زرقاء وتحيط بهذه الحلية ثلاثة أشرطة زخرفية ملونة.

وقد أجاد الخطاط المشهور ياقوت المستعصمي في تحلية المصاحف والرسائل التي كتبها وزينها بحليات زخرفية.

وخلال القرنين الخامس والسادس الهجريين غلب على الزخارف الهندسية ومنها الأشكال النجمية المتعددة الرؤوس أشهرها النجمة الثمانية الرؤوس والتي تتداخل مع أشكال هندسية وعناصر أخرى نباتيه كالأغصان والأوراق والوريدات وعناصر أخرى.

وأخذ الخط يميل إلى الزخرفية وذلك لقابلية الحرف لعربي على المطاوعة وتقبل الزخارف فتطور الخط من الكوفي البسيط إلى المورق والمزهر والمضفور والمربع، وبالنسبة للخط النسخي اللين منها الثلث بأنواعه والطومار والرقعة والديواني والطغراء، والخطوط ذات الرسوم الآدمية والطيور وغيرها.

المراجع

١. أسامة ناصر النقشبندي: التذهيب والزخرفة: حضارة العراق الجزء التاسع بغداد ١٩٨٥.

٢. ابن النديم: الفهرست: الطبعة الثانية بيروت ١٩٦٤م.

٣. الدكتور زكي محمد حسن: أطلس الفنون الإسلامية القاهرة ١٩٥٦م.

٤. نضال عبد العالي: أدوات ومواد الكتابة في العصر العباسي رسالة ماجستير، كلية الآداب – جامعة بغداد ١٩٨٢.

٥. النقشبندي، ناصر محمود: المصاحف الكريمة في صدر الإسلام. مجلة سومر العدد ١٢ بغداد ١٩٥٦.

الفصل السادس عشر
زخارف نقشت على الحجر أو الرخام أو الجص

وصلت الفنون الزخرفية الإسلامية إلى درجات متقدمة بنقش الزخارف المختلفة على مواد الحجر أو الرخام أو الجص فمن العصر الأموي وصلنا لوح من الرخام ذي الزخارف المنحوتة من الجامع الأموي بدمشق، وقوام زخرفته نباتية وهندسية تمثلت بأوراق العنب وعناقيده داخل شكل معين وحوله مناطق مثلثة، وفيها زخارف تشبه حنات المسبحة، ومن العصر العباسي وصلنا محراب جامع المنصور المعروف بمحراب جامع الخاصكي بمدينة السلام بغداد، ومحفوظ اليوم بالمتحف العراقي ببغداد، وهو عبارة عن قطعة واحدة من الرخام محاري الشكل وفيه مروحة نخيلية، وتحت هذا الجزء عمودان وفي أعلاها ثنايا حلزونية، وفيه زخارف مختلفة نباتية فيها أوراق العنب، وقرون الرخاء، ويعتبر هذا المحراب تحفة رائعة. ومن قرطبة وصلنا من المسجد الجامع في قرطبة لوح من الرخام حمل زخارف نباتية وتبدو الزخرفة كأنها من رسوم المخرمات. ومن مصر وصلتنا العديد من النماذج منها ألواح رخامية مزخرفة من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وضمت في زخارفها أشكال طيور وأسماك وحيوانات خرافية محفوظة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

ومن إيران وصلتنا تماثيل جصية منها رأس لفتاة تضع على رأسها ما يشبه التاج من القرن السادس أو السابع الهجري/ الثاني والثالث عشر الميلادي، ومحفوظ هذا الرأس بمتحف المترو بولتان بنيويورك، أما التمثال الأخر فيمثل امرأة معمول من الجص أيضاً ومن القرن السادس الهجري ومحفوظ اليوم بمتحف برلين.

ومن الألواح الحجرية ذو الزخارف البارزة كشف هذا اللوح بالموصل شمال العراق، وقوام زخرفته رسم أسد ينقض على ثور وهذا اللوح من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ومحفوظ اليوم بالمتحف العراق ببغداد.

ومن العراق أيضاً وصلتنا مجموعة كبيرة من المسارج الحجرية والرخامية بأشكال مختلفة ومن العصور الوسطى الإسلامية.

ومن النماذج العراقية الجميلة كرسي أو قاعدة زير من الحجر الأحمر ذي الزخارف البارزة تمثل رسوماً آدمية وحيوانات وزخارف تشبه سعفة النخيل، ومحفوظة اليوم بالمتحف العراقي من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

ومن الألواح الرخامية التي تنسب إلى شمال العراق لوح حمل زخارف بارزة تمثل تنينين متواجهين وفوقهما كتابة (السلطان المعظم) وهذا النقش سلجوقي من القرن السابع الهجري ومحفوظ اليوم بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

ومن بلاد الشام وصلنا نموذج عبارة عن حوض من الرخام عليه كتابة باسم محمد الثاني سلطان حماة سنة ٦٧٦هجرية وزخارف نباتية ونص الشريط الكتابي: (عز لمولانا السلطان الملك المنصور العالم العادل الغازي المجاهد المرابط المثاغر المؤيد المظفر المنصور ناصر الدنيا والدين أبي المعالي محمد بن السلطان الملك المظفر العالم العادل الغازي المجاهد المرابط تقي الدنيا والدين محمود بن محمد بن عمر شاهنشاه بن أيوب سنة ست وسبعين وستمائة) ومن مصر يضم متحف الفن الإسلامي بالقاهرة العديد من النماذج من الألواح الرخامية ذي الزخارف البارزة من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

ومن الهند وإيران وصلتنا نماذج من بعض الأواني الرخامية ومنها إناء من حجر اليشم المطعم بالذهب من مجموعة (ستاينماير) ومن الهند باب من الرخام من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي محفوظ اليوم بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

مراجع البحث

المرحوم الدكتور زكي محمد حسن: أطلس الفنون الإسلامية ١٩٥٦.

الفصل السابع عشر
رسوم مائية جدارية

ظهرت الرسوم المائية على الجدران منذ العصر الأموي، ففي (قصير عمره) بالأردن والذي ينسب إلى العصر الأموي ملئت جدران هذا القصر بالكثير من الرسوم الملونة ملئت جميع الفراغات للقاعة الكبرى وبقية المرافق لهذا القصر ومنها رسم (أعداء الإسلام) إضافة إلى رسوم الصيد ورسوم النساء في الحمام ورجال يقومون بالعاب رياضة، ورجال يؤون العديد من المهن ومن الرسوم المائية المشهورة الأخرى والتي تنسب إلى العصر الأموي رسوم قصر الحير الغربي بالشام من القرن الثاني الهجري ونقلت تلك الرسوم اليوم المتحف دمشق، وفي مشهد يظهر بعض الموسيقيين، وجد على أرض قاعة في قصر الحير الغربي بالشام، وفي مشهد آخر يمثل فارساً يصوب سهمه، ومن أجمل الرسوم المائية من قصر الحير الغربي يمثل النصف العلوي من سيدة الرسوم المائية من قصر الحير الغربي يمثل النصف العلوي من سيدة في مساحة مستطيلة وحول عنقها ثعبان تحت عقد من الجواهر وفي يدها منديل فاكهة.

ومن النقوش بالألوان المائية على حنية من الجص من نيسابور بإيران من القرنين الثاني والثالث الهجري/ الثامن والتاسع الميلادي، وهي محفوظة في متحف المتربولتان بنيويورك.

ومن الرسوم الجميلة التي عثر عليها في سامراء في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وقد كشفت عن هذه الرسوم البعثة الألمانية برئاسة هرنسفلد الذي نشره عن (تصاوير سامراء) والصور الموجودة اليوم هي تمثل إفريزاً من النقوش وجدت في قاعات الحريم بقصر الجو سق الخاقاني وتتألف من شريطين، في الشريط العلوي فيه رسوم طيور مختلفة، ويضم الشريط الأسفل رسوم بط أو طيور مائية متتابعة، أما أشهر تلك الرسوم يمثل راقصتين مرفوعة الذراعين يظهر في الصورة

الكثير من التفاصيل من الملابس وضفائر الشعر وتفاصيل أخرى. وفي الرسوم التي عثر عليها في سامراء عبارة عن باقات من الفروع النباتية المركبة والمحورة عن الطبيعة تشبه قرون الرخاء وتتصل بها رسوم الزهور والفواكه كما تضم رسوم نساء شبه عاريات تحمل بعضهن صحون فاكهة، كما تضم رسوم طيور جارحة وحيوانات ينقض بعضها على فريسته.

ومن رسوم سامراء ظهرت سيدة تصيد الوحوش تحيط بها دائرة وتبدو الصيادة تدفع كتف الحمار الوحشي بقدمها اليمنى وتقبض على أحد أذنيه بيدها اليمنى وتمسك بيدها ليسرى الخنجر تطعن به الحمار في جبهته، بينما يهاجم كلب الصيد الفريسة، وظهرت بعض النساء في رسوم أخرى عديدة من رسوم سامراء بالإمكان الاستفادة منها في دراسة الملابس وغطاء الرأس والحلي للأذان والرقبة من خلال تلك الرسوم وقد أفادتنا رسوم سامراء بدراسة الكثير من المعلومات عن الطيور والحيوانات المختلفة ومن بين تلك الرسوم رسم سيدة تحمل فوق كتفها حيواناً (ولا بد أن مثل تلك الرسوم لها قصص كانت معروفة حينذاك. ومن العصر الفاطمي في مصر وصلتنا رسوم بالألوان المائية منها نقش رجل جالس ويعتمر العمامة فوق رأسه وملابسه مزينة بزهور حمراء ويحيط به عقد مدبب عمل من شريطين داخلهم دوائر وفي لوحه فاطمية ثانية يبدو رسم طائرين متقابلين بينهما أوراق نباتية وحولهم شريط من حبيبات، وهذين النموذجين محفوظين اليوم بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

وقد شاعت الرسوم الملونة الجدارية في كل من أسبانيا (الأندلس) وصقلية، وإيران ويضم متحف طهران بعض منها .

المراجع

المرحوم الدكتور زكي محمد حسن الأطلس ١٩٥٦.

شرح الألواح

١- المنسوجات: الدكتور زكي محمد حسن: الصور جميعها عن أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٦

الشكل ١	عمامة سمويل من موسى مؤرخة سنة ٨٨ هجرية/ عن أطلس الفنون
شكل ٢	نسيج من مصر من القرن الثالث أو الرابع الهجري/ عن أطلس الفنون.
شكل ٣	قطعة نسيج من الصوف مصر القرن الثالث الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٤	قطعة نسيج من مصر من القرن الأول أو الثالث الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٥	قطعة نسيج من مصر من القرنين الثالث والرابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٦	قطعة نسيج من مصر من القرنين الثالث والرابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٧	قطعة نسيج من العراق من القرن الثاني الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٨	قطعة نسيج من العراق من القرن الرابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٩	قطعة حرير من بغداد من القرنين الرابع والخامس الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ١٠	قطعة نسيج من اليمن القرنين الثالث والرابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ١١	قطعة نسيج حملت اسم الخليفة المتوكل على الله من القرن الثالث الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ١٢	قطعة حرير من صناعة إيران القرنين الخامس والسادس الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ١٣	قطعة حرير من إيران القرنين الخامس أو السادس الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ١٤	قطعة كتان باسم الخليفة العباس المعتمد على الله/ عن أطلس الفنون
شكل ١٥	رسم مفصل لقطعة نسيج حريرية من العراق من القرن السادس الهجري/ عن أطلس الفنون.
شكل ١٦	قطعة كتان من مصر من عصر الخليفة الفاطمي العزيز بالله من نهاية القرن الرابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ١٧	قطعة نسيج من دار السلام (بغداد) الخليفة المقتدر بالله/ عن أطلس الفنون
شكل ١٨	قطعة نسيج من العراق في عهد الخليفة القادر بالله/ عن أطلس الفنون
شكل ١٩	قطعة نسيج من مصر القرن السادس الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٢٠	قطعة نسيج من مصر القرن الخامس الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٢١	قطعة نسيج من مصر القرن الخامس الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٢٢	قطعة من الحرير صناعة صقلية من القرن السادس السابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٢٣	قطعة من الحرير من صقلية من القرن السادس والسابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٢٤	عباءة التتويج من الحرير للملك روجرز الثاني ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م/ عن أطلس الفنون

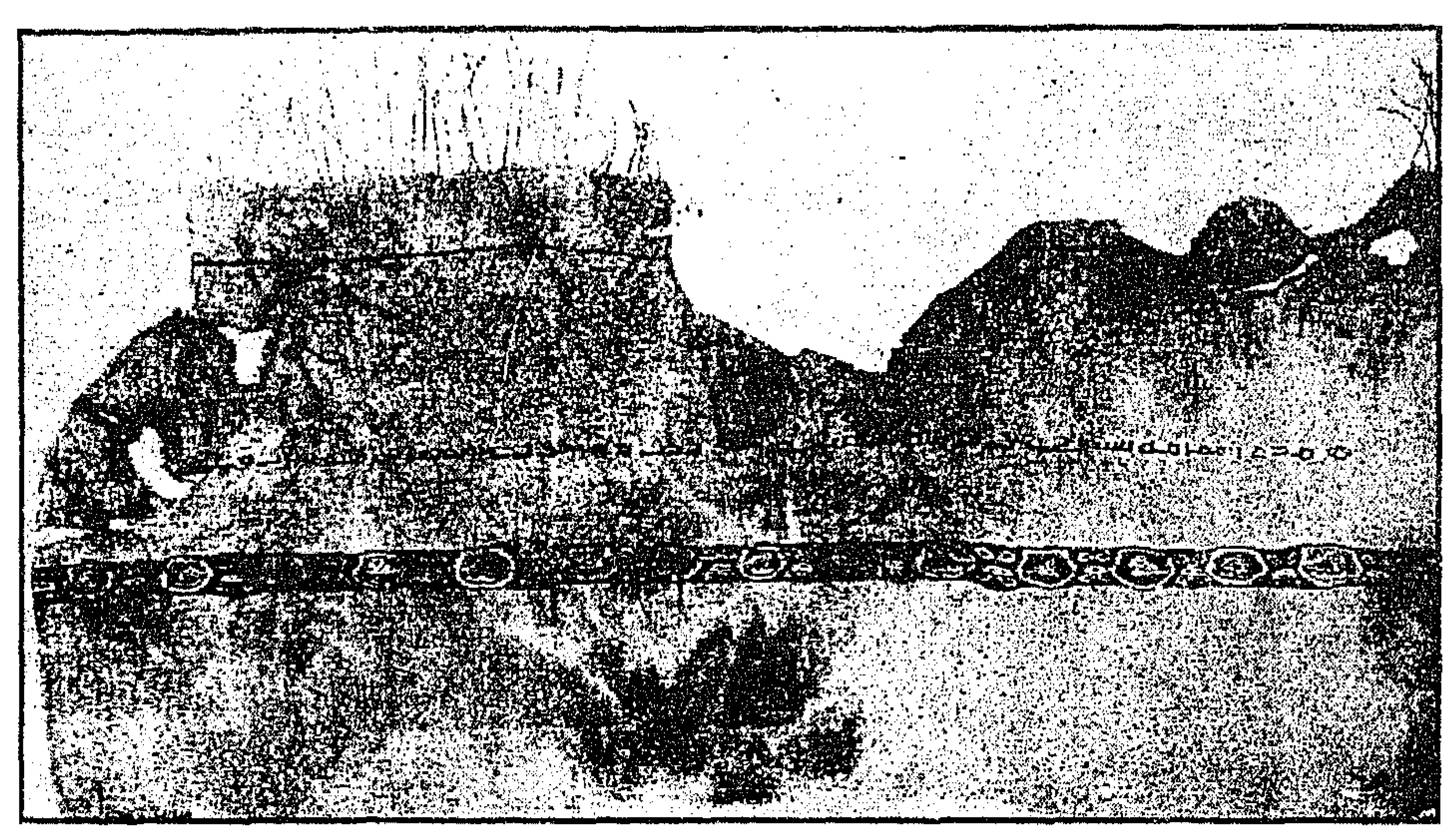
شكل ٢٥	قطعة من الحرير صناعة إيران من القرن الحادي عشر الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٢٦	قطعة حرير من إيران من القرن الحادي عشر الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٢٧	قطعة حريرية من أسبانيا من القرن السادس أو السابع الهجري/ عن أطلس الفنون
٢- الخزف	
شكل ٢٨	قدر خزفي ذو مقابض عليه زخارف مختلفة من العراق/ عن أطلس الفنون
شكل ٢٩	صحن خزفي في وسطه كتابة بالخط الكوفي من العراق/ عن أطلس القنون
شكل ٣٠	صحن خزفي حمل اسم الصانع (عمل أبو اليمن)/ عن أطلس الفنون
شكل ٣١	صحن خزفي حمل زخارف نباتية (ثلاث ورقات)/ عن أطلس الفنون
شكل ٣٢	صحن خزفي حمل النخلة في الوسط صناعة العراق أو إيران/ عن أطلس الفنون
شكل ٣٣	صحن حمل زخارف هندسية وفي الوسط زهره محورة/ عن أطلس الفنون
شكل ٣٤	صحن خزفي حمل وريقات محورة عن الطبيعة/ عن أطلس الفنون
شكل ٣٥	صحن خزفي من العراق بريق معدني من سامراء/ عن أطلس الفنون
شكل ٣٦	صحن خزفي من مصر القرن الرابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٣٧	بلاطات من القاشاني نقلت من العراق إلى القيروان من القرن الثالث الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٣٨	صحن من الخزف الفاطمي القرن الرابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٣٩	صحن من الخزف ذي البريق المعدني من العصر الفاطمي/ عن أطلس الفنون
شكل ٤٠	صحن من الخزف الفاطمي / عن أطلس الفنون
شكل ٤١	صحن خزفي صناعة سمرقند من القرن الثالث أو الرابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٤٢	قدر من الخزف الفاطمي عليه زخارف حيوانية ونباتية/ عن أطلس الفنون
شكل ٤٣	صحن من الخزف الفاطمي حمل زخارف هندسية وحيوانية/ عن أطلس الفنون
شكل ٤٤	صحن من خزف ذي البريق المعدني من العصر الفاطمي/ عن أطلس الفنون
شكل ٤٥	صحن من خزف ذي البريق المعدني من العصر الفاطمي/ عن أطلس الفنون
شكل ٤٦	صحن من خزف ذي البريق المعدني من العصر الفاطمي/ عن أطلس الفنون
شكل ٤٧	صحن من الخزف الفاطمي حمل رأسي بشرين وأجسام طيور/ عن أطلس الفنون
شكل ٤٨	قدر من الخزف الفاطمي حمل زخارف هندسية/ عن أطلس الفنون
شكل ٤٩	قدر من الخزف الأبيض من العصر الفاطمي القرن ٦ الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٥٠	زير فخاري حمل رسوم آدمية وطيور وعناصر نباتية من القرن ٦ و ٧هـ / عن أطلس الفنون من العراق.
شكل ٥١	زير فخاري من صناعة العراق ما بين ٣-٨ الهجرية/ عن أطلس الفنون
شكل ٥٢	بلاطة من خزف ذي البريق المعدني من صناعة الرقة (٤-٥هـ) عن أطلس الفنون

شكل ٥٣	خزف تركي حمل الزهور الطبيعية/ عن أطلس الفنون
شكل ٥٤	صحن تركي من صناعة ازنيق حمل عناصر هندسية ونباتية/ عن أطلس الفنون
٣- التحف الخشبية	
شكل ٥٥	تفاصيل من باب الخشب الذي عليه في تكريت بالعراق/ عن أطلس الفنون
شكل ٥٦	قطعة خشب من تكريت أيضاً عثر القرن الثاني أو الثالث الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٥٧	باب تكريت من القرن الثاني الهجري/ في متحف بناكي/ عن أطلس الفنون
شكل ٥٨	رسم مفصل لجزء من باب تكريت الخشبي/ عن أطلس الفنون
شكل ٥٩	حشوة خشبية من منبر سيدي عقبه القيروان من القرن الثاني والثالث الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٦٠	لوح خشبي من البلاطة الوسطى في المسجد الأقصى بالقدس/ عن أطلس الفنون
شكل ٦١	باب خشبي من مصر القرن الرابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٦٢	منبر خشبي من العمادية بالعراق مؤرخ ٥٤٨هجرية/ عن أطلس الفنون
شكل ٦٣	حاجز خشبي من مصر القرن الرابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٦٤	قطعة خشبية من العصر الطولوني بمصر ذو الزخارف المائلة/ عن أطلس الفنون
شكل ٦٥	قطعة خشبية مزخرفة من مصر القرن الثالث الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٦٦	قطعة خشبية من مصر القرن الثالث الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٦٧	باب خشبي من مصر خلال العصر الفاطمي سنة ٤٠٠هـ/ عن أطلس الفنون
شكل ٦٨	صندوق خشبي مطعم بالعاج من أسبانيا القرن السادس الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٦٩	كرسي خشبي من الطراز المملوكي محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة/ عن أطلسي الفنون
شكل ٧٠	حشوات خشبية من تابوت الأمام الشافعي مؤرخ سنة ٥٧٤هـ/ عن أطلس الفنون
٤- التحف الزجاجية	
شكل ٧١	قنينة من الزجاج المموه بالمينا من العراق أو الشام من القرن السابع الهجري عن أطلس الفنون
شكل ٧٢	محبرة زجاجية على هيئة جمل من مصر فجر الإسلام/ عن أطلس الفنون
شكل ٧٣	قنيتتان من مصر أو الشام فجر الإسلام/ عن أطلس الفنون
شكل ٧٤	كأس من الزجاج من مصر القرن الثالث أو الرابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٧٥	كأس من الزجاج من مصر القرن الثالث أو الرابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٧٦	أبريق من البلور الصخري من مصر القرن الخامس الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٧٧	أبريق من البلور الصخري من مصر القرن الخامس الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٧٨	أبريق من البلور الصخري مصر القرن الخامس الهجري/ عن أطلس الفنون

شكل ٧٩	محبرة من الزجاج من مصر القرن السادس الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٨٠	كأس من الزجاج المموه بالمينا صناعه مصر أو الشام القرن الثامن الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٨١	مشكاة من الزجاج المموه إلمينا حمل اسم السلطان المملوكي الناصر محمد/ عن أطلس الفنون
شكل ٨٢	مشكاة من الزجاج المموه بالمينا باسم السلطان حسن/ عن أطلس الفنون
شكل ٨٣	إناء زجاج صناعة الهند القرن الحادي عشر الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٨٤	قنينة من الزجاج الهندي من القرن الثاني عشر الهجري/ عن أطلس الفنون
٥- التحف المعدنية	
شكل ٨٥	مبخرة من البرونز من العراق أو إيران القرن الأول والثاني الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٨٦	مبخرة على هيئة طائر من العراق أو إيران القرن الأول والثاني الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٨٧	أناء ذو زخارف من العراق أو إيران القرن الثالث الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٨٨	أبريق ينسب إلى الخليفة الأموي مروان الثاني من العراق أو إيران القرن الأول الهجري/ عن أطلس الفنون
شمل ٨٩	شمعدان معدني من مصر في فجر الإسلام بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة/ عن أطلس الفنون
شكل ٩٠	صينية من البرونز من العصر الفاطمي بمصر/ عن أطلس الفنون
شكل ٩١	إبريق من الذهب من العصر البويهي بالعراق معز الدولة/ عن أطلس الفنون
شكل ٩٢	شمعدان من مصر العصر الفاطمي بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة/ عن أطلس الفنون
شكل ٩٣	إبريق من النحاس من إيران القرن السادس الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٩٤	مرآة من النحاس من صناعة العراق أو إيران القرن السادس الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٩٥	إناء من النحاس من العراق أو إيران القرن السادس الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٩٦	شمعدان من النحاس المكفت بالذهب والفضة صناعة عراقية أو إيرانية/ عن أطلس الفنون
شكل ٩٧	شمعدان من العراق ذو زخارف مخرمة من القرن السابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٩٨	شمعدان من إيران مكنت بالفضة من القرن السادس أو السابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ٩٩	إبريق من صناعة الموصل بالعراق سنة ٦٢٩ هجرية/ عن أطلس الفنون
شكل ١٠٠	هاون من النحاس من صناعة العراق القرن السابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ١٠١	إبريق من صناعة الموصل من القرن السابع الهجري/ عن أطلس الفنون

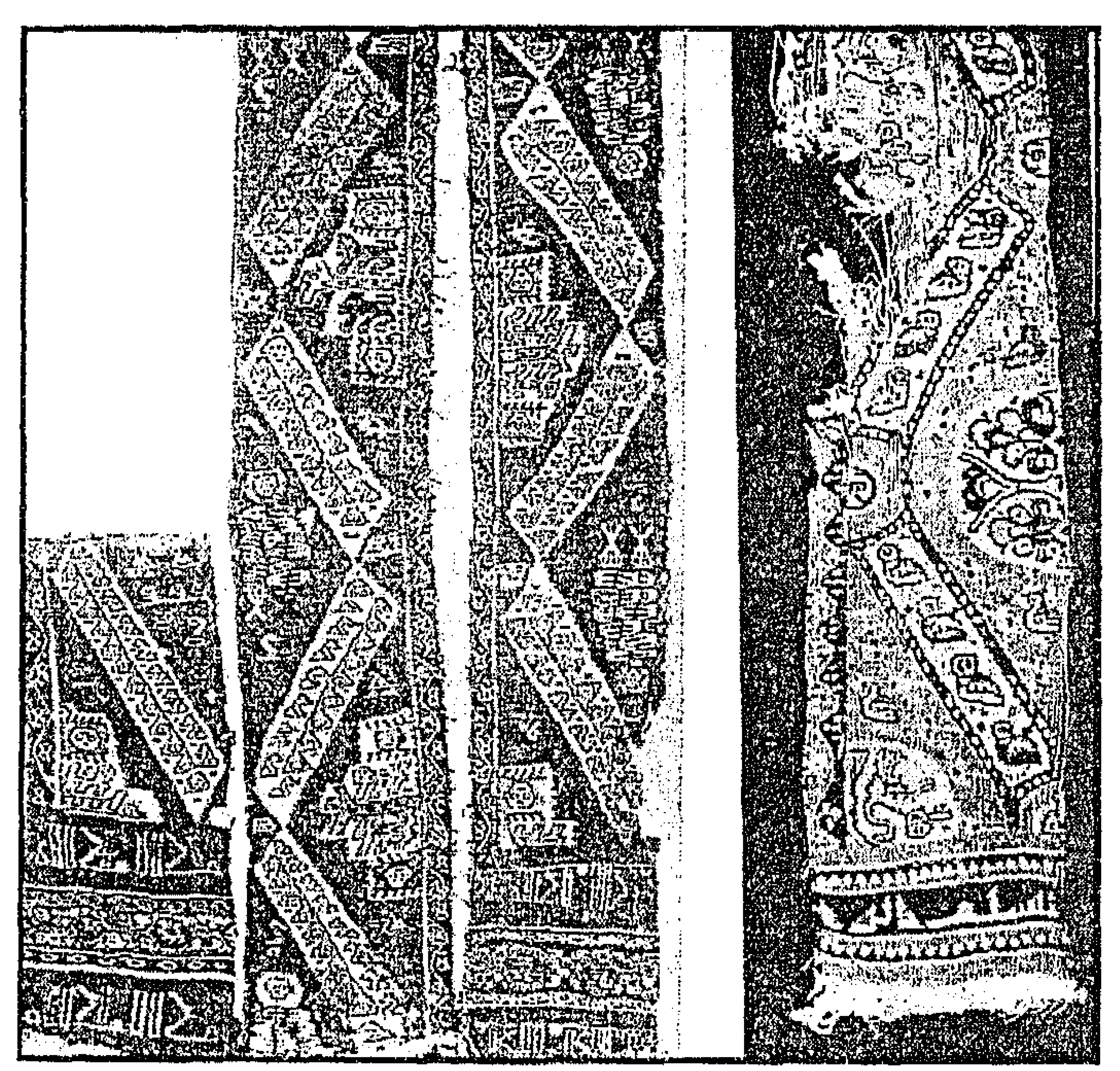
شكل ١٠٢	مقلمة ومحبرة من النحاس المكفت بالفضة صناعة الموصل القرن السابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ١٠٣	إناء من النحاس المكفت بالفضة من صناعة الشام القرن الثامن الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ١٠٤	صندوق من البرونز المكفت بالفضة من الشام أو أسيا الصغرى القرن السابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ١٠٥	إناء من النحاس المكفت بالفضة من العصر الأيوبي من مصر أو الشام/ عن أطلس الفنون
شكل ١٠٦	إناء من النحاس المكفت بالفضة من العصر الأيوبي من مصر أو الشام/ عن أطلس الفنون
شكل ١٠٧	إناء من النحاس من العراق أو إيران من القرن الثامن الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ١٠٨	شمعدان من النحاس المزخرف بأقراص المينا يعتقد من العراق القرن الثامن الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ١٠٩	شمعدان من النحاس الكفت بالذهب والفضة مؤرخ سنة ٧٦١هـ صناعة إيرانية/ عن أطلس الفنون
شكل ١١٠	محبرة ومقلمة من النحاس الكفت بالذهب والفضة من العصر المملوكي بمصر/ عن أطلس الفنون
شكل ١١١	للإنارة من النحاس (ثريا) مملوكية مؤرخة سنة ٧٣٠هـ بمصر/ عن أطلس الفنون
شكل ١١٢	صندوق من البرونز المكفت بالفضة من مصر القرن الثامن الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ١١٣	إبريق من الفضة المذهبة صناعة تركية من القرن العاشر الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ١١٤	إبريق من الذهب المزخرف بالمينا والأحجار الكريمة من تركيا القرن الحادي عشر الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ١١٥	طبر بلطة باسم السلطان الملك الناصر قايتباي من مصر القرن التاسع الهجري/ عن أطلس الفنون
٦- العاج	
شكل ١١٦	علبة من العاج مؤرخة سنة ٣٩٥هـ للحاجب سيف الدولة بن منصور/ عن أطلس الفنون
شكل ١١٧	علبة من العاج مؤرخة سنة ٣٥٧هـ باسم عبد الرحمن الناصر/ عن أطلس الفنون
شكل ١١٨	رسم تفصيلي من علبه عاجية مؤرخة سنة ٤٤١هـ/ عن أطلس الفنون
شكل ١١٩	علبة عاجية مؤرخة من سنة ٤١٧ هجرية/ عن أطلس الفنون
شكل ١٢٠	حشوة من العاج من مصر العصر المملوكي عن أطلس الفنون
شكل ١٢١	علبة من العاج من الأندلس من القرن الثامن الهجري/ عن أطلس الفنون

شكل ١٢٢	علبة اسطوانية من العاج سنة ٣٥٣هجرية/ عن أطلس الفنون
شكل ١٢٣	فيل من العاج من العراق أو الأندلس من القرن الرابع الهجري هدية إلى الملك شارلمان من الخليفة هارون/ عن أطلس الفنون
شكل ١٢٤	علبة من الخشب المطعم بالعاج من صقلية القرن السابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ١٢٥	علبة من العاج صناعة الأندلس القرن الرابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ١٢٦	علبة من العاج صناعة الأندلس القرن الرابع الهجري/ عن أطلس الفنون
شكل ١٢٧	علبة من العاج المخرم صناعة مصر من العصر المملوكي/ عن أطلس الفنون
شكل ١٢٨	علبة من العاج من القرن الرابع الهجري بالأندلس/ عن أطلس الفنون
شكل ١٢٩	حشوة من صندوق من العاج صناعة إيرانية القرن العاشر أو الحادي عشر الهجري/ عن أطلس الفنون
٧- الحلي والتزيين	
شكل ١٣٠	الوشم من وسائل التزين على الوجه والمصدر/ عن الباحثة زكية عمر العلي
شكل ١٣١	الوشم على الخدود والأيدي/ عن الباحثة زكية عمر العلي
شكل ١٣٢	التاج على الرأس من وسائل التزيين عند النساء/ عن الباحثة زكية عمر العلي
شكل ١٣٣	مجموعة من الأقراط لتزين الأذان/ عن الباحثة زكية عمر العلي
شكل ١٣٤	مجموعة من الأقراط والقلادة/ عن الباحثة زكية عمر العلي
شكل ١٣٥	المخانق نوع القلائد حول الرقبة/ عن الباحثة زكية عمر العلي
شكل ١٣٦	مجموعة من الأساور من وسائل التزيين/ عن الباحثة زكية عمر العلي
٨- النقود:	
شكل١٣٧	مجموعة من الدراهم الفضية الساسانية/ عن كتاب المسكوكات للدكتور ناهض عبد الرزاق دفتر
شكل ١٣٨	مجموعة من الدنانير الذهبية البيزنطية/ عن كتاب المسكوكات للدكتور ناهض عبد الرزاق دفتر
شكل ١٣٩	درهم ساساني في مرحلة التعريب/ عن كتاب المسكوكات للدكتور ناهض عبد الرزاق دفتر
شكل ١٤٠	أول دينار عربي سك في سنة ٧٧ هجرية/ عن كتاب المسكوكات للدكتور ناهض عبد الرزاق دفتر
شكل ١٤١	درهم البصرة في سنة ٧٩ هجرية/ عن كتاب المسكوكات للدكتور ناهض عبد الرزاق دفتر
شكل ١٤٢	مجموعة من الدراهم الأموية/ عن كتاب المسكوكات للدكتور ناهض عبد الرزاق دفتر



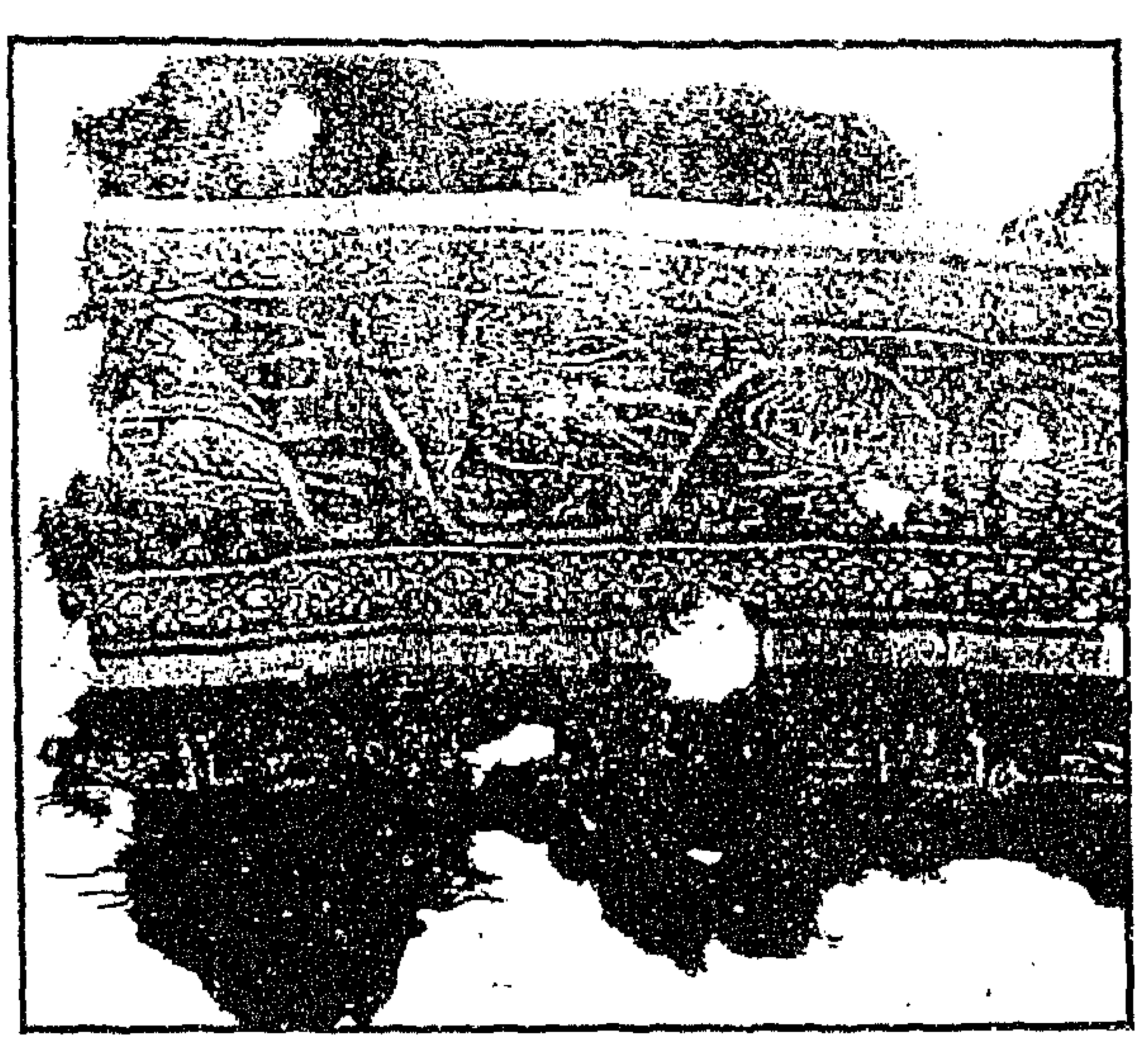
(الكليشية لجمعية الآثار القبطية)

شكل (١) قطعة نسيج من عمامة باسم (سمويل بن موسى) مؤرخة سنة ٨٨هـ (٧٠٧م). ولكن طراز زخارفها يرجح أن التاريخ غير كامل وأنه قد يكون ١٨٨هـ (٨٠٤م). في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة

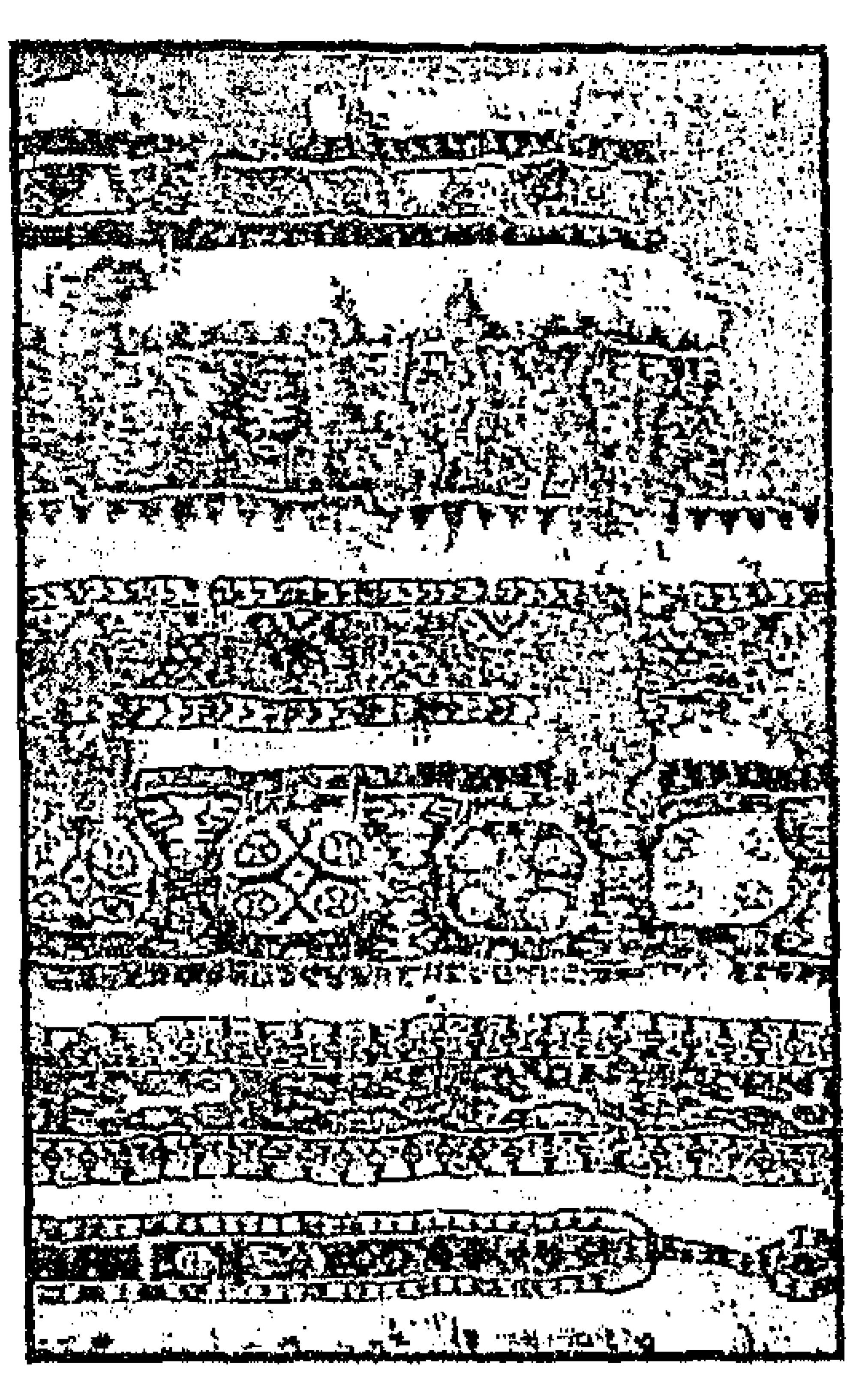


((الكليشيه لجمعية الآثار القبطية)

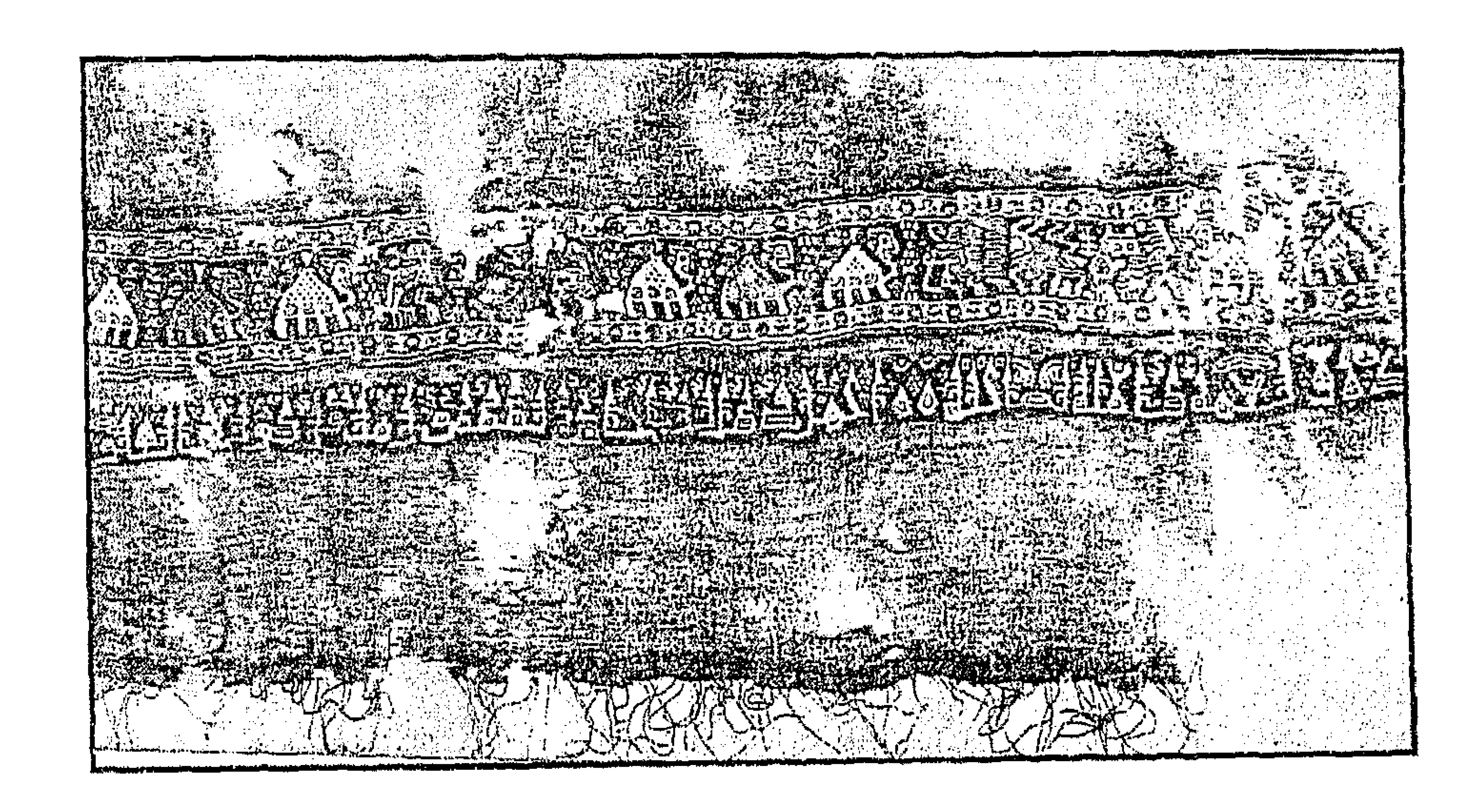
شكل (٢) أشرطة من نسيج من الصفوف على النمط القبطي وفيها كتابات بالخط الكوفي. من مصر في القرن الثامن أو التاسع. في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة



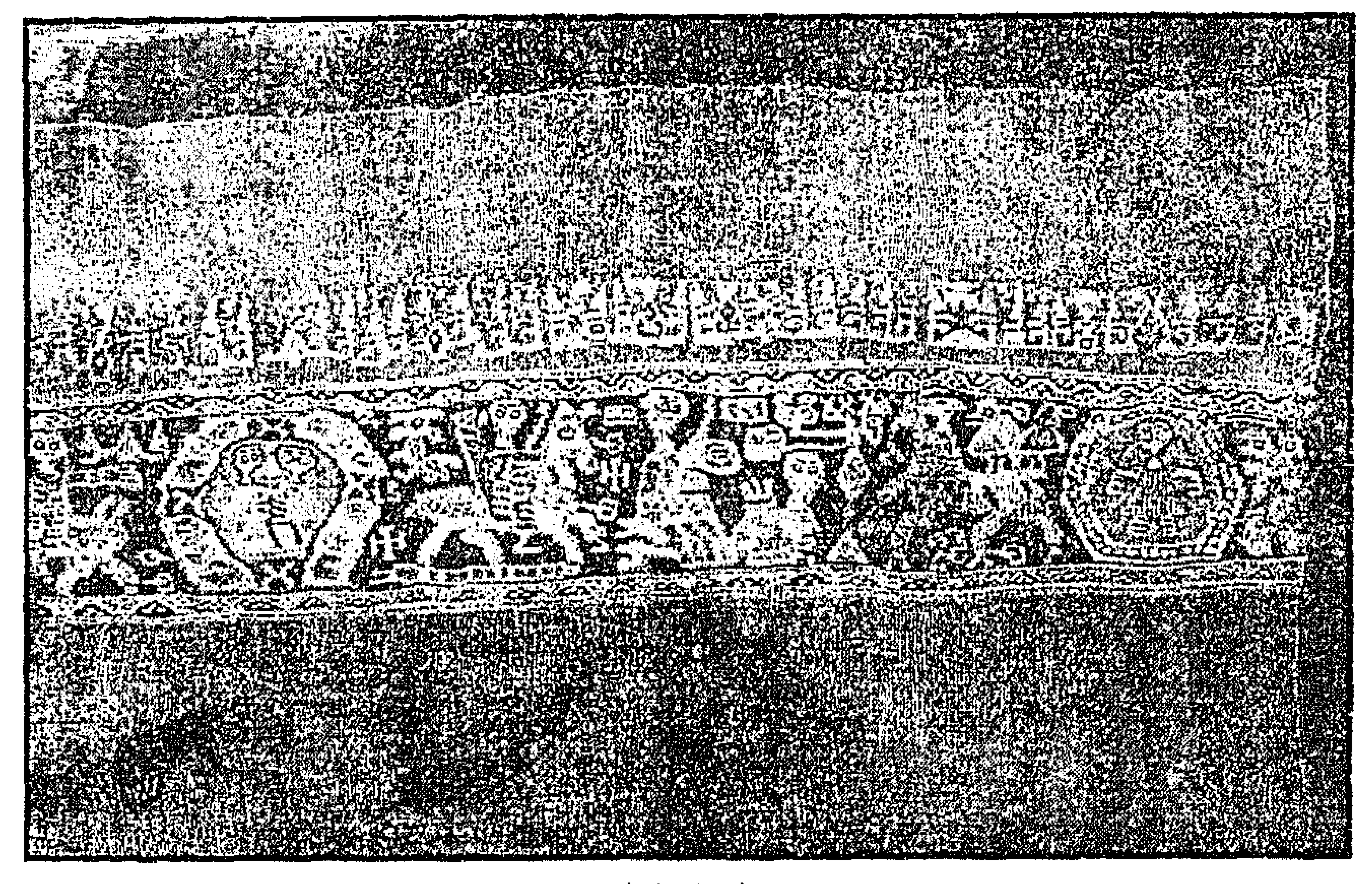
شكل (٣)



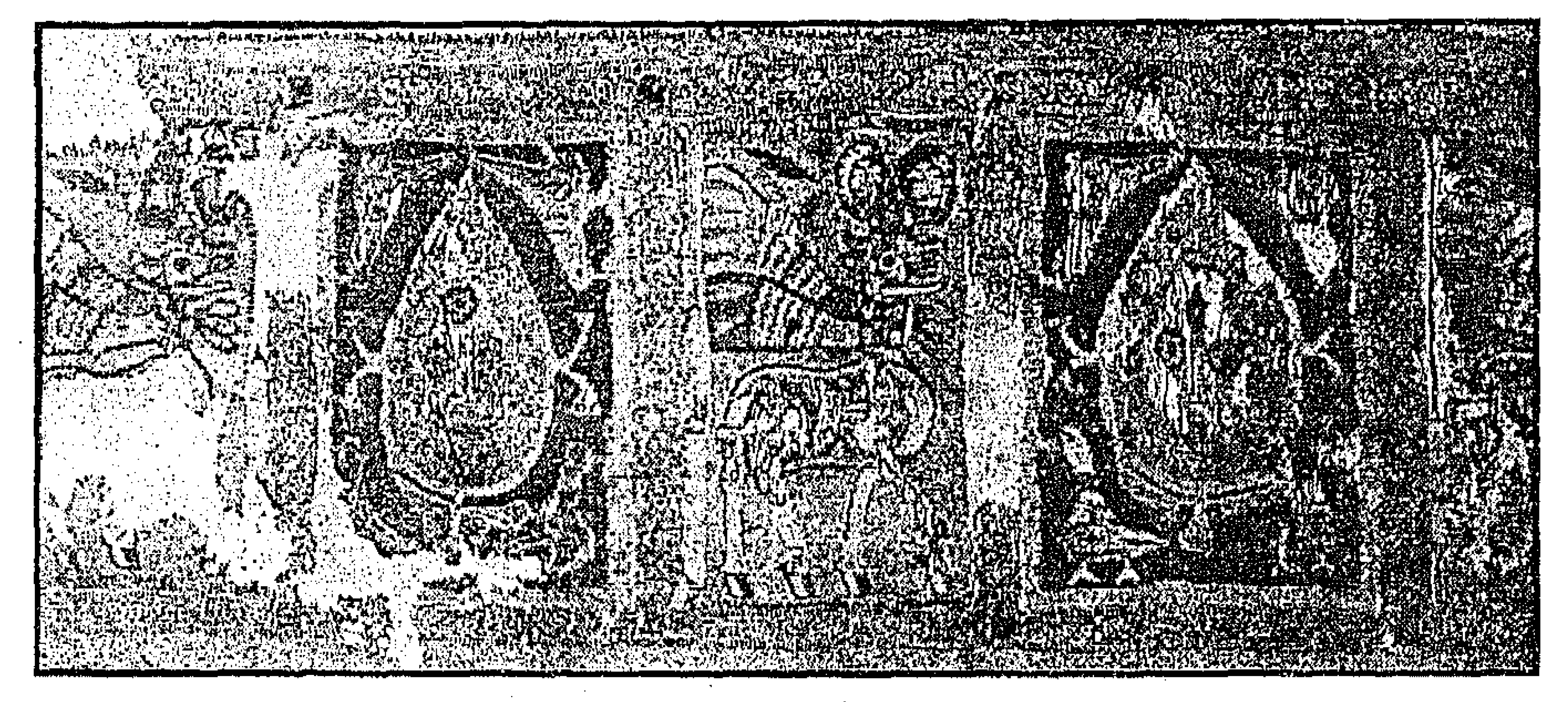
شكل (٤)



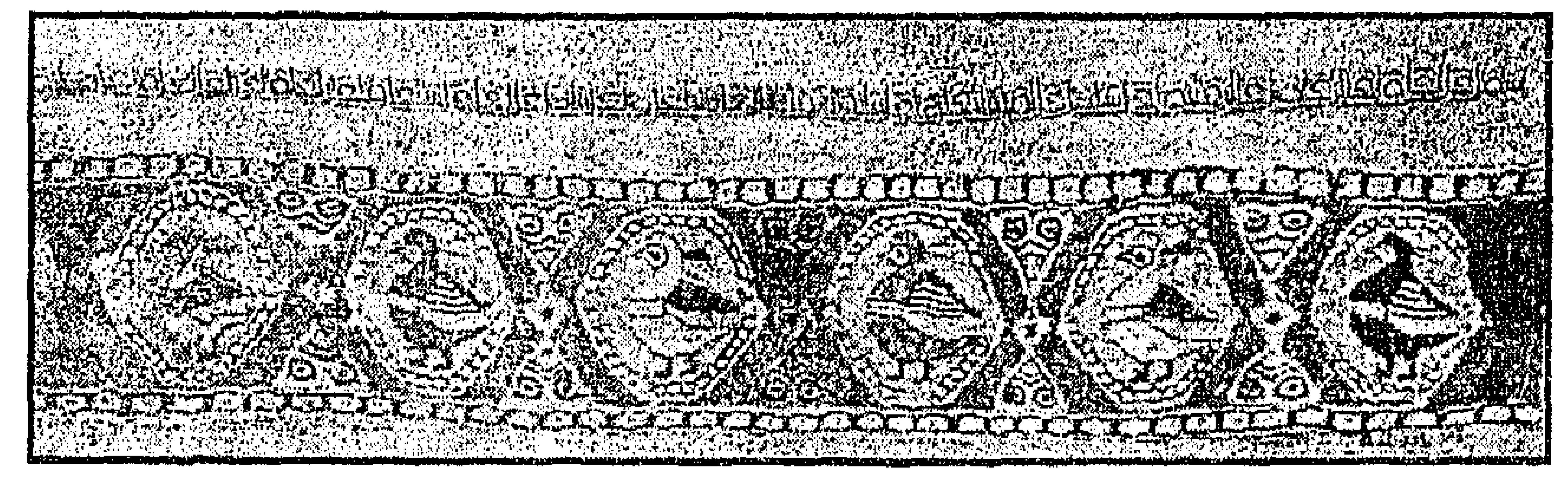
شكل (٥)



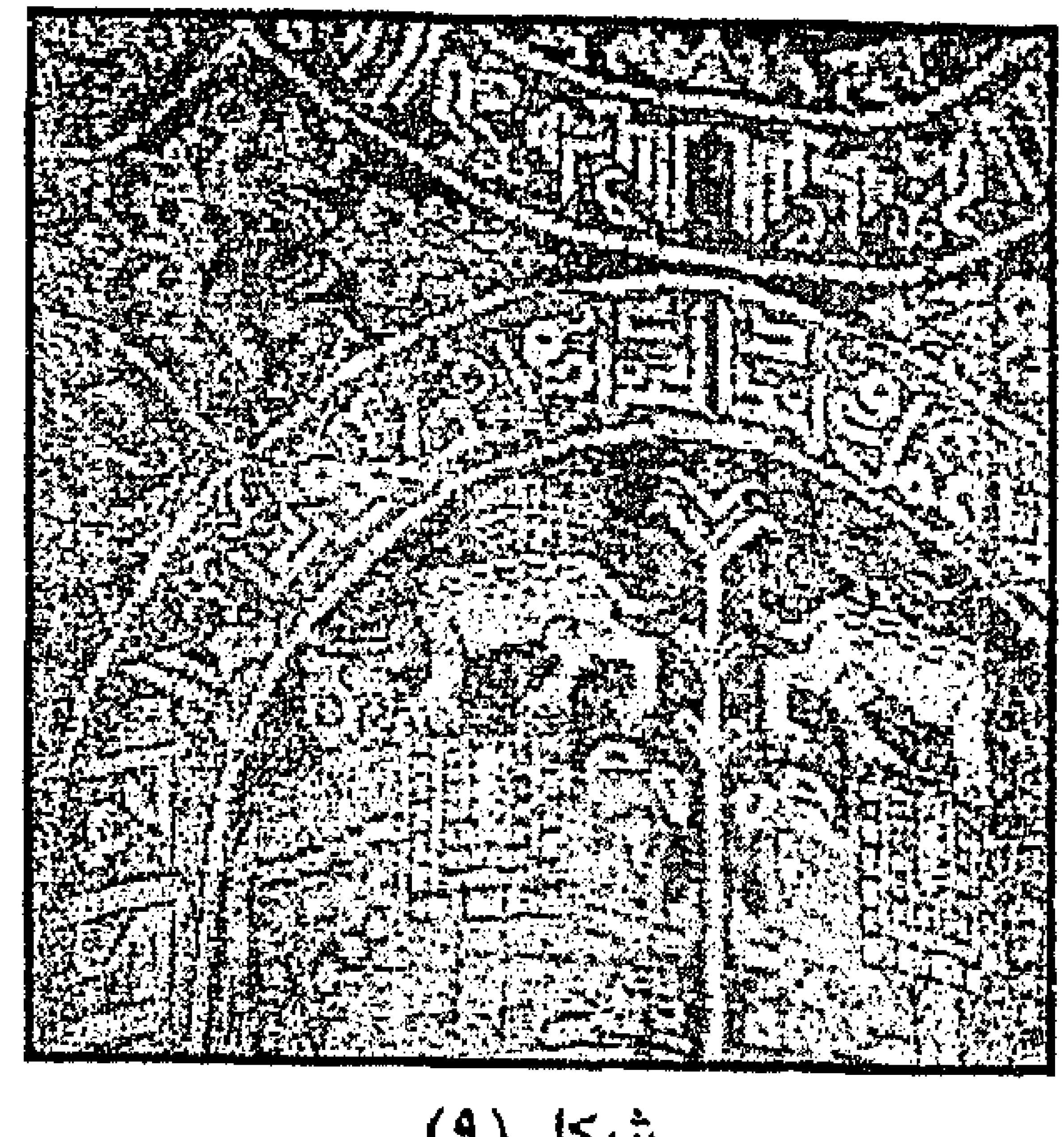
شكل (٦)



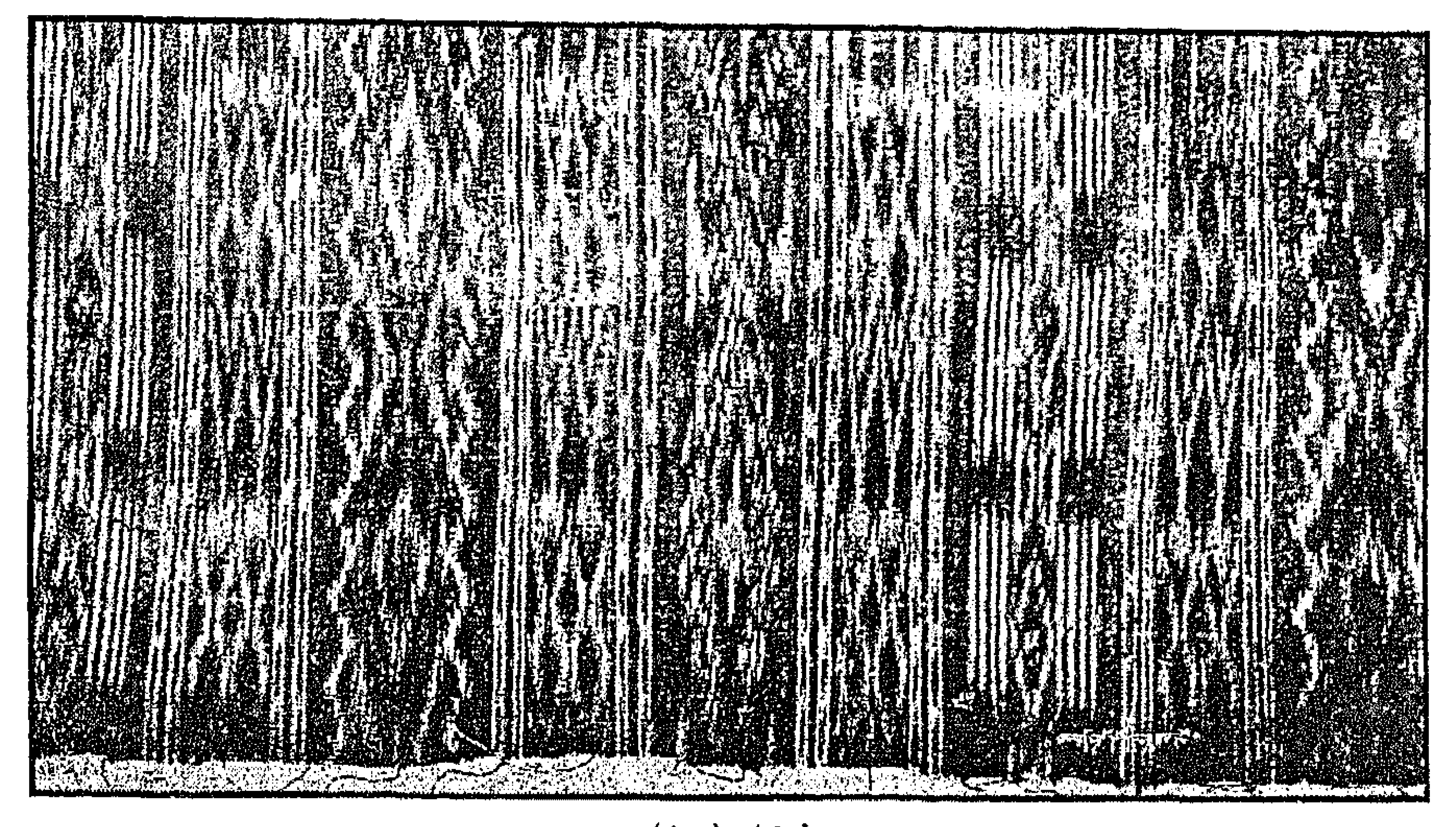
شكل (٧)



شكل (٨)



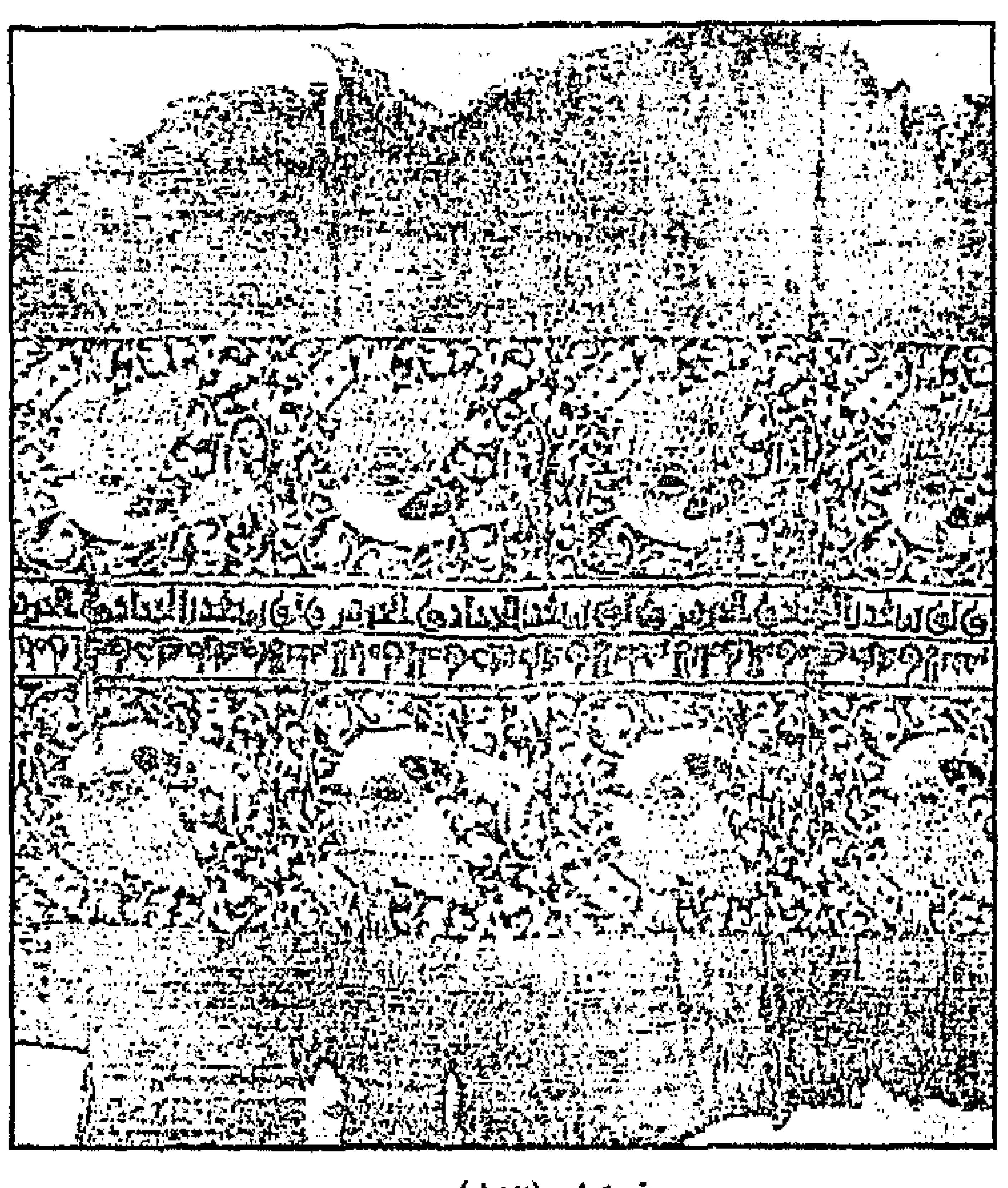
شكل (٩)



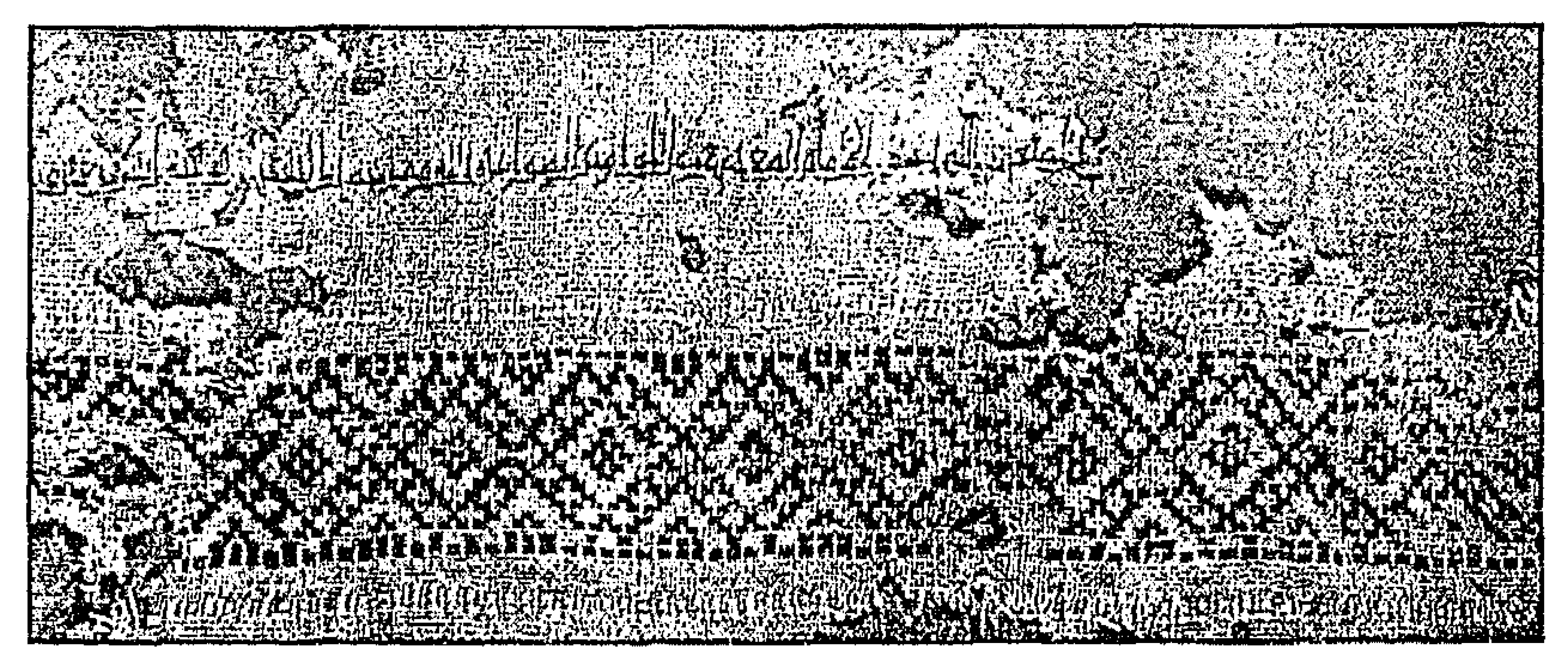
شكل (١٠)

شكل (١١)

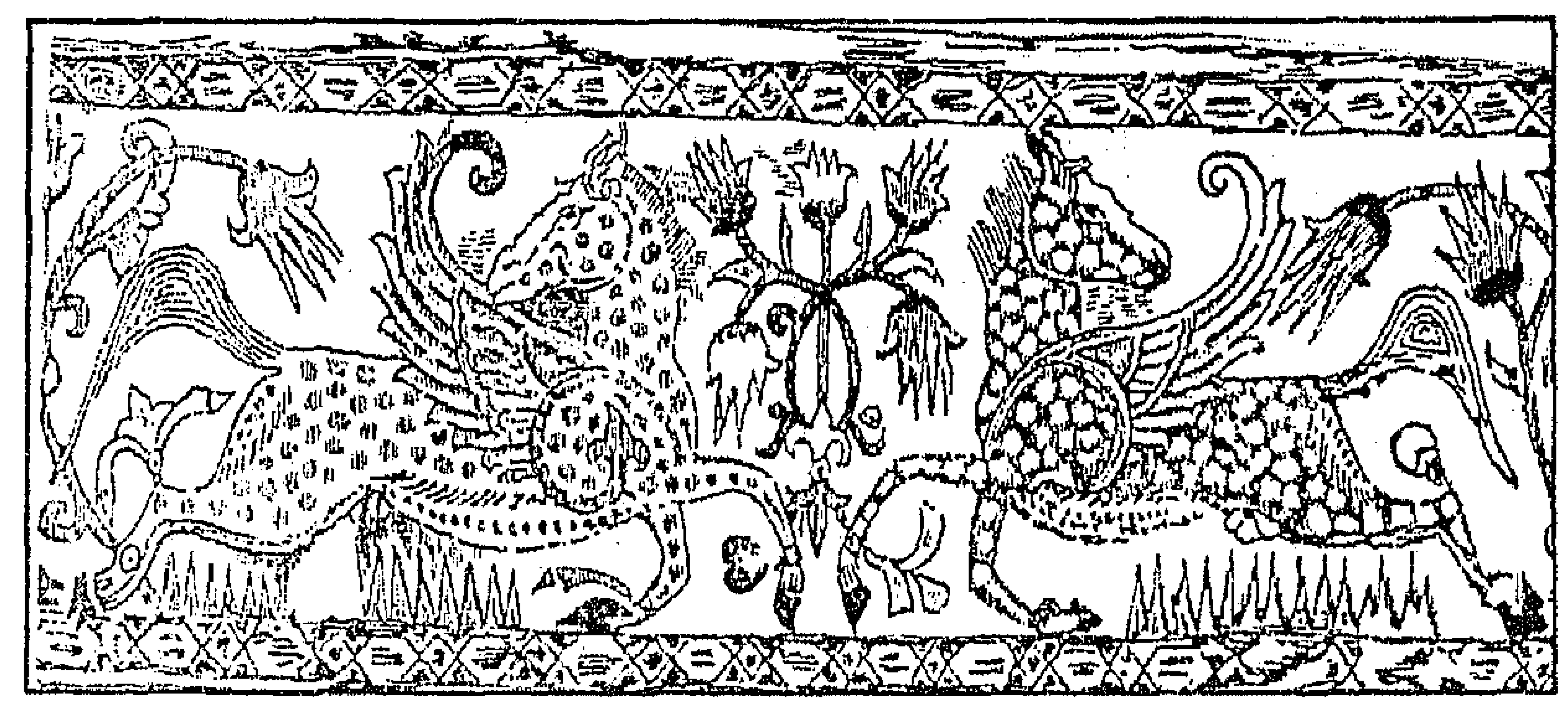
شكل (١٢)



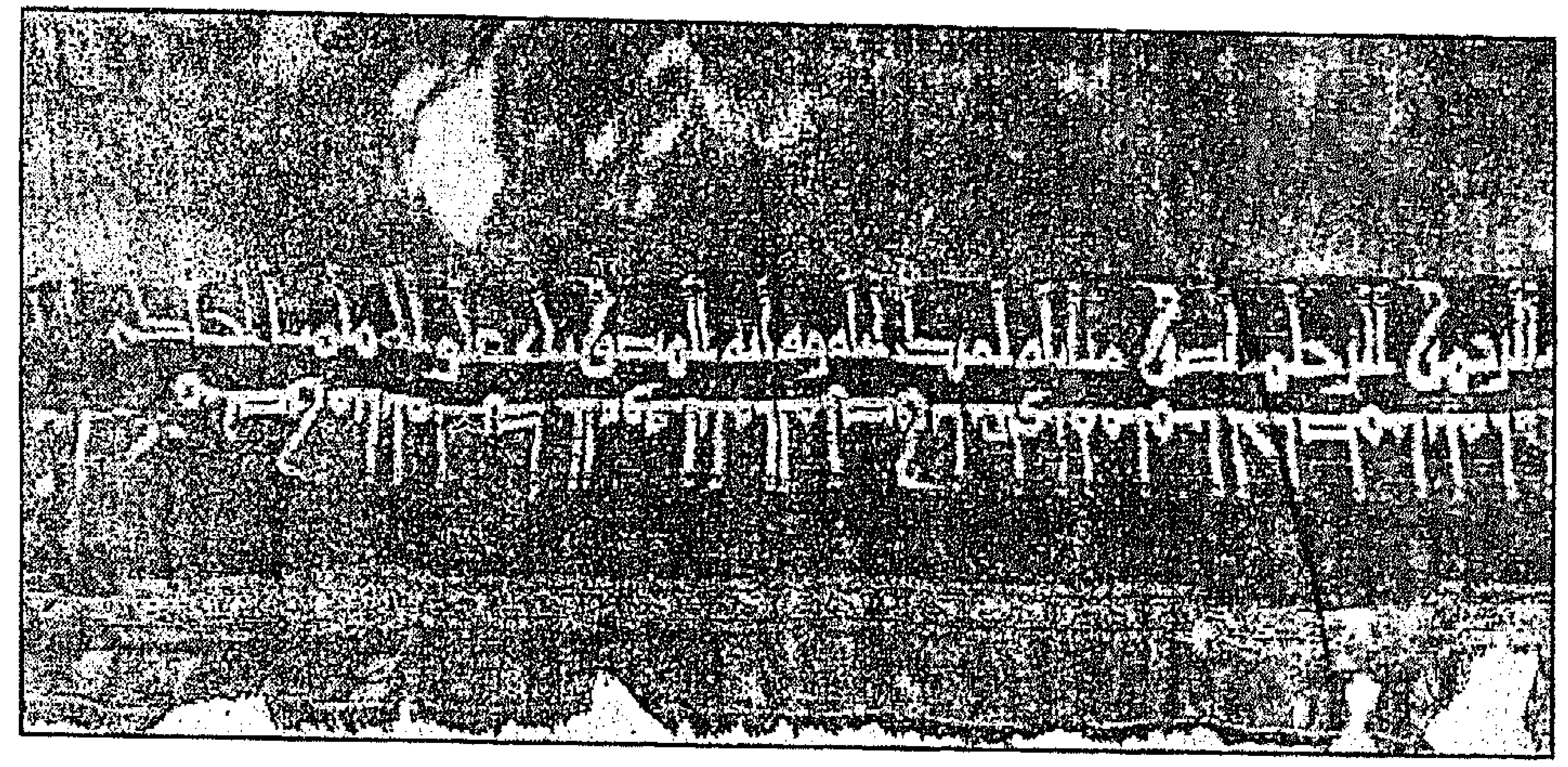
شكل (١٣)



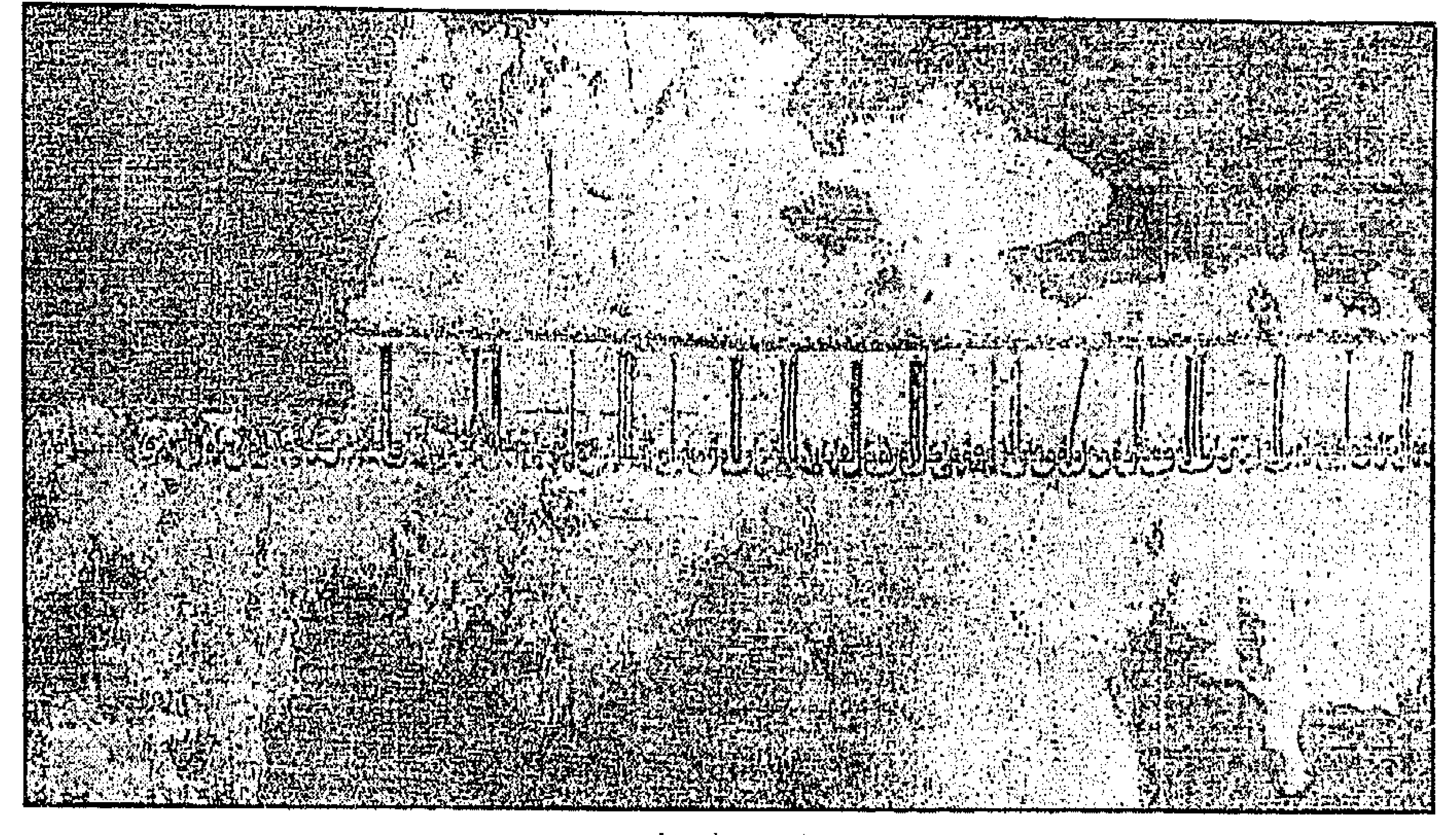
شكل (١٤)



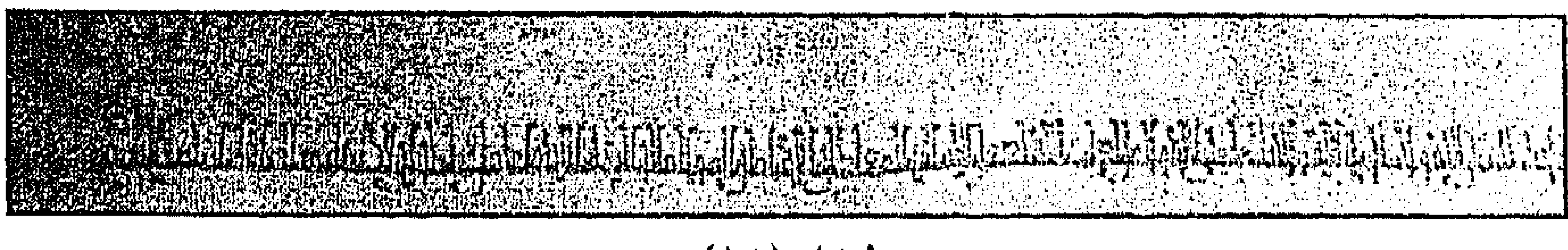
شكل (١٥)



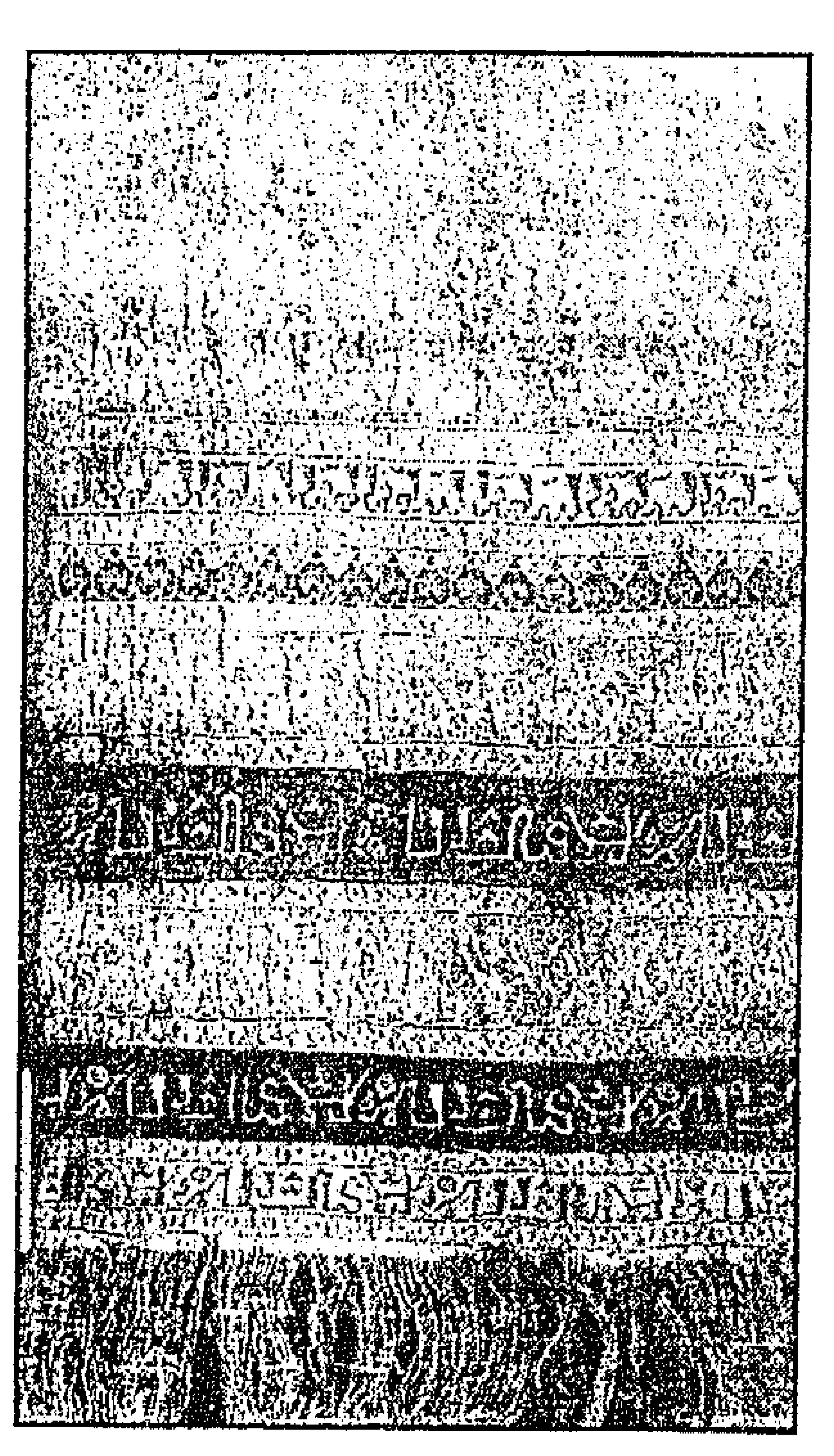
شكل (١٦)



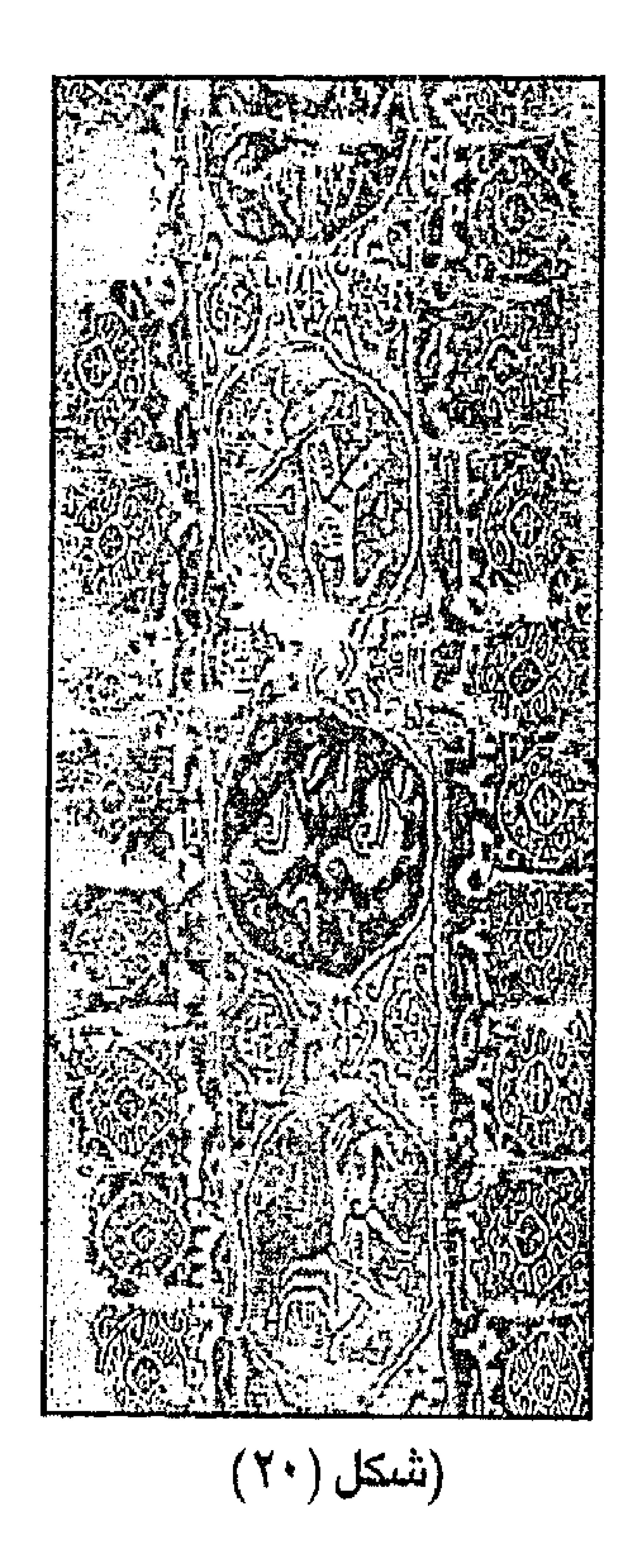
شكل (١٧)



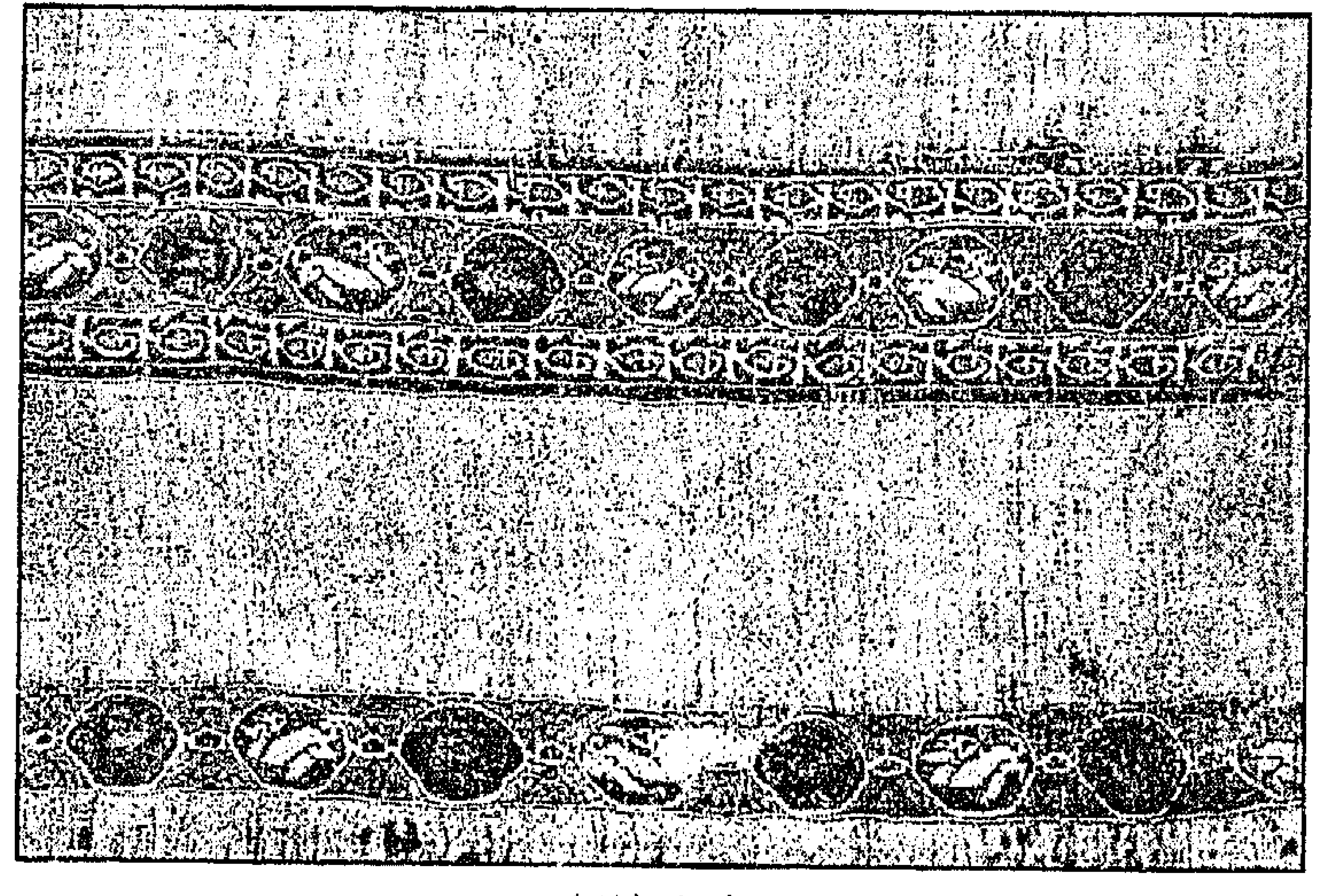
شكل (١٨)



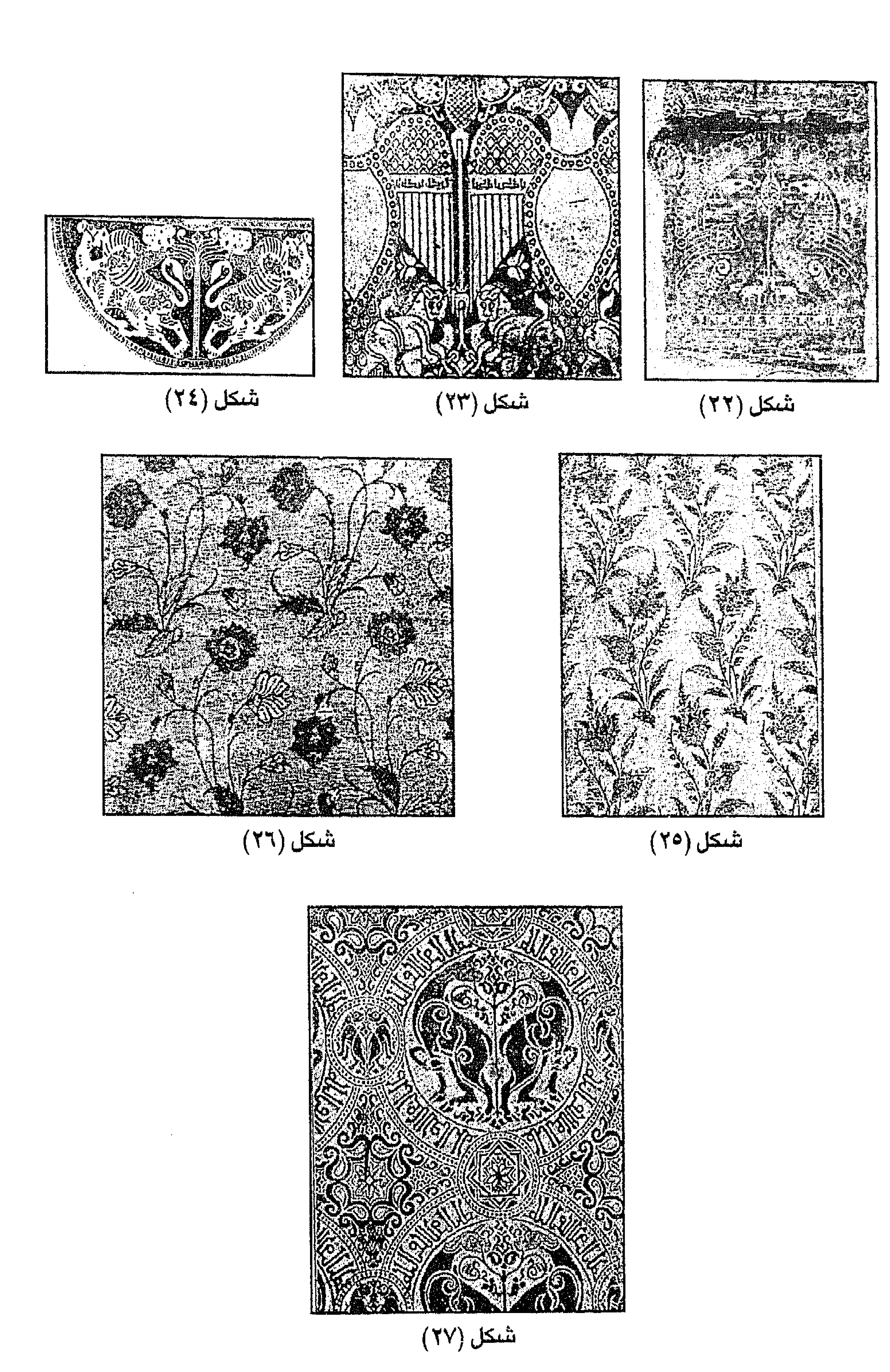

شكل (١٩)



(شكل (٢٠)



شكل (٢١)



شكل (٢٢)

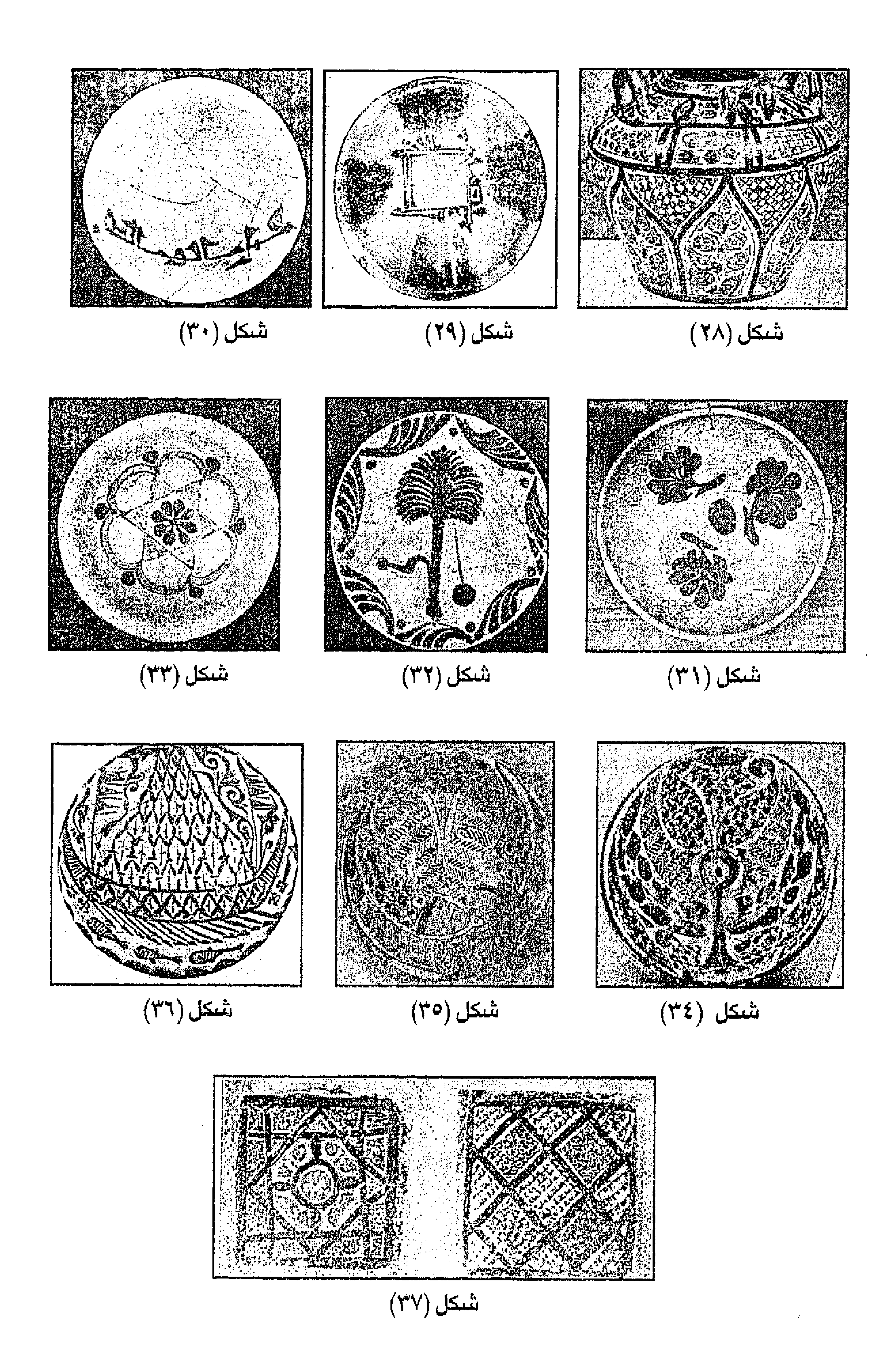
شكل (٢٣)

شكل (٢٤)

شكل (٢٥)

شكل (٢٦)

شكل (٢٧)



شكل (٢٨)

شكل (٢٩)

شكل (٣٠)

شكل (٣١)

شكل (٣٢)

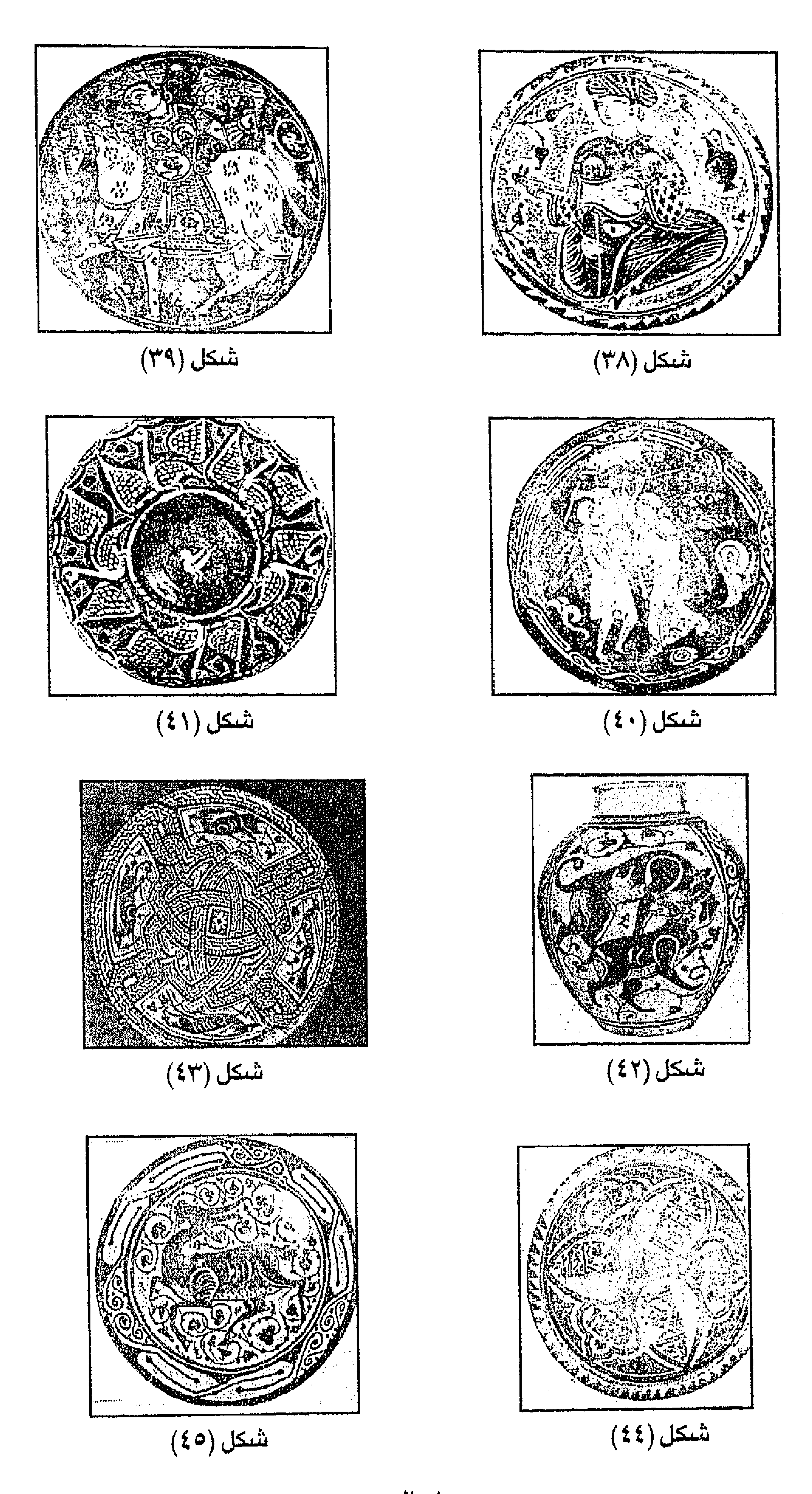
شكل (٣٣)

شكل (٣٤)

شكل (٣٥)

شكل (٣٦)

شكل (٣٧)



شكل (٣٨)

شكل (٣٩)

شكل (٤٠)

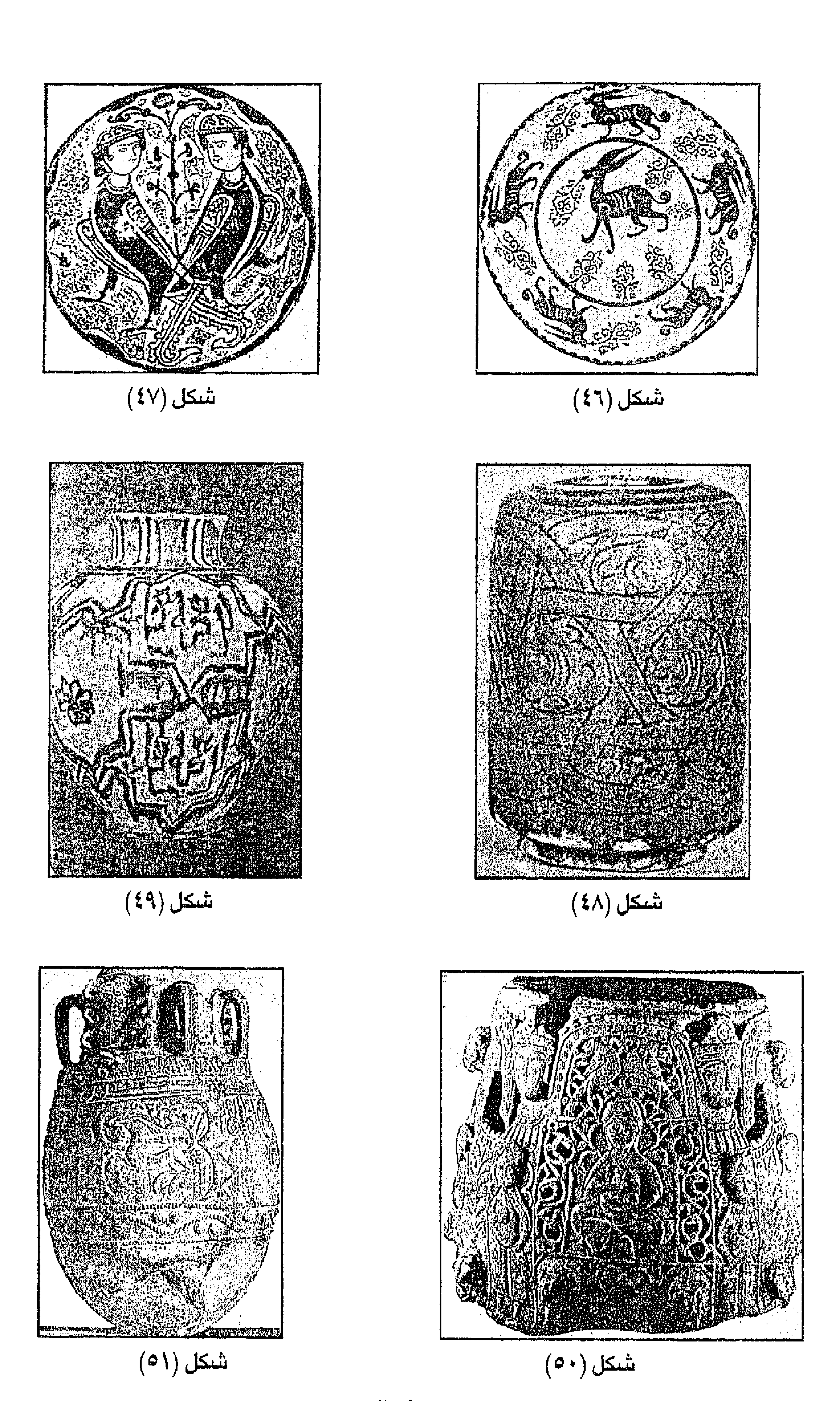
شكل (٤١)

شكل (٤٢)

شكل (٤٣)

شكل (٤٤)

شكل (٤٥)



شكل (٤٦)

شكل (٤٧)

شكل (٤٨)

شكل (٤٩)

شكل (٥٠)

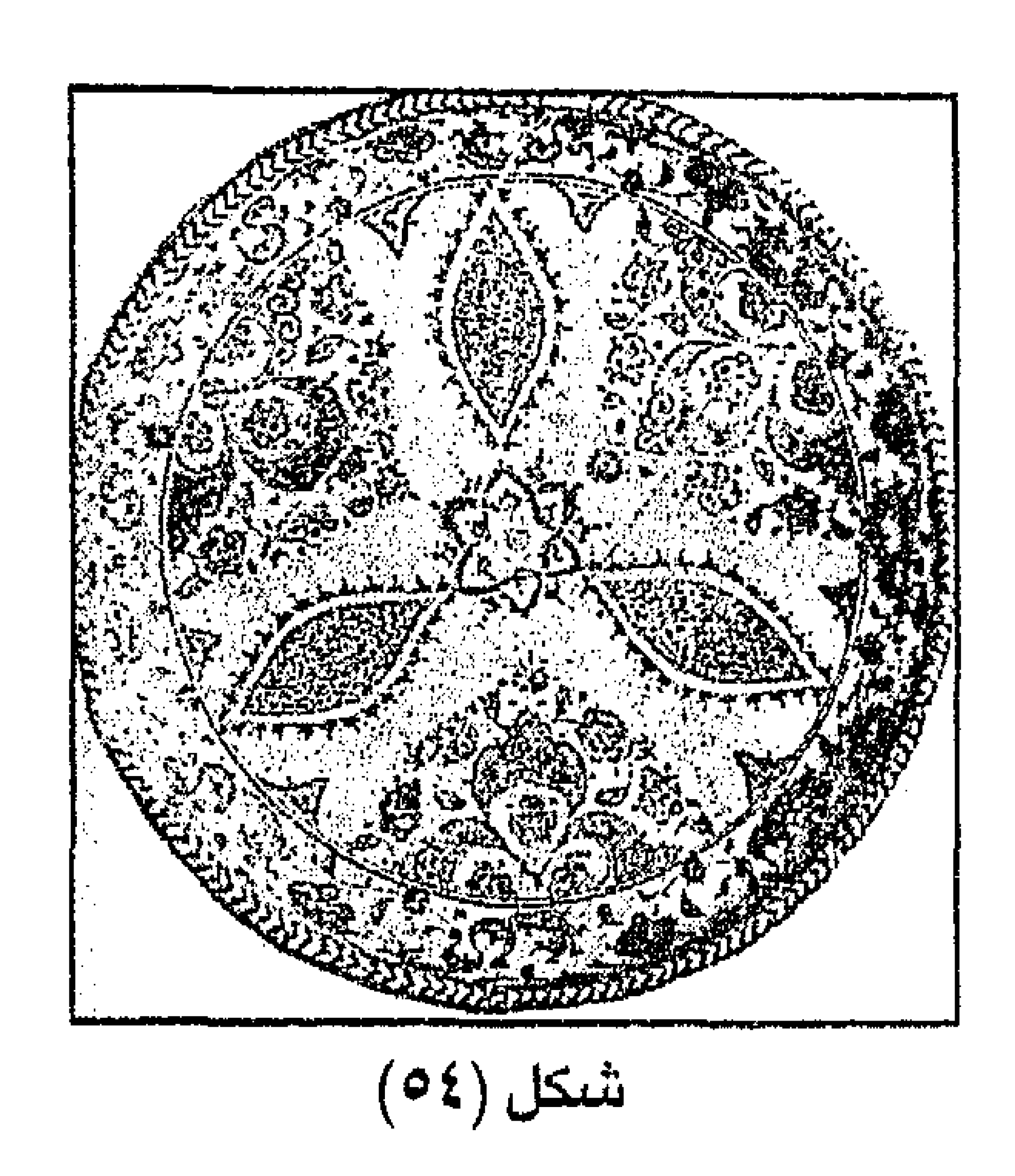
شكل (٥١)



شكل (٥٢)

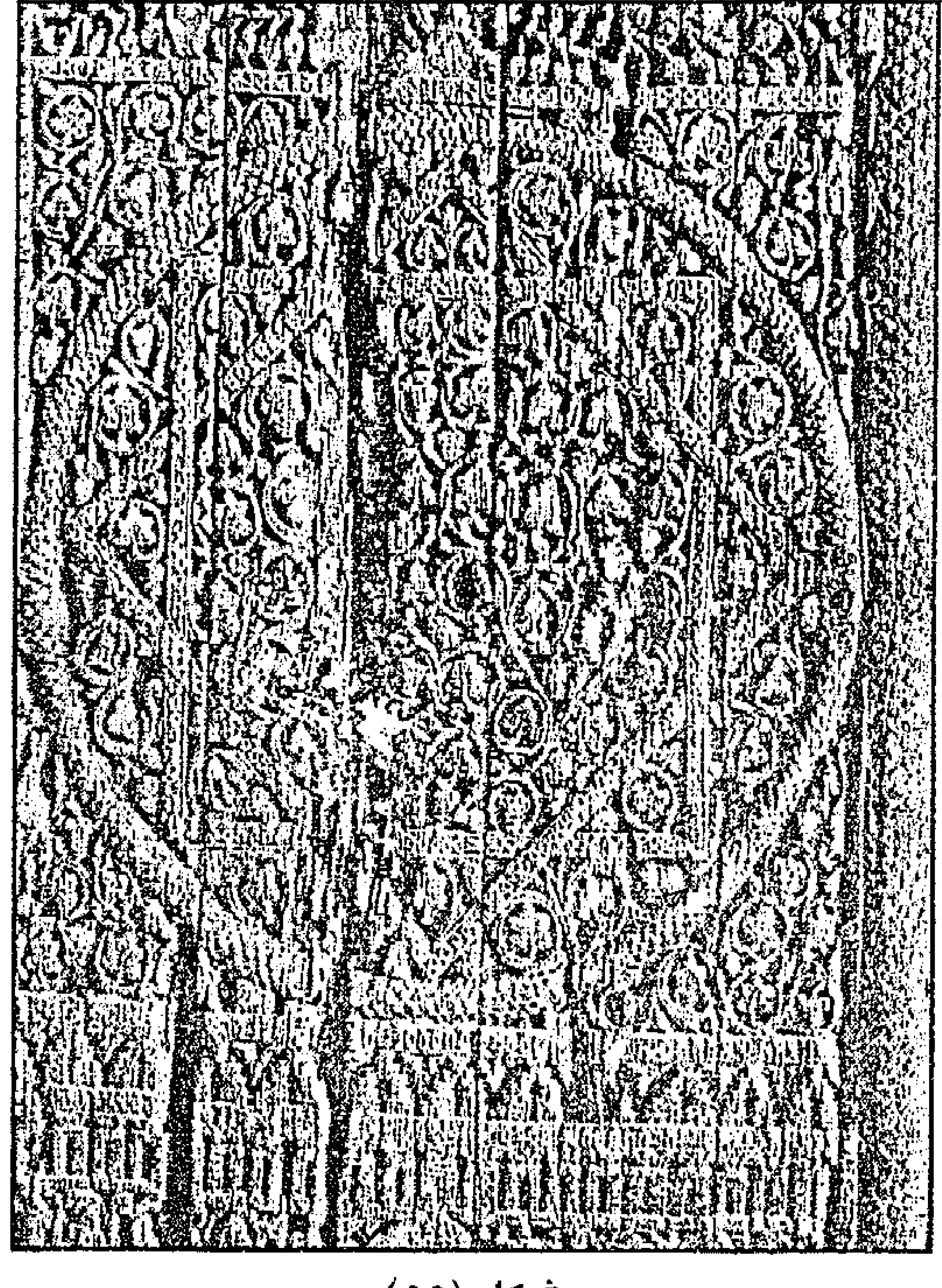


شكل (٥٣)

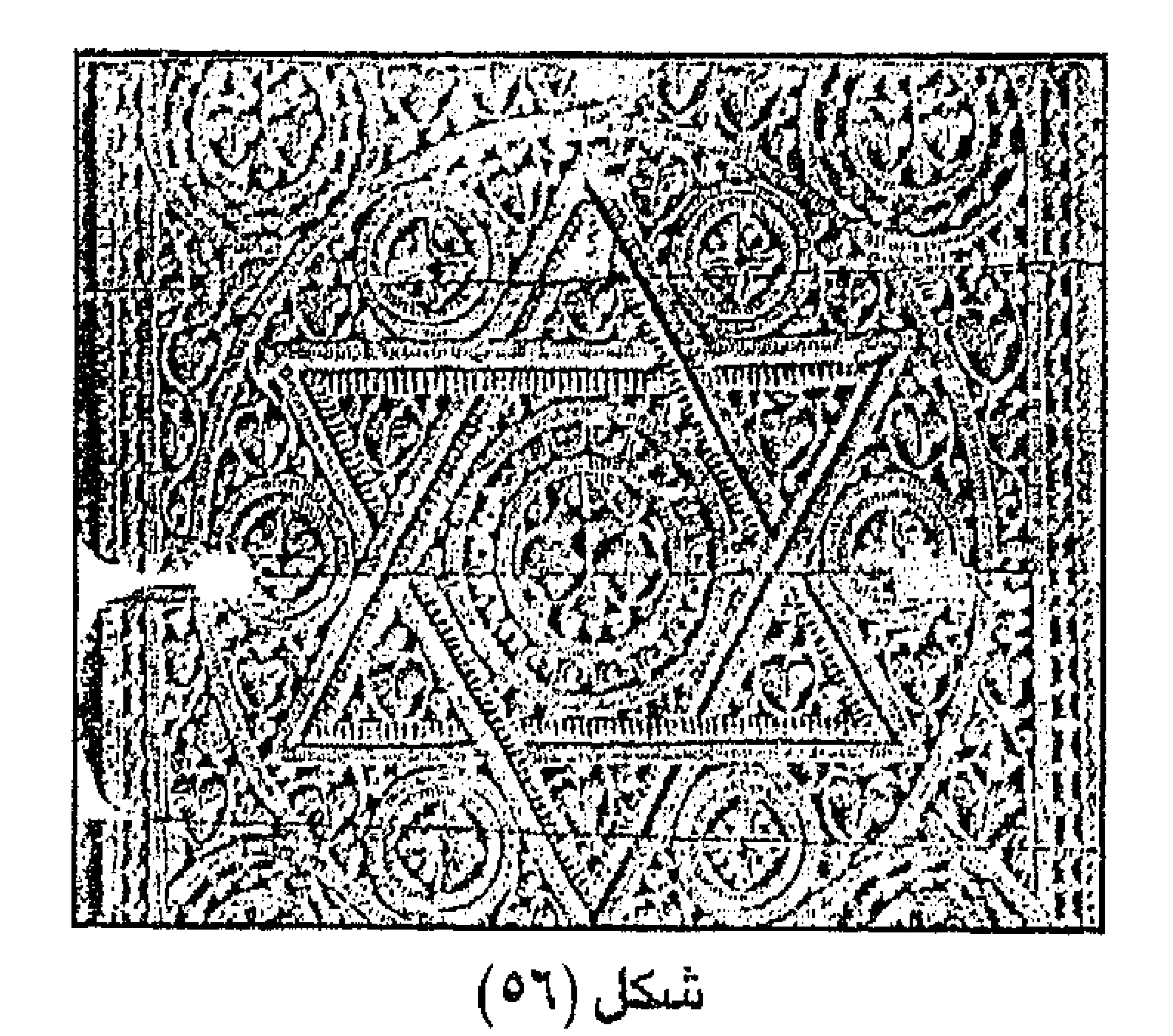


شكل (٥٤)

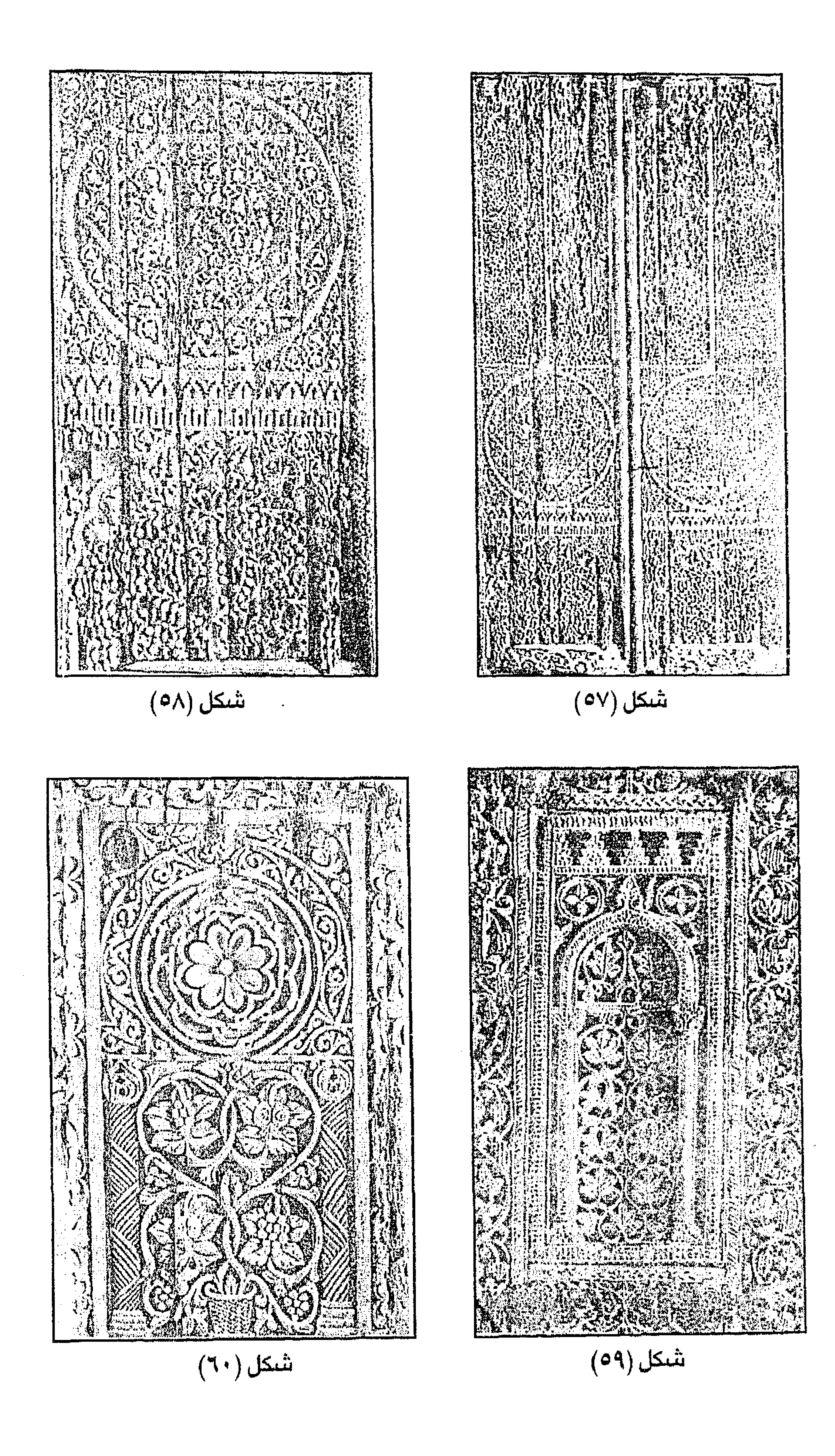
الأخشاب



شكل (٥٥)



شكل (٥٦)

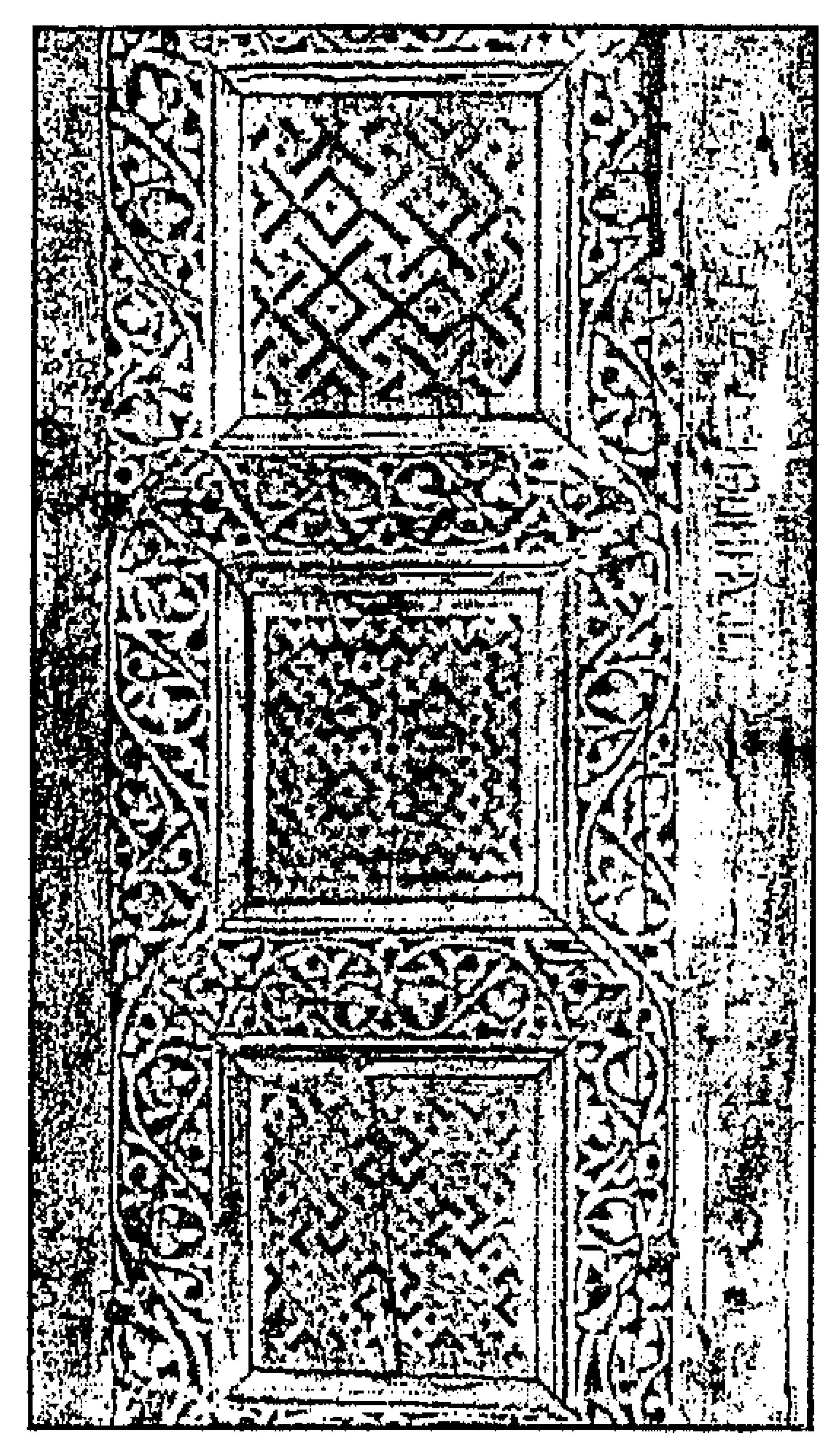


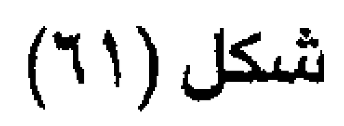
شكل (٥٧)

شكل (٥٨)

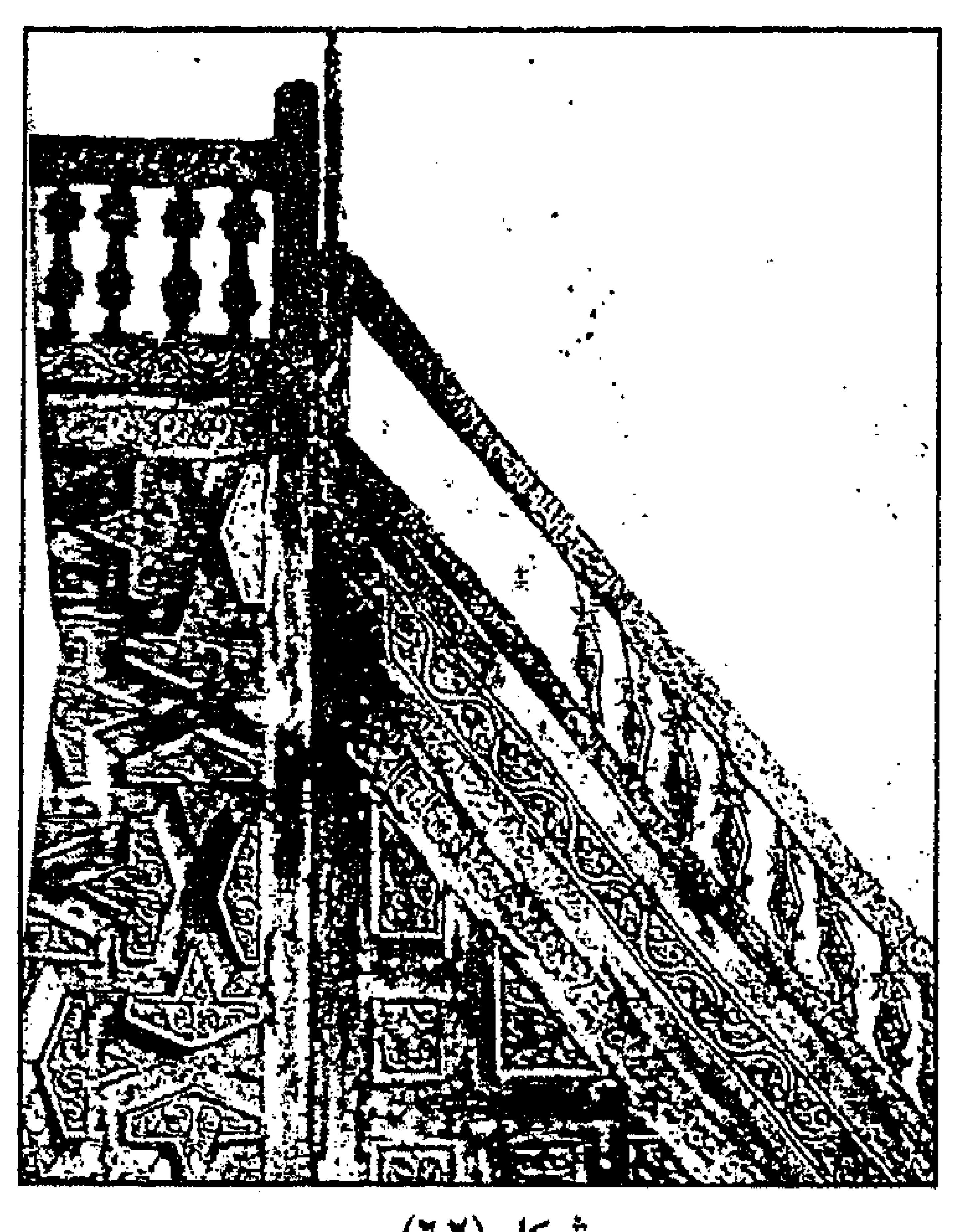
شكل (٥٩)

شكل (٦٠)

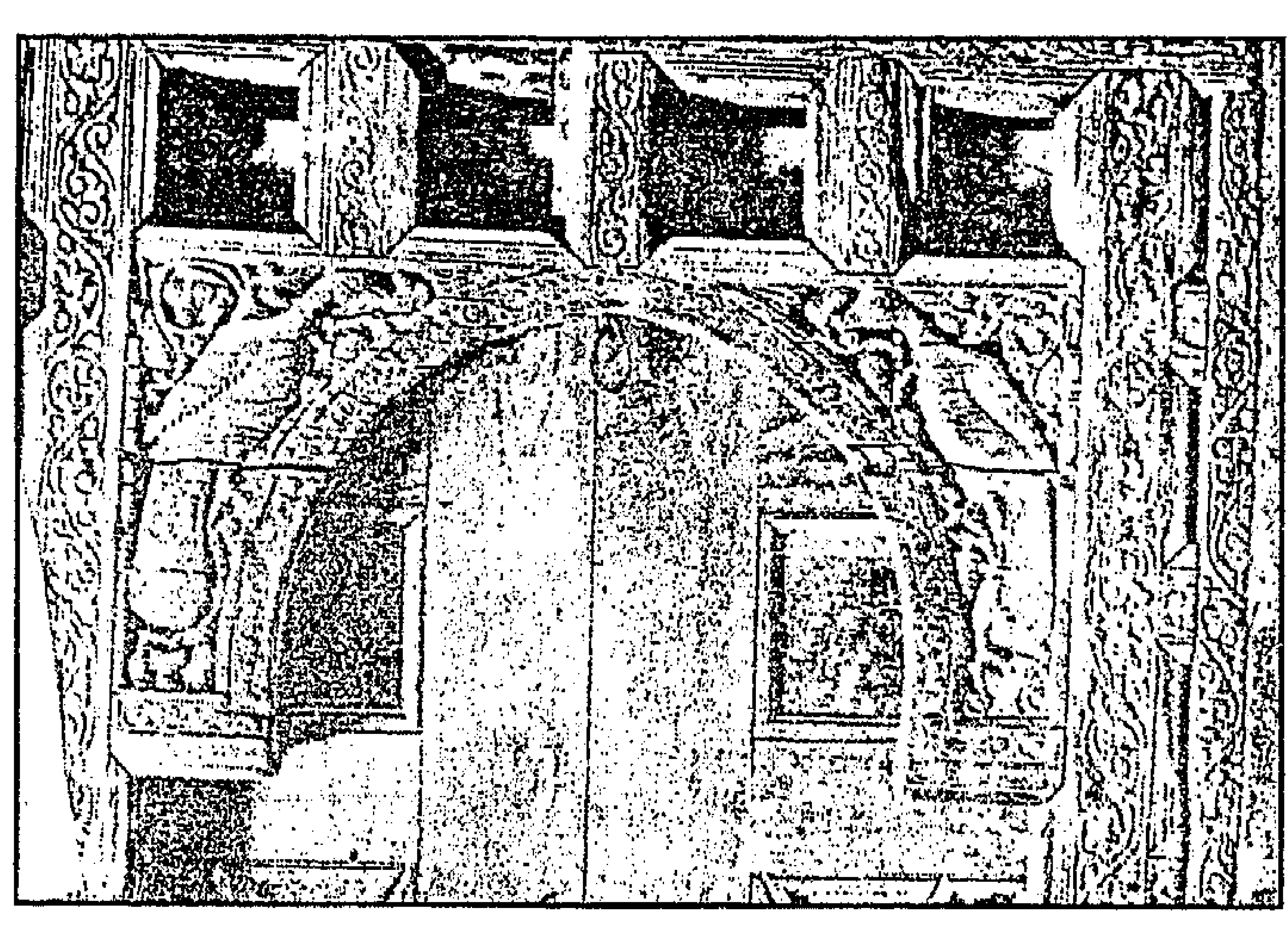




شكل (٦١)



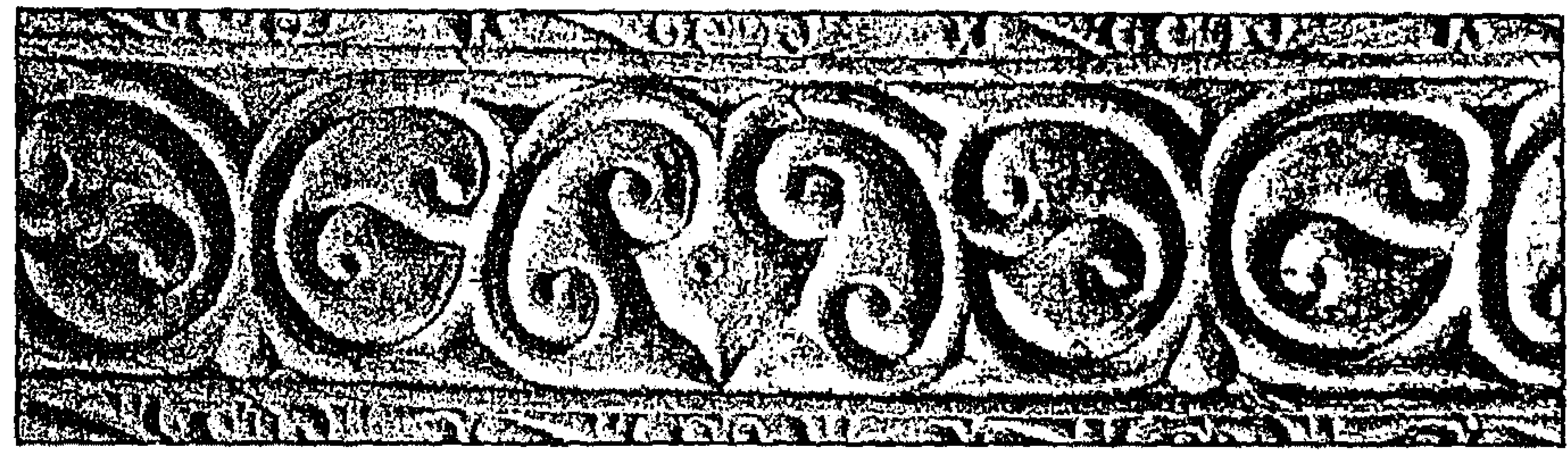
شكل (٦٢)

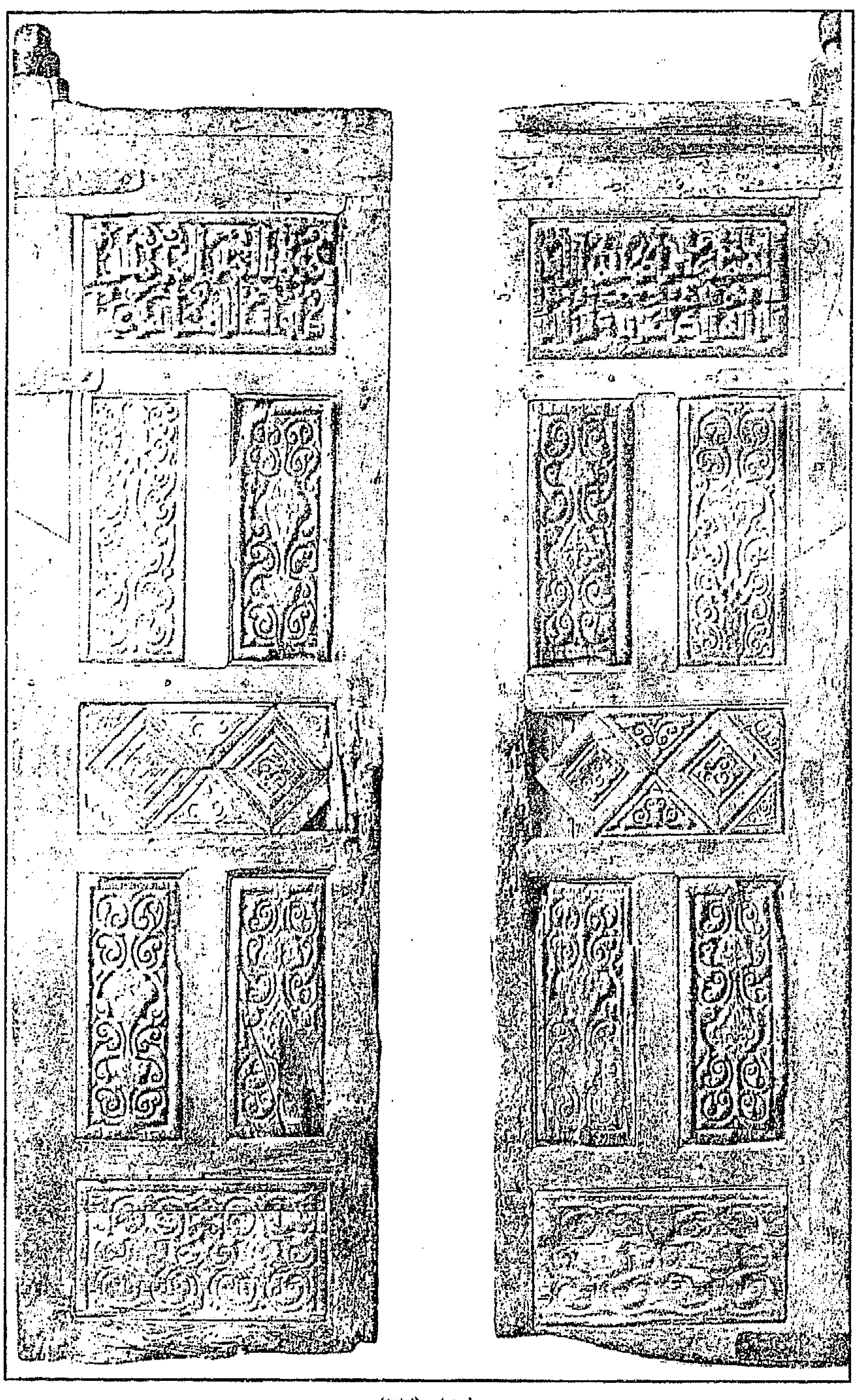


شكل (٦٣)

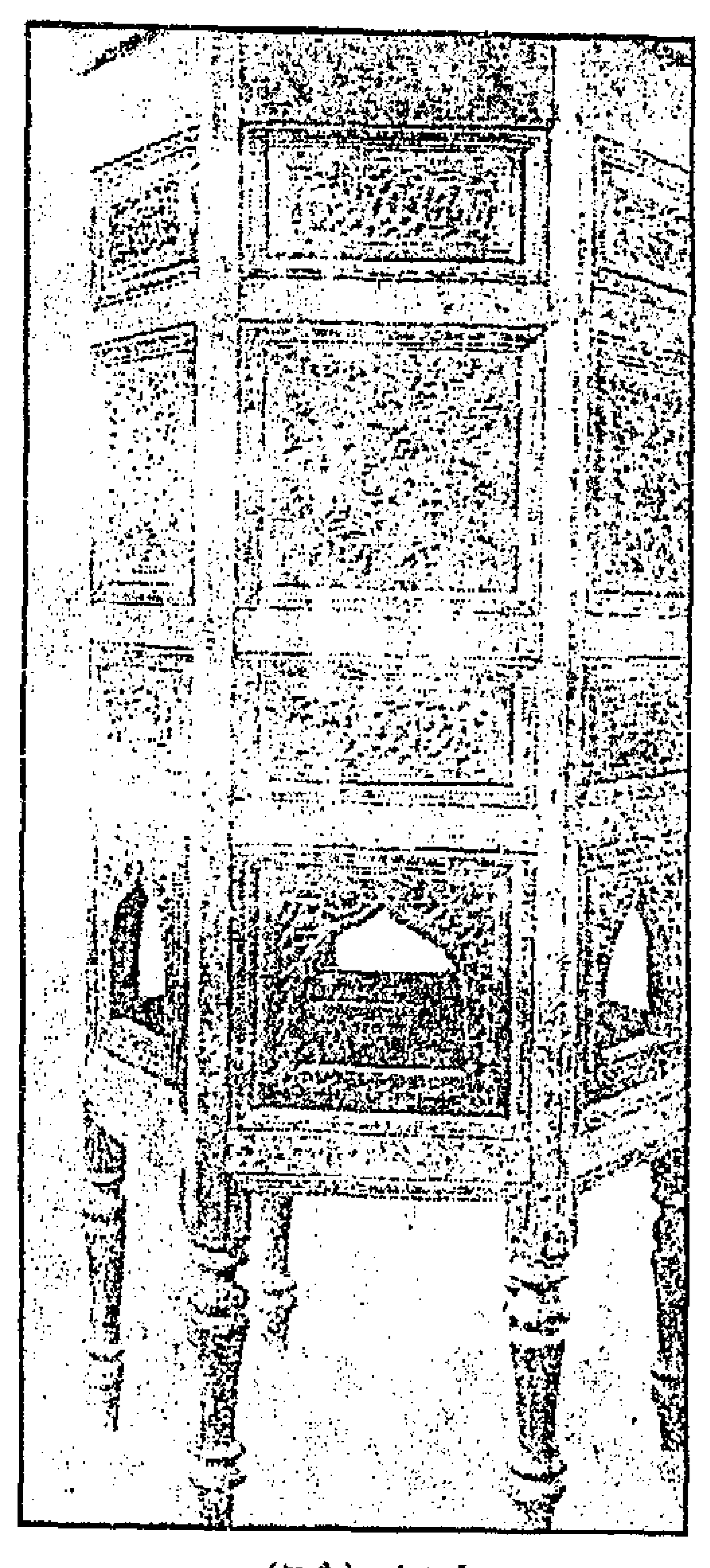

شكل (٦٤)


شكل (٦٥)

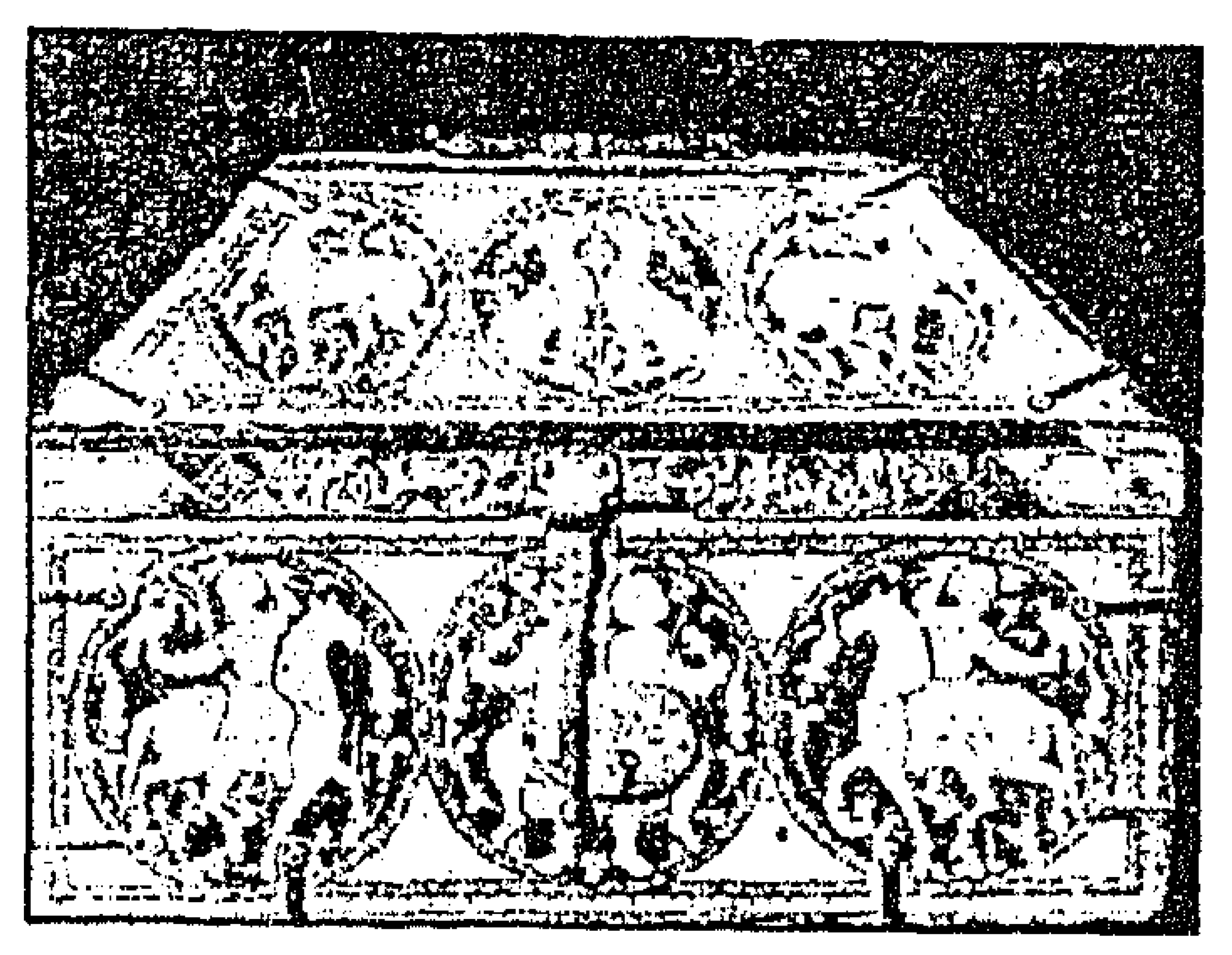

شكل (٦٦)



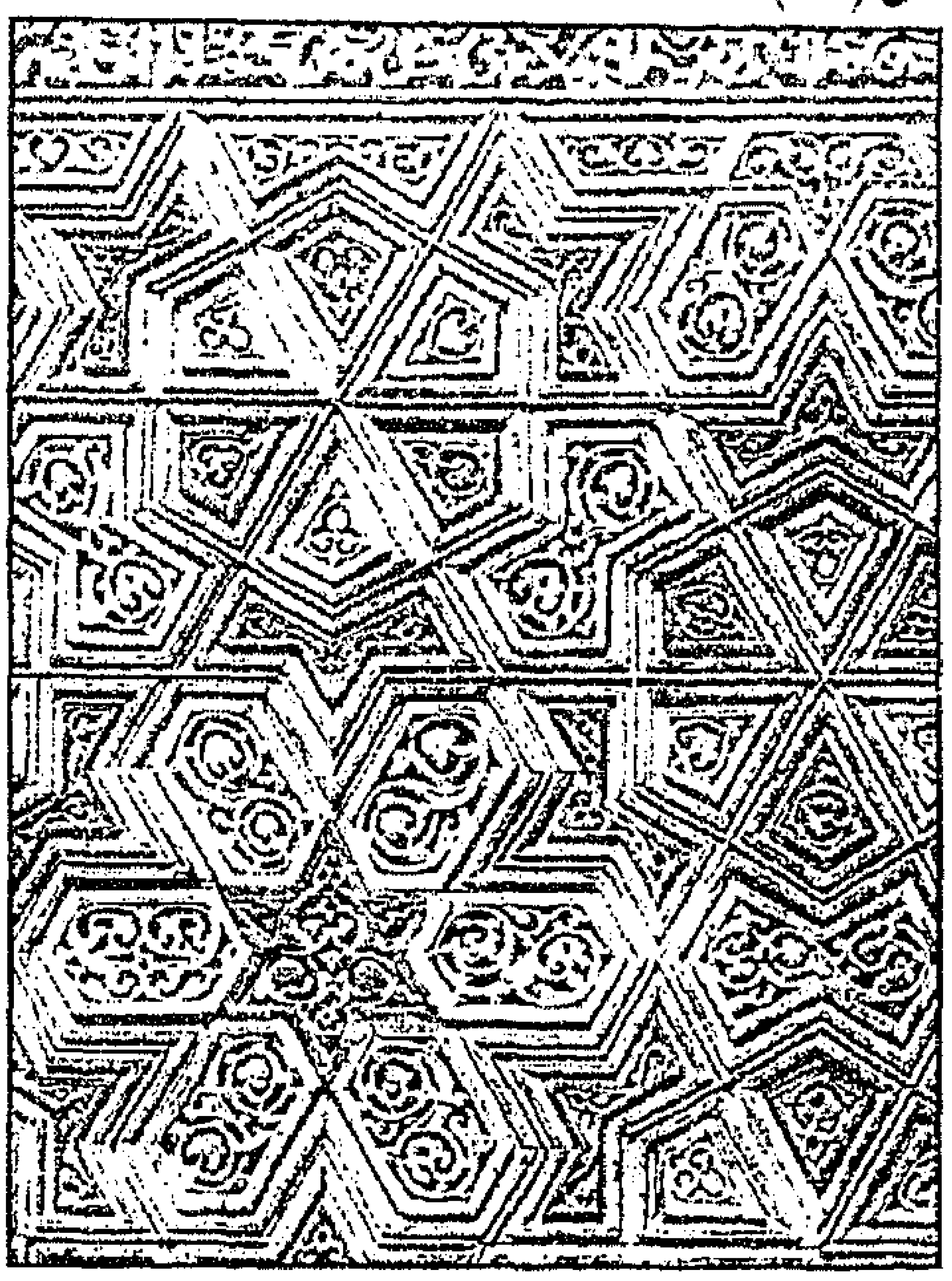
شكل (٦٧)



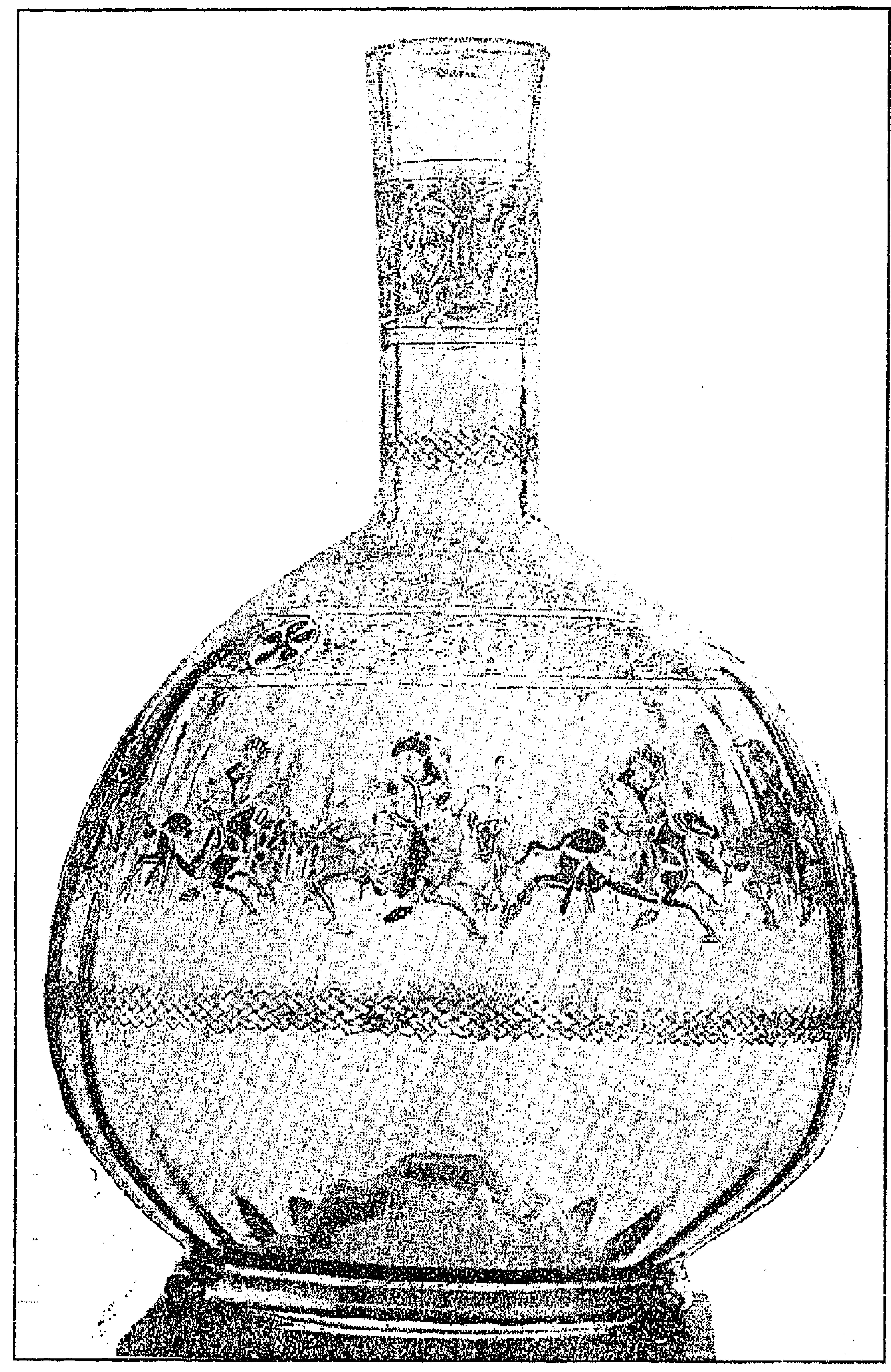
شكل (٦٩)



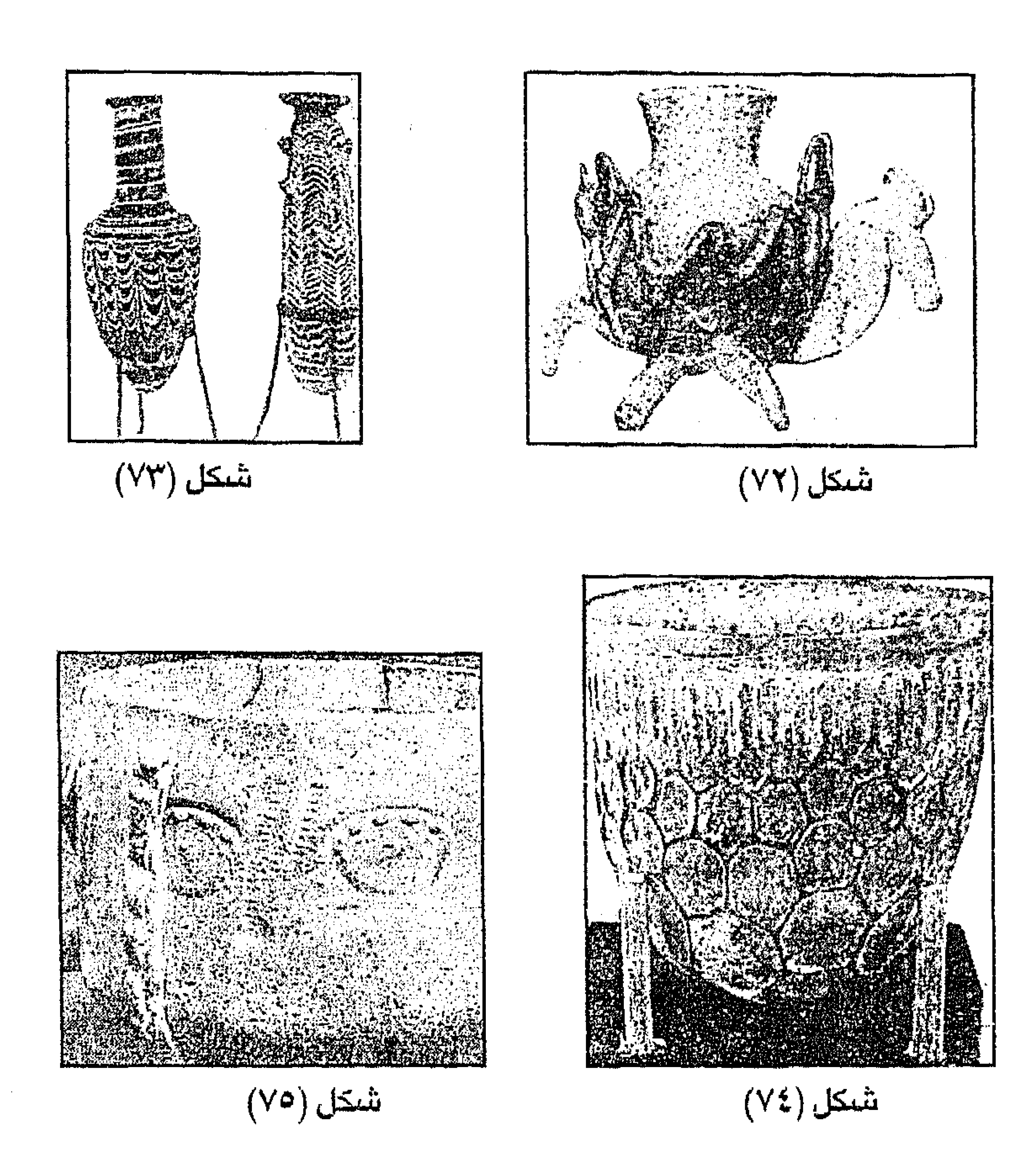
شكل (٦٨)



شكل (٧٠)



شكل (٧١)

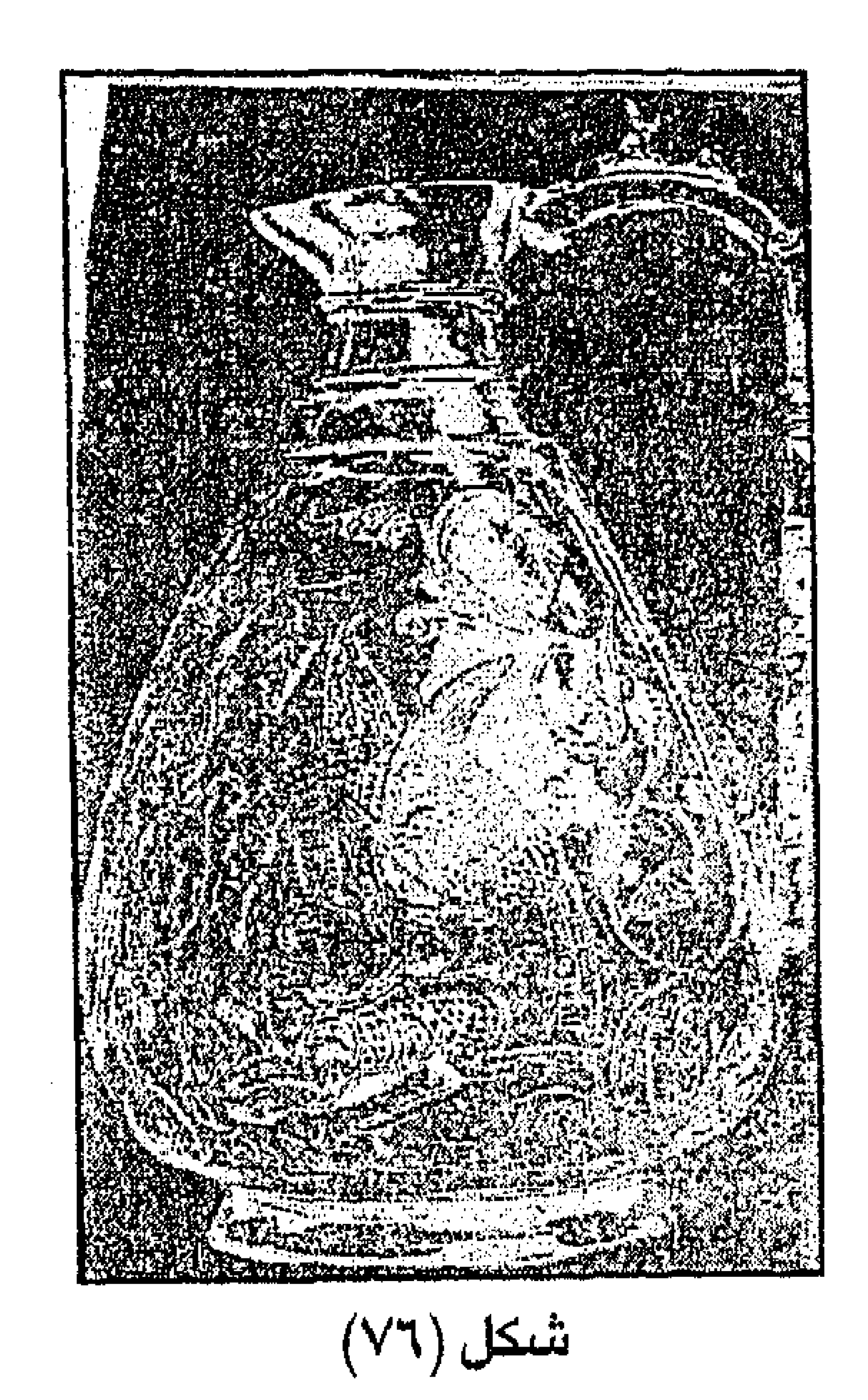


شكل (٧٢)

شكل (٧٣)

شكل (٧٤)

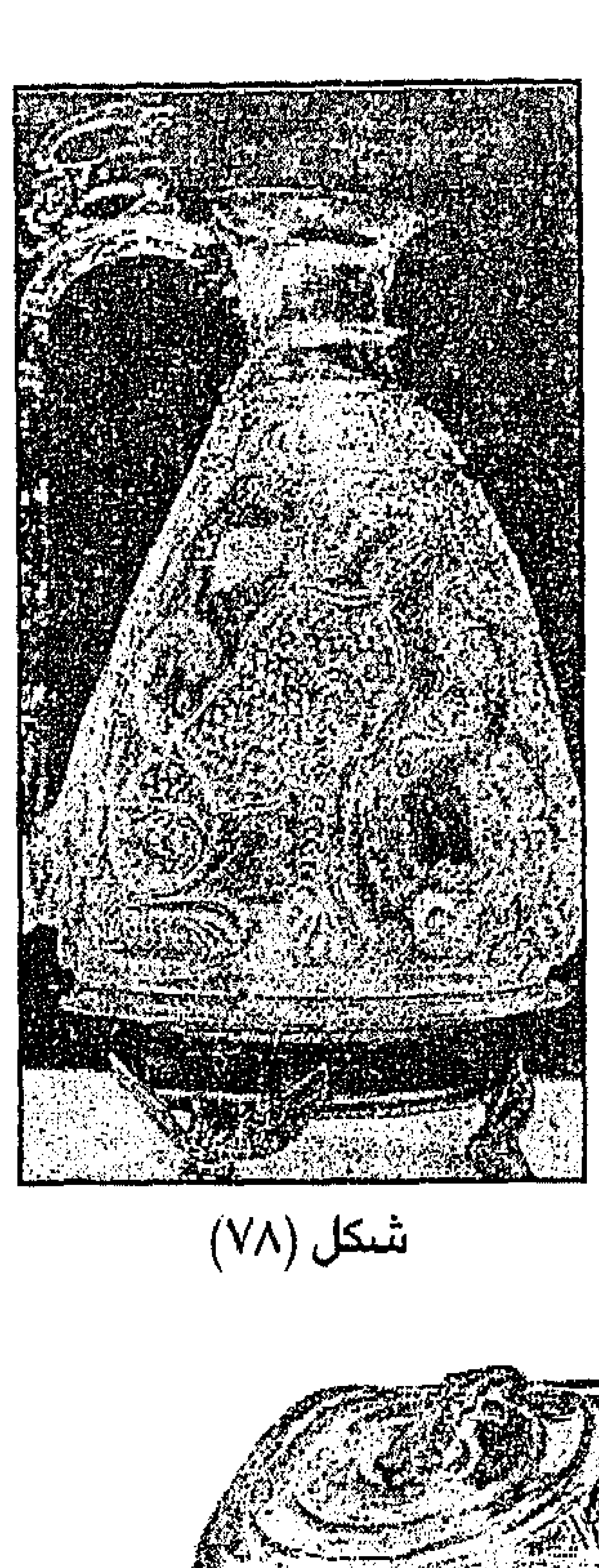
شكل (٧٥)



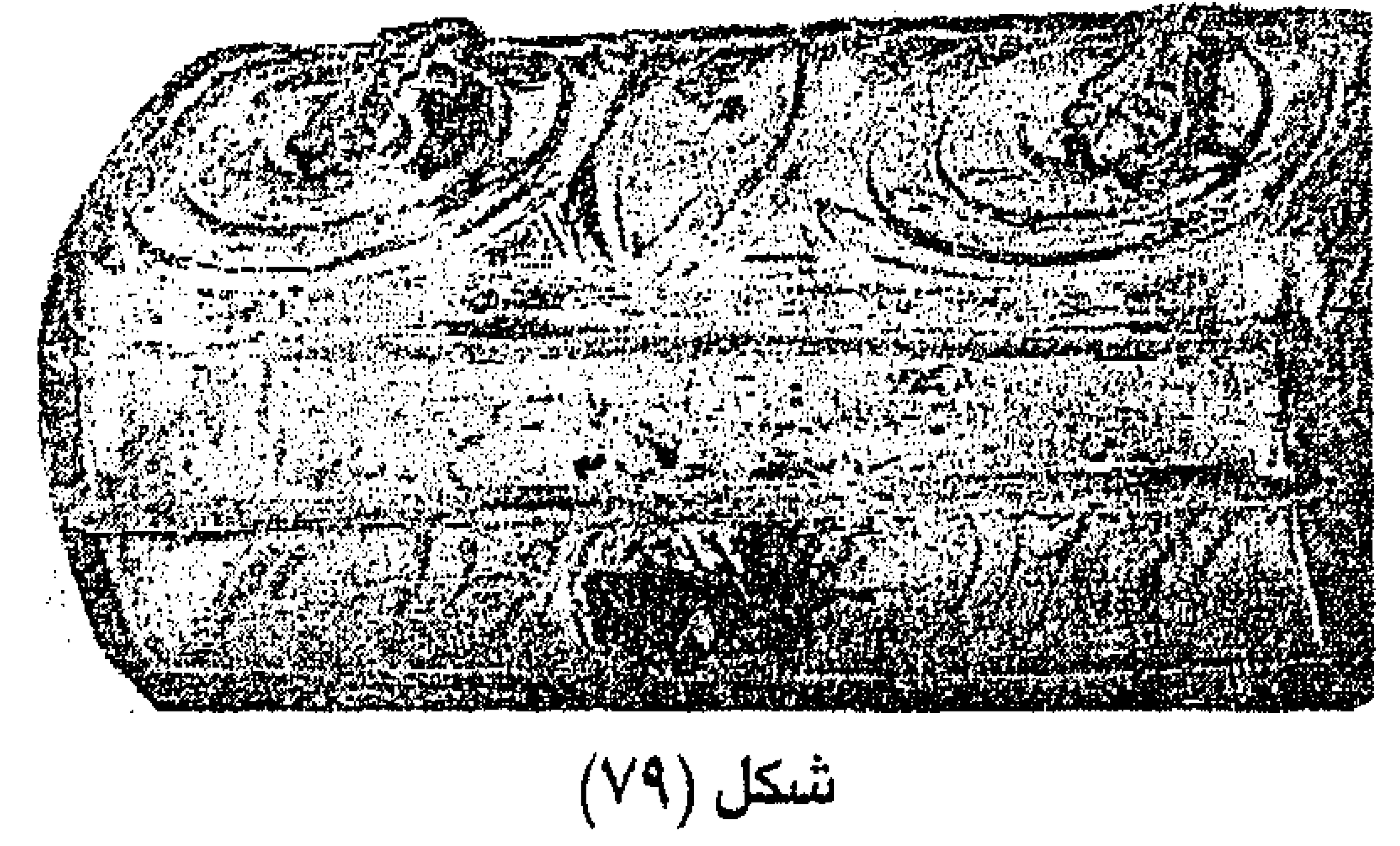
شكل (٧٦)



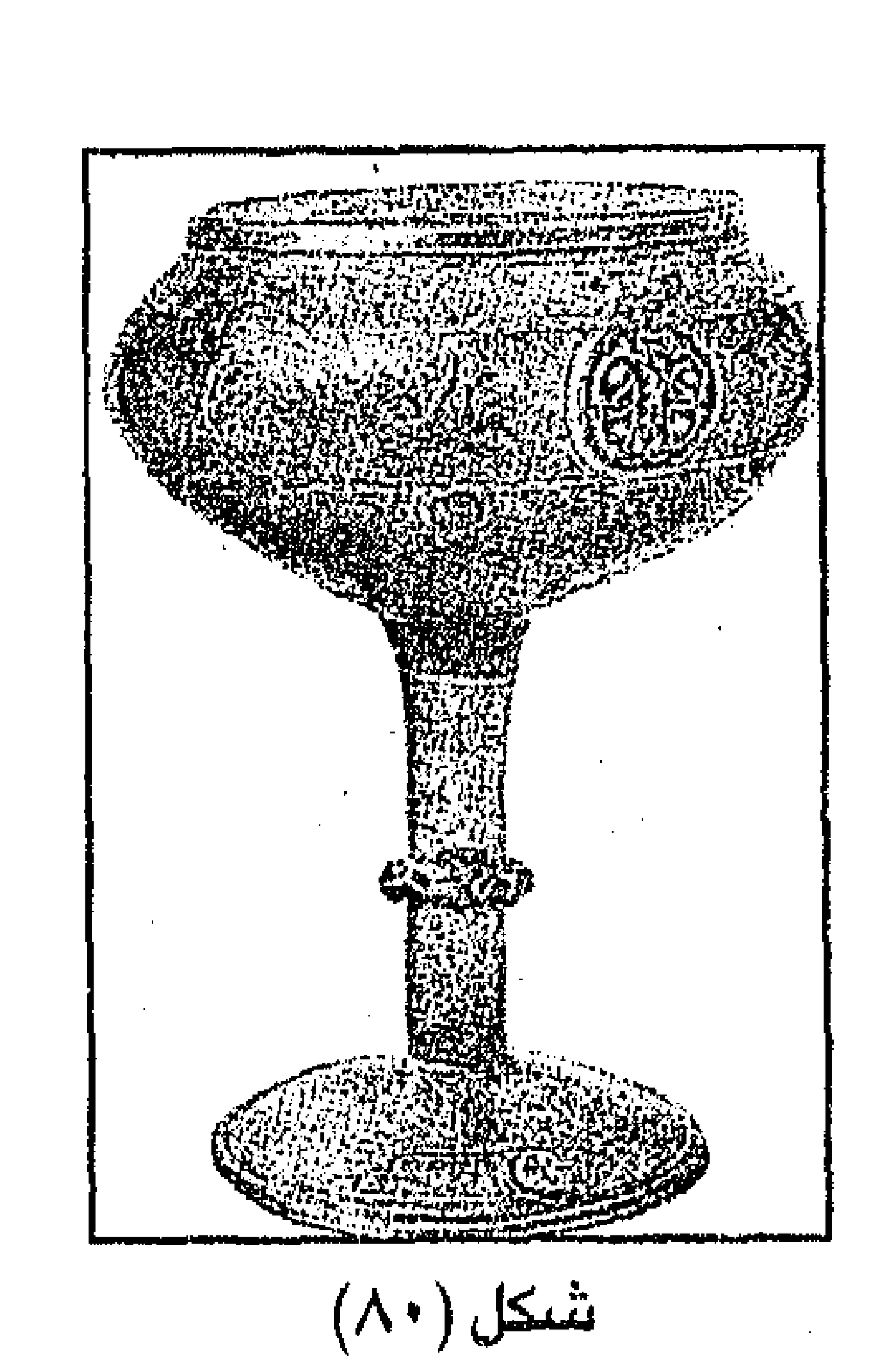
شكل (٧٧)



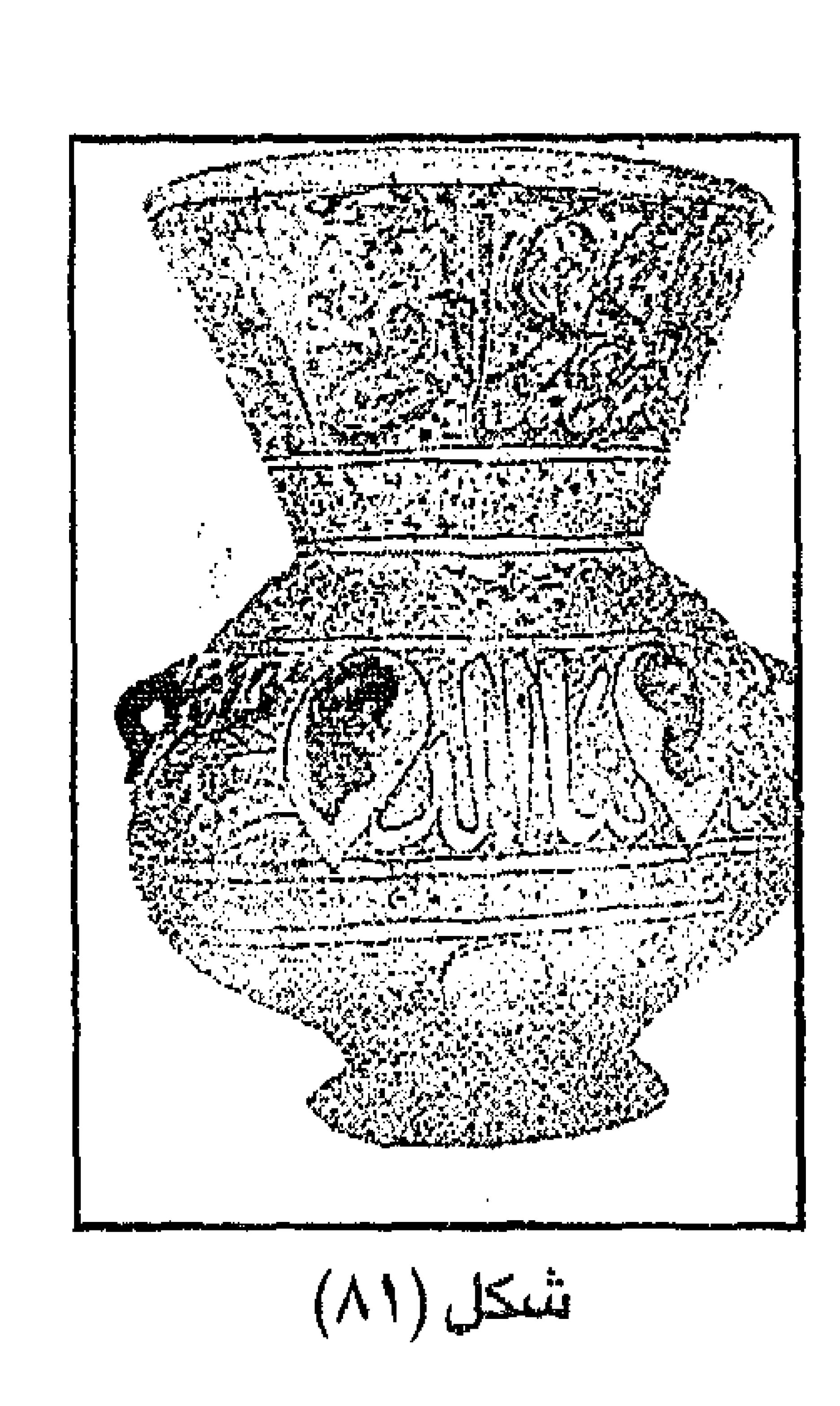
شكل (٧٨)



شكل (٧٩)



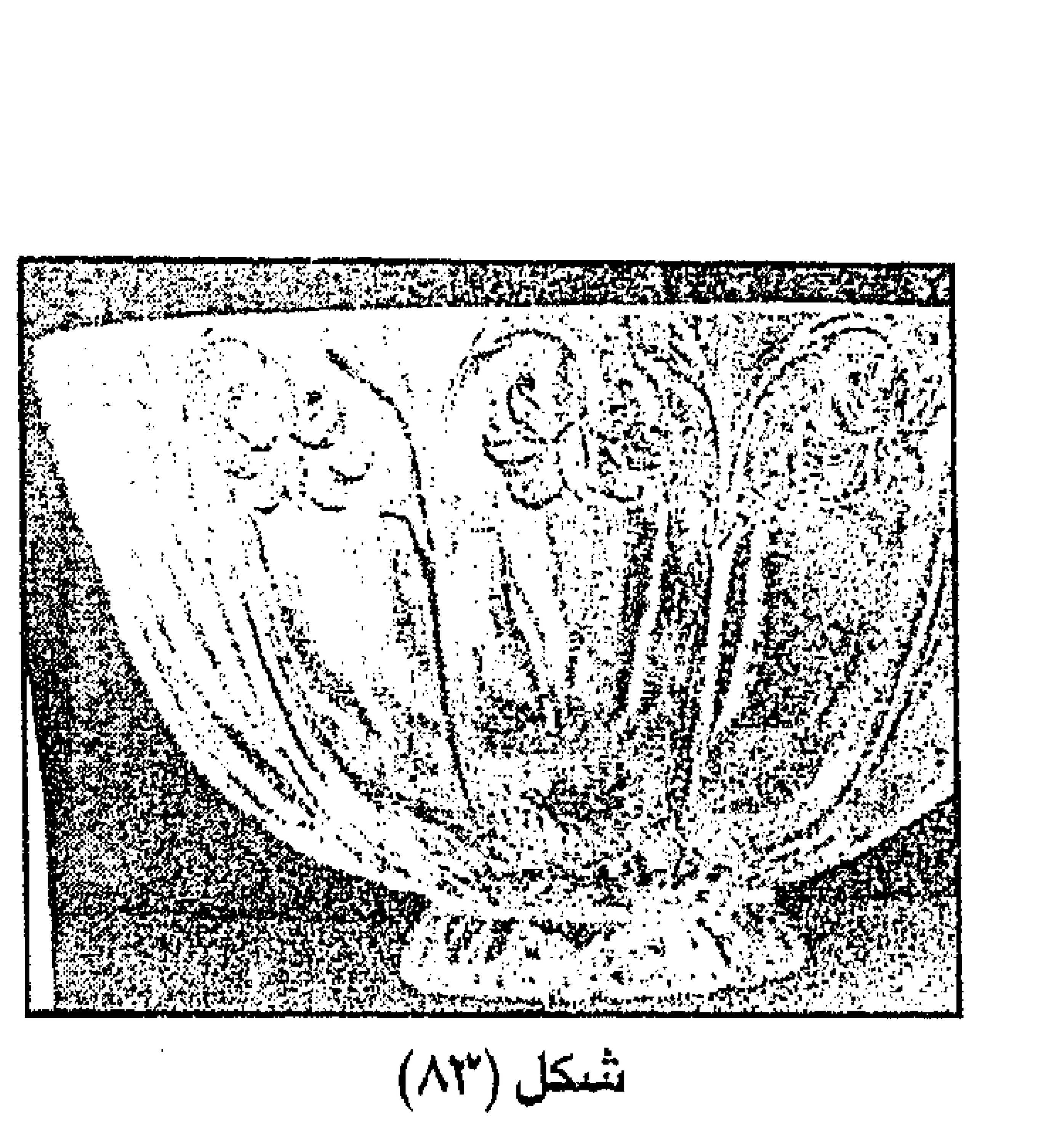
شكل (٨٠)



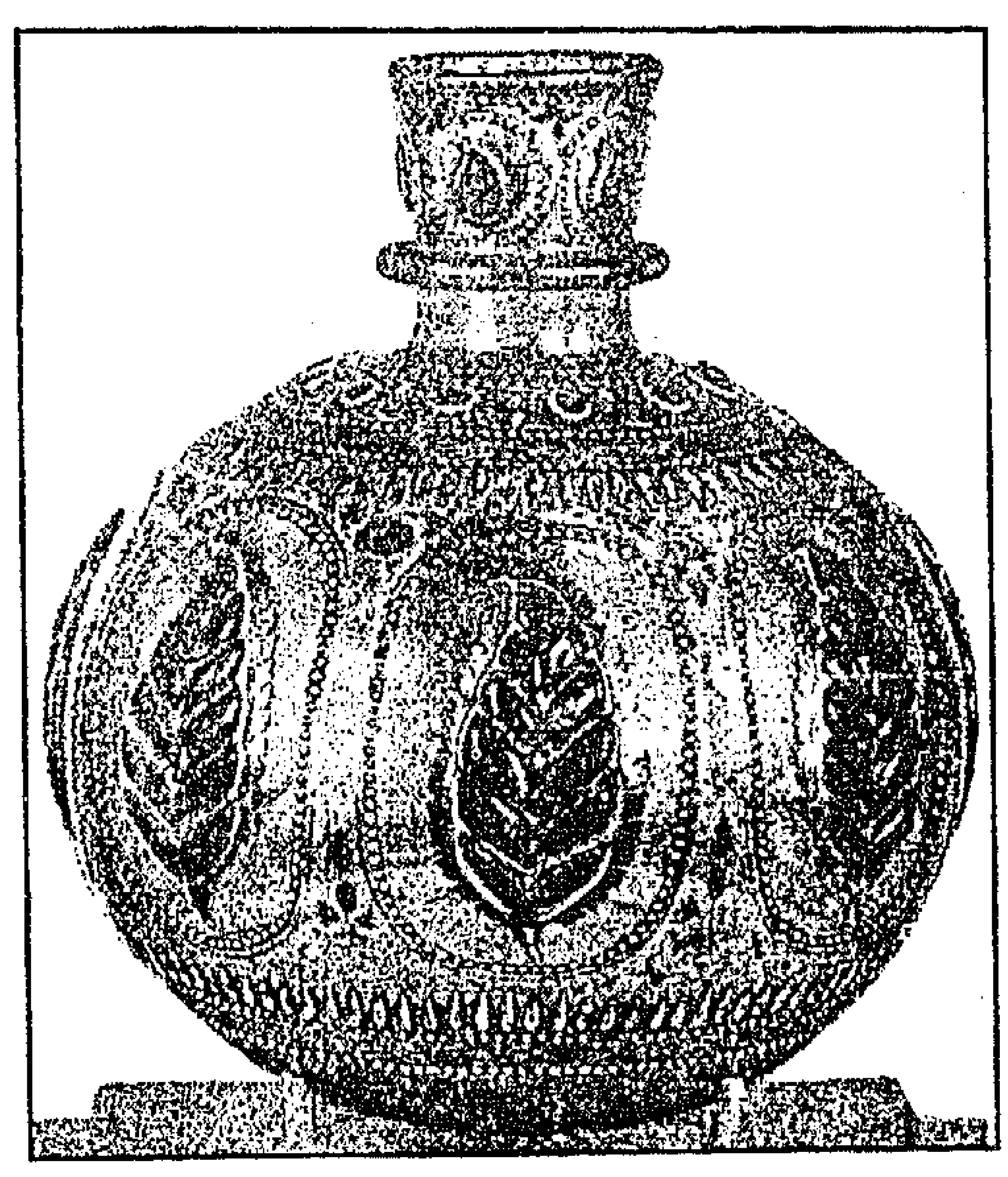
شكل (٨١)



شكل (٨٢)

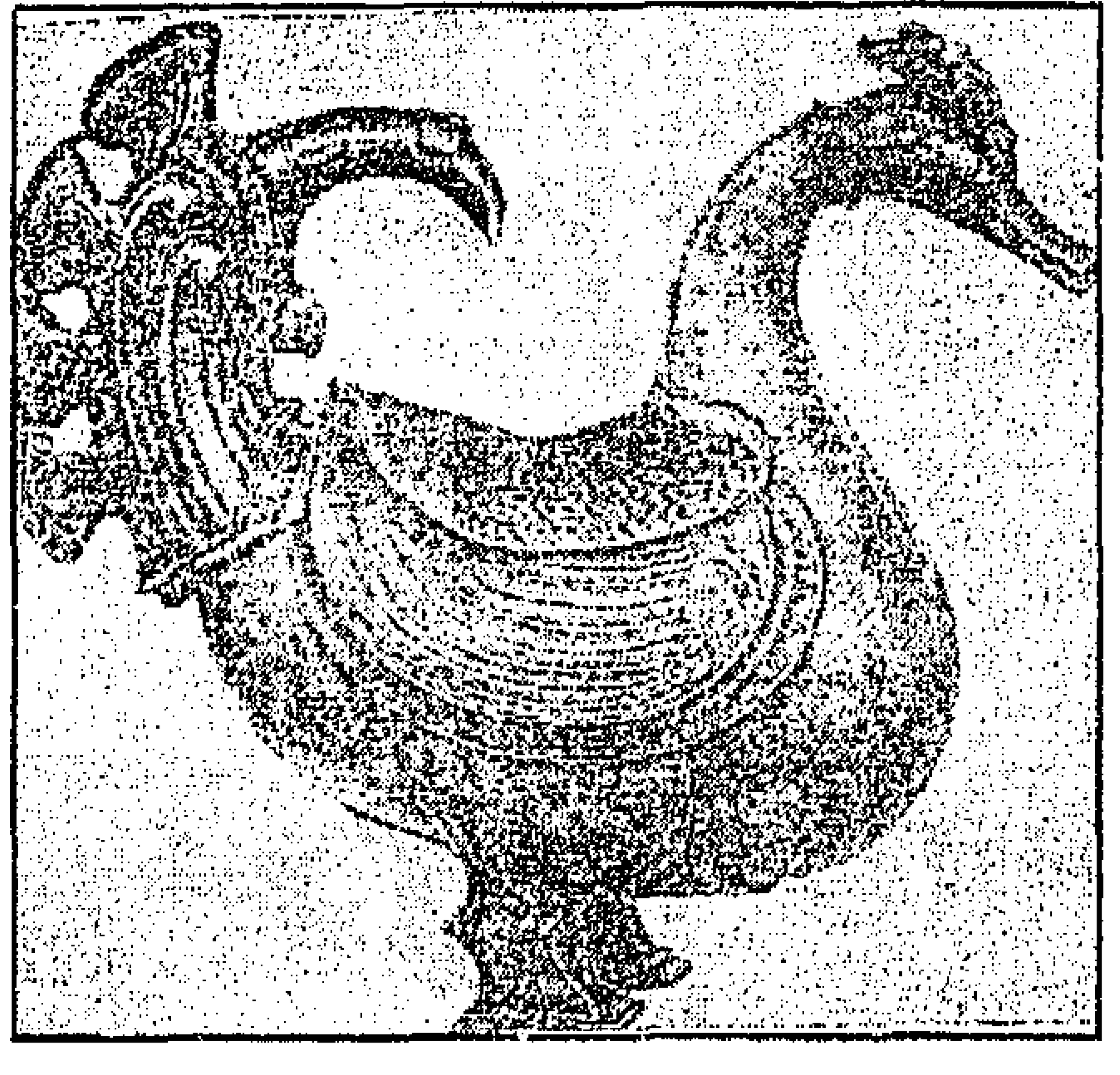


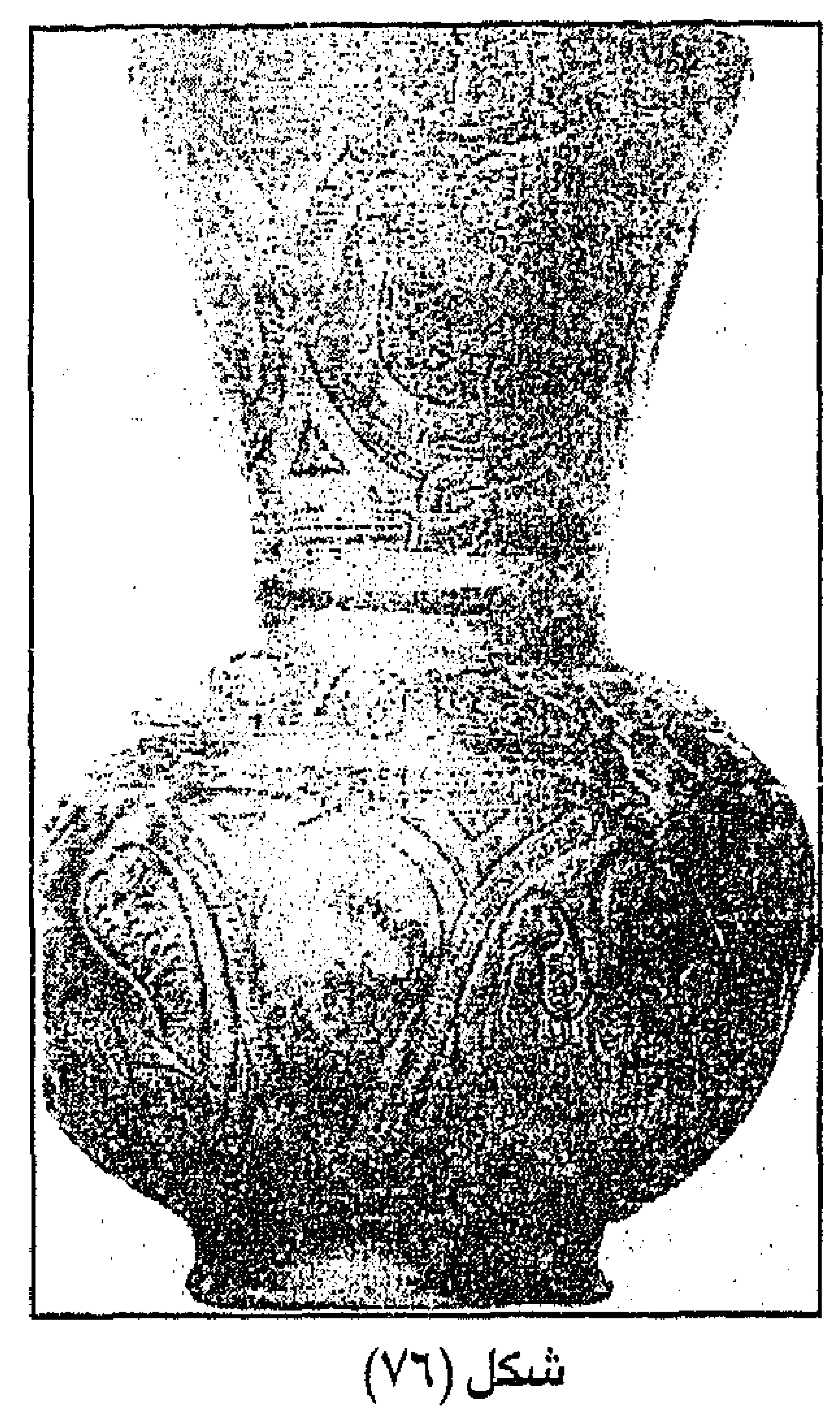
شكل (٨٣)

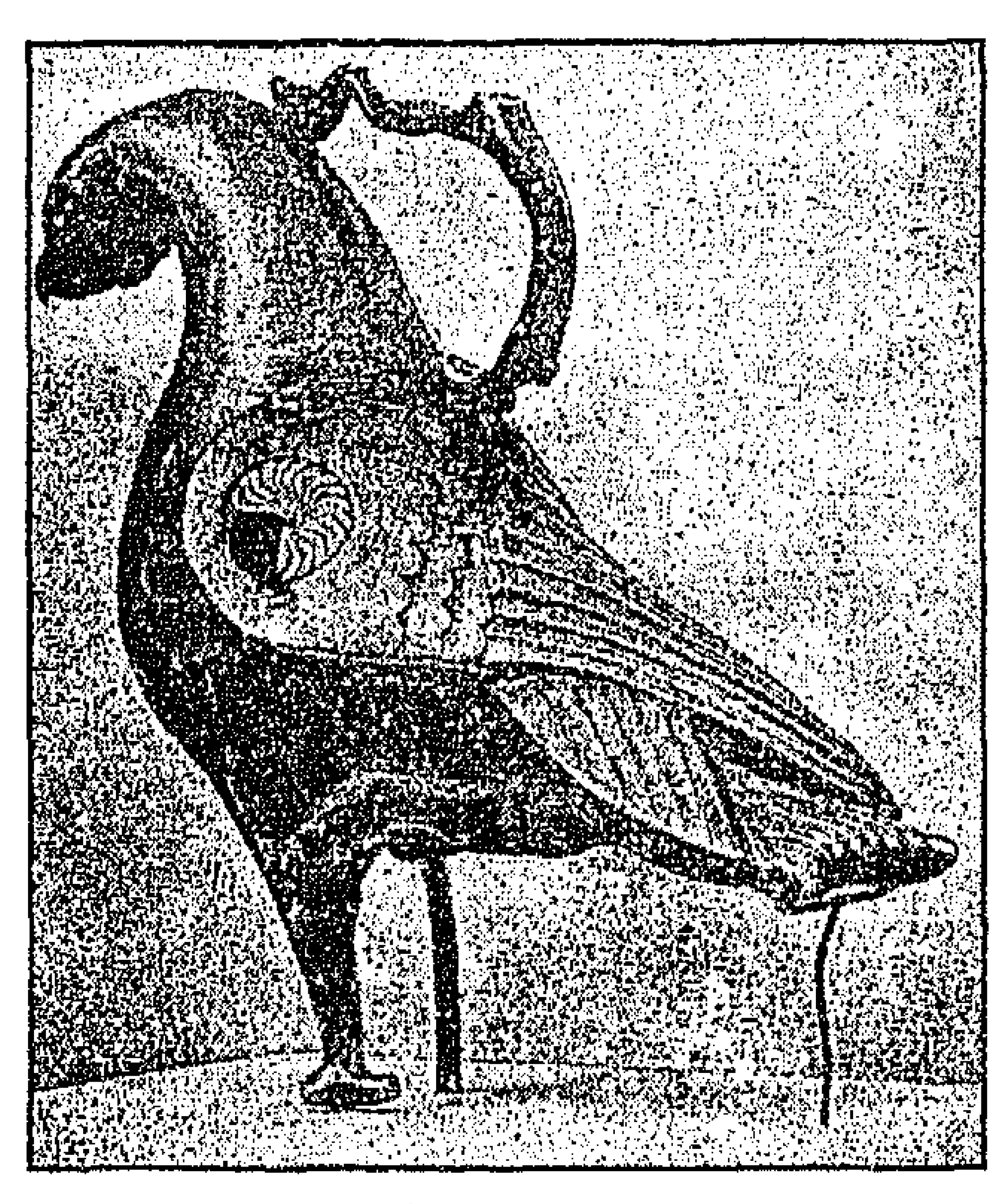


شكل (٨٤)

التحف المعدنية

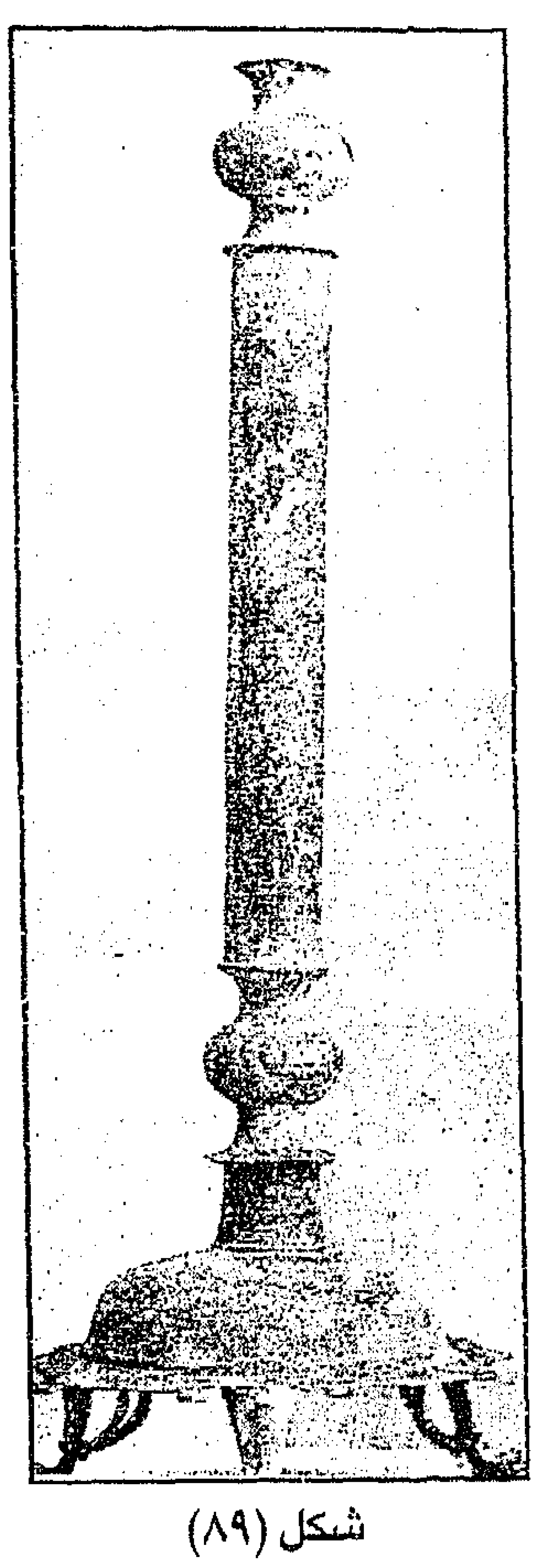

شكل (٨٥)


شكل (٧٦)

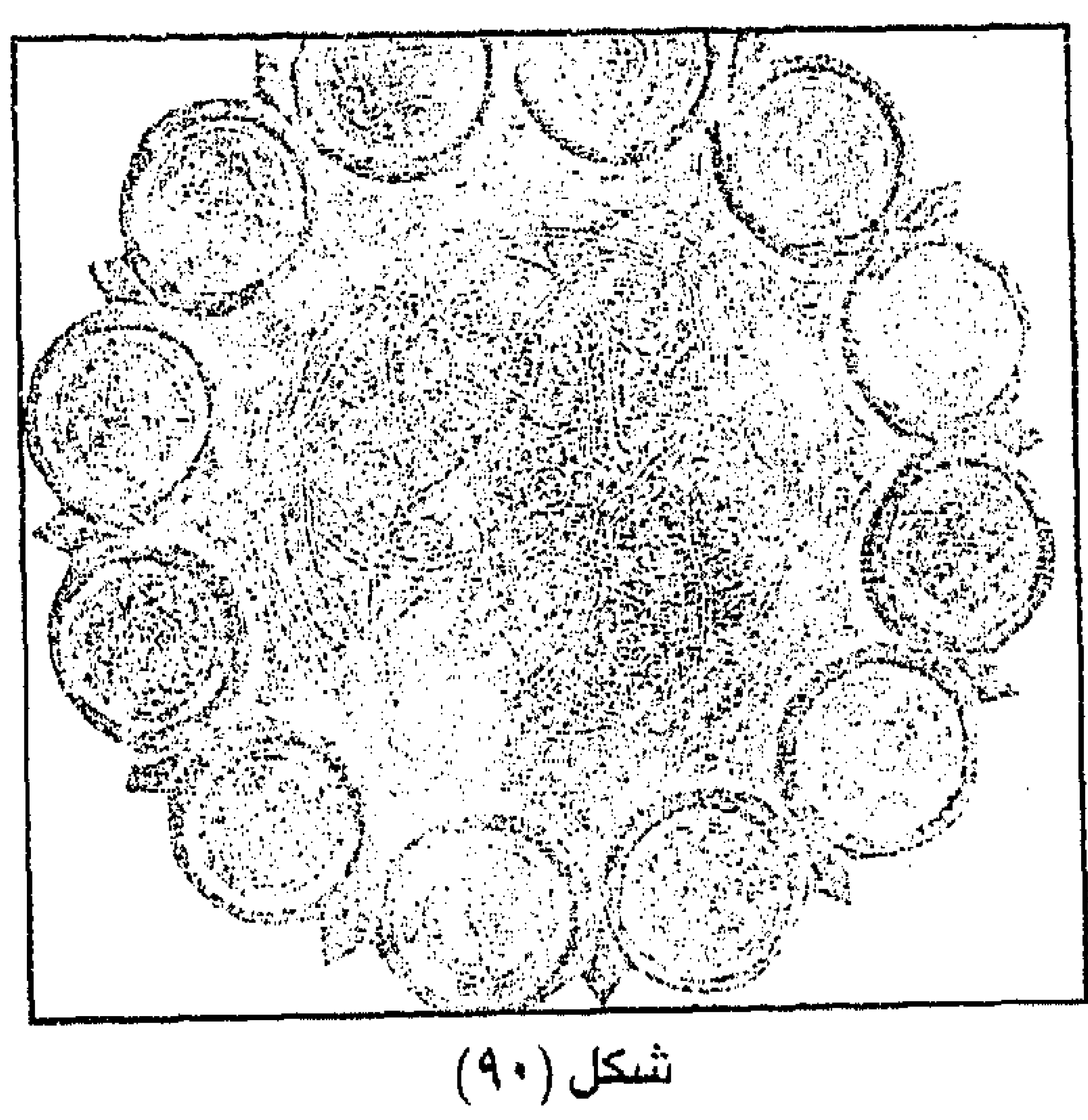

شكل (٨٦)



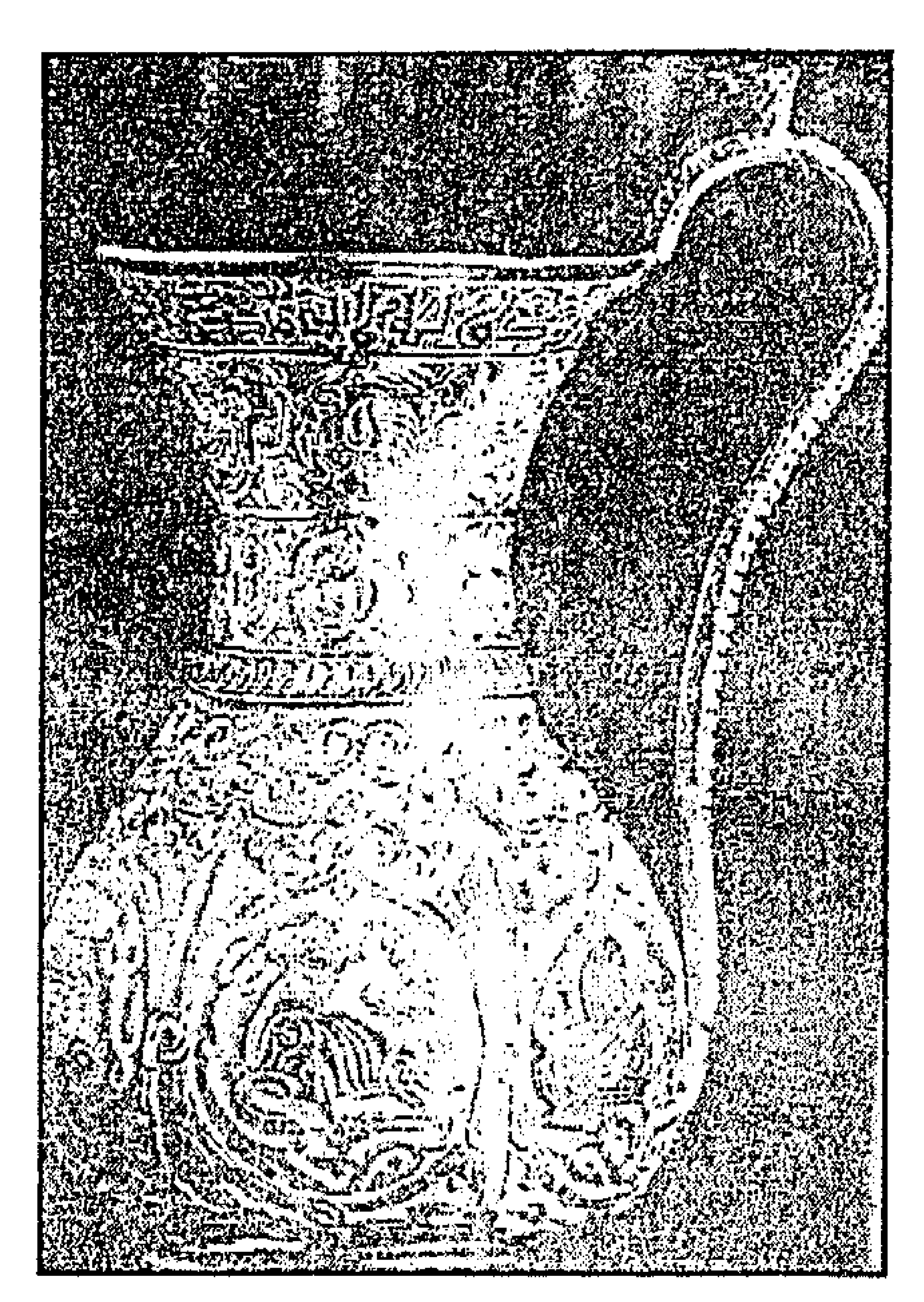
شكل (٨٨)

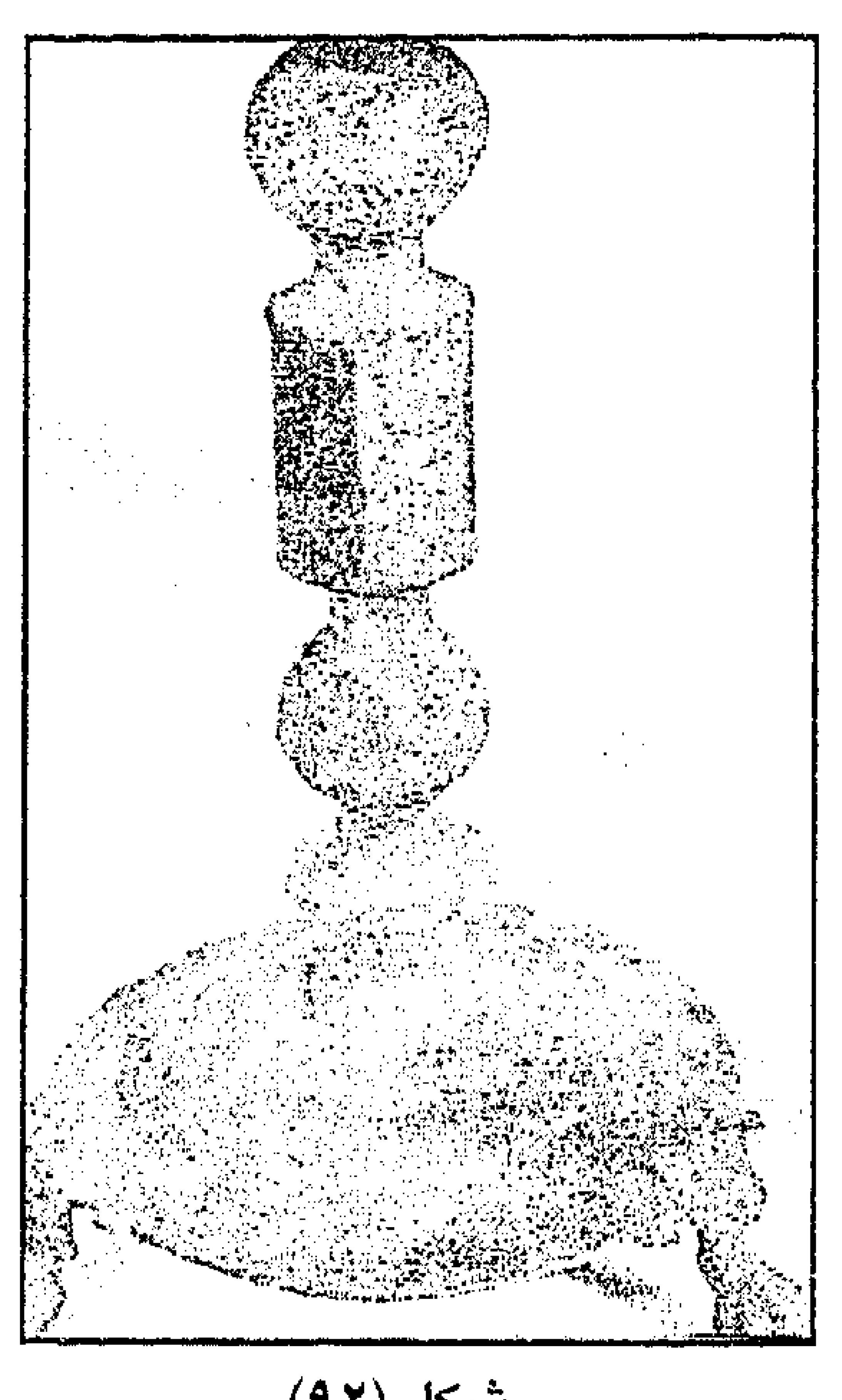


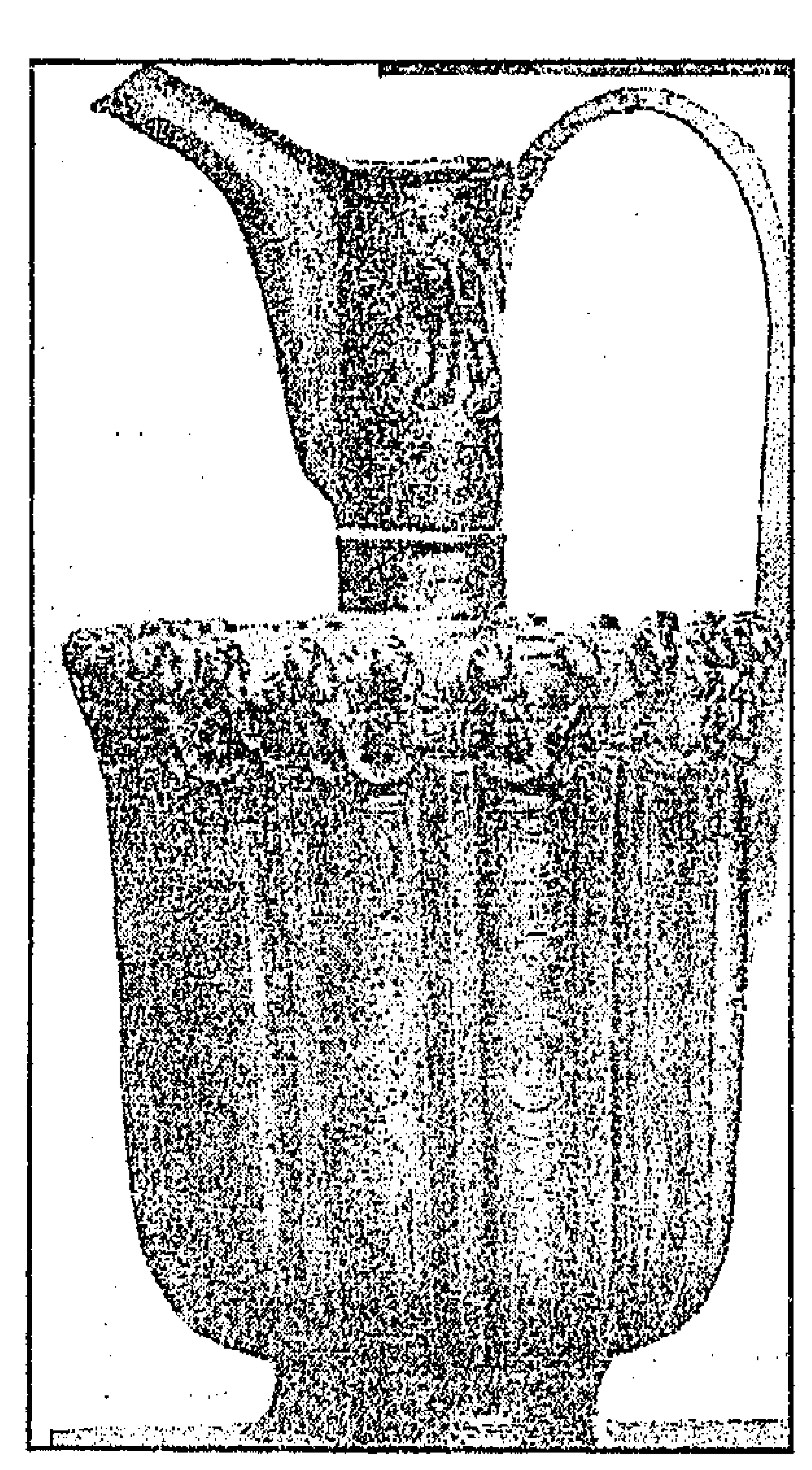
شكل (٨٩)

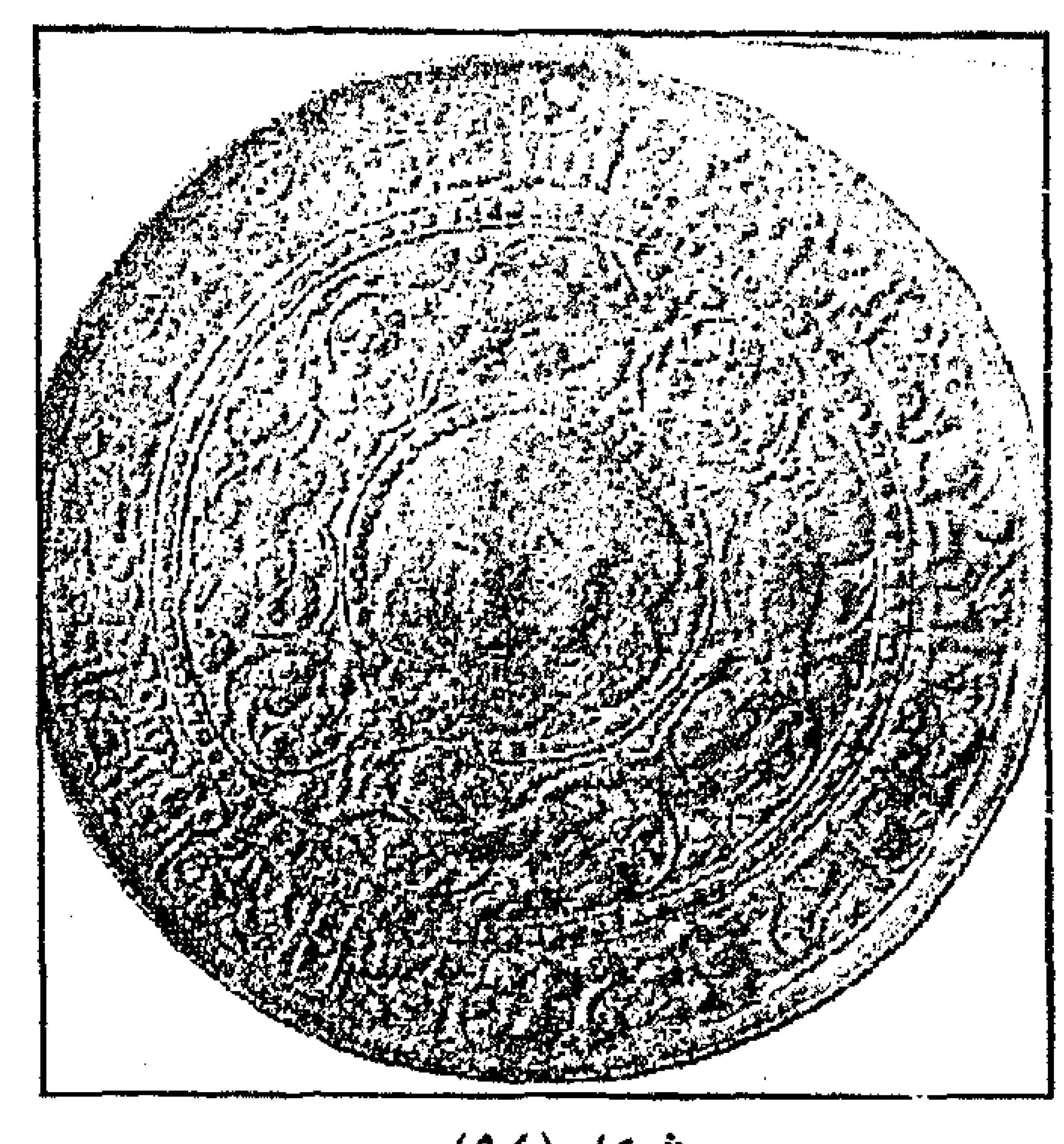


شكل (٩٠)


شكل (٩١)

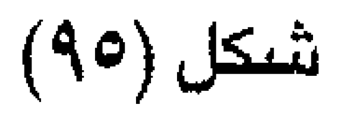

شكل (٩٢)


شكل (٩٣)

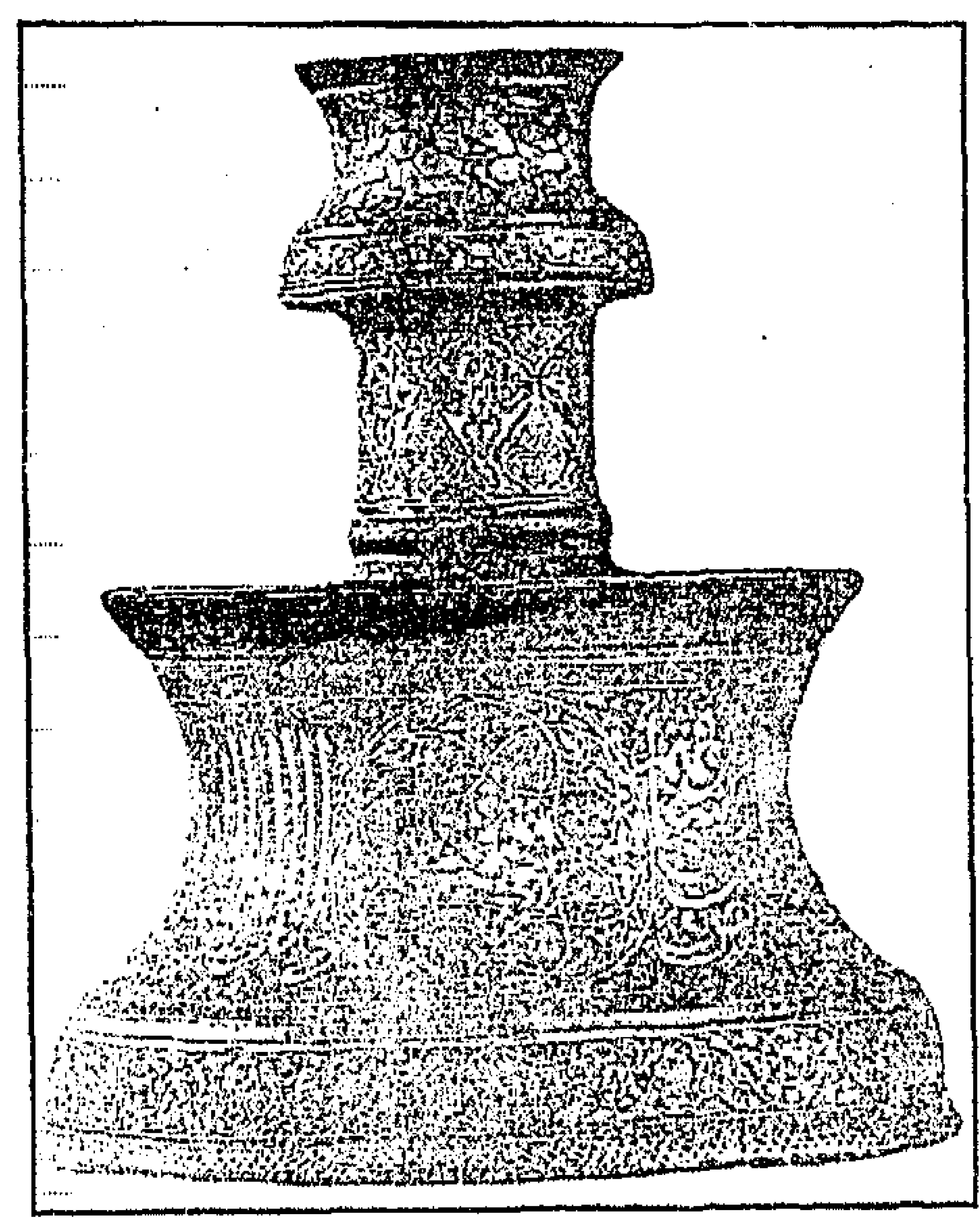


شكل (٩٤)

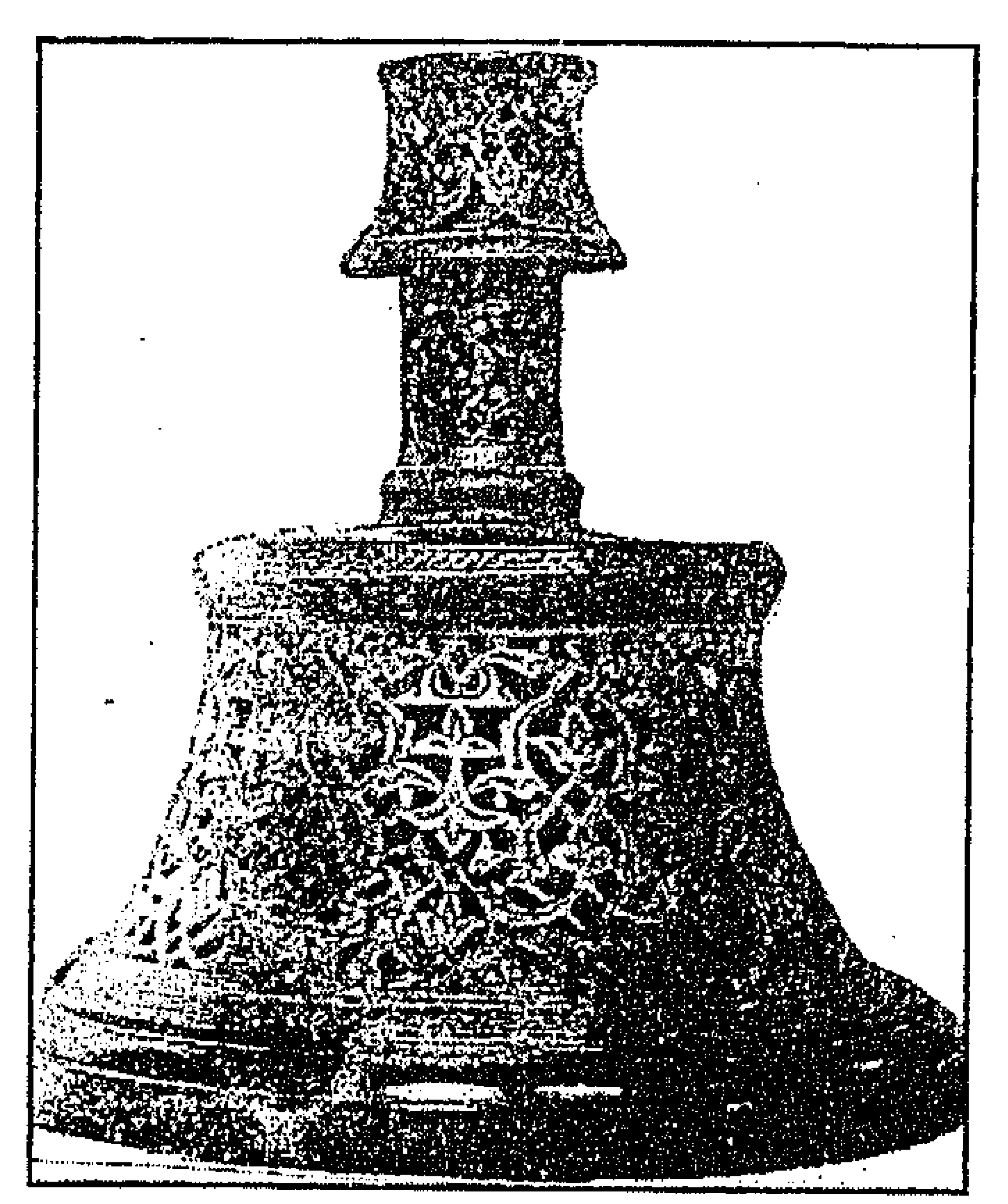




شكل (٩٥)



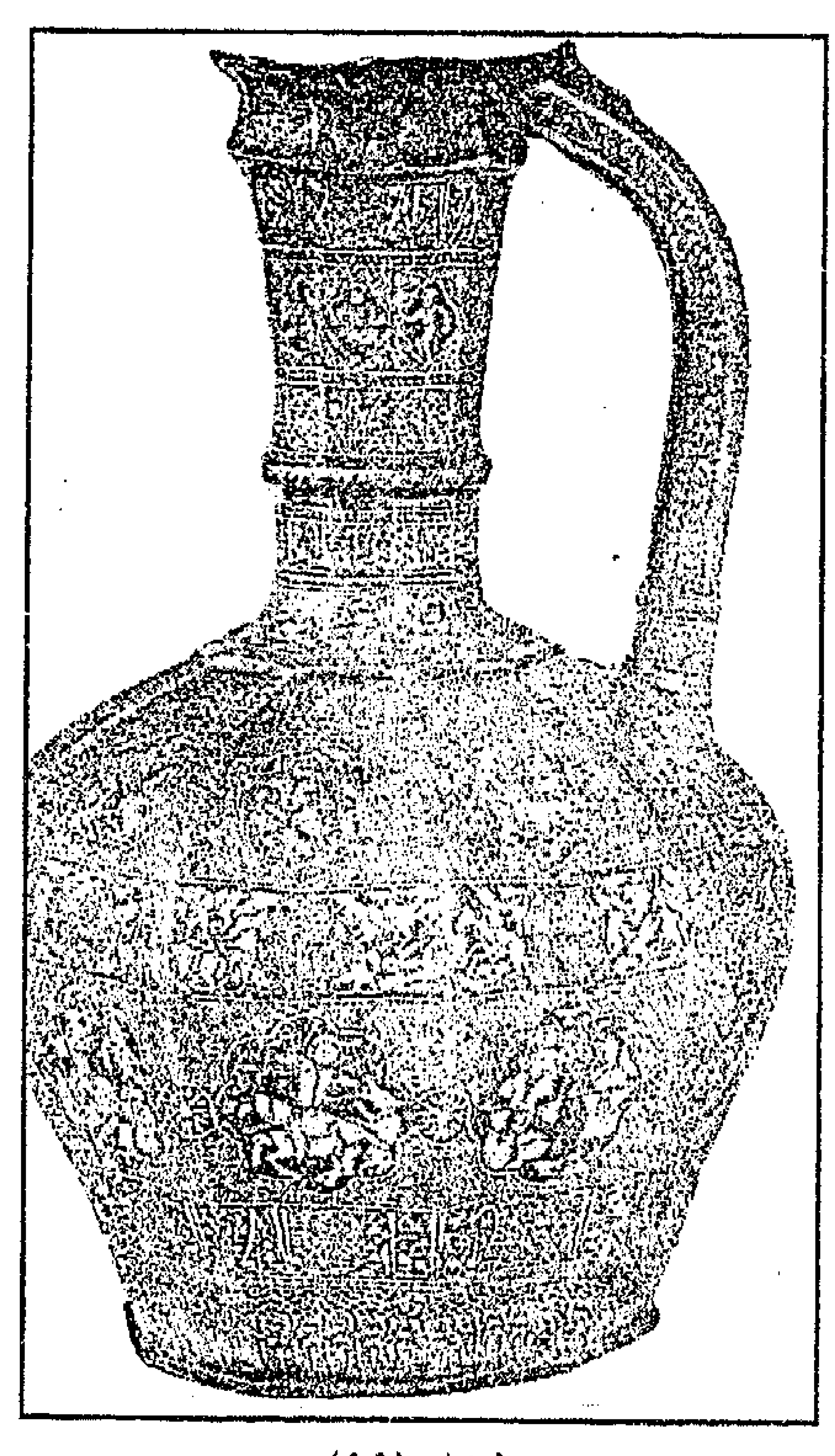
شكل (٩٦)



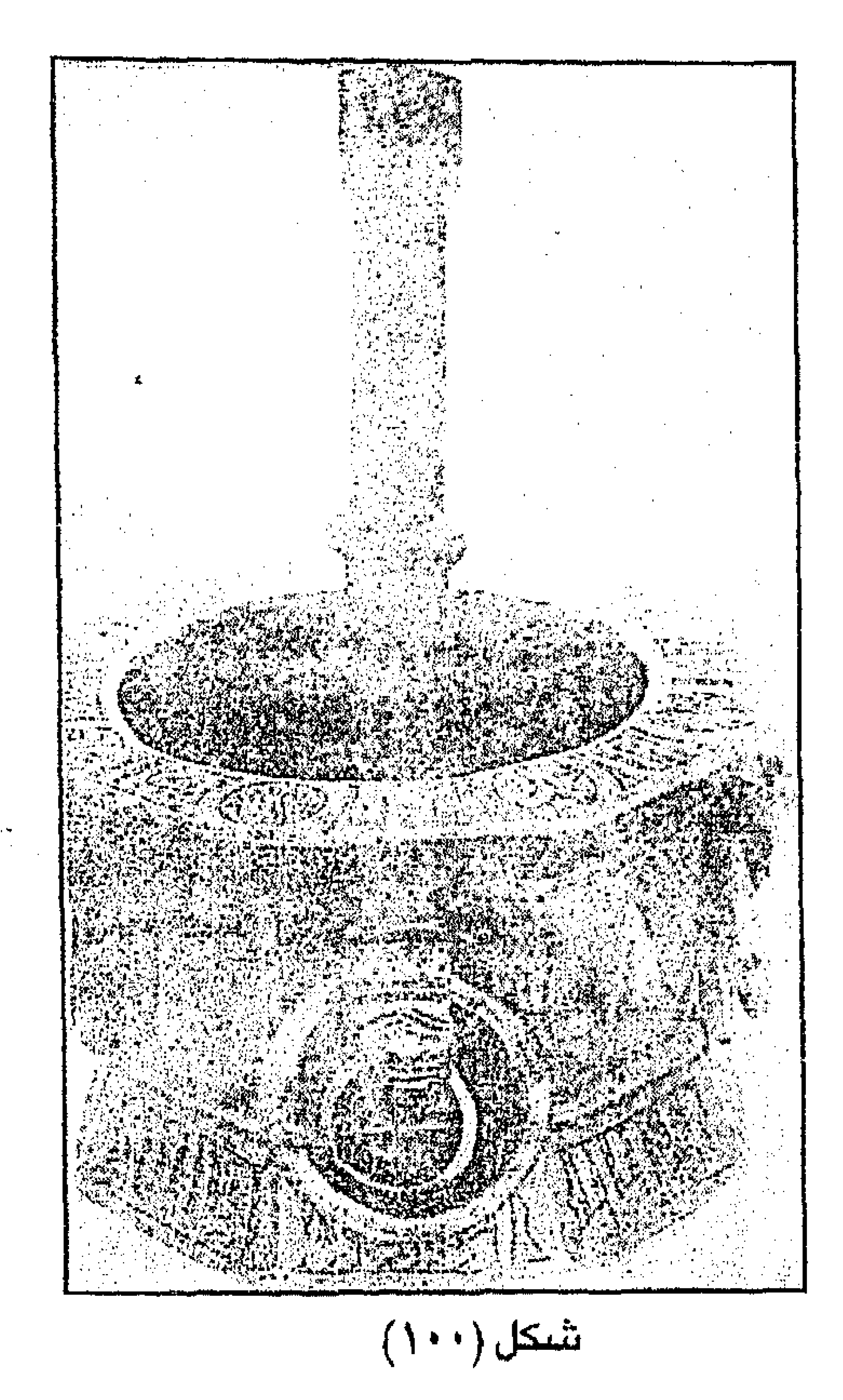
شكل (٩٧)

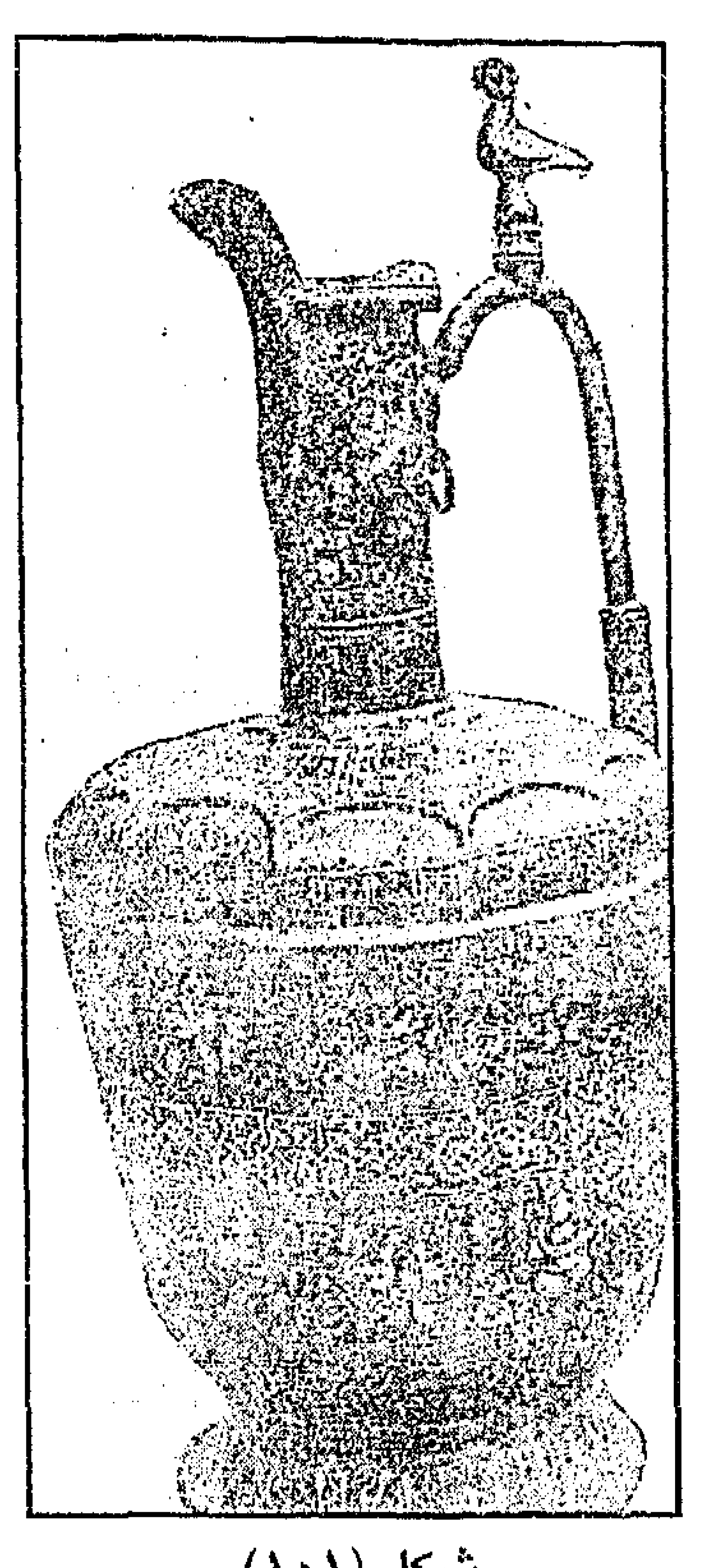


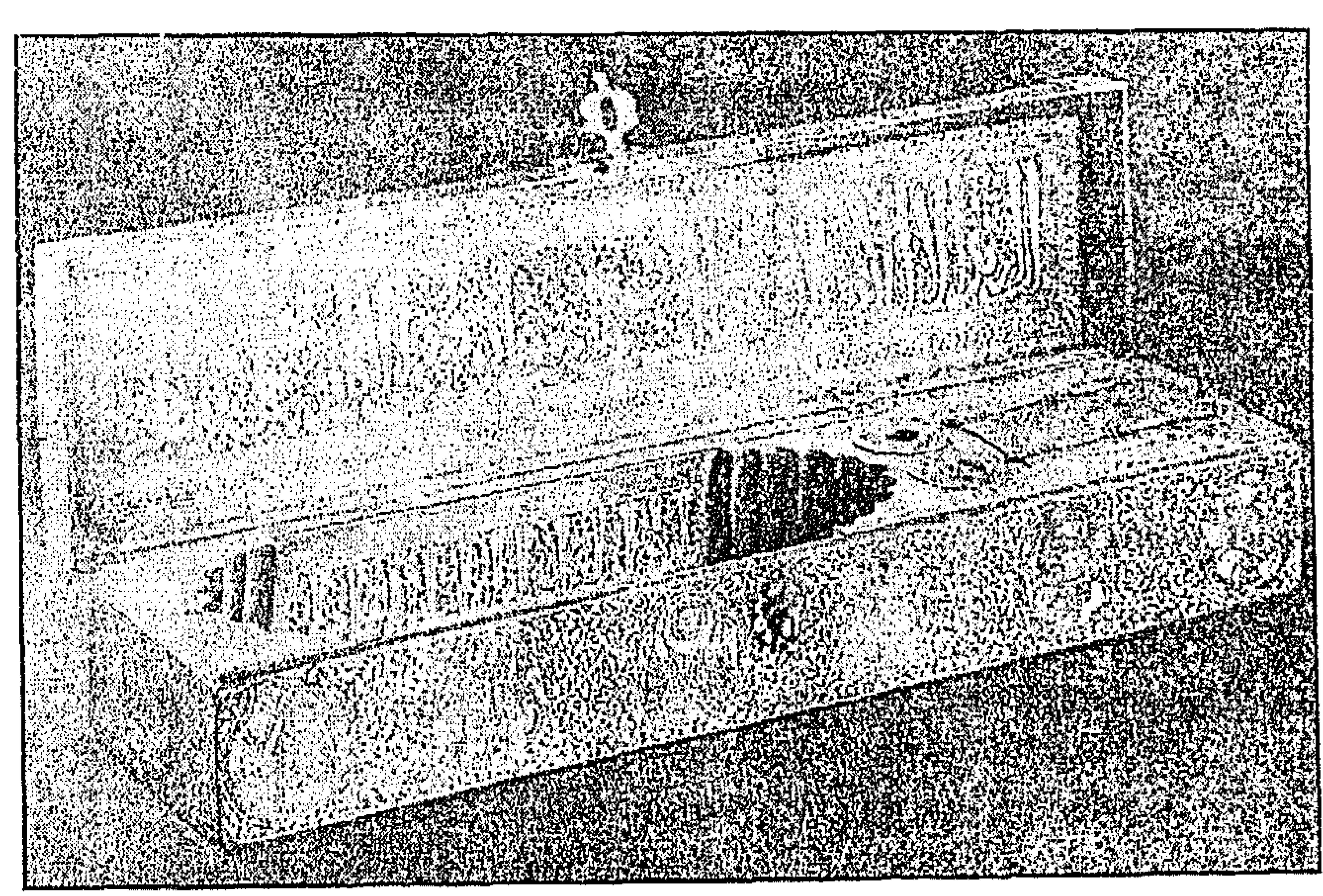
شكل (٩٨)

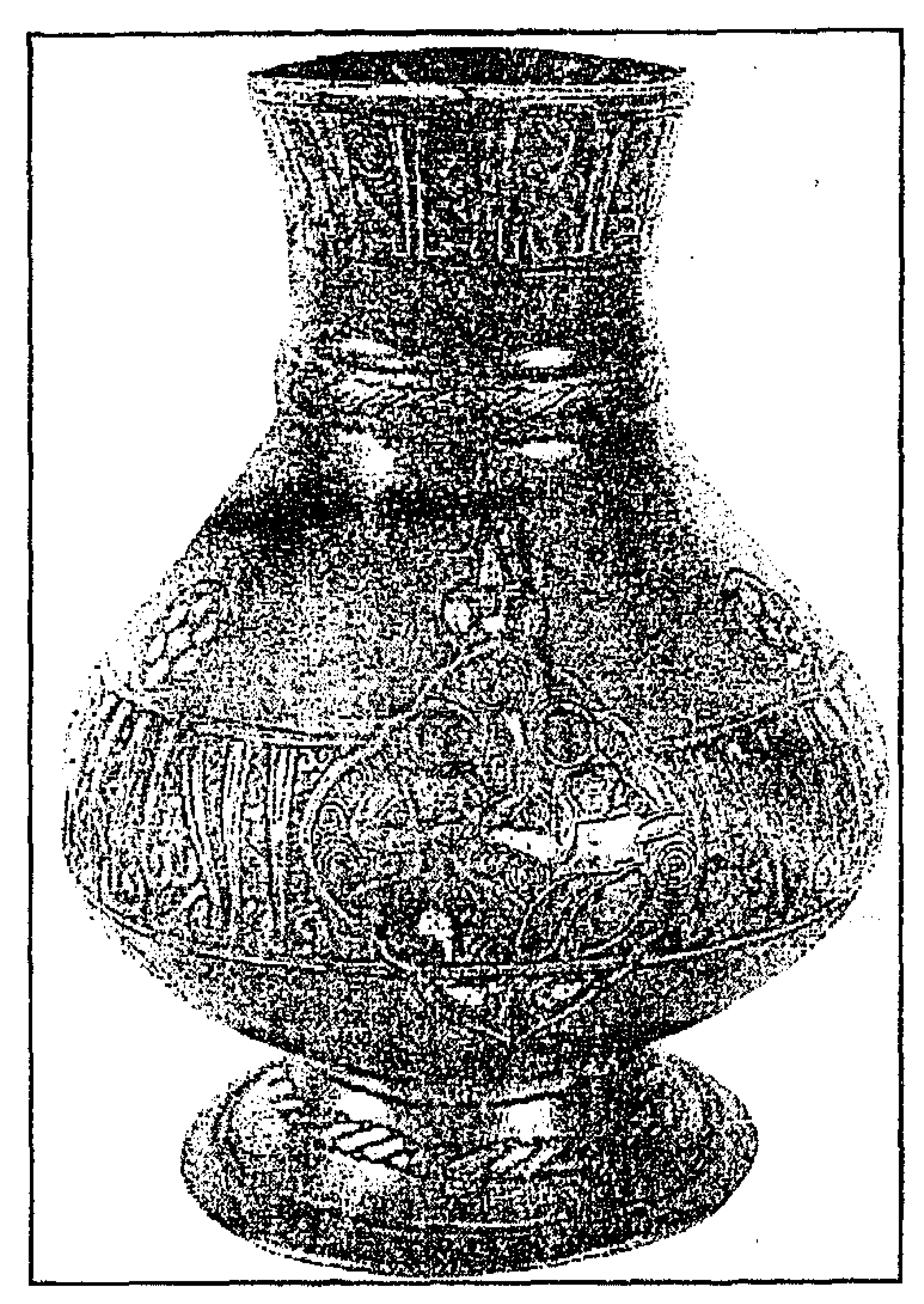


شكل (٩٩)

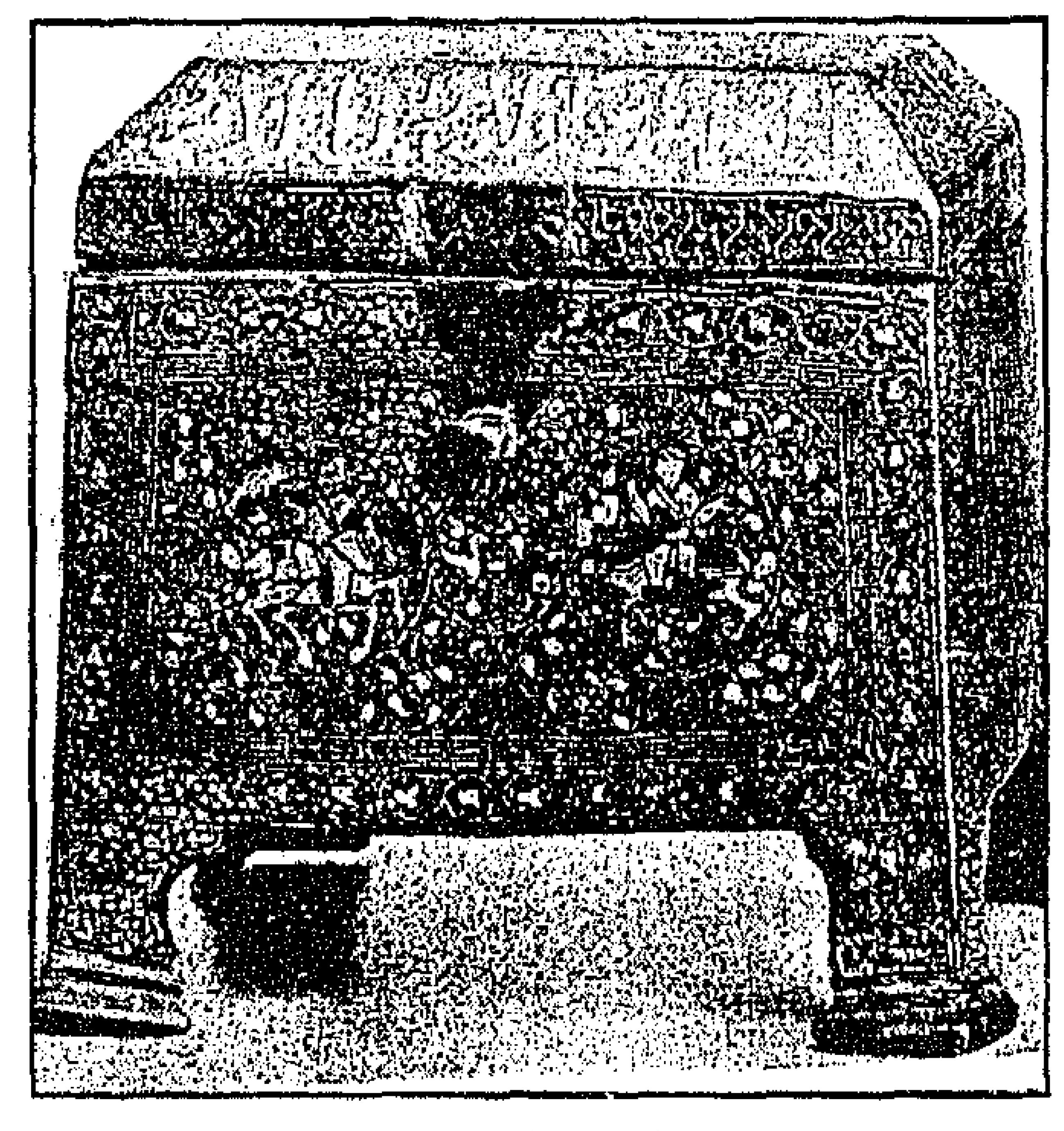

شكل (١٠٠)


شكل (١٠١)


شكل (١٠٢)



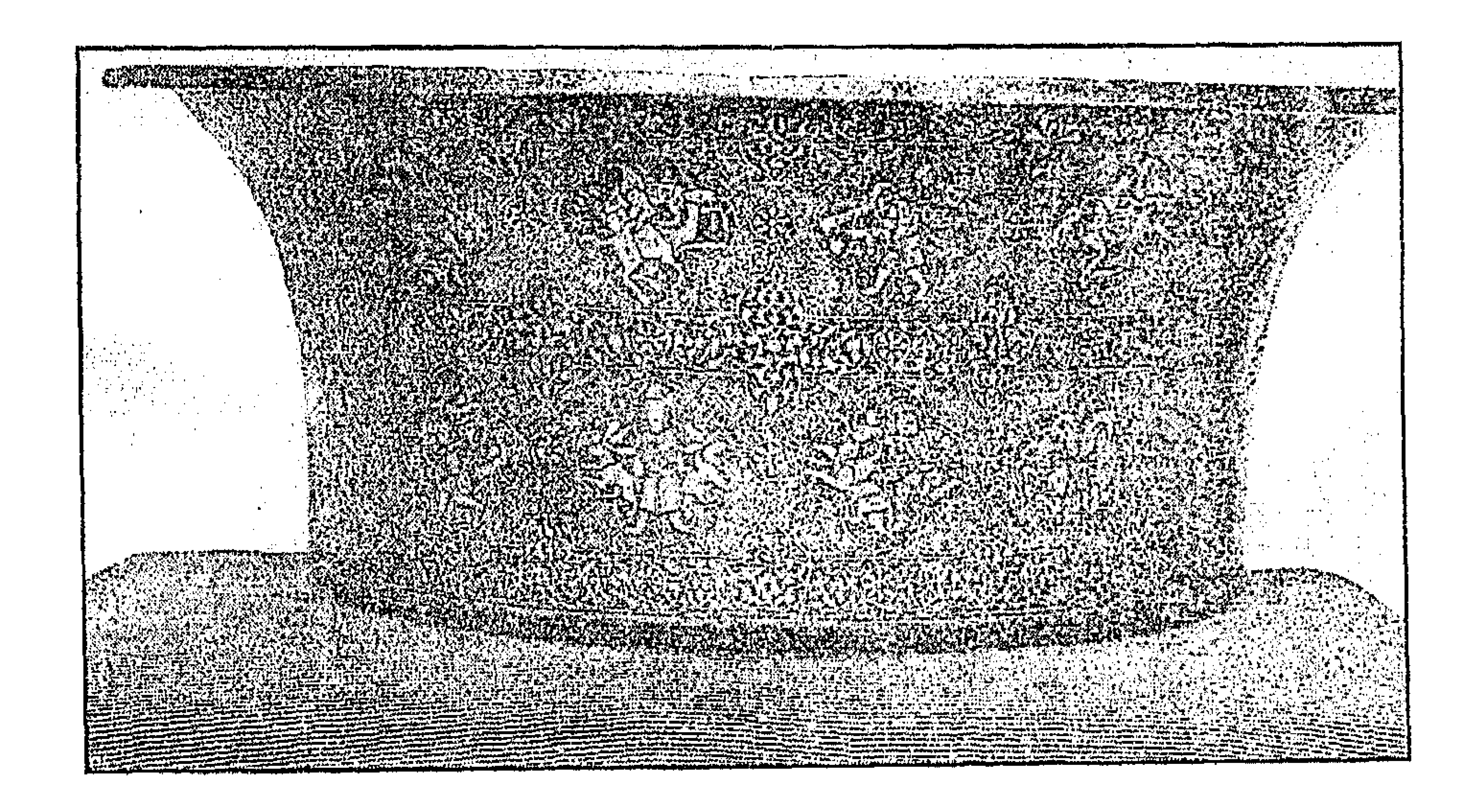
شكل (١٠٣)



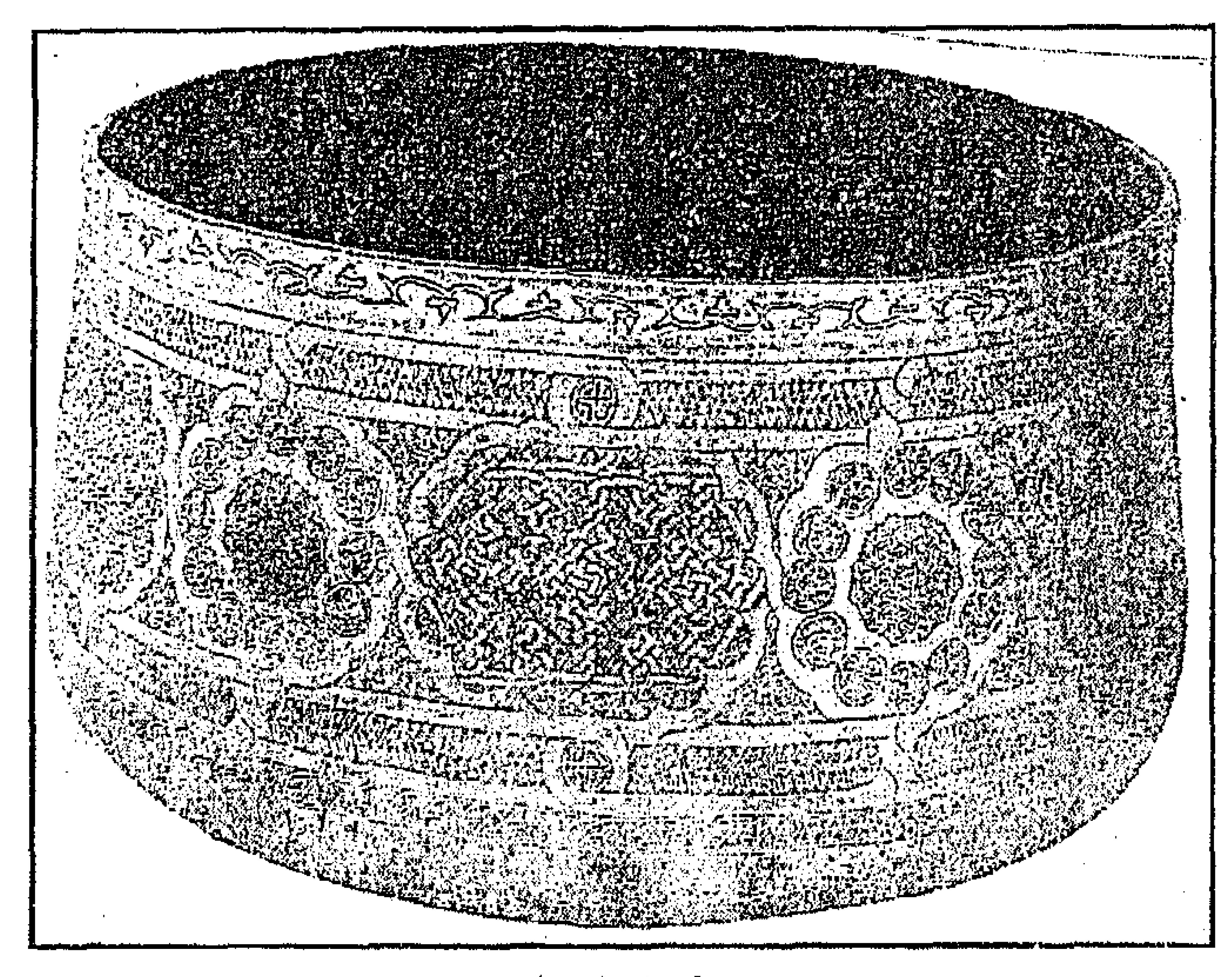
شكل (١٠٤)

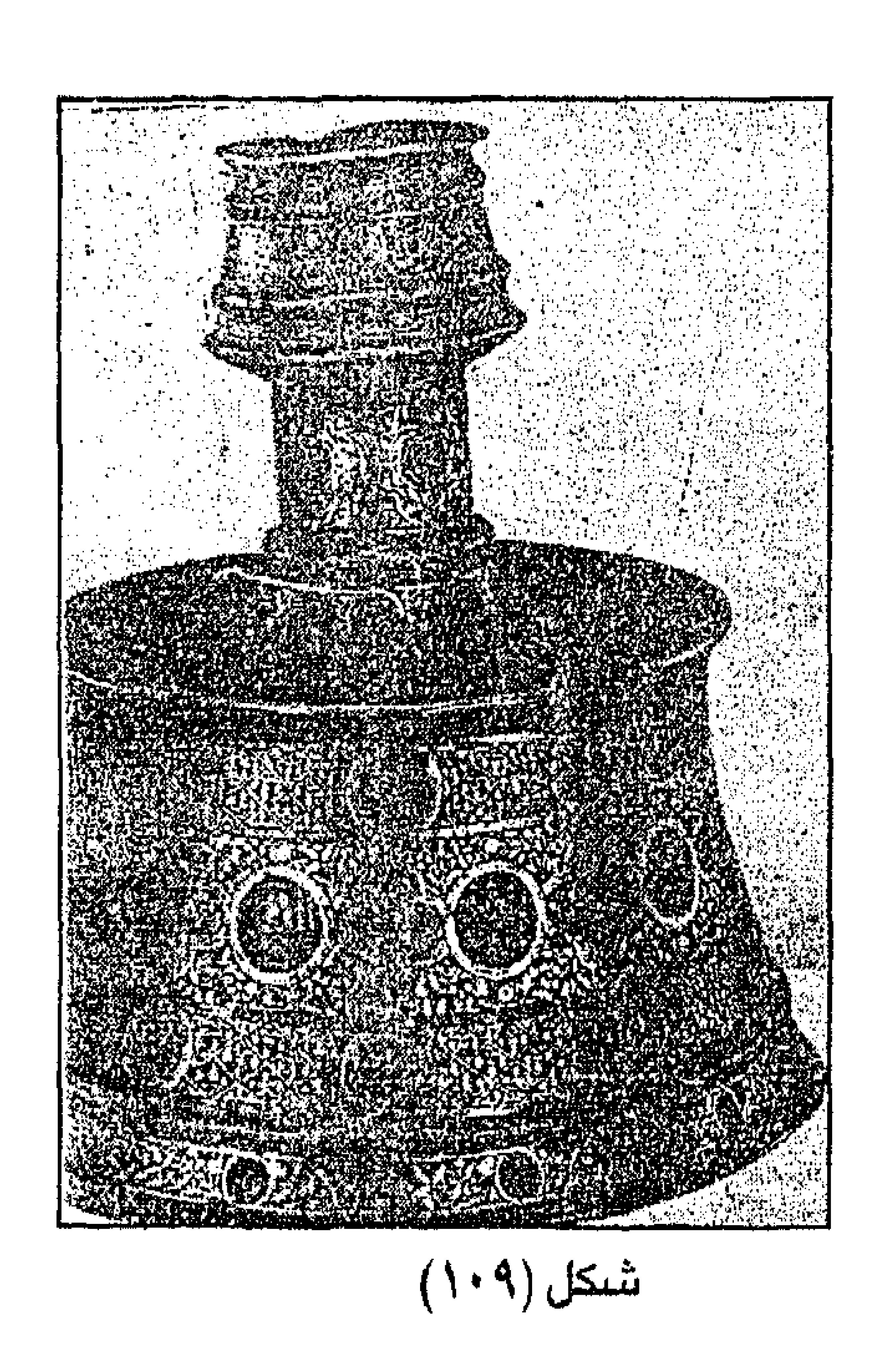


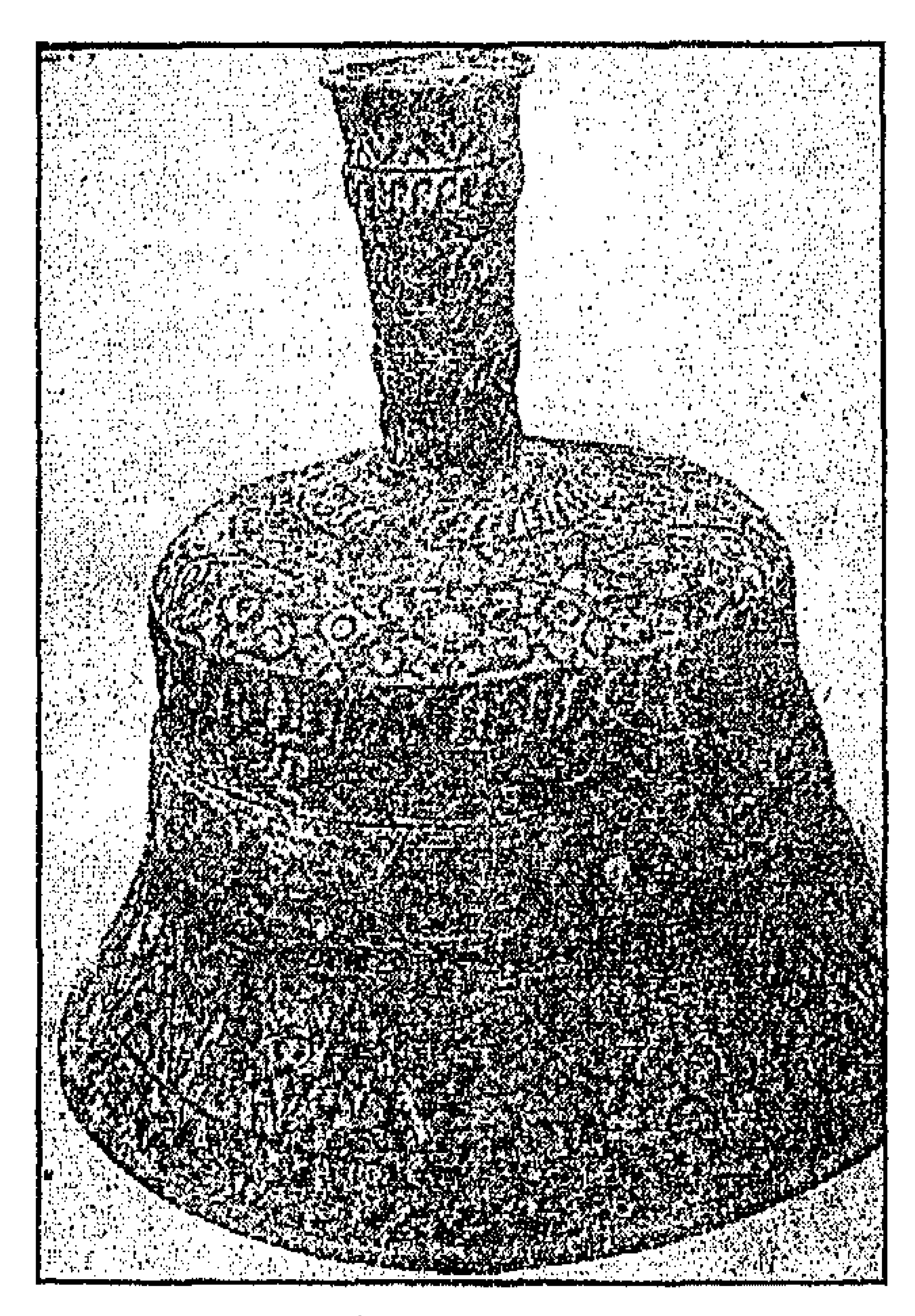
شكل (١٠٥)

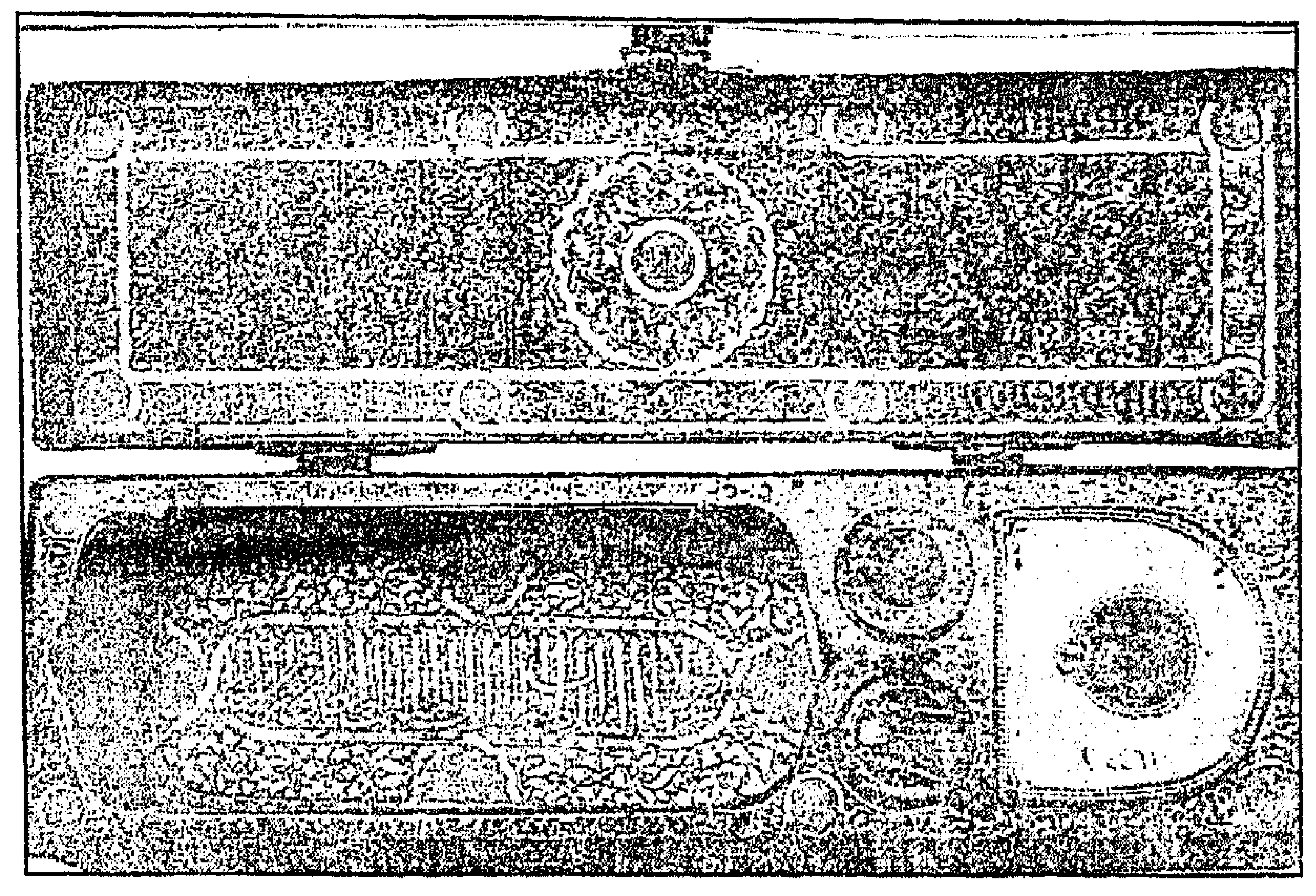


شكل (١٠٦)

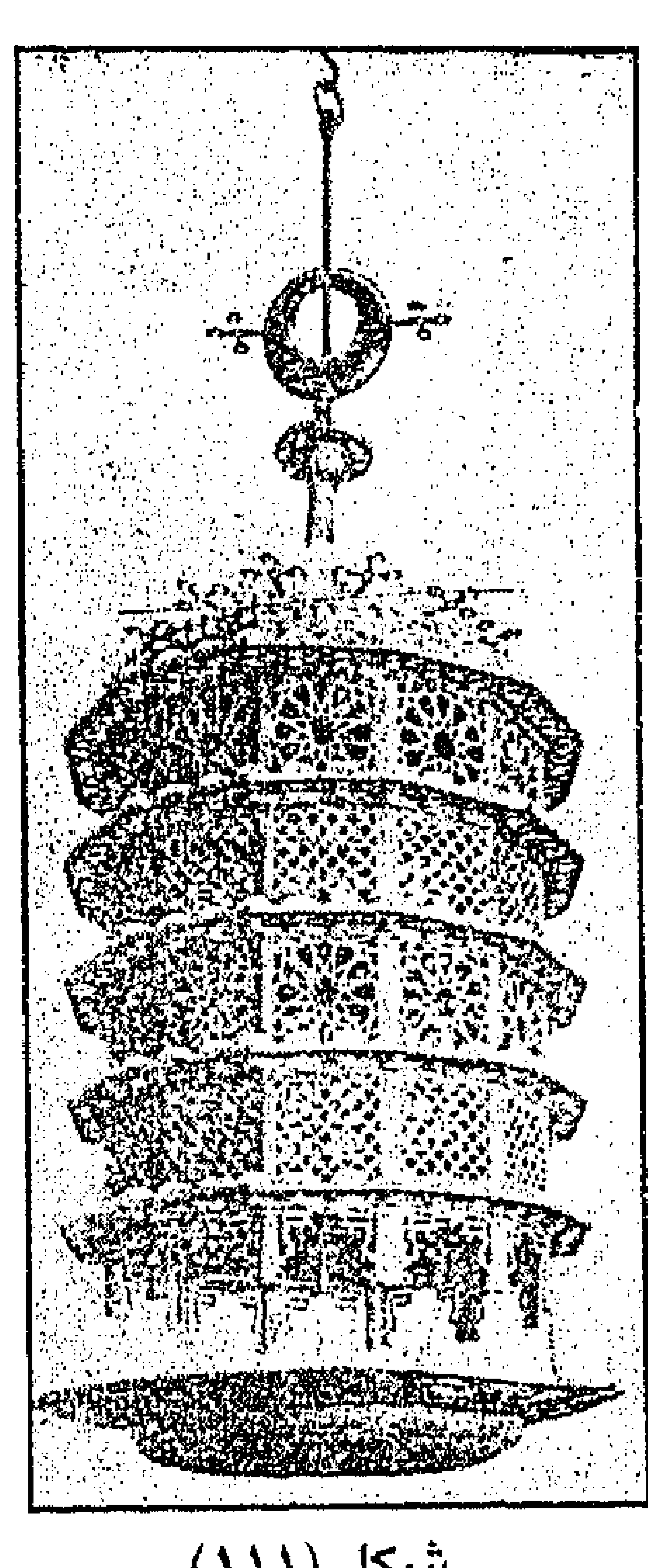

شكل (١٠)


شكل (١٠٩)


شكل (١٠٨)



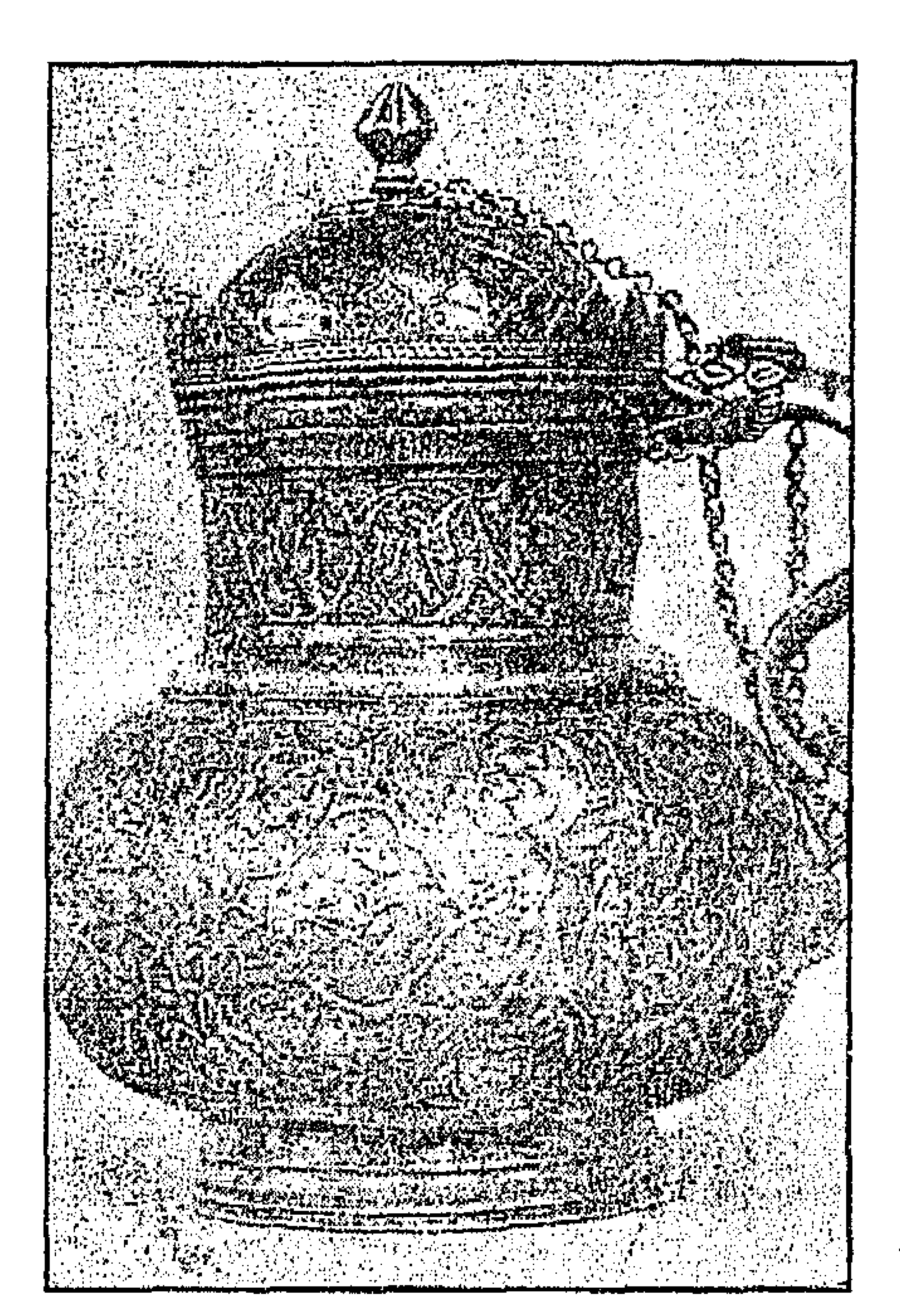
شكل (١١٠)



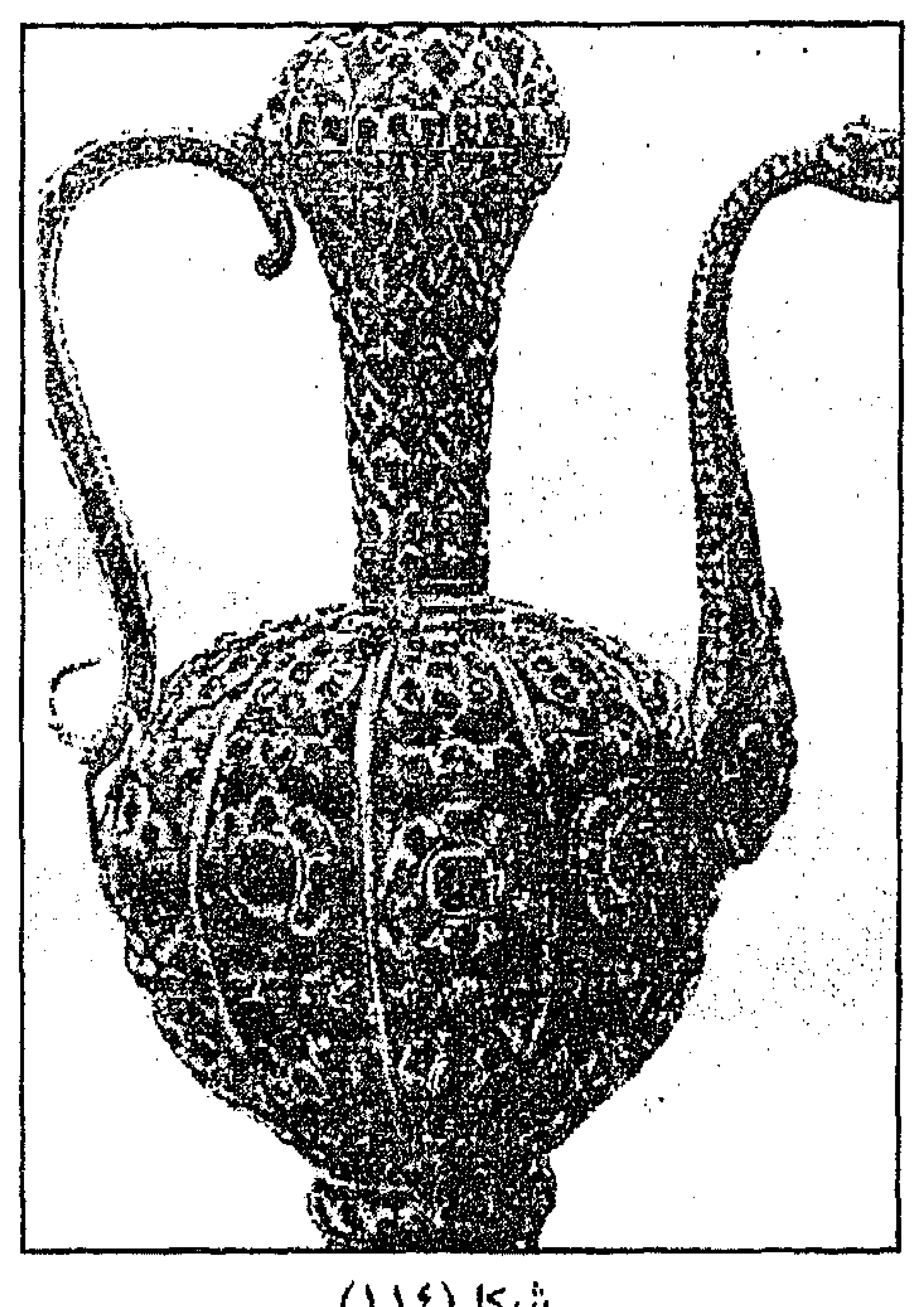
شكل (١١١)



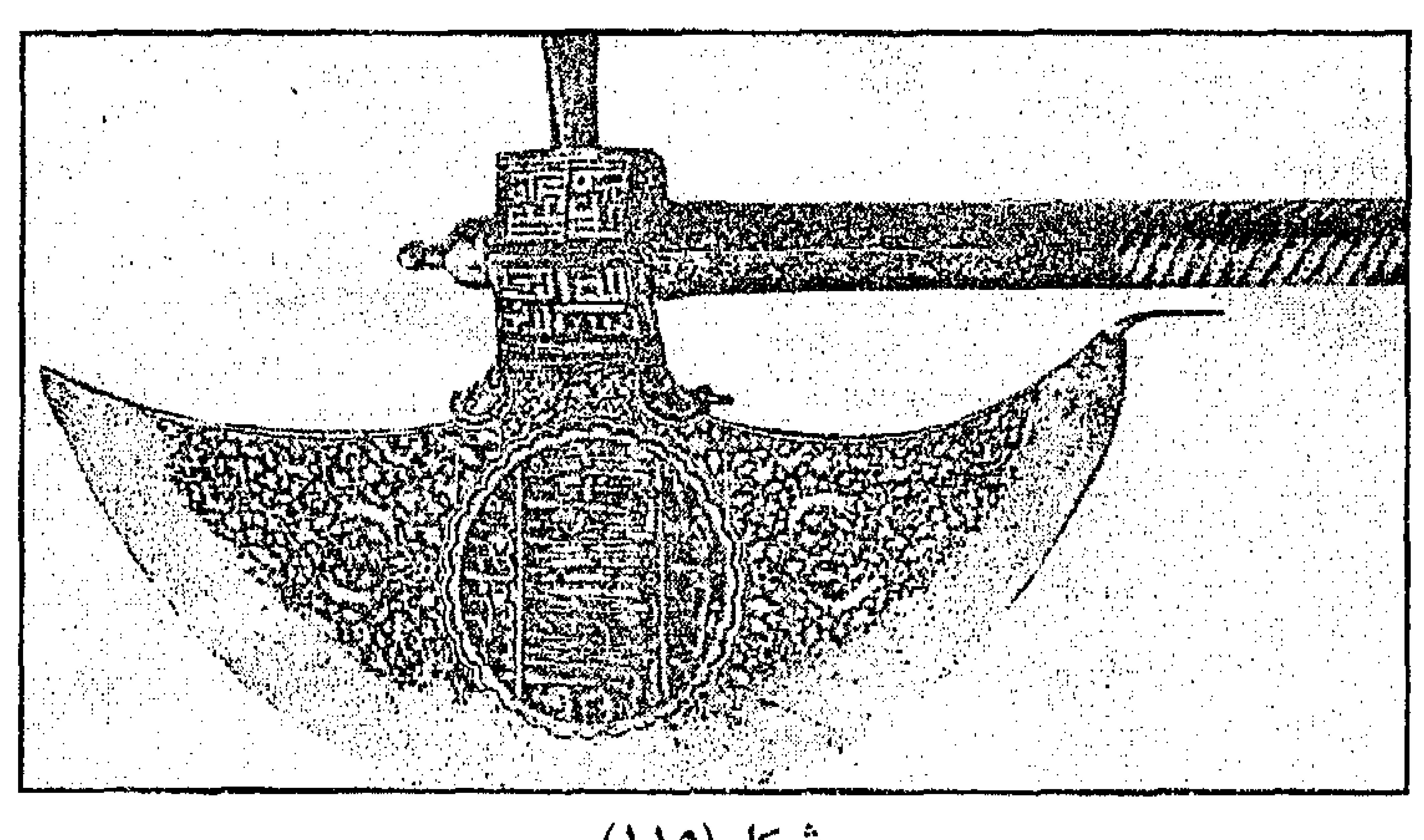
شكل (١١٢)



شكل (١١٣)



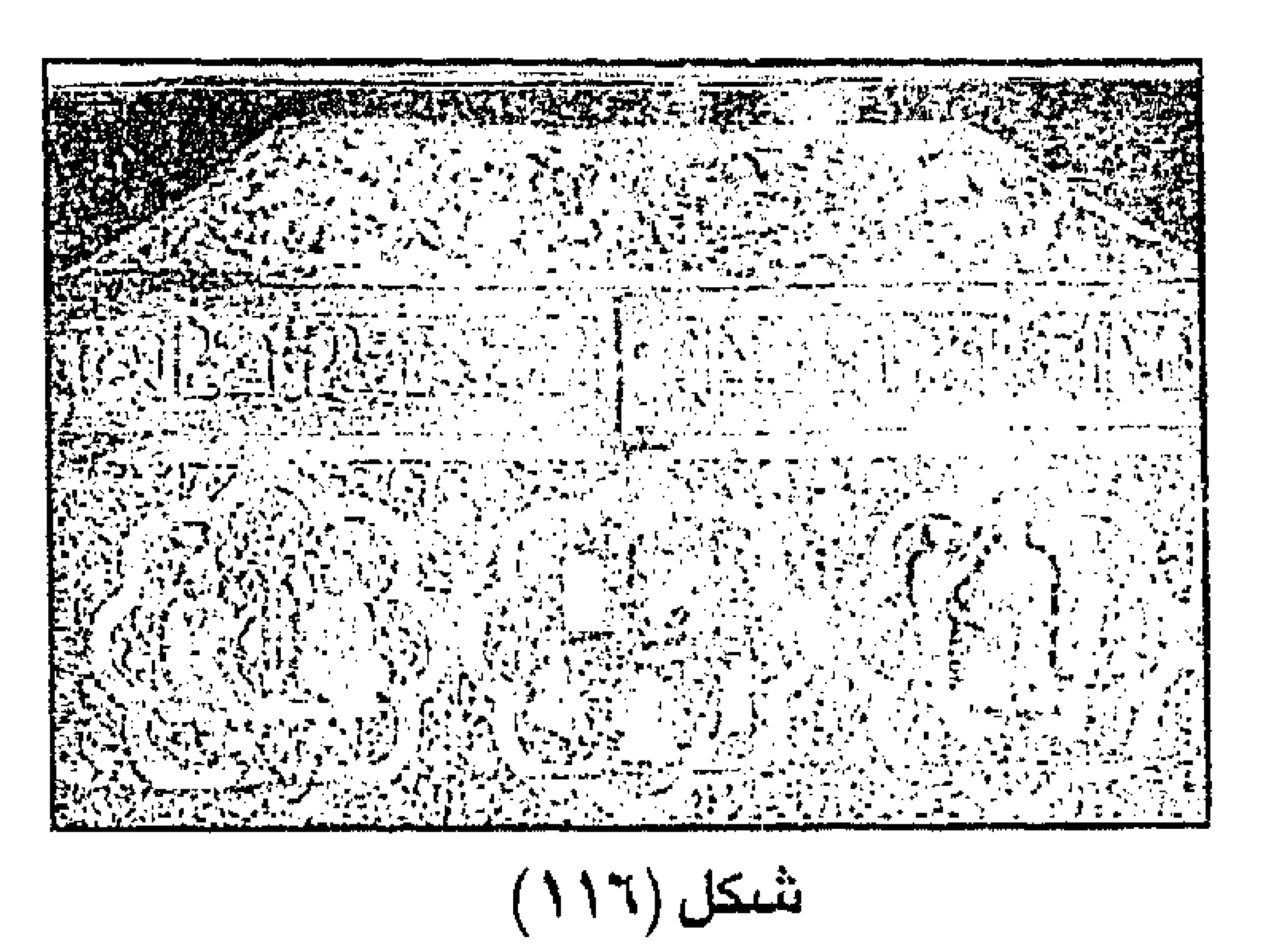
شكل(١١٤)



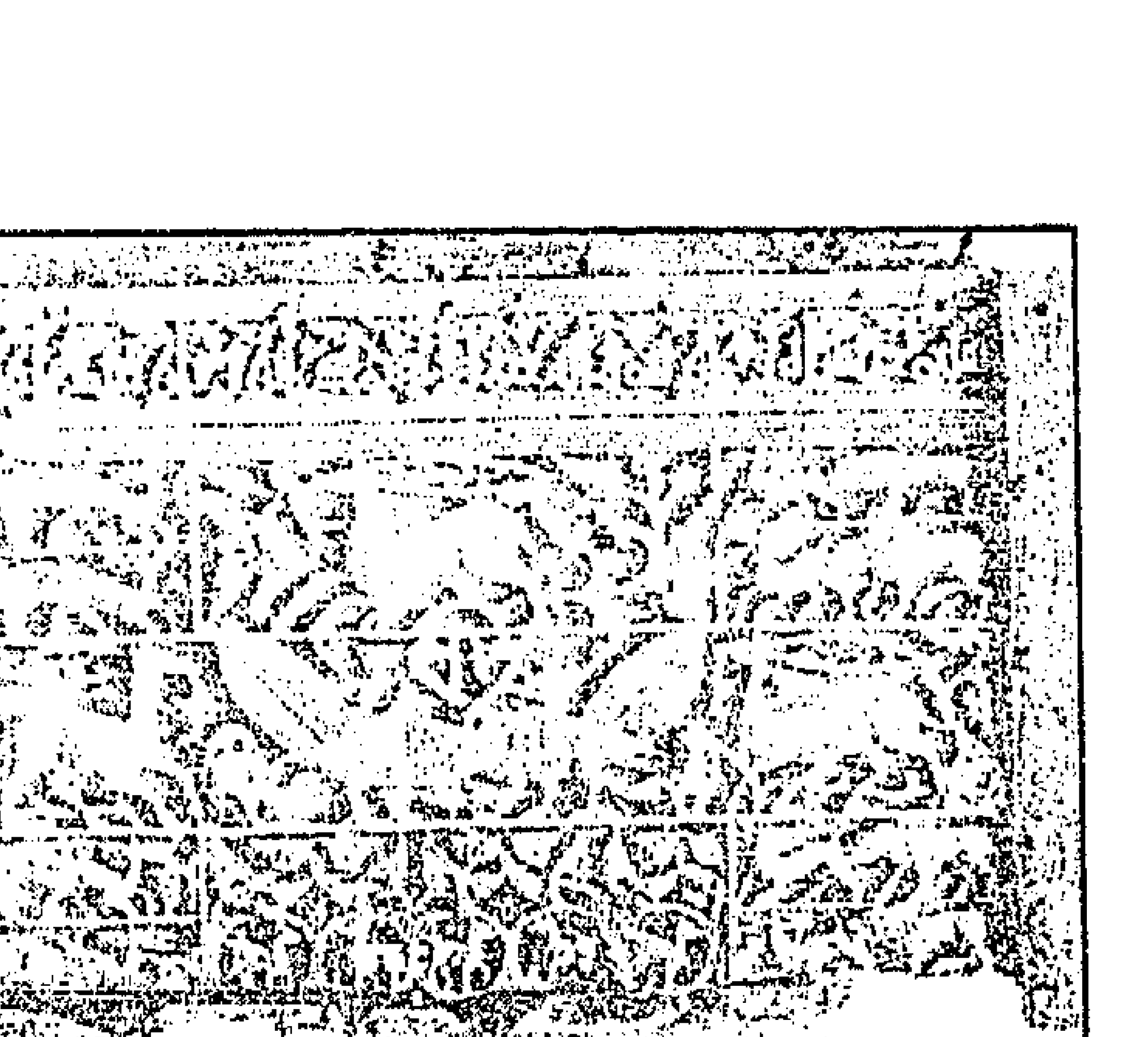
شكل (١١٥)



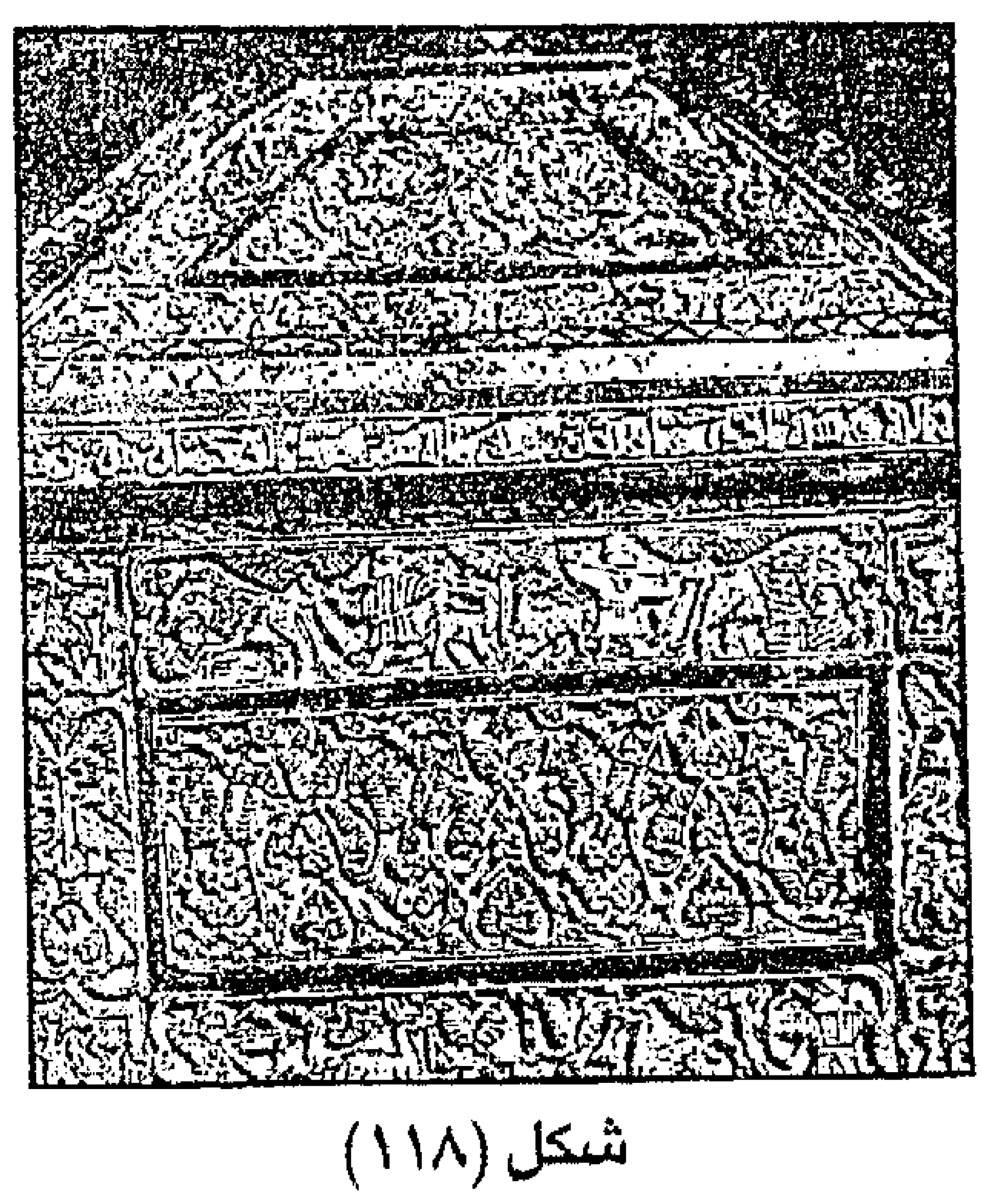
شكل (١١٧)



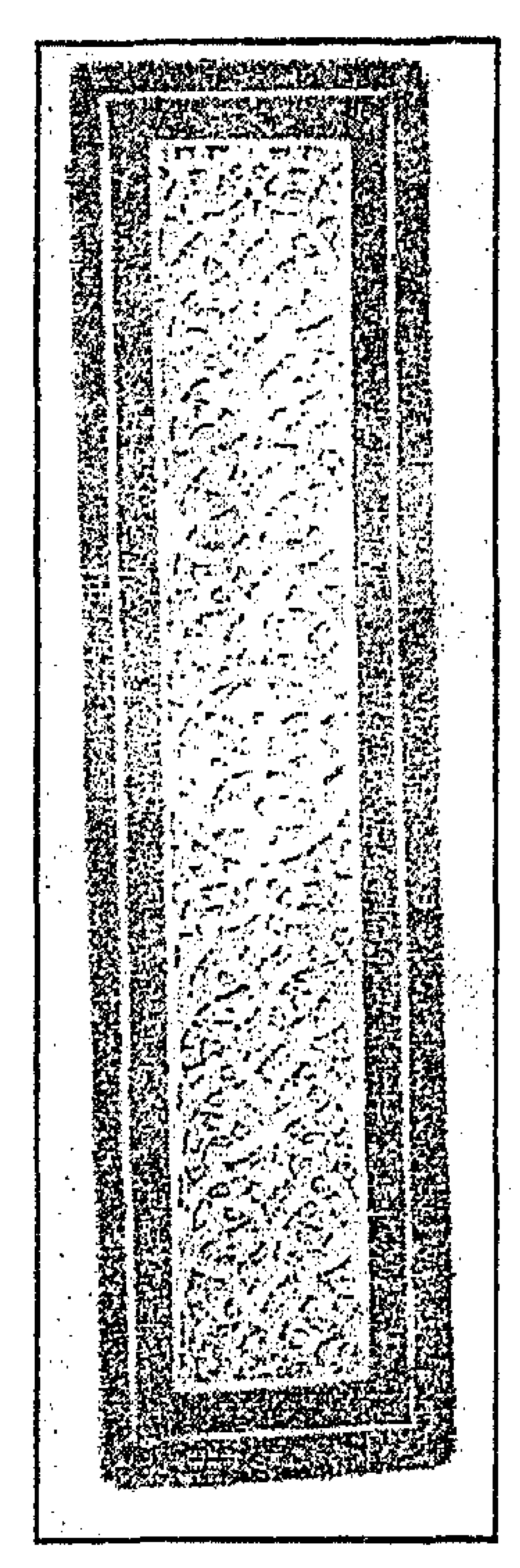
شكل (١١٦)



شكل (١١٩)

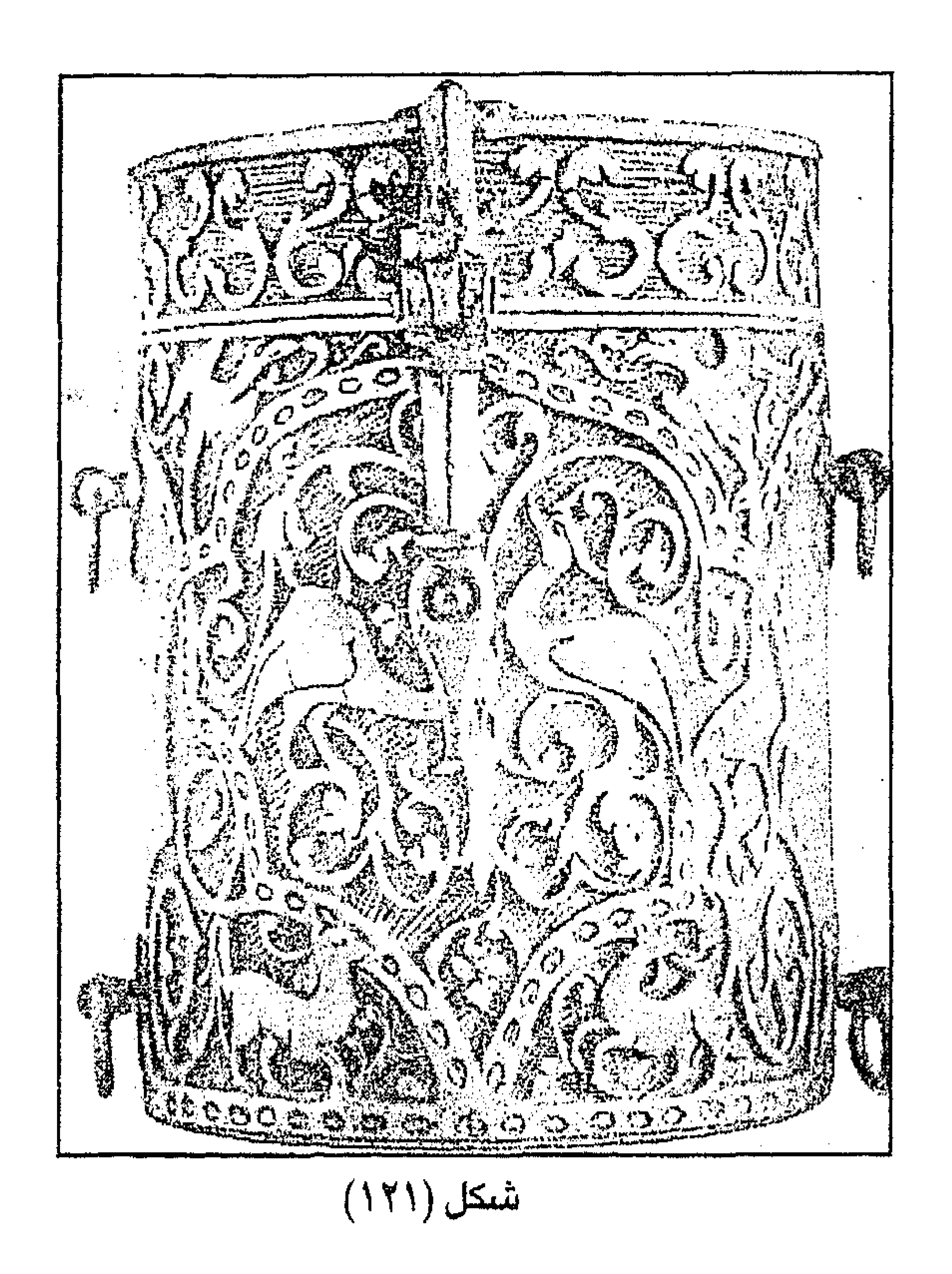


شكل (١١٨)

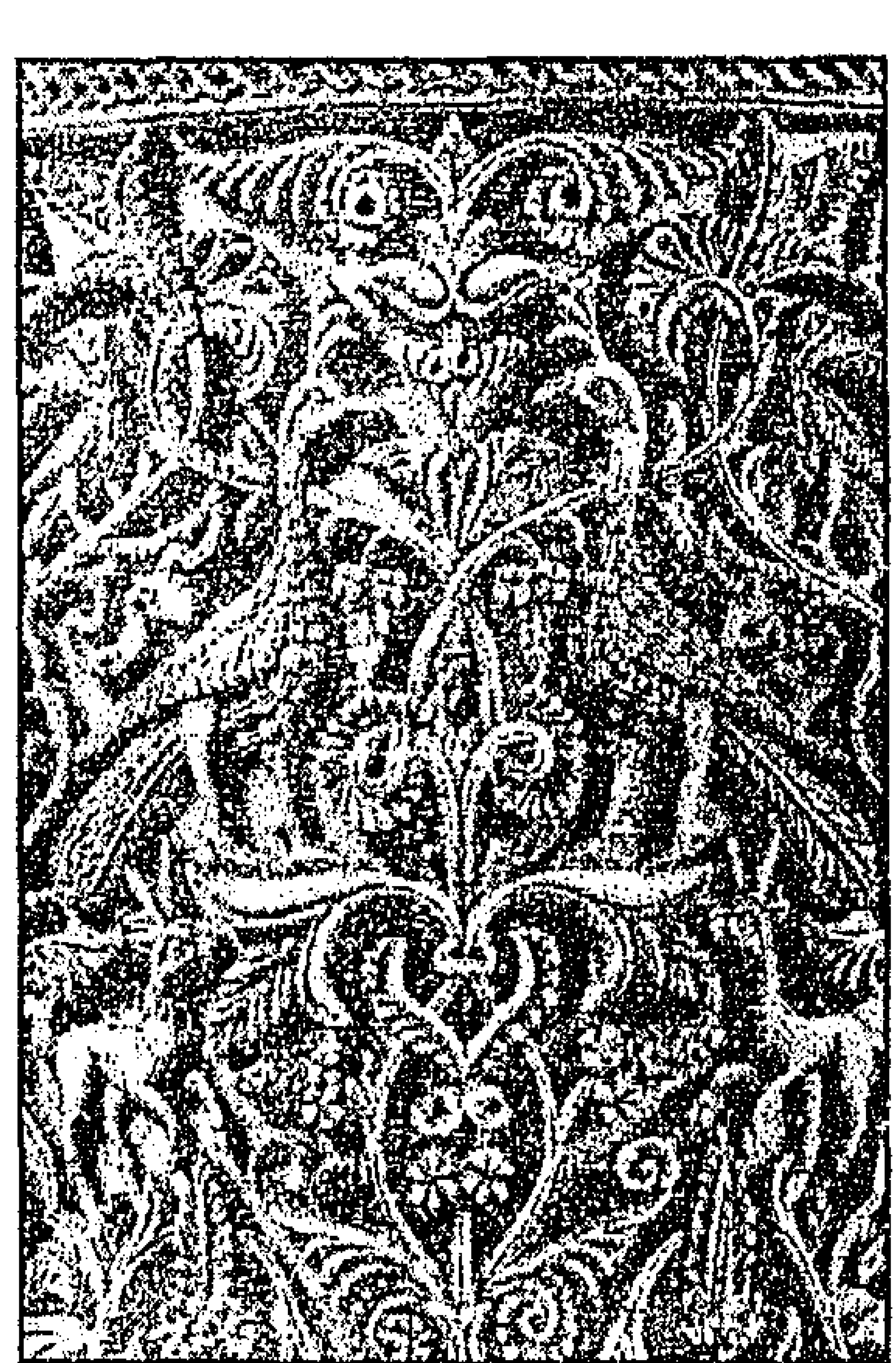




شكل (١٢٠)



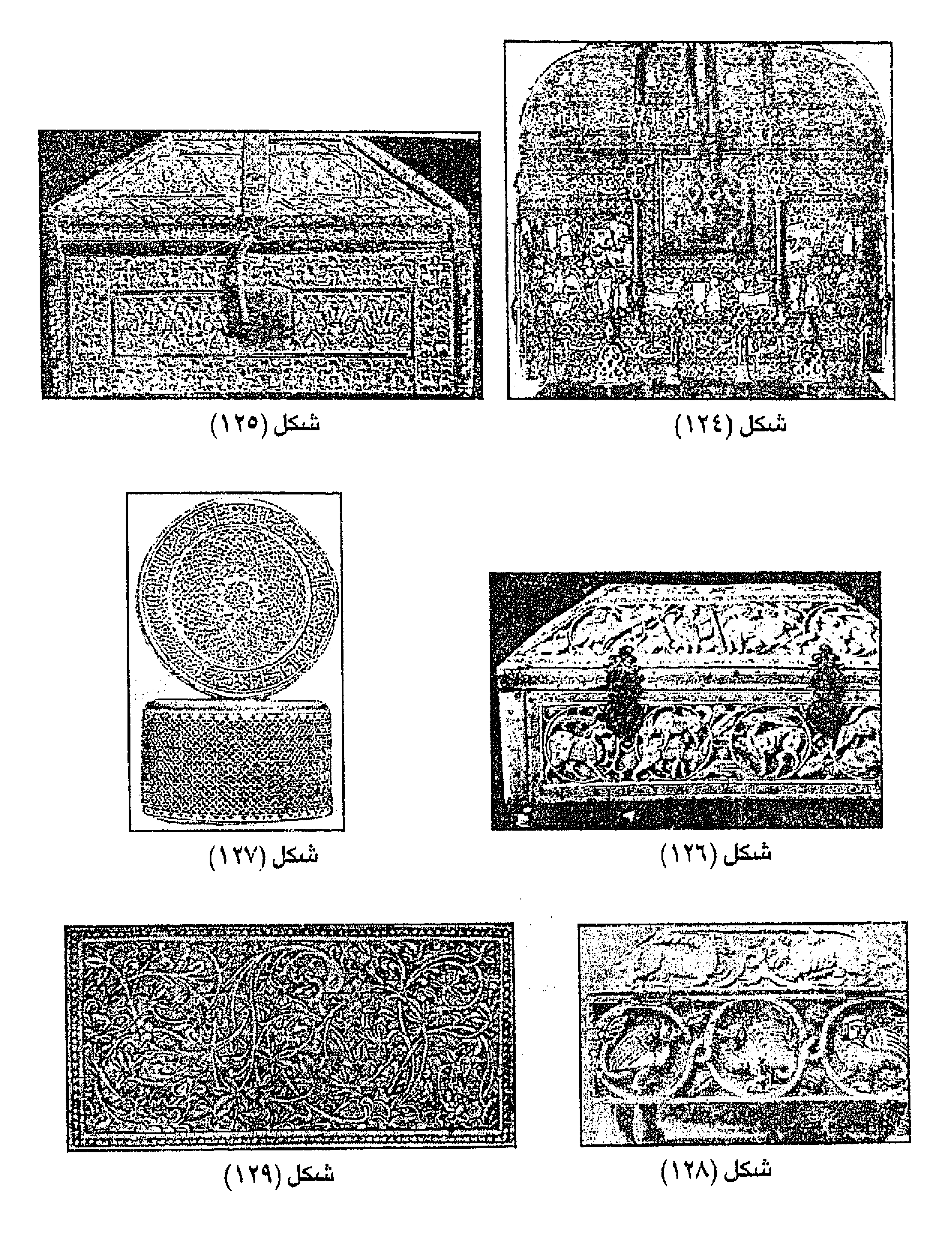
شكل (١٢١)



شكل (١٢٢)



شكل (١٢٣)



شكل (١٢٤)

شكل (١٢٥)

شكل (١٢٦)

شكل (١٢٧)

شكل (١٢٨)

شكل (١٢٩)



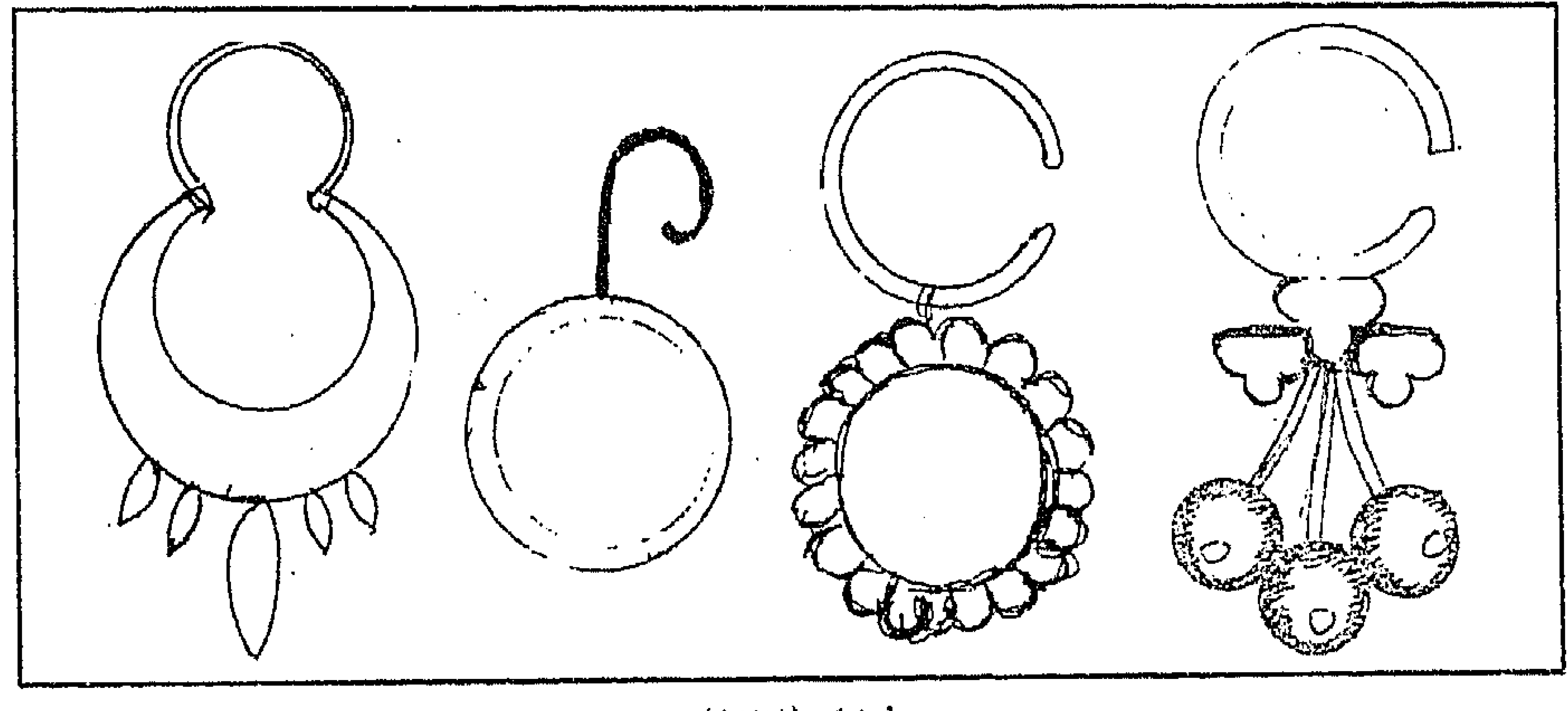
شكل (١٣٠)



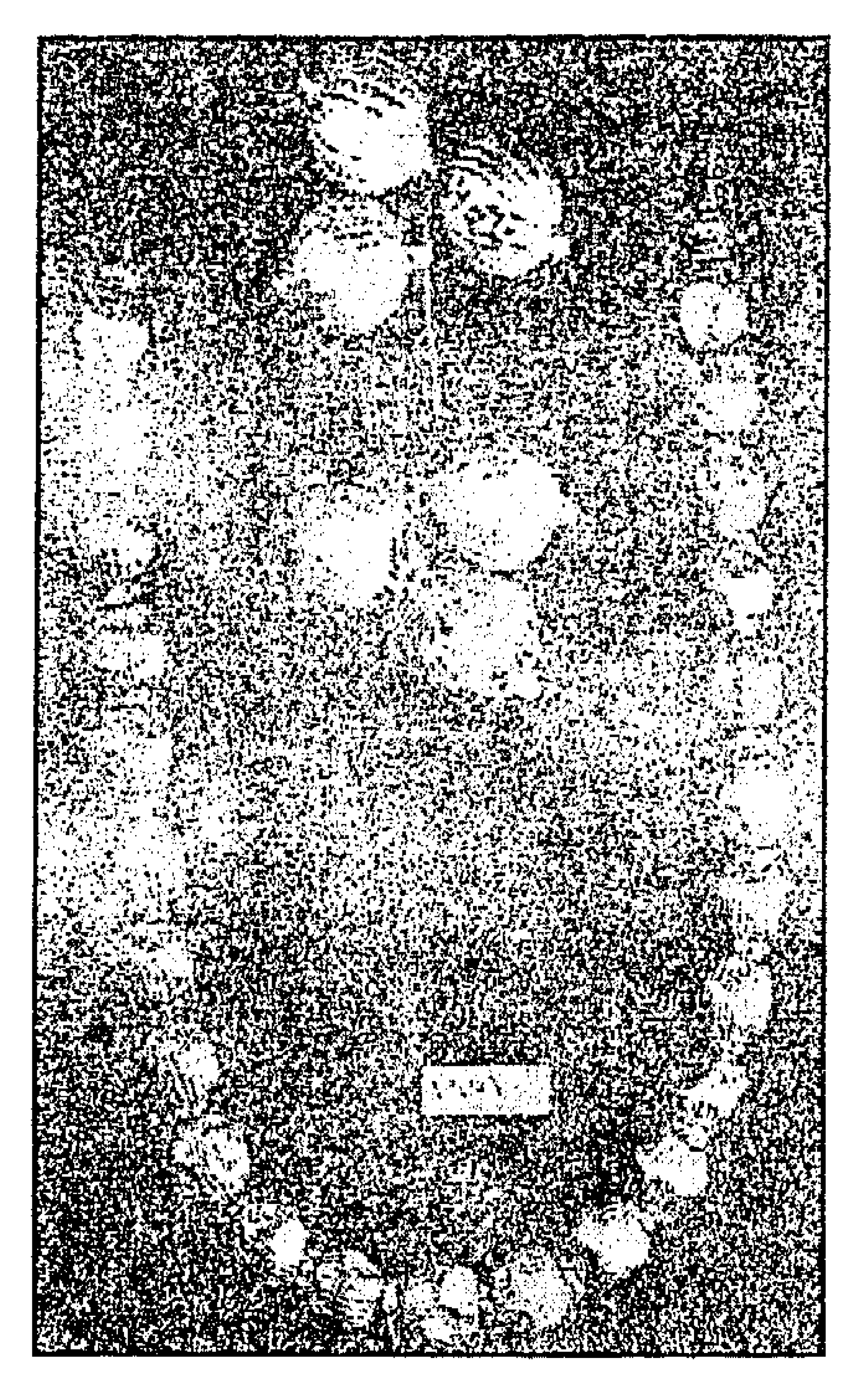
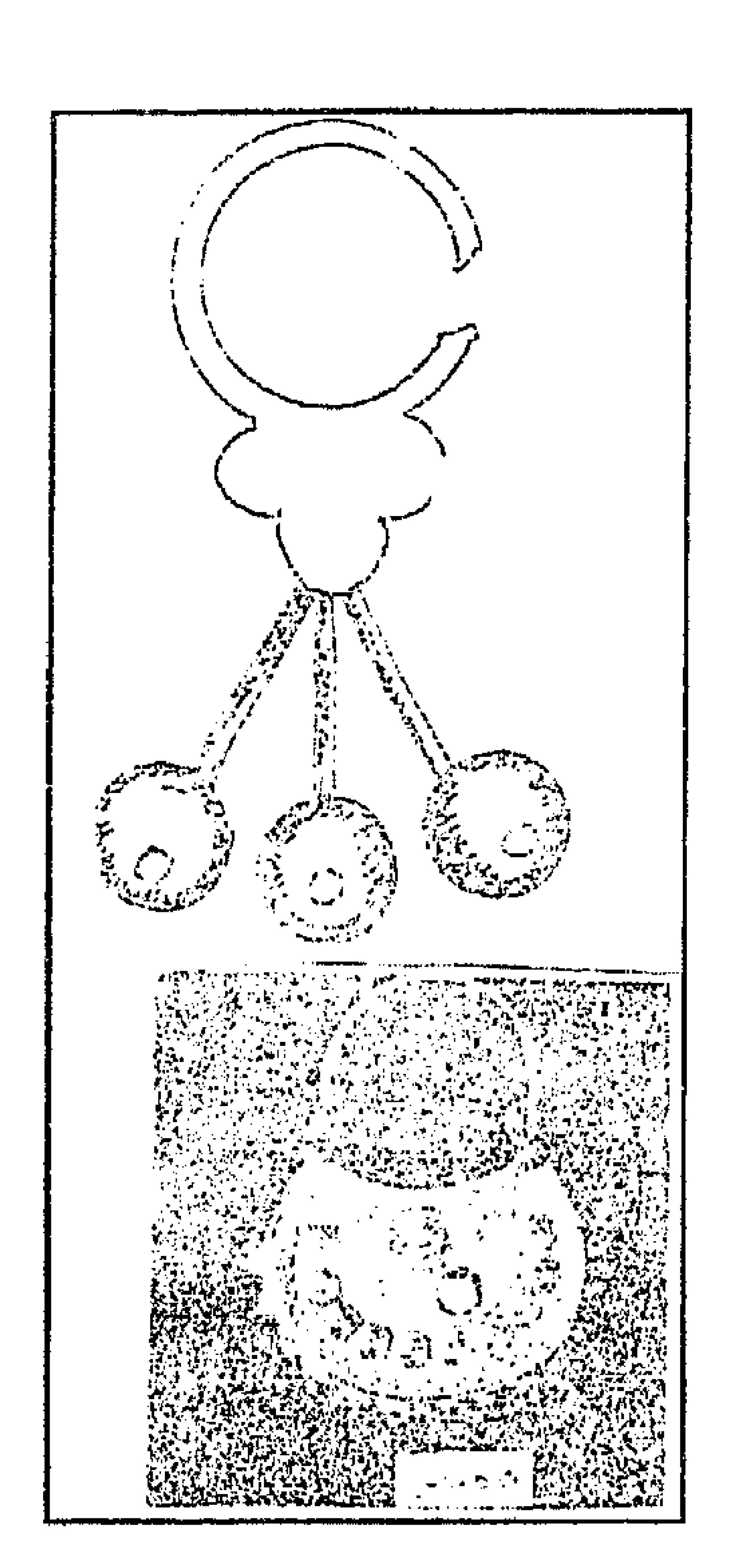
شكل (١٣١)



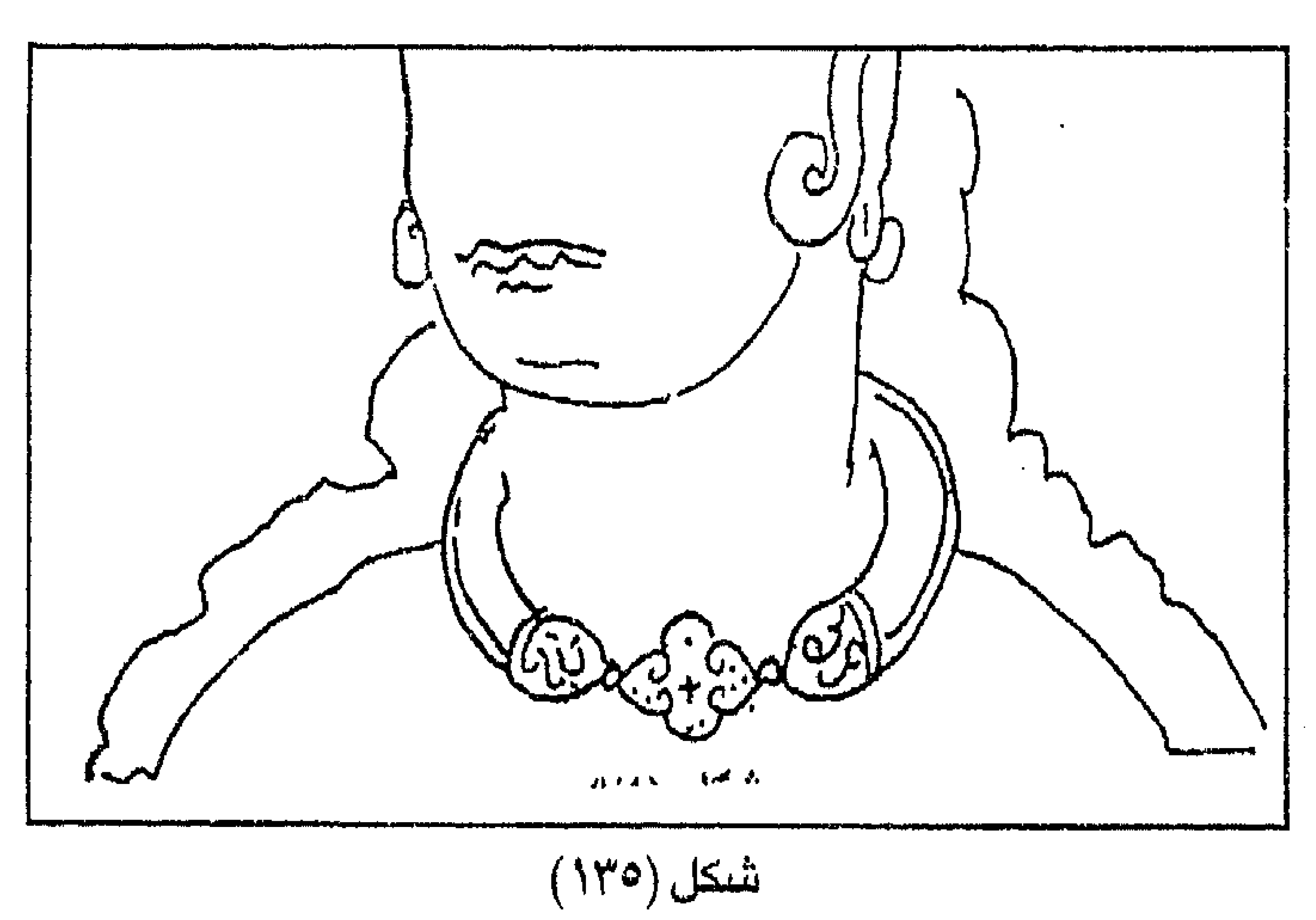
شكل (١٣٢)



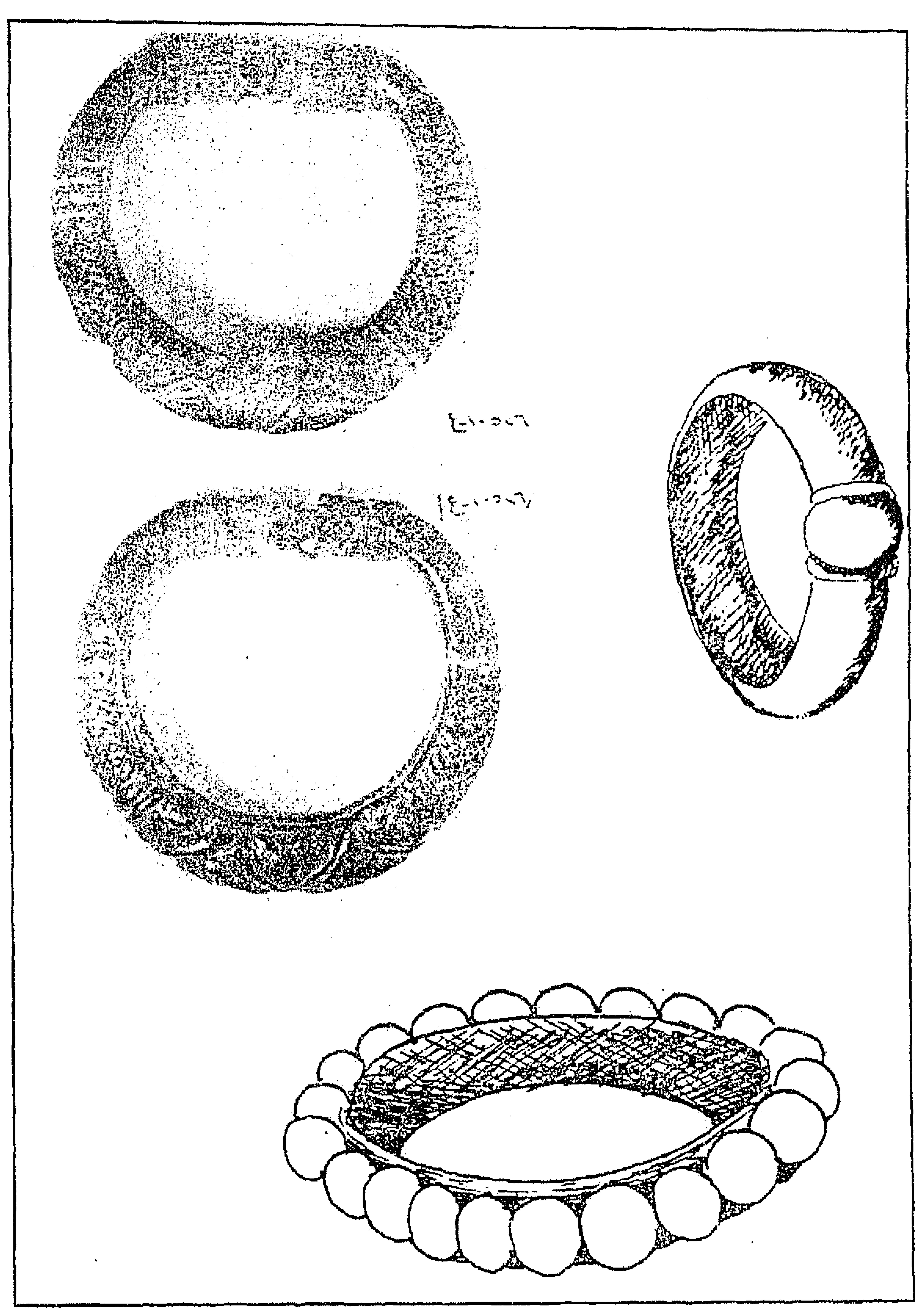
شكل (١٣٣)

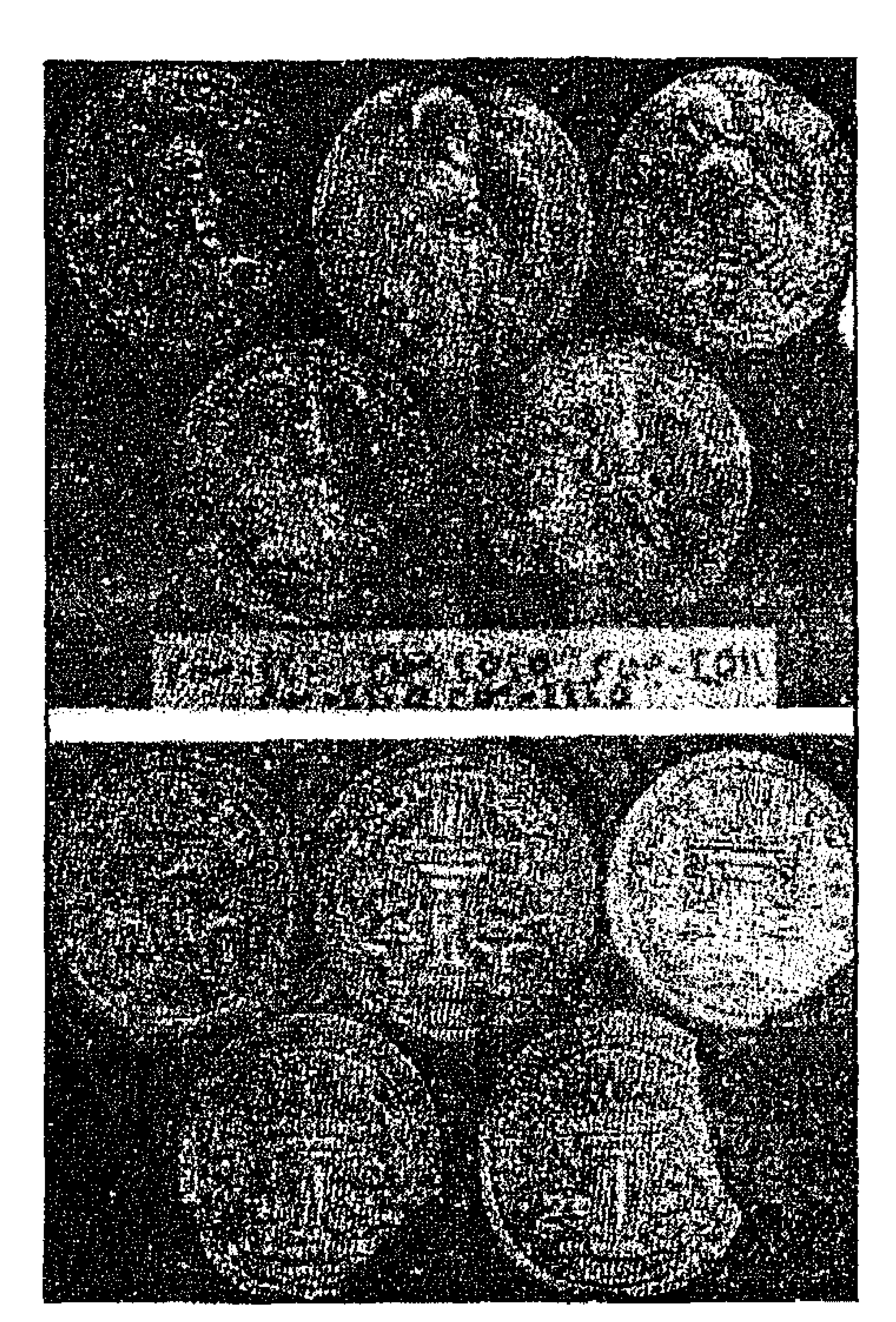
شكل (١٣٤)



شكل (١٣٥)



شكل (١٣٦)



شكل (١٣٧)

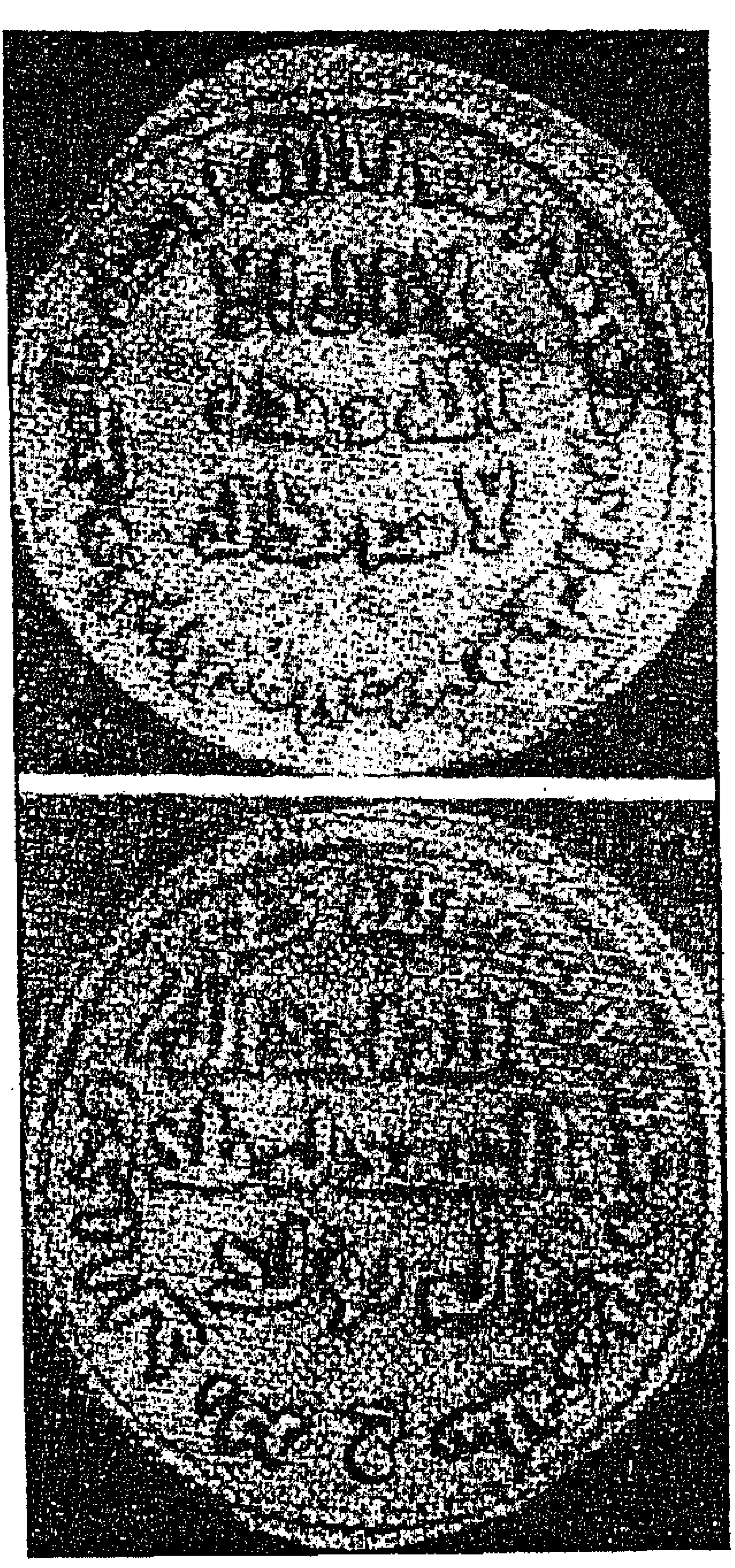


شكل (١٣٨)

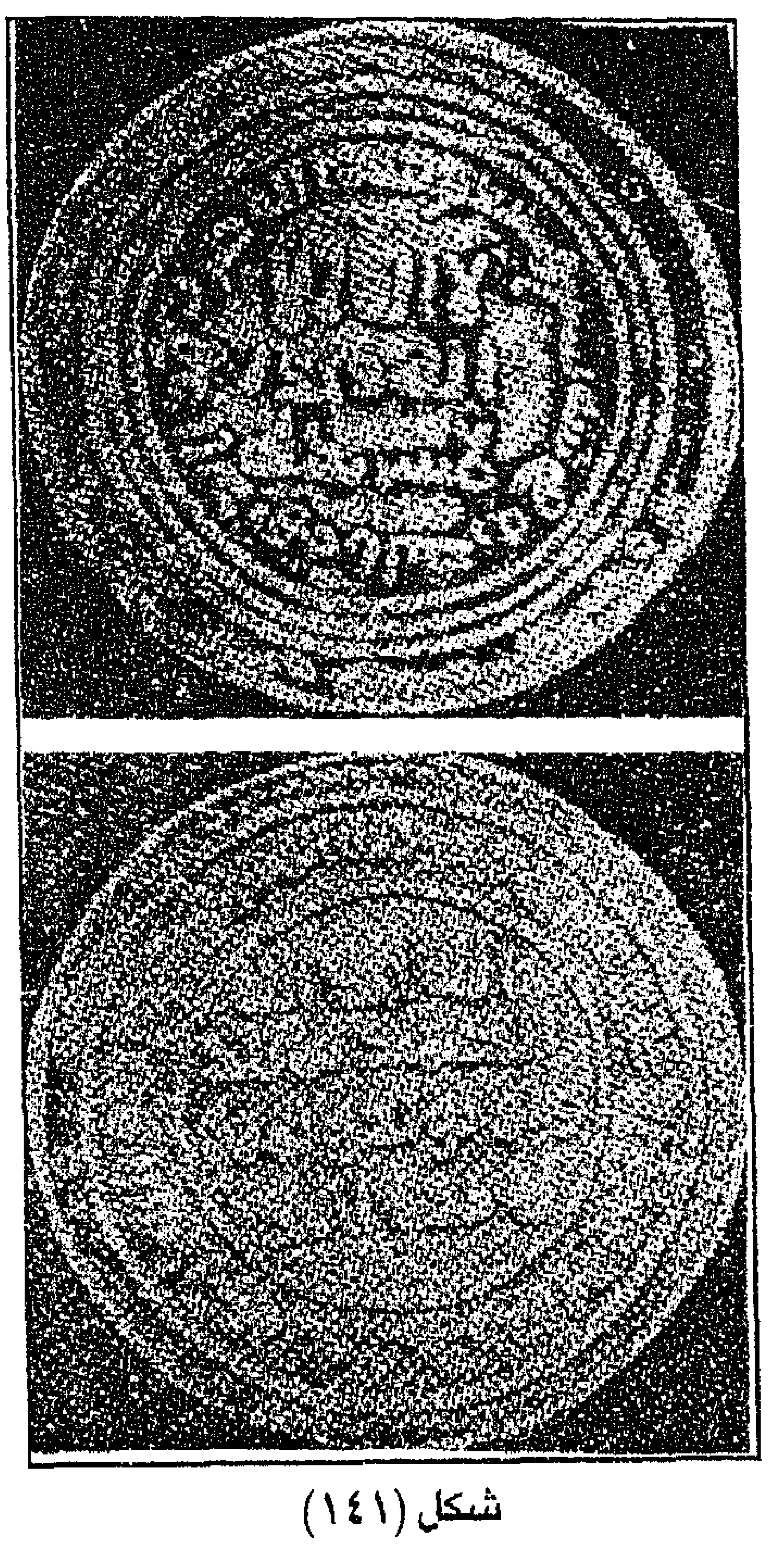




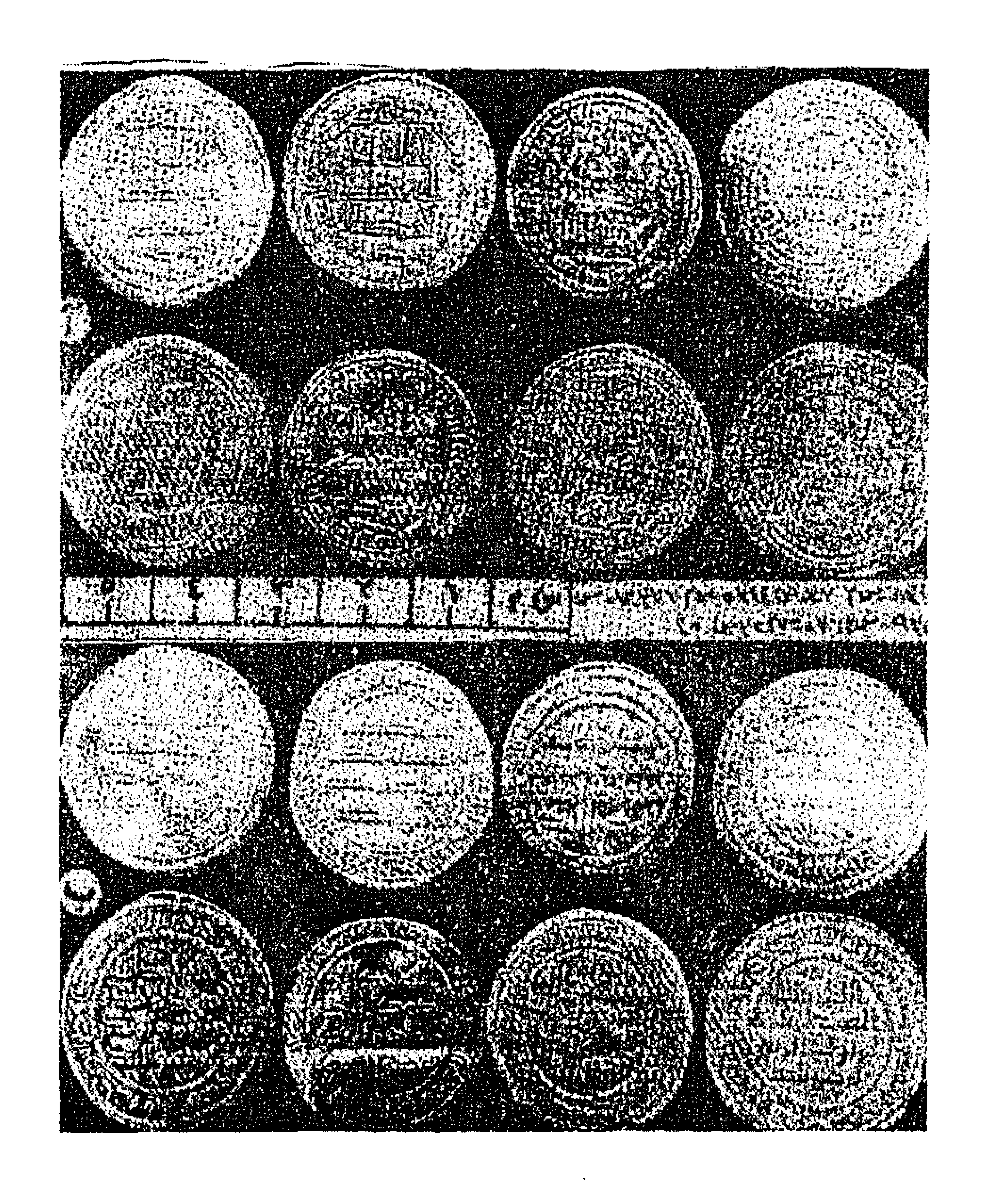
شكل (١٣٩)

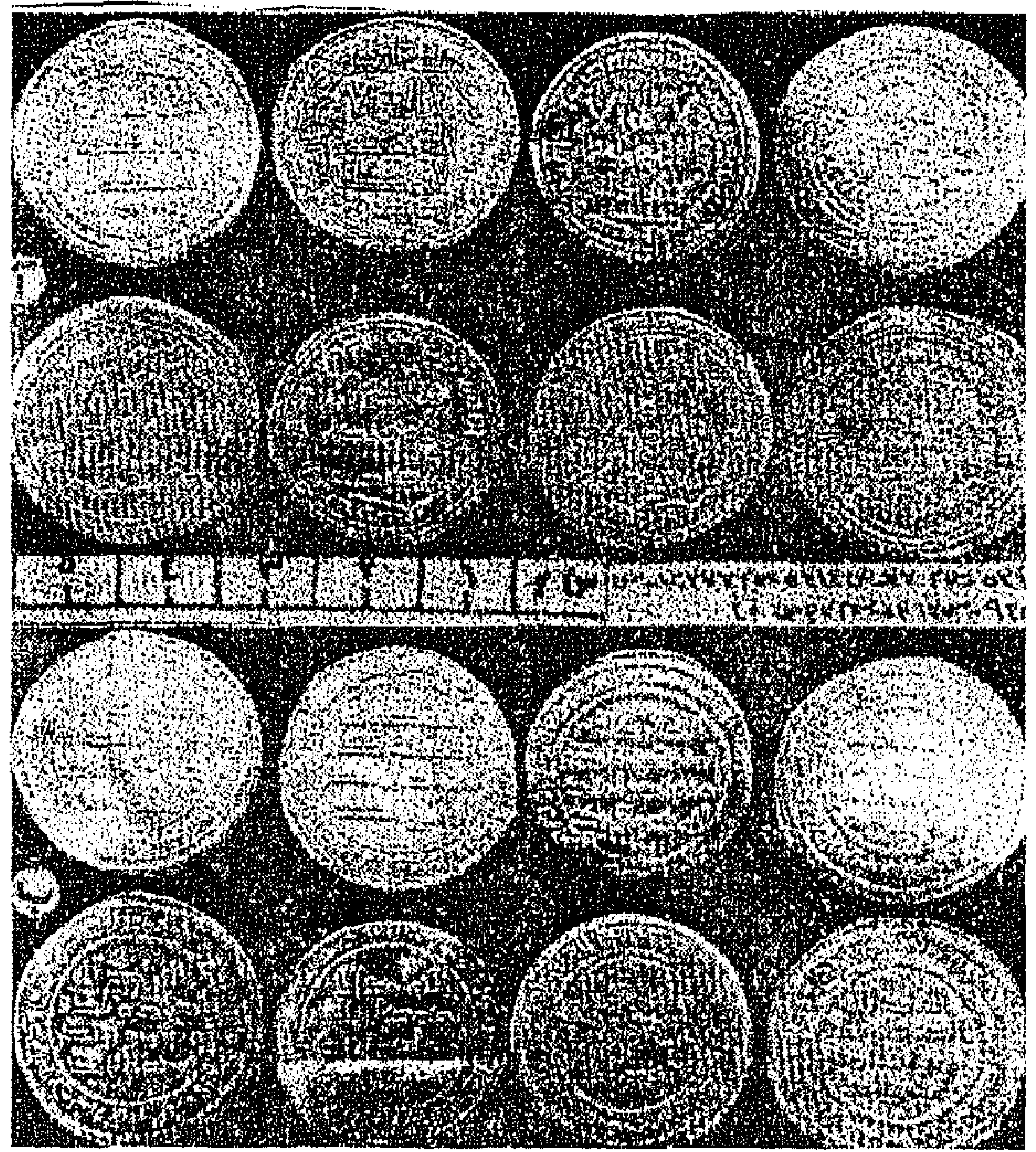


شكل (١٤٠)

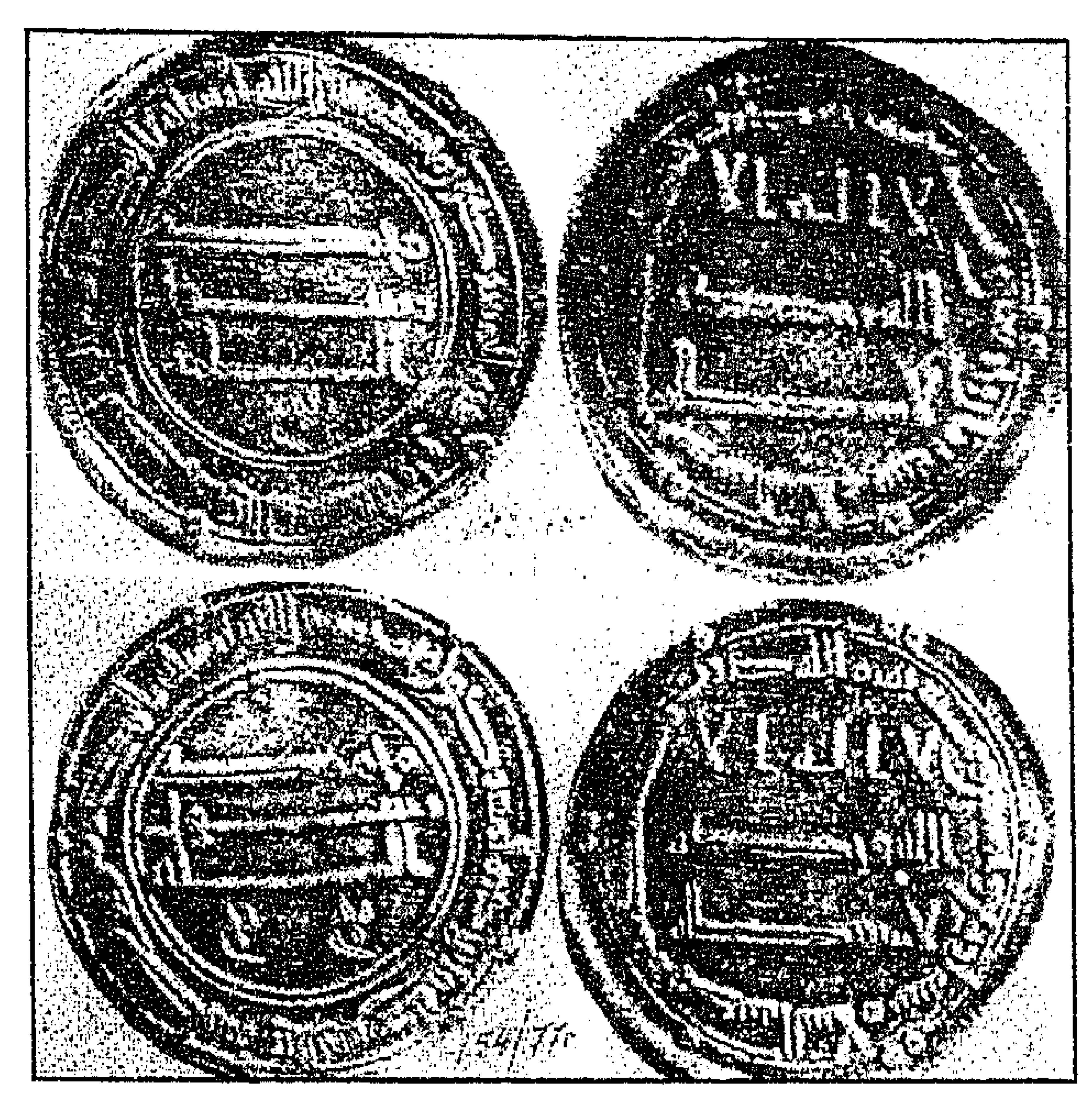


شكل (١٤١)

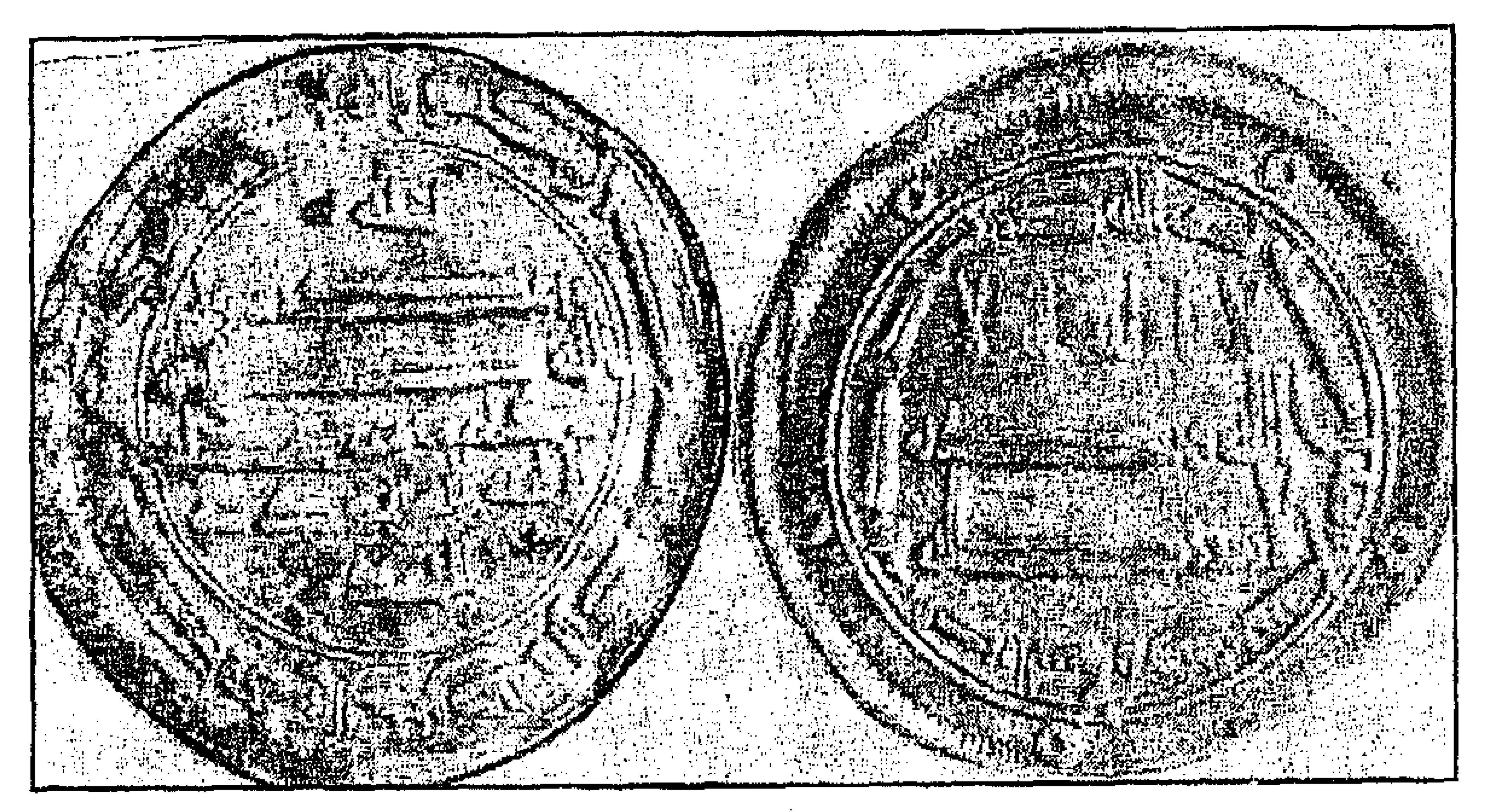




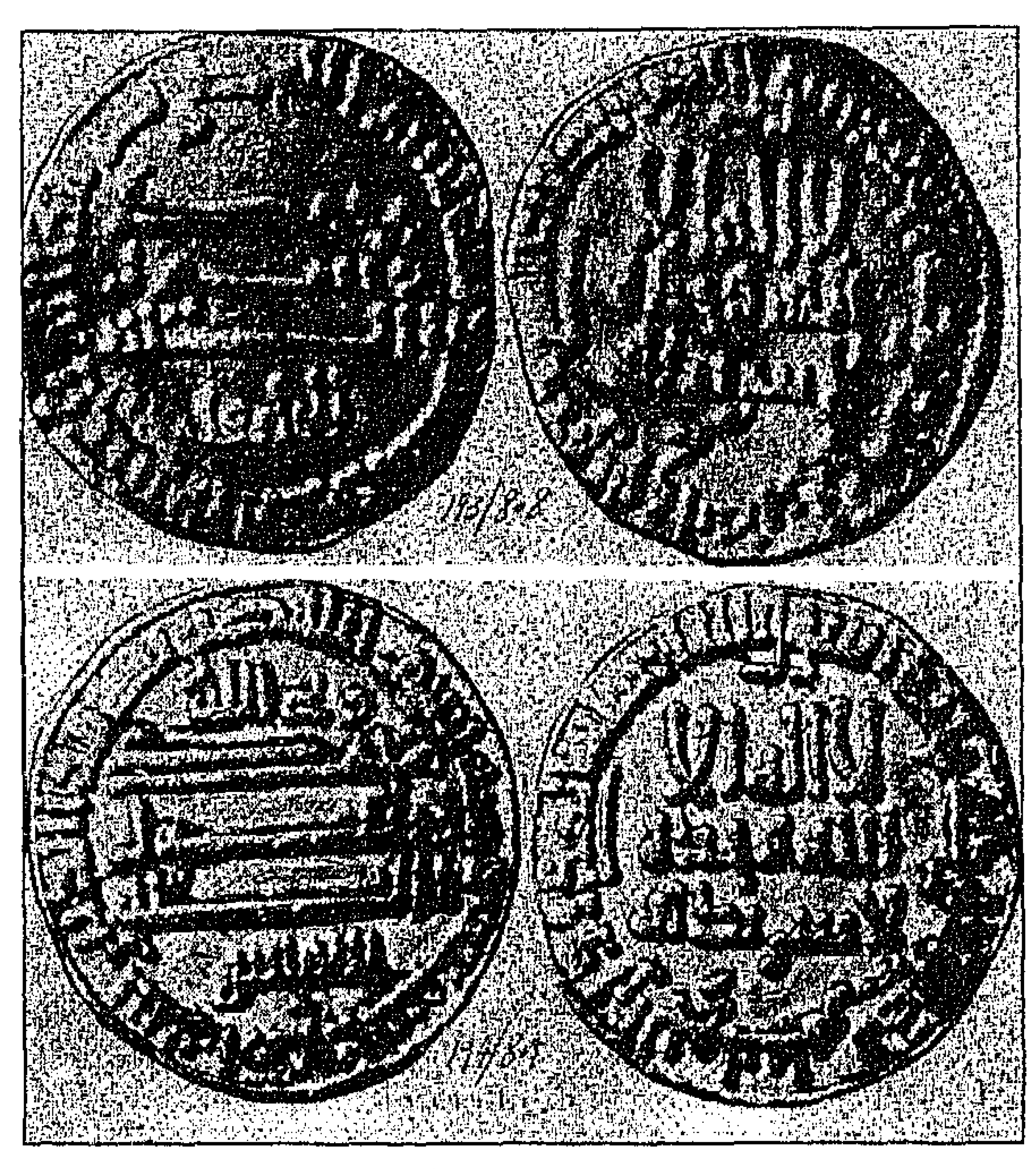
شكل (١٤٢)


شكل (١٤٣)

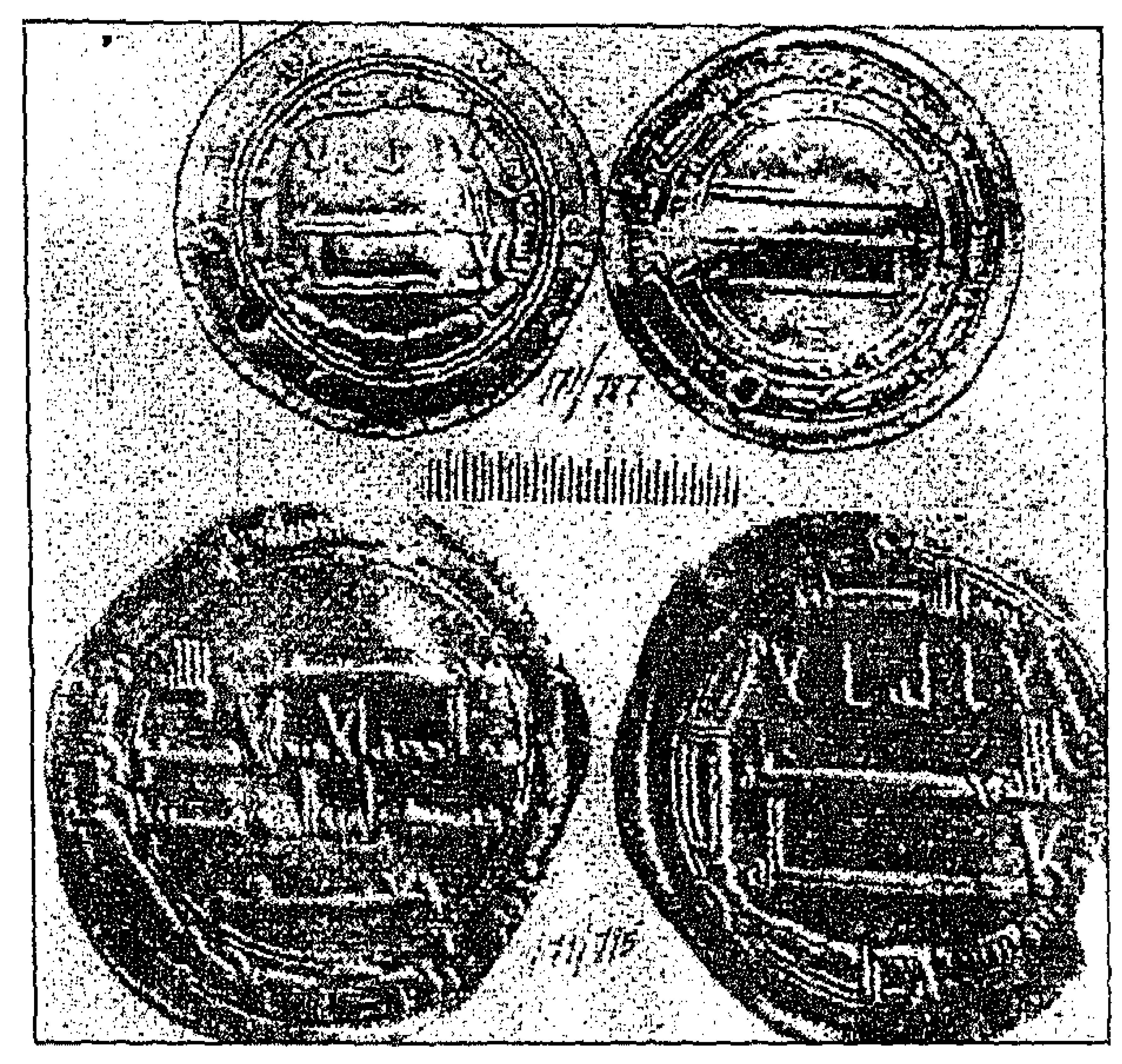

شكل (١٤٤)



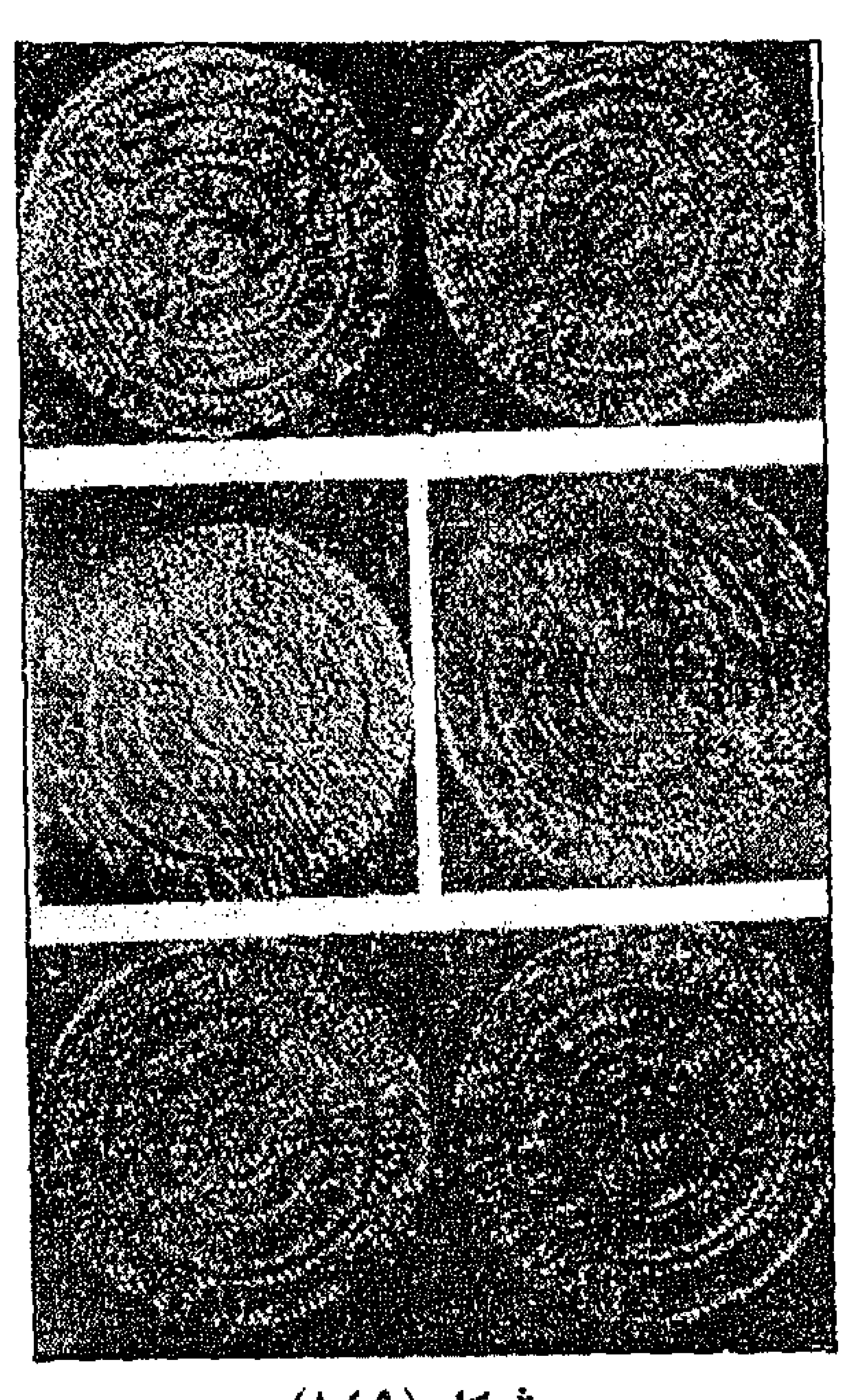
شكل (١٤٥)

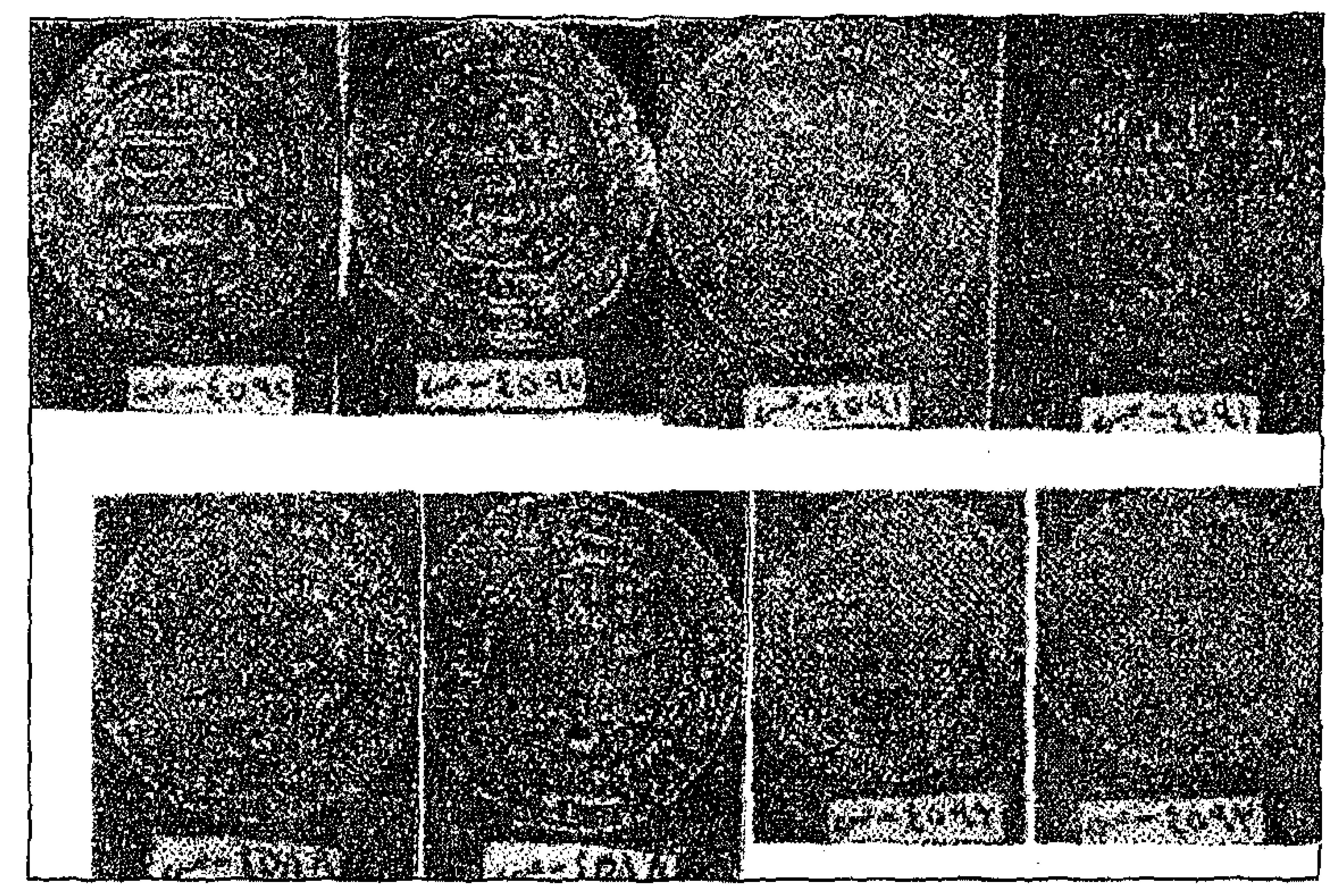


شكل (١٤٦)

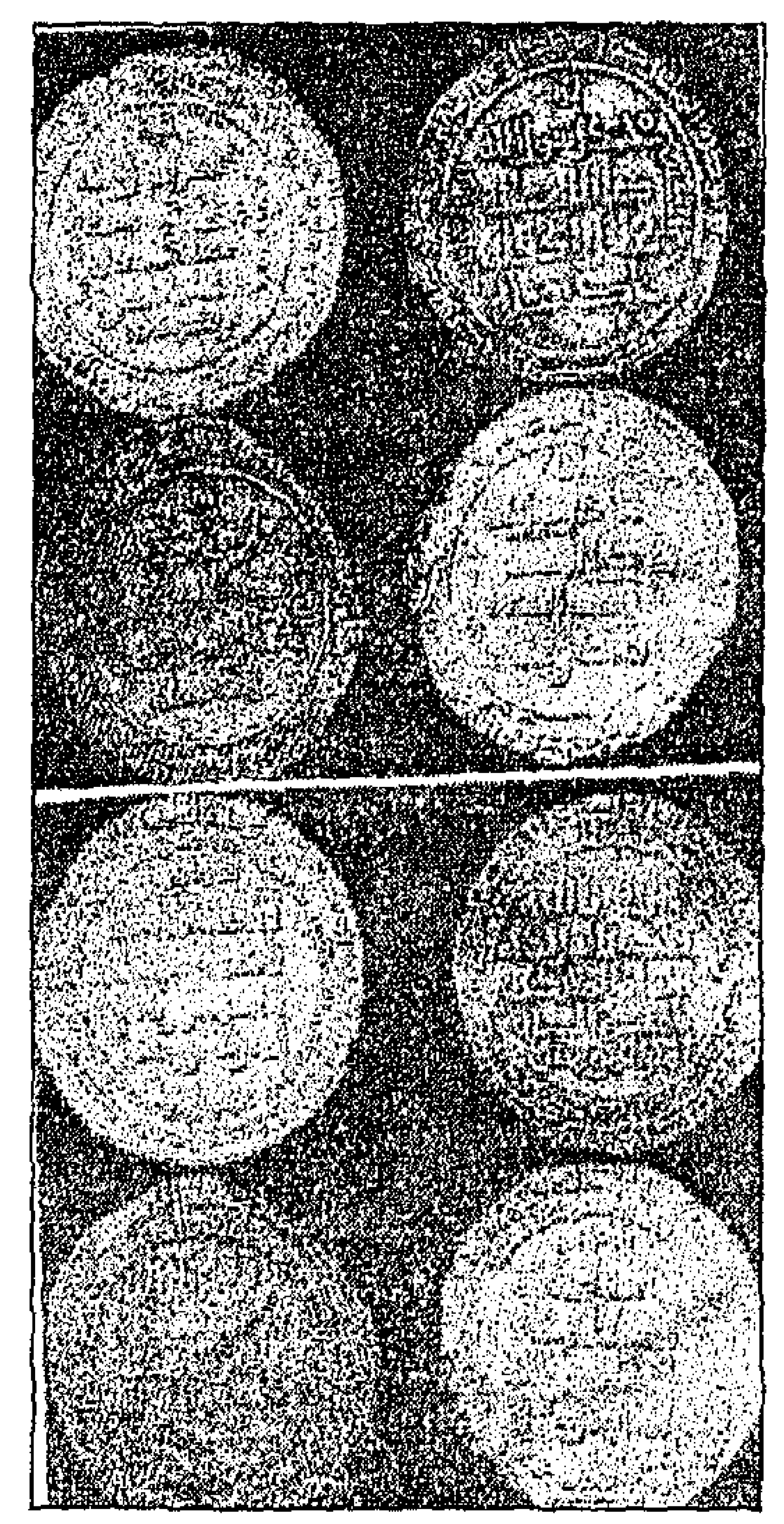

شكل (١٤٧)


شكل (١٤٨)

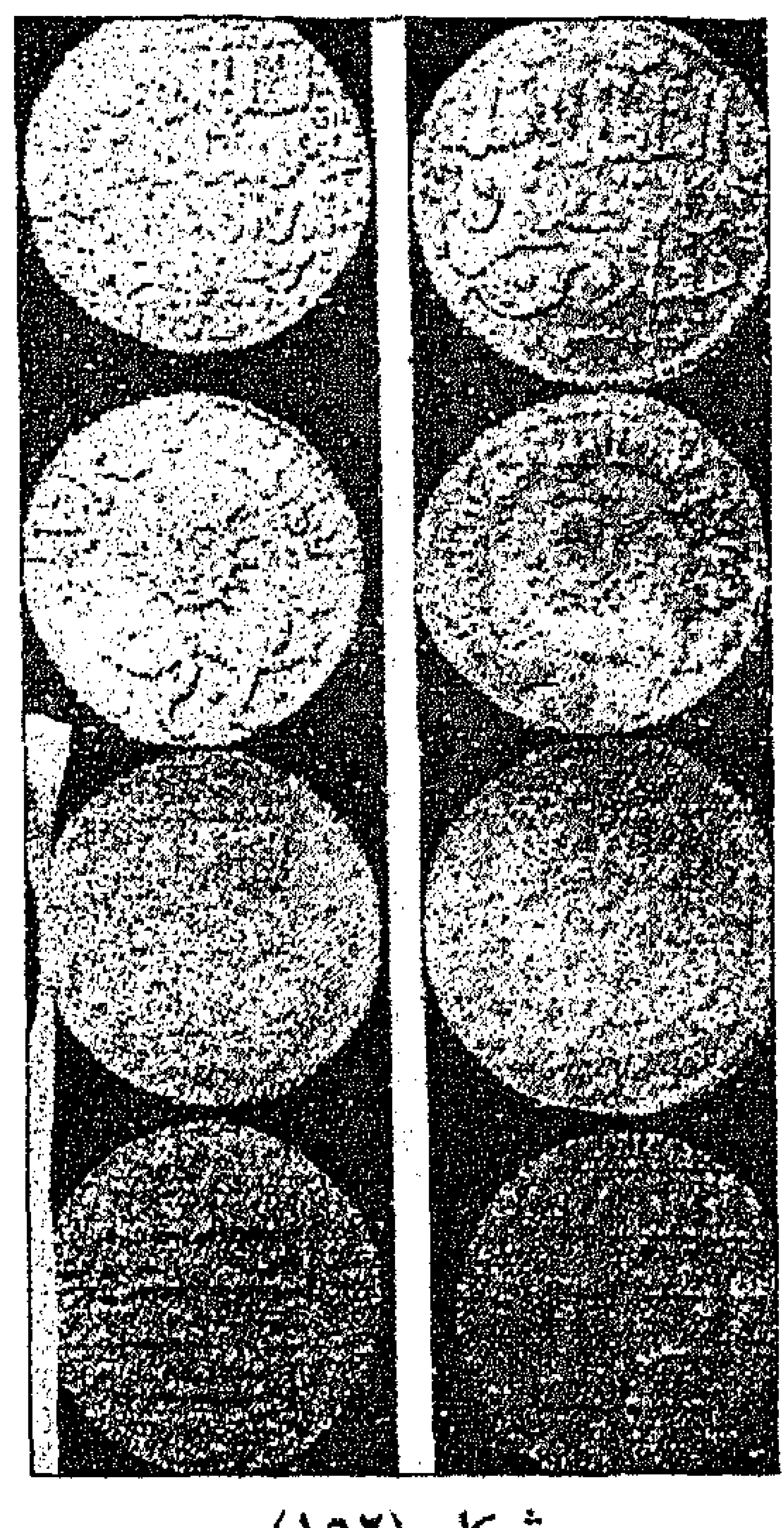

شكل (١٤٩)



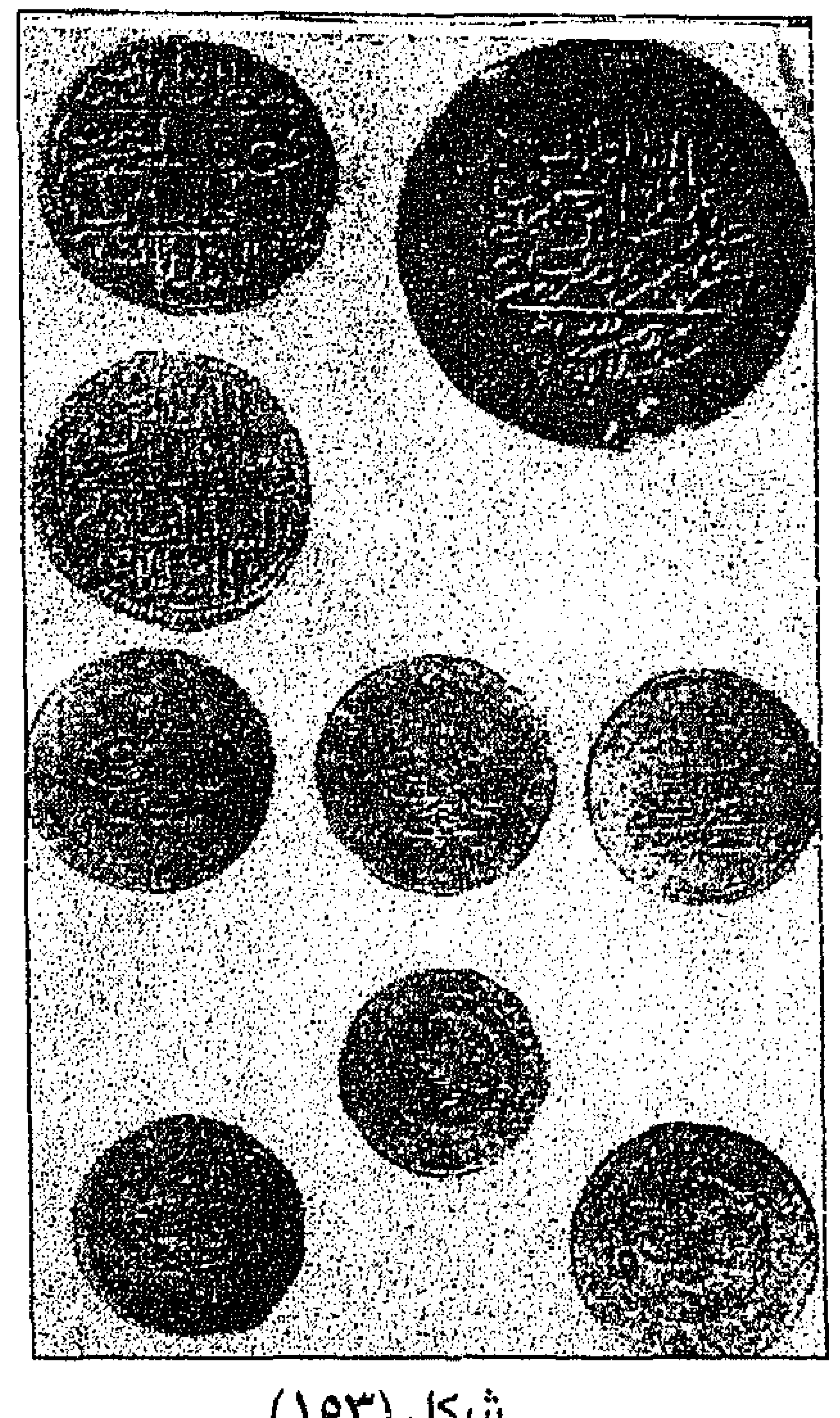
شكل (١٥٠)



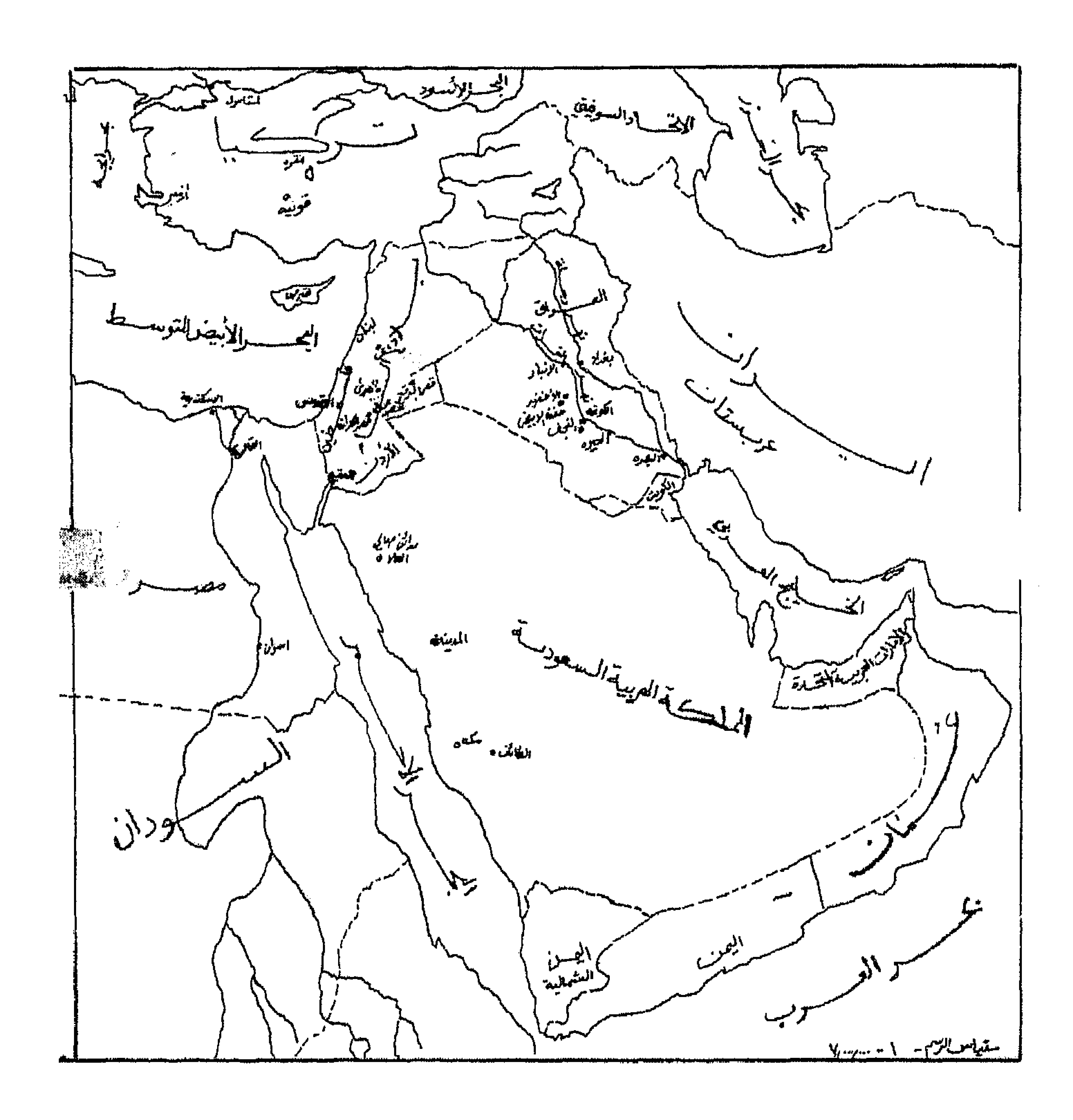
شكل (١٥١)



شكل (١٥٢)



شكل (١٥٣)



شكل (١٥٤)

أماكن ظهور الخط العربي

الحرف العربي الحديث	الحرف العربي القديم	الحرف النبطي الأخير
أ		
ب		
ج		
د		
هـ		
و		
ز		
ح		
ط		
ي		
ك		
ل		
م		
ن		
س		
ع		
ف		
ص		
ق		
ر		
ش		
ت		
لا		

شكل (١٥٥)

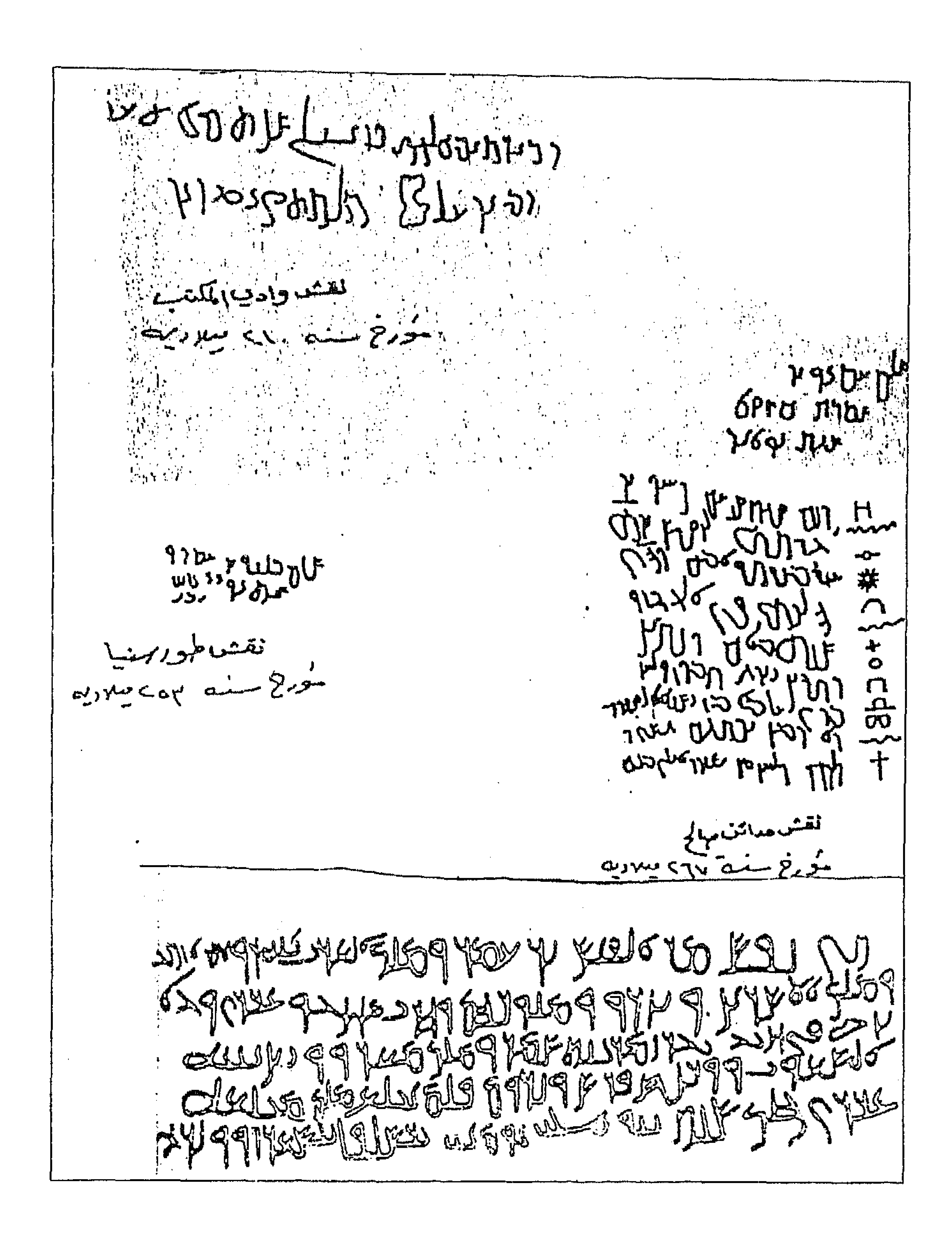
جدول مقارنة بين الحرف النبطي المتأخر والحرف العربي الأول

العربية	اللاتينية	اليونانية المتأخرة	رأس شمرة	الفينيقية	العربية الجنوبية	السينائية
	A	A				
ب	B	B				
ج	CG	Γ				
د	D	Δ				
هـ	E	E				
و	FV	Ϝ				
ز	...	I				
ح	H	B				
ط	...	⊗				
ي	I	ϟ				
ك	...	K				
ل	L	Λ				
م	M	M				
ن	N	N				
...	X	Ξ				
ع	O	O				
ف	P	Γ				
ص	..	...				
ق	Q	Ϙ				
ر	R	P				
س ش	S	Σ				
ت	T	T				

جدول بعض الابجديات

لوحة بحروف المسند

شكل (١٥٦)

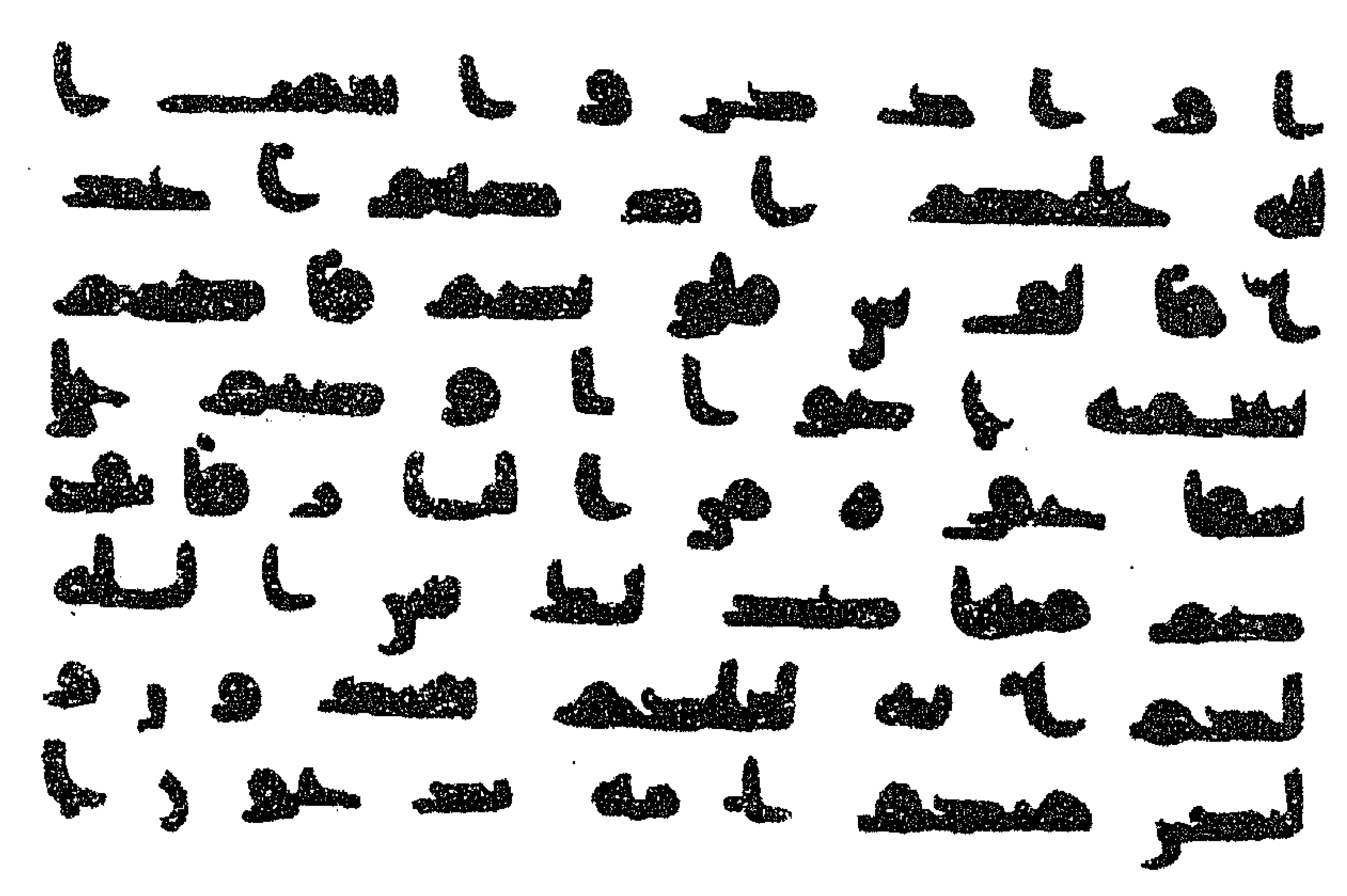


شكل (١٥٧)

نقوش نبطية متأخرة فيها بعض الحروف والكلمات العربية

شكل (١٥٨) المقوقس عظيم القبط

شكل (١٥٩)

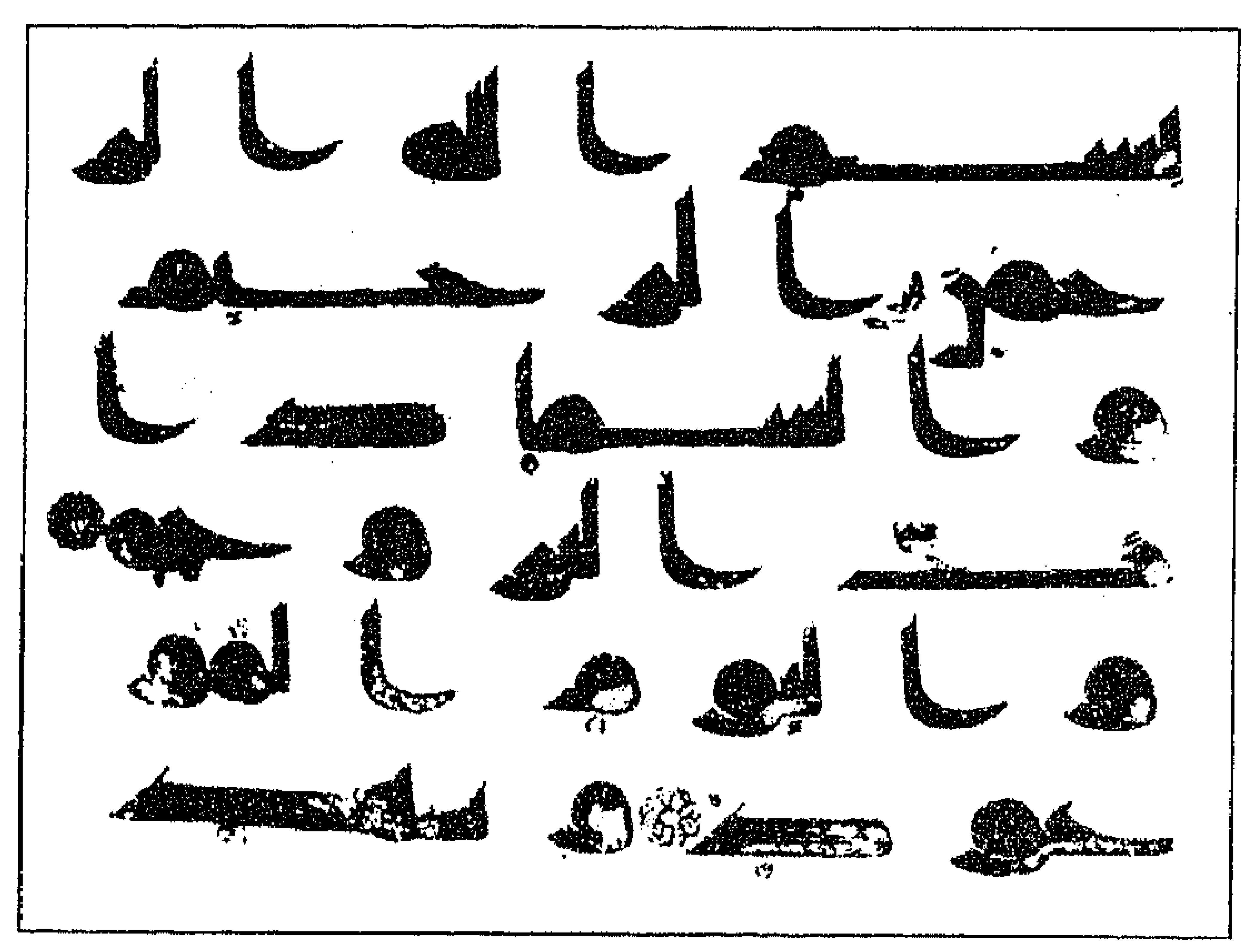


شكل (١٦٠)

صفحة من الرق من مصحف منسوب إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

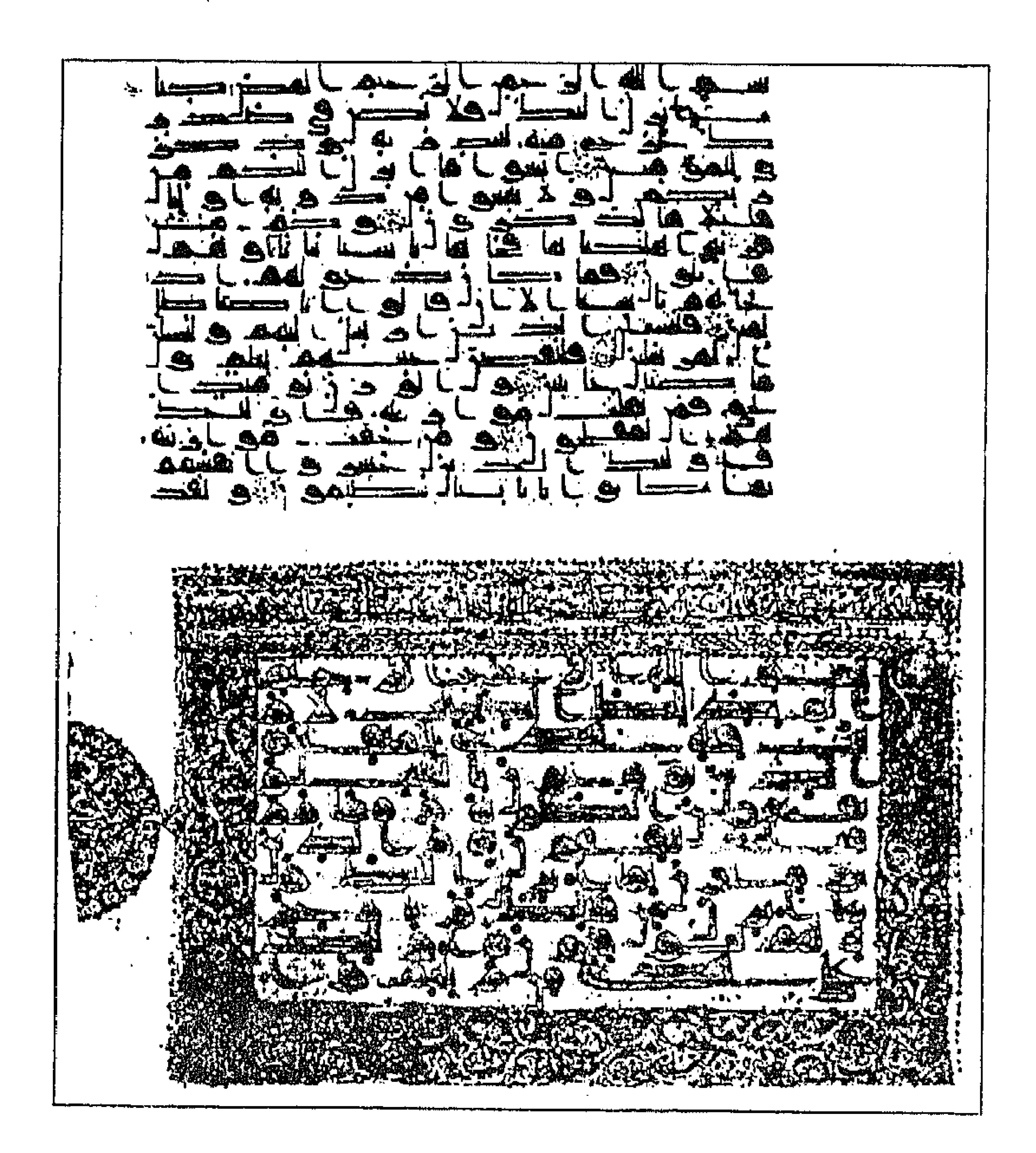
شكل (١٦١)

صفحة من الرق من مصحف منسوب إلى الخليفة عثمان بن عثمان رضي الله عنه، استانبول



صفحة من مصحف من الرق منسوب إلى الخليفة علي رضي الله عنه، النجف- العراق

شكل (١٦٢)



شكل (١٦٣)

الشكل (الحركات) بواسطة التنقيط في صدر الإسلام

شكل (١٦٤)

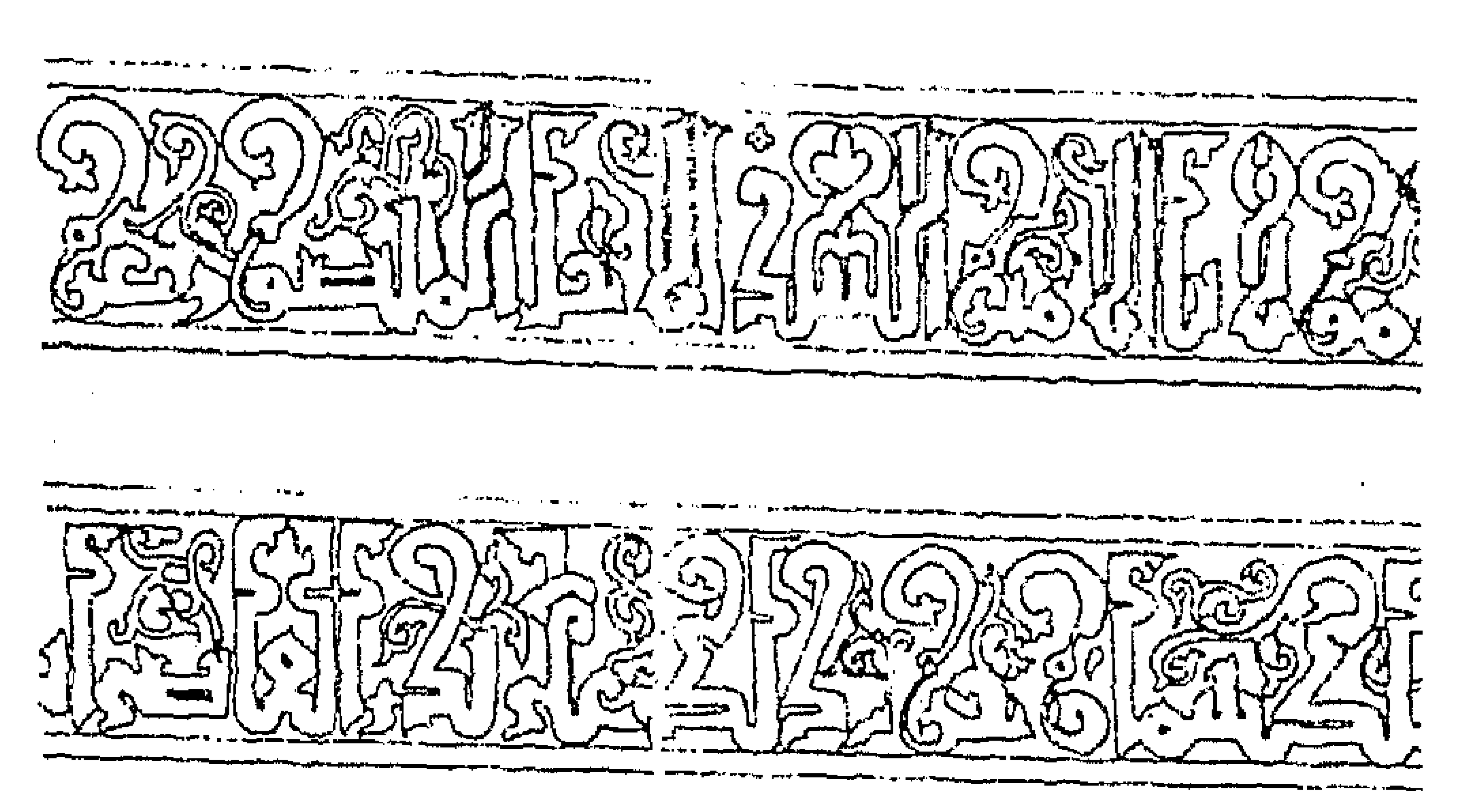
شكل (١٦٥)



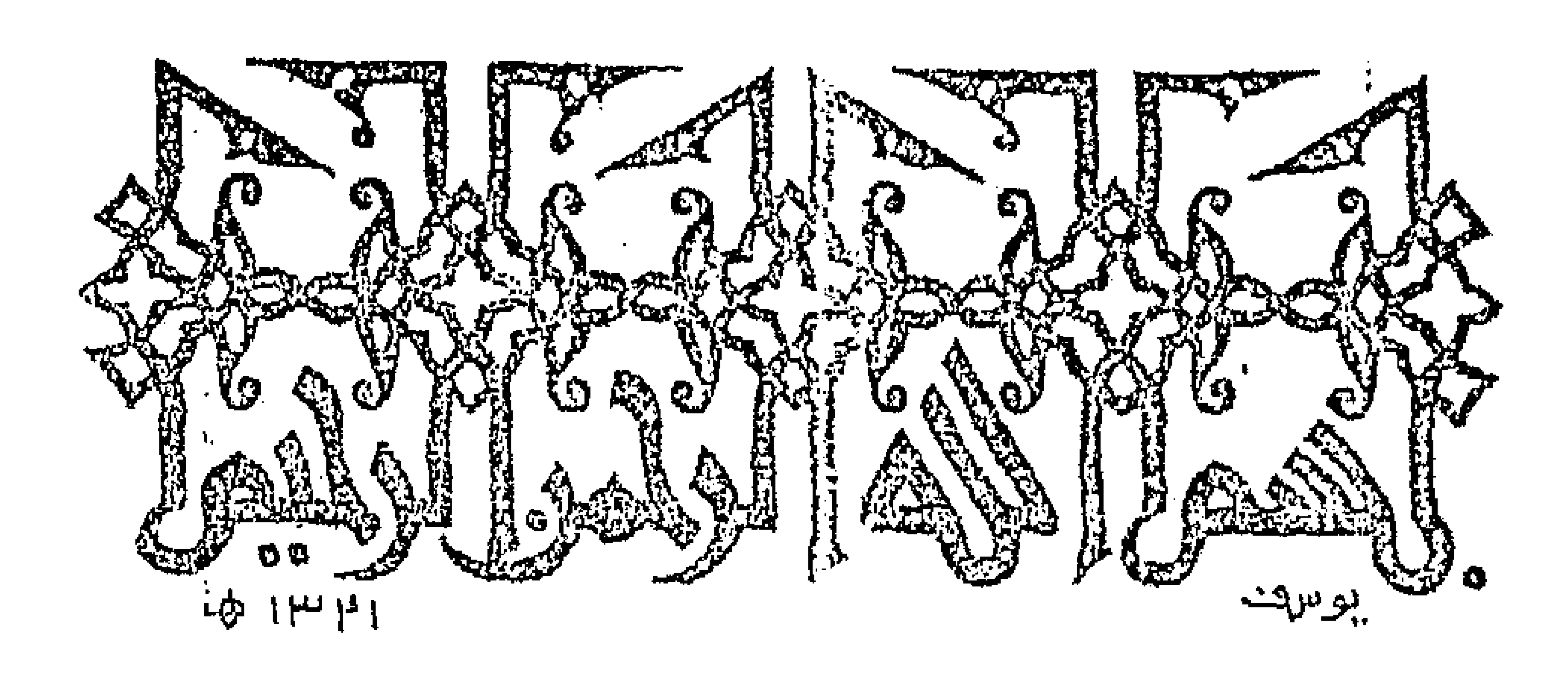
كتابة سد معاوية، نقلا عن مايلز



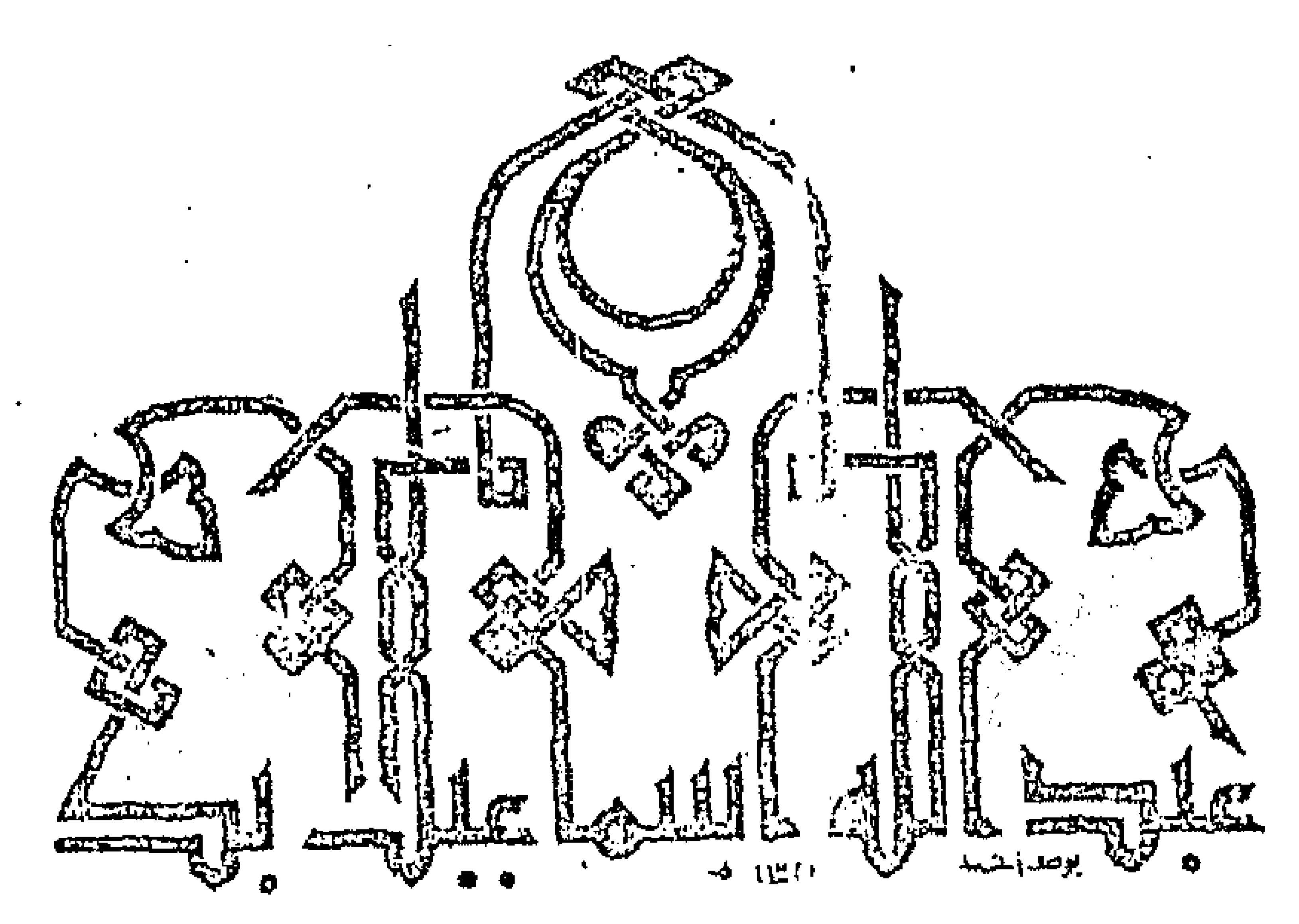
شكل (١٦٦)



نص بالخط الكوفي المضفور من آمد شمال العراق في القرن السادس الهجري



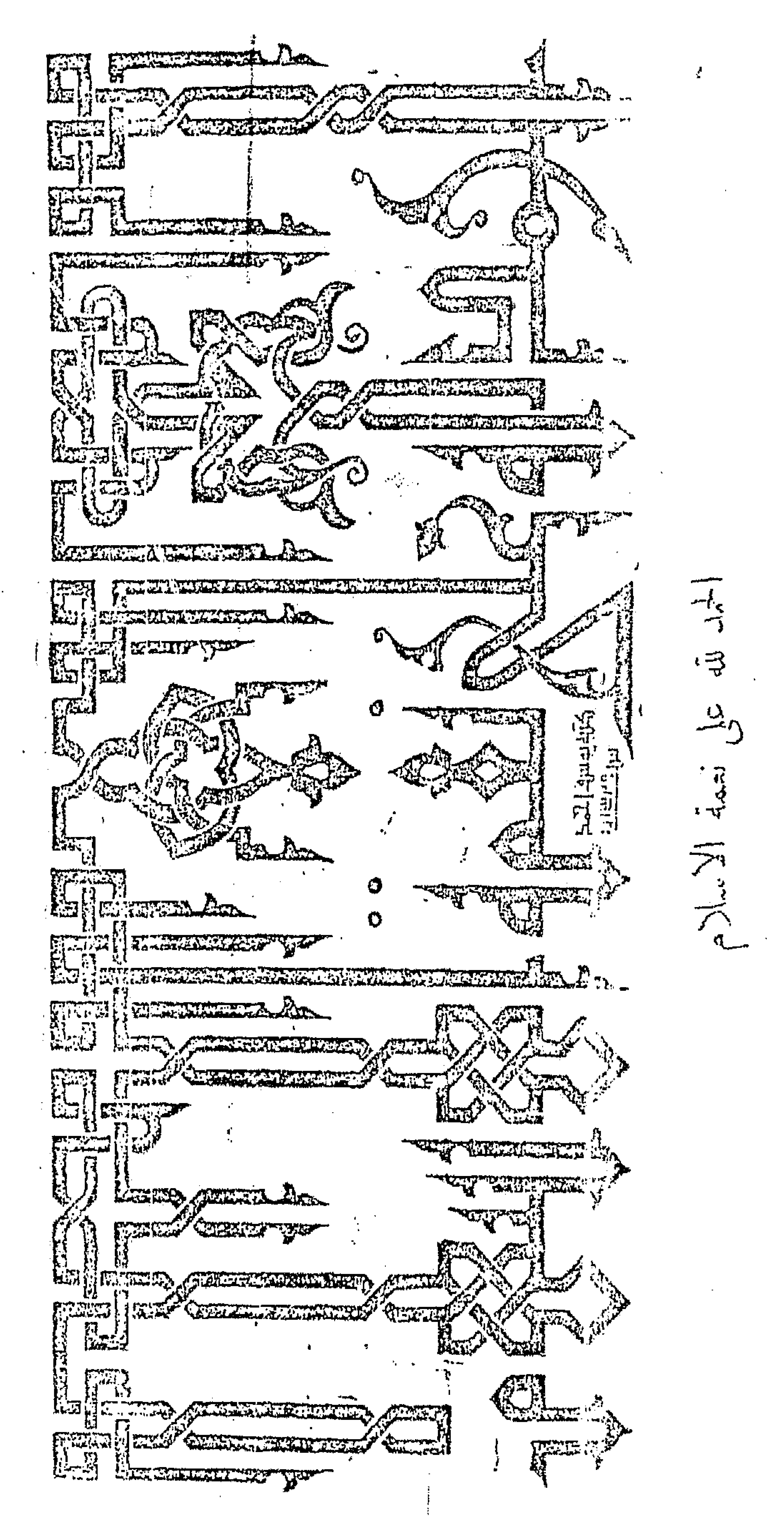
خط كوفي مضفور من القرن الرابع عشر الهجري



عبدالله إسماعيل بك

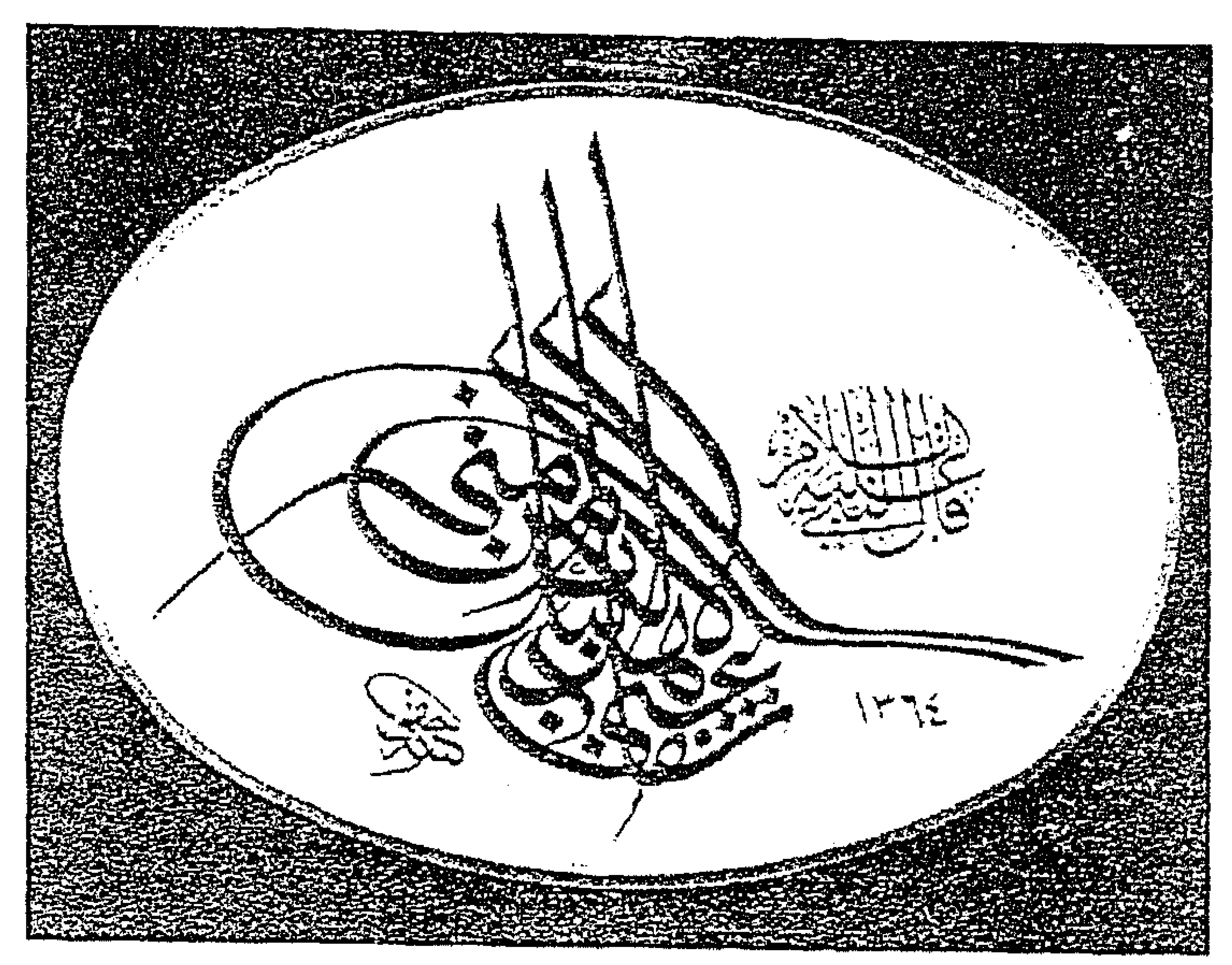
نموذج لبعض الأسماء بالكوفي المضفور بخط يوسف أحمد ١٣٥١هـ

شكل (١٦٧)

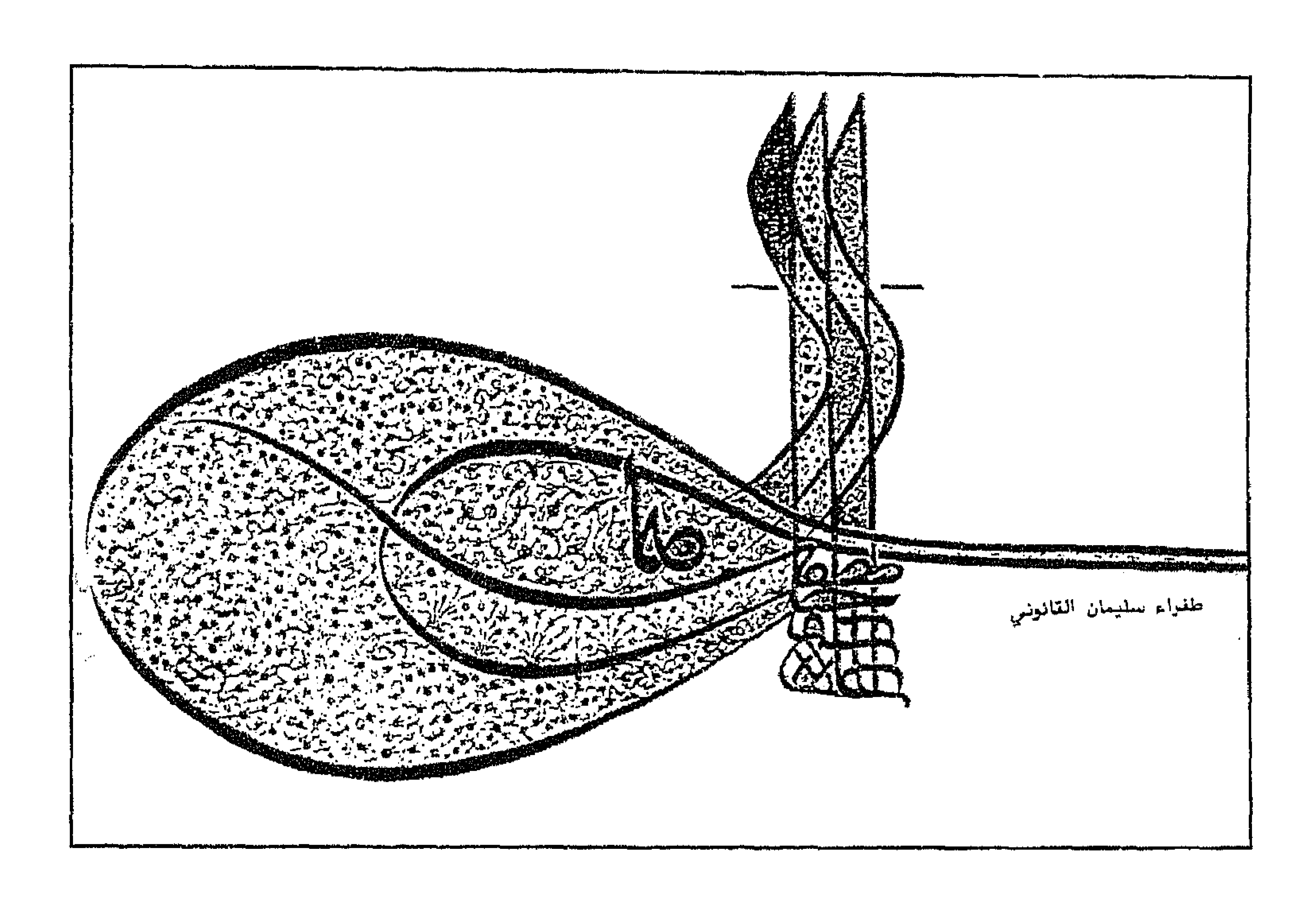


(الحمد لله على نعمة الإسلام) بالخط الكوفي المضفور بخط يوسف أحمد سنة ١٣٢٥هـ

شكل (١٦٨)



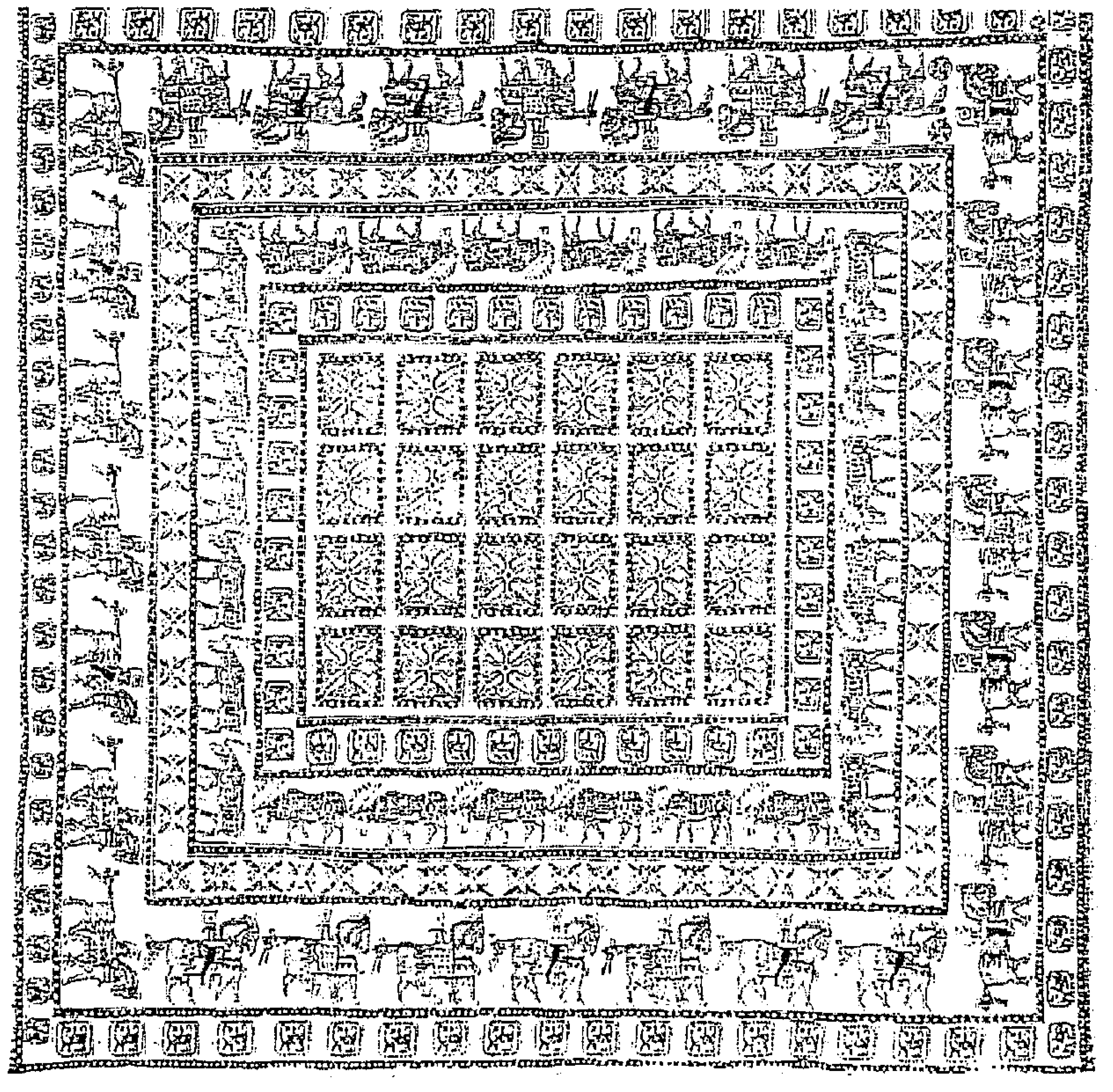
حديث نبوي شريف في هيئة طغراء



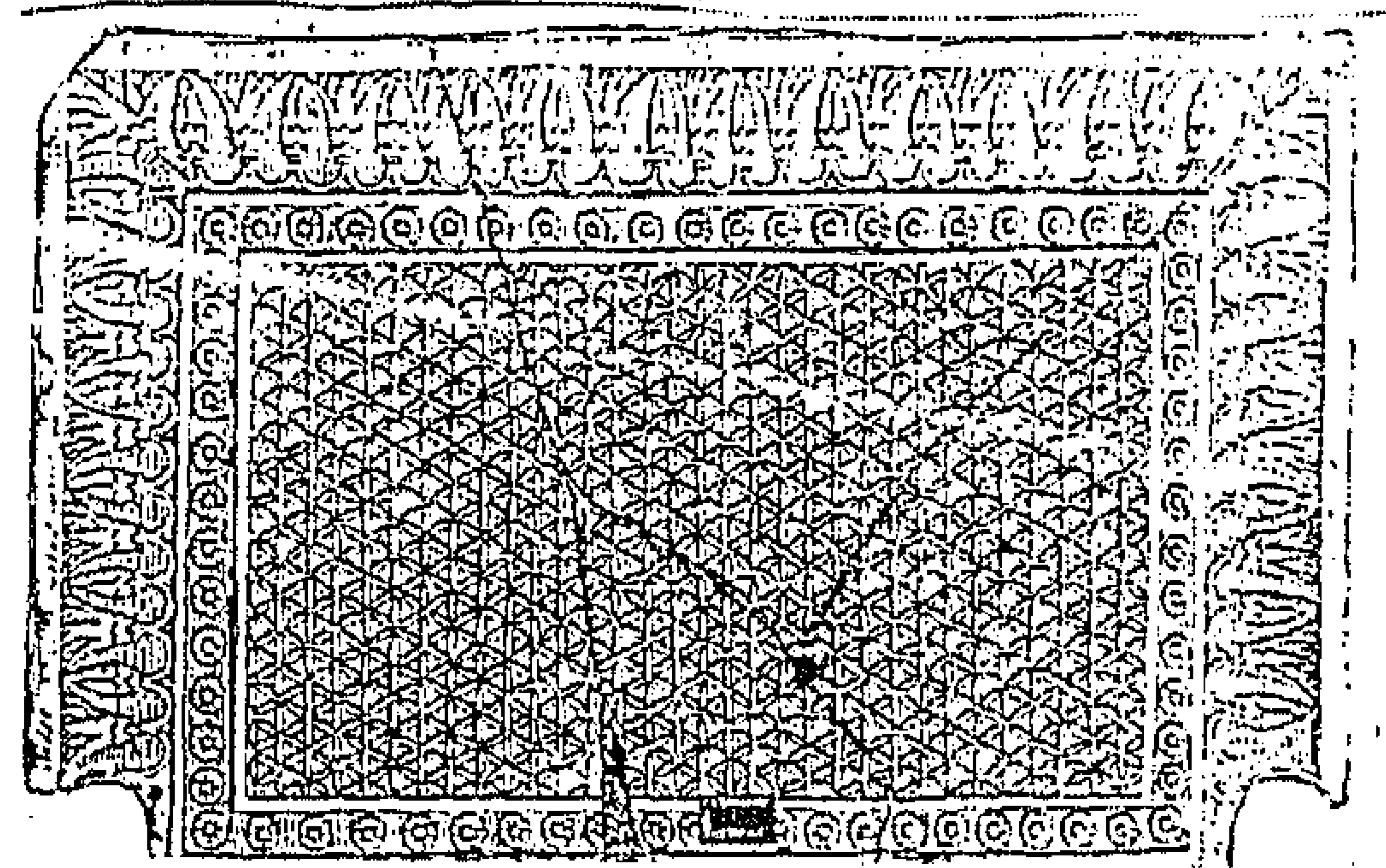
طغراء سليمان القانوني

شكل (١٦٩)

السجاد

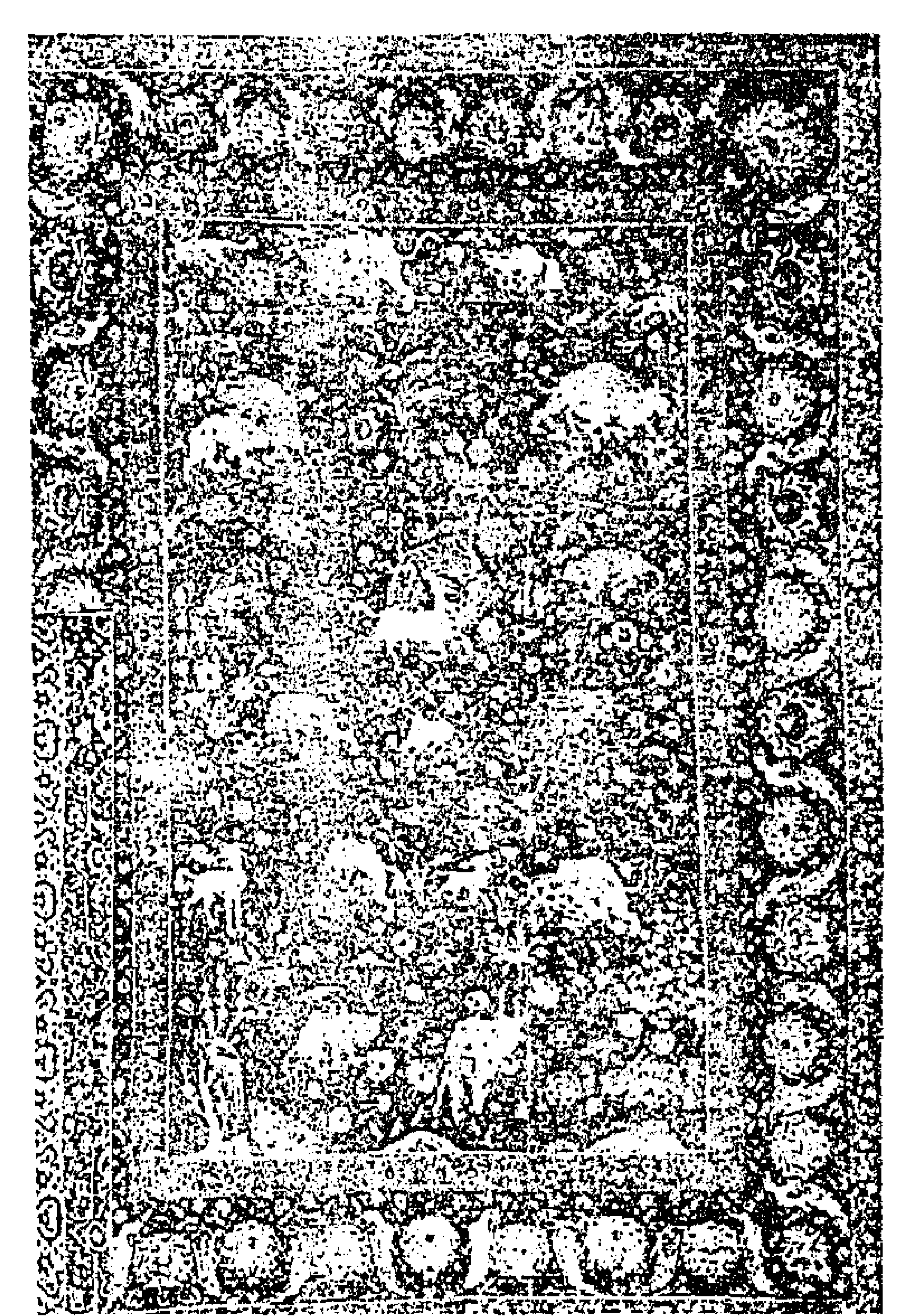


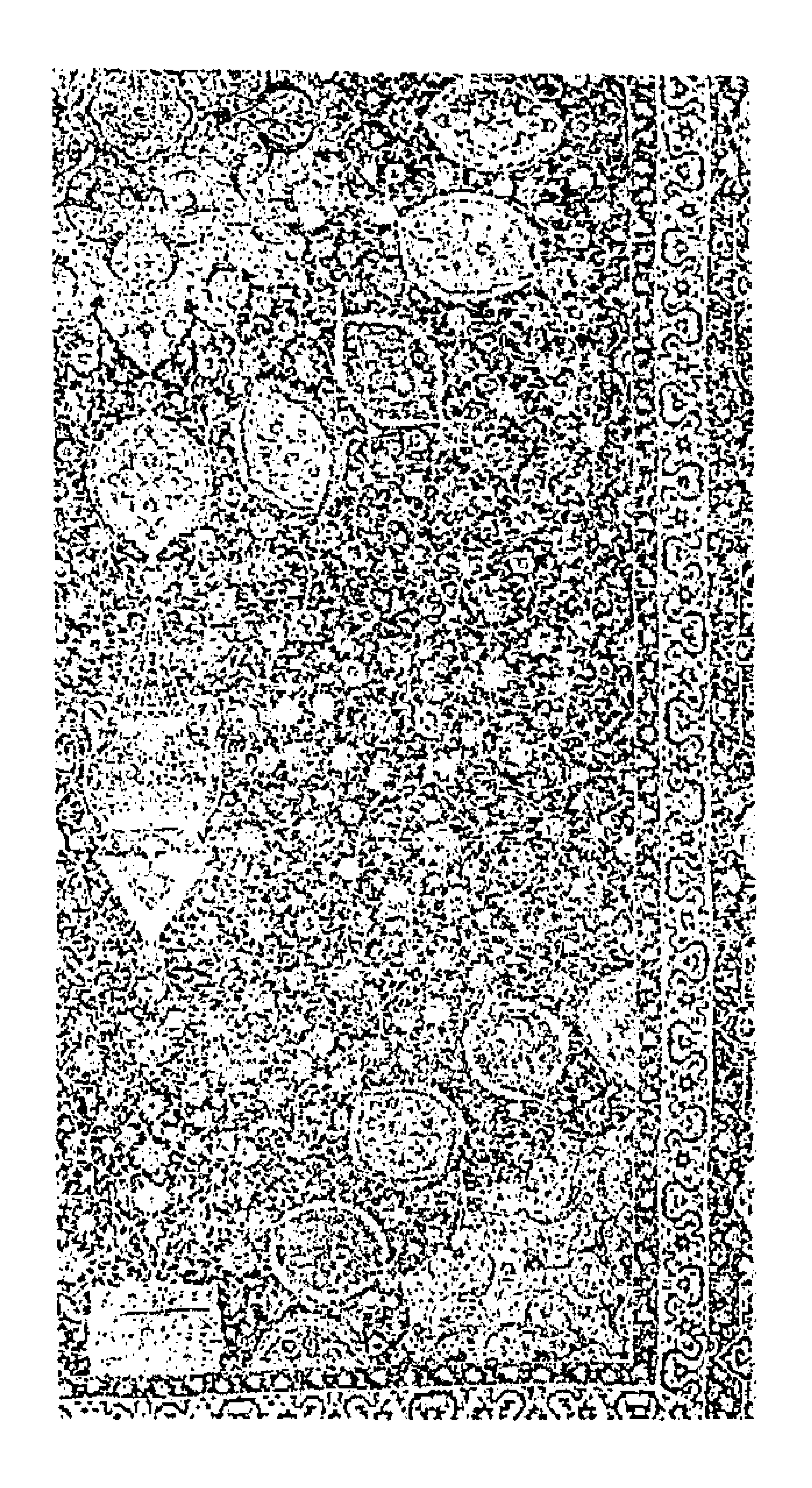
طنفسة بزريك من منتصف الألف الأول قبل الميلاد محفوظة بمتحف لينجراد بالاتحاد السوفيتي السابق



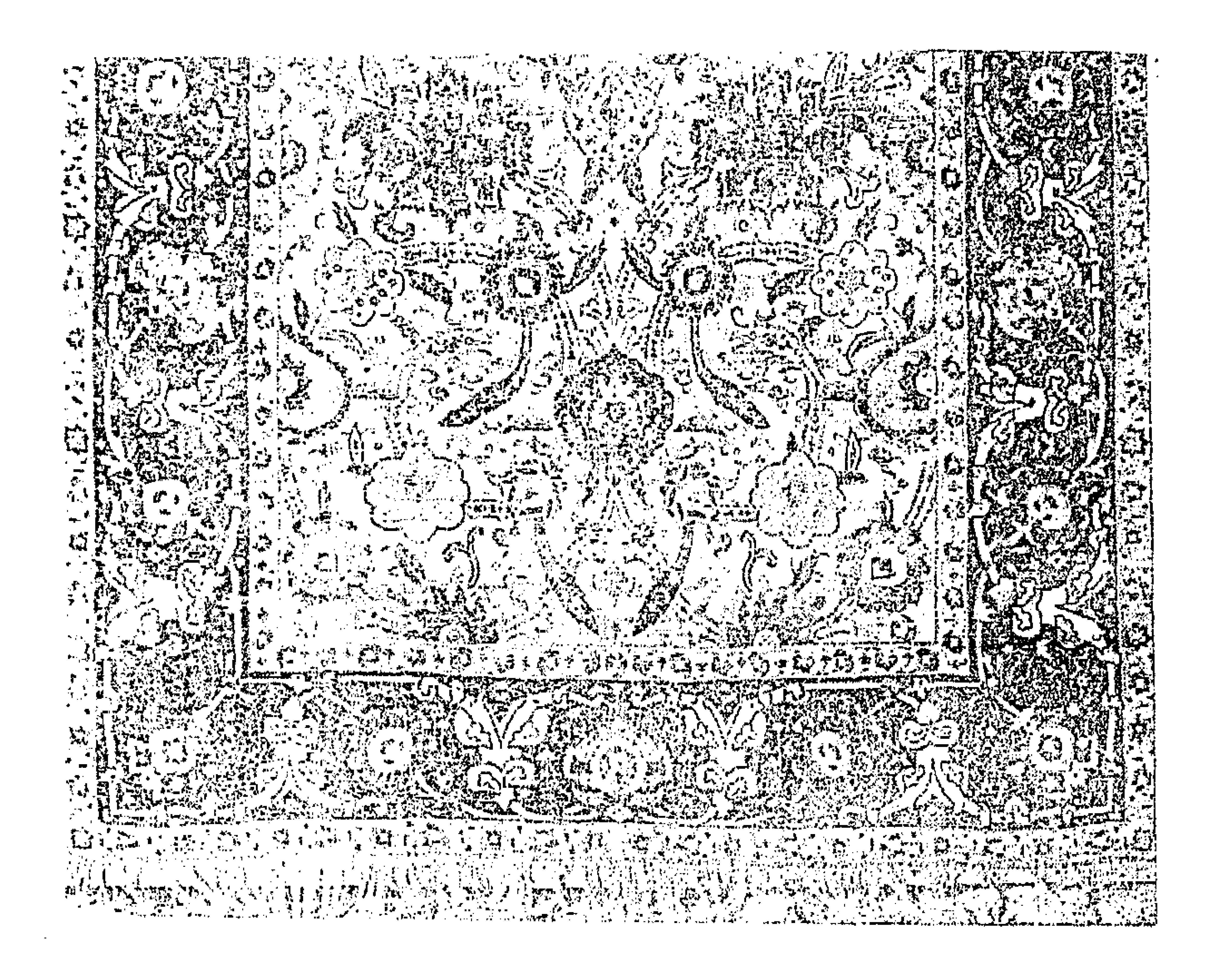
نموذج أشوري على الرخام من مدينة خرسباد عن د. وليد الجاور: الحرف والصناعات

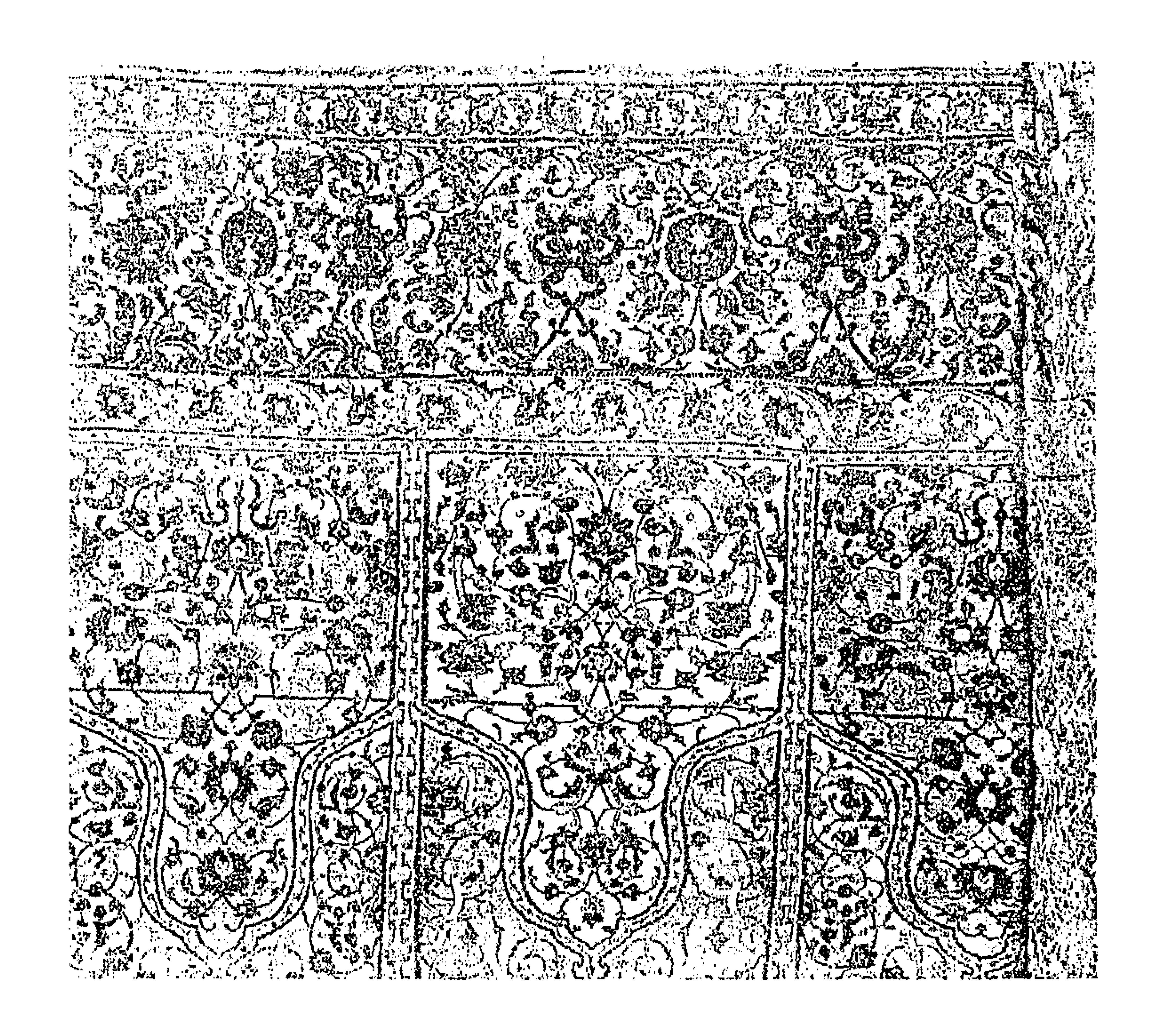
شكل (١٧٠)



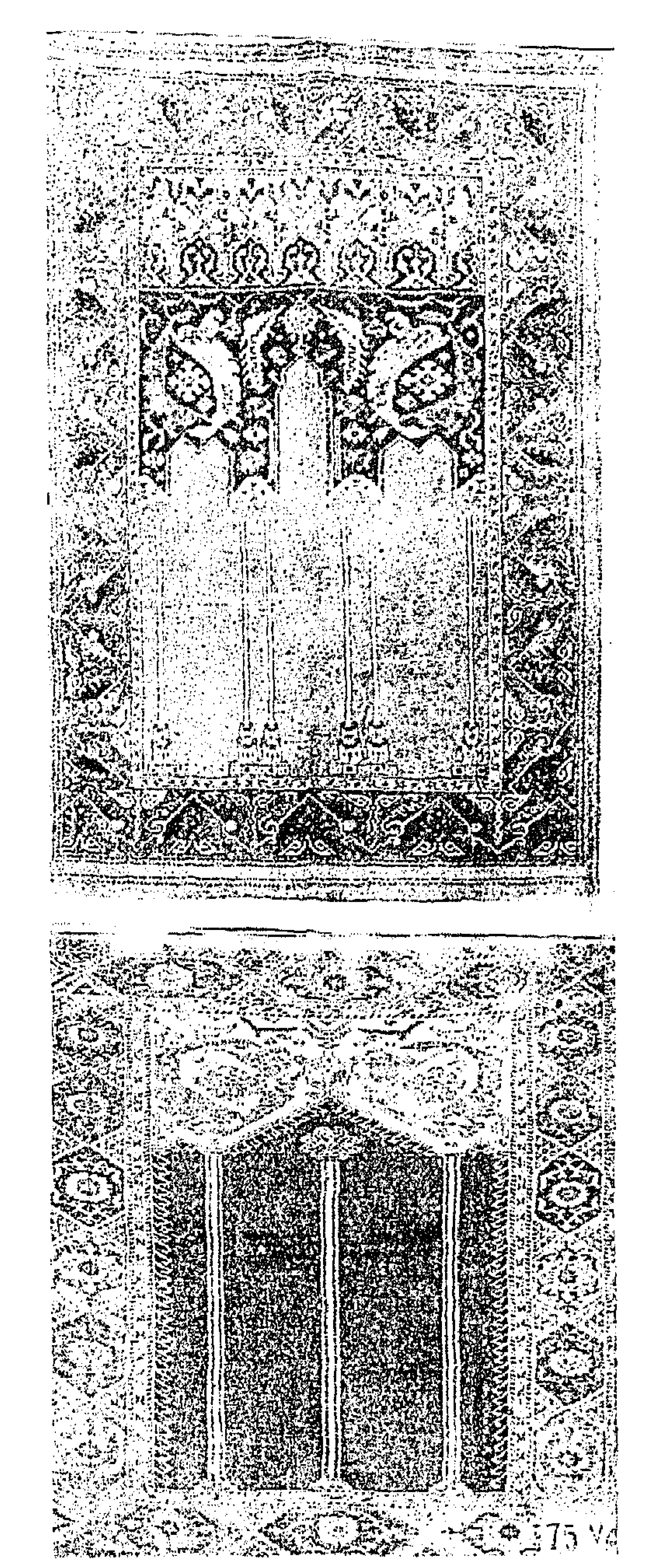


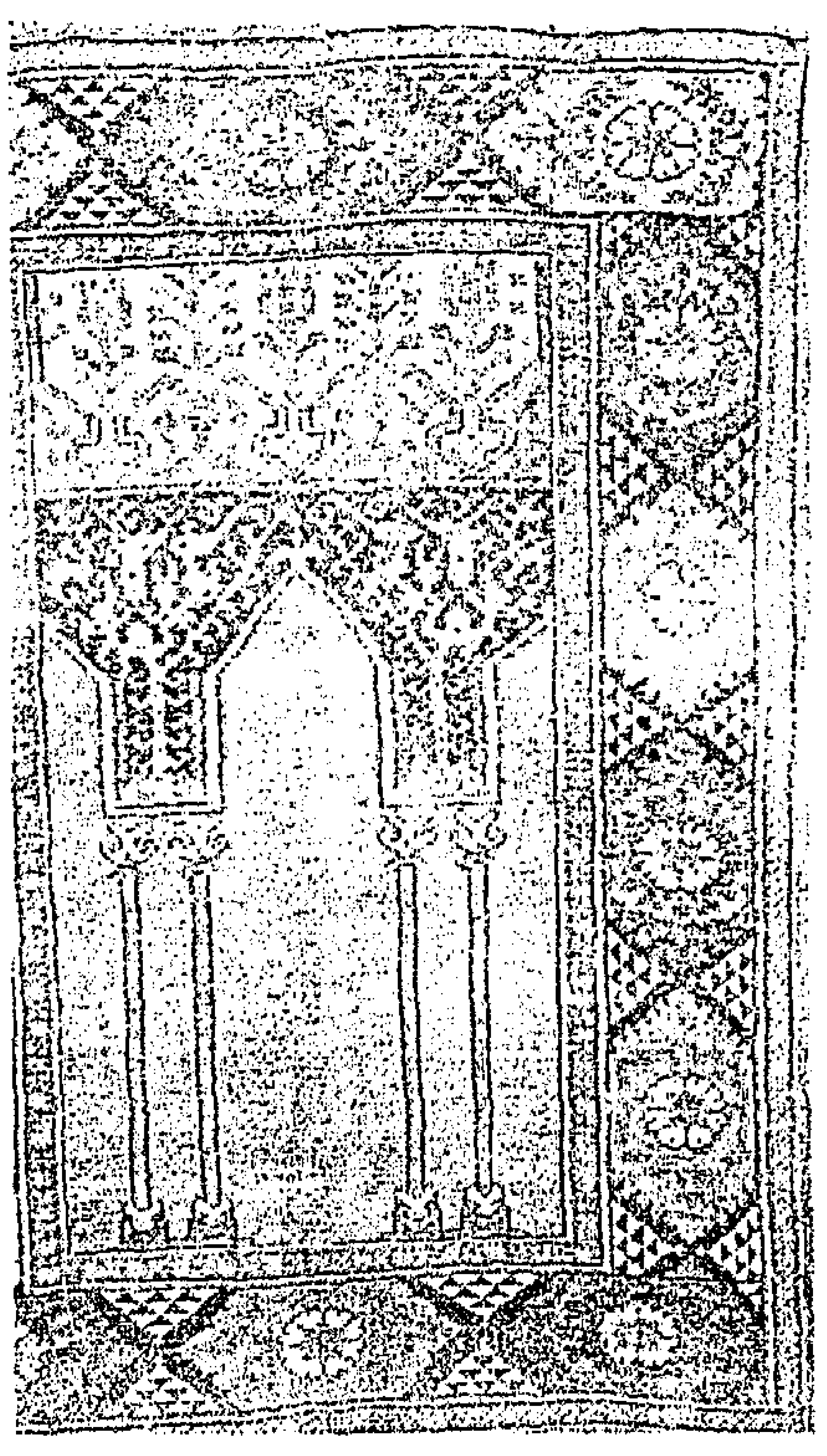
شكل (١٧١)



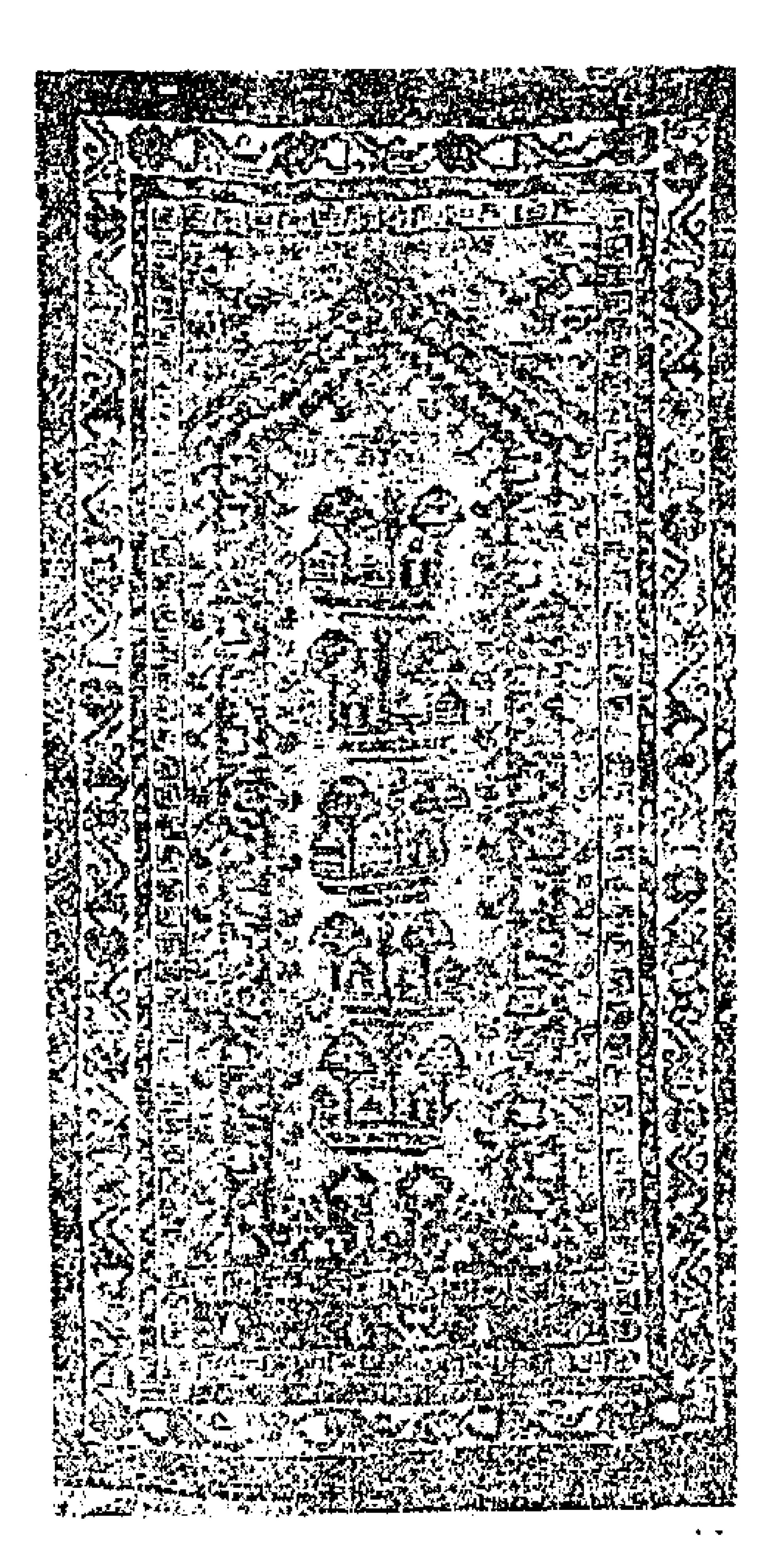


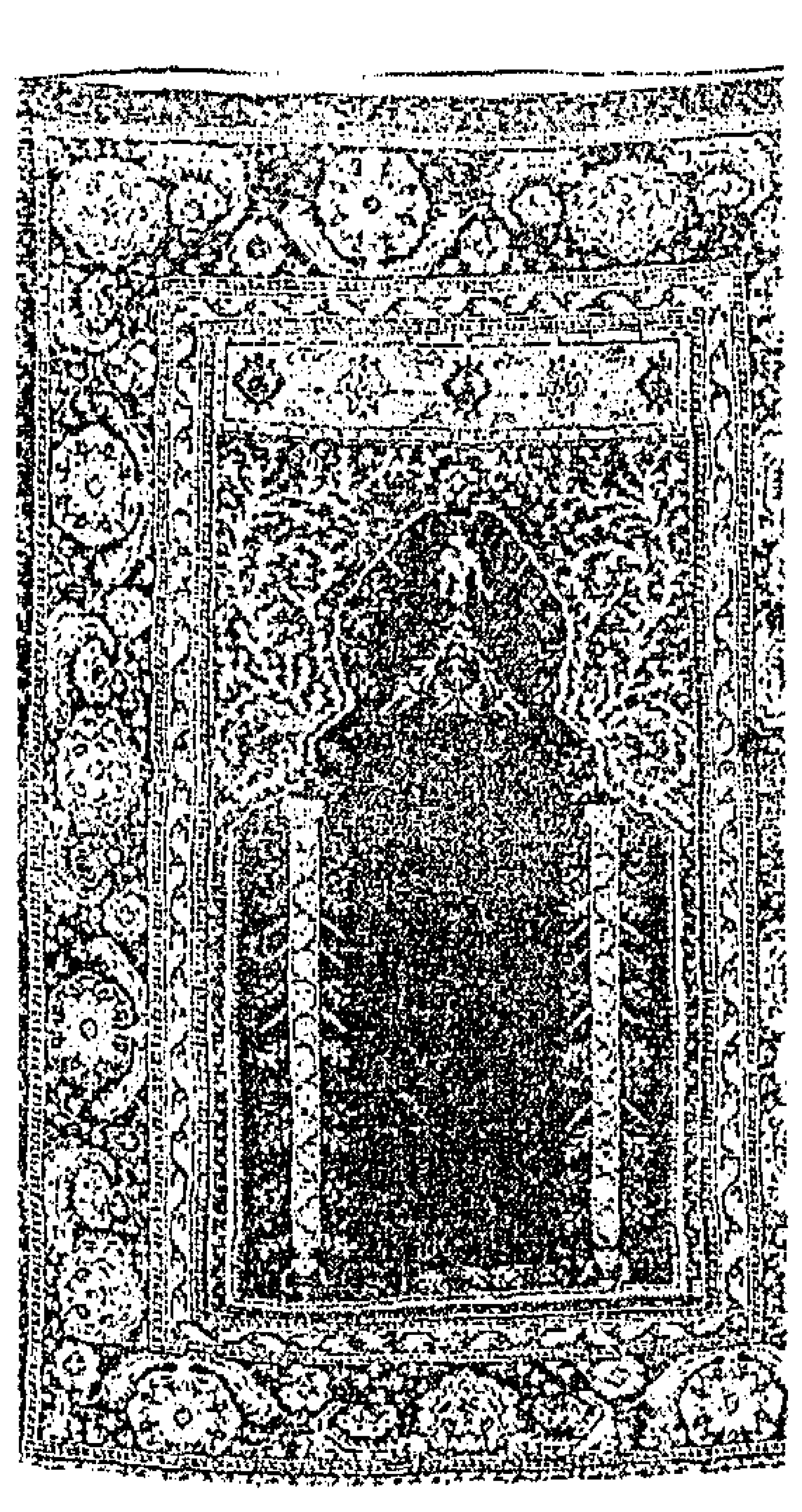
شكل (١٧٢)

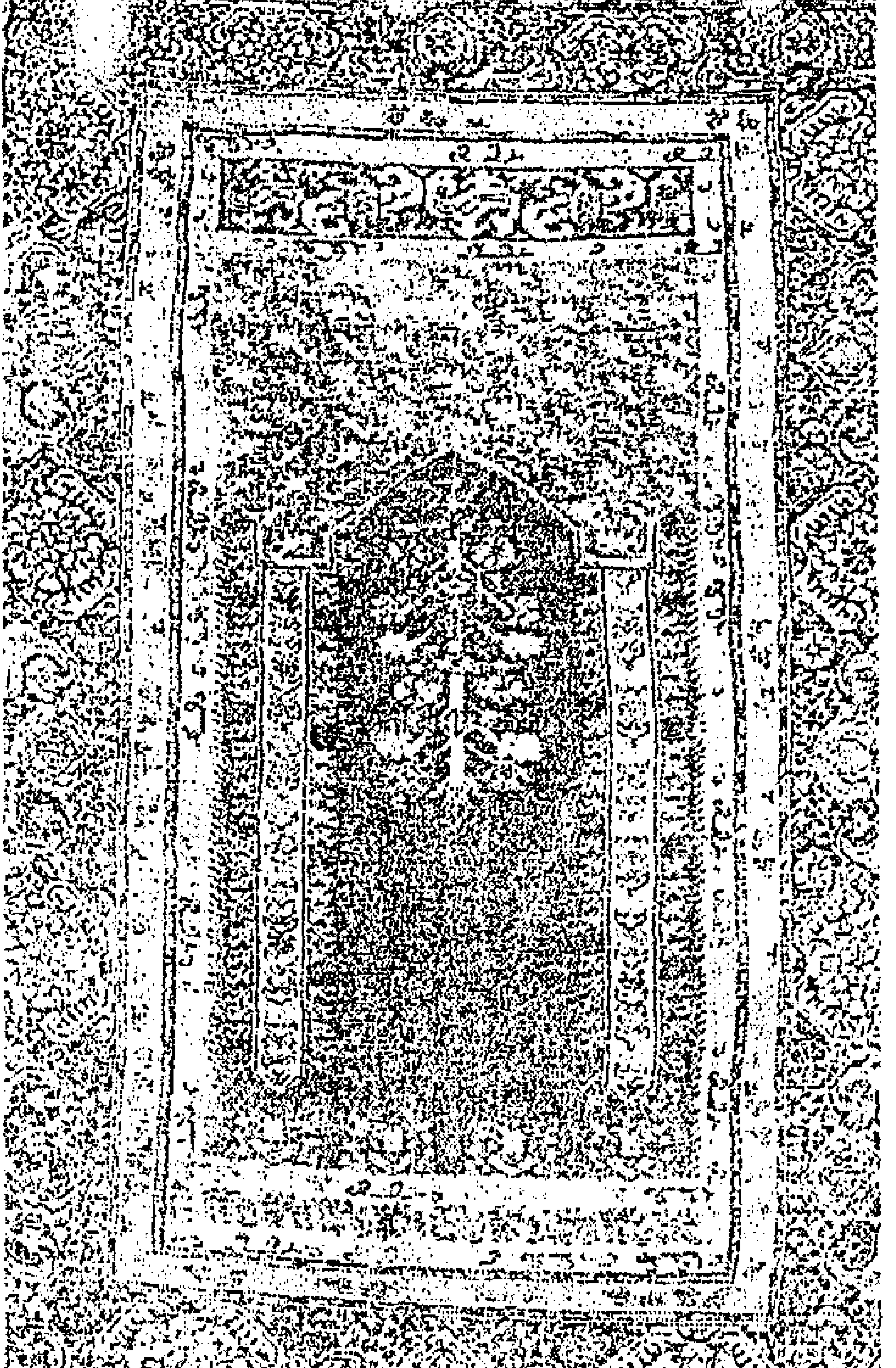




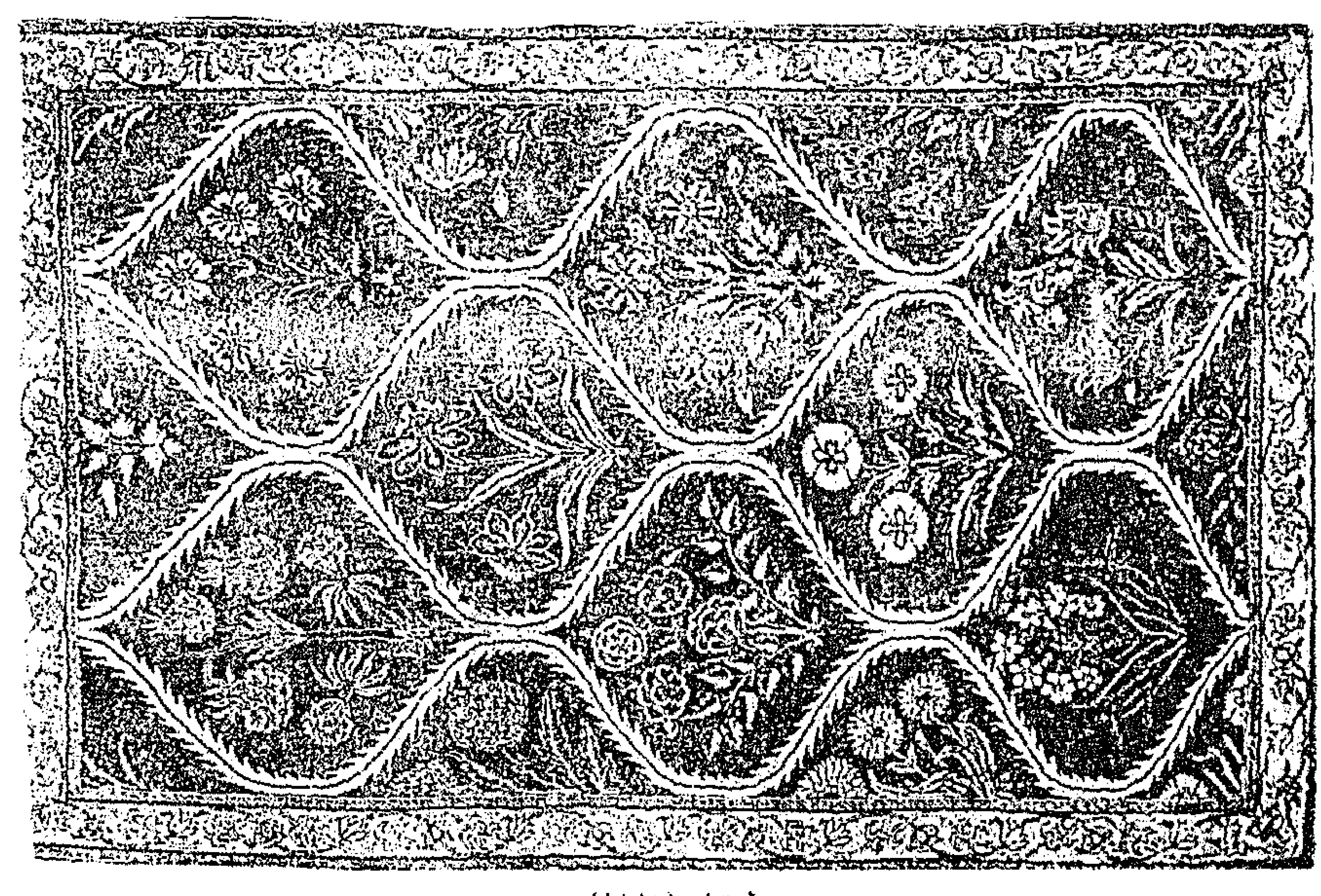
شكل (١٧٣)



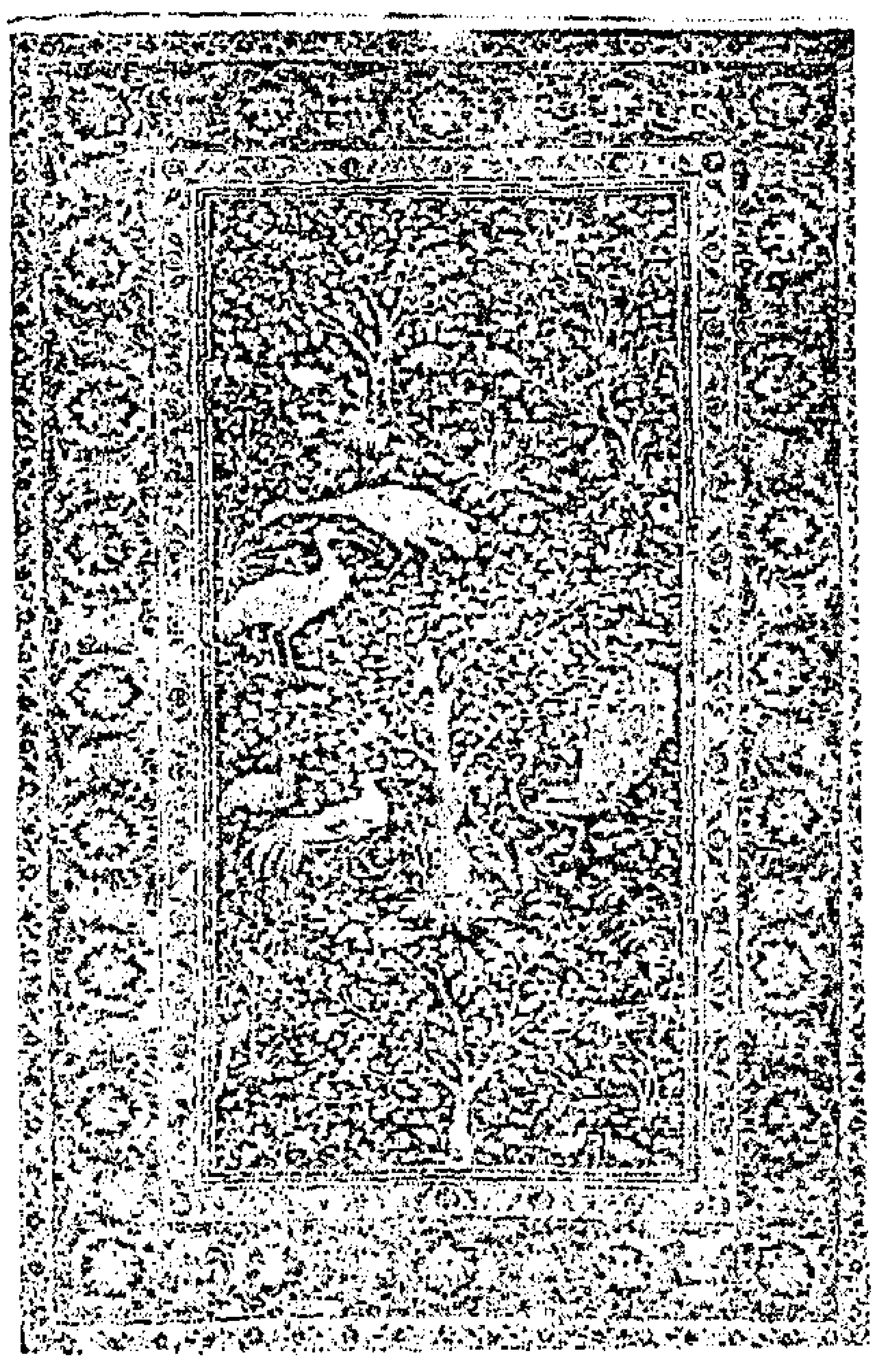




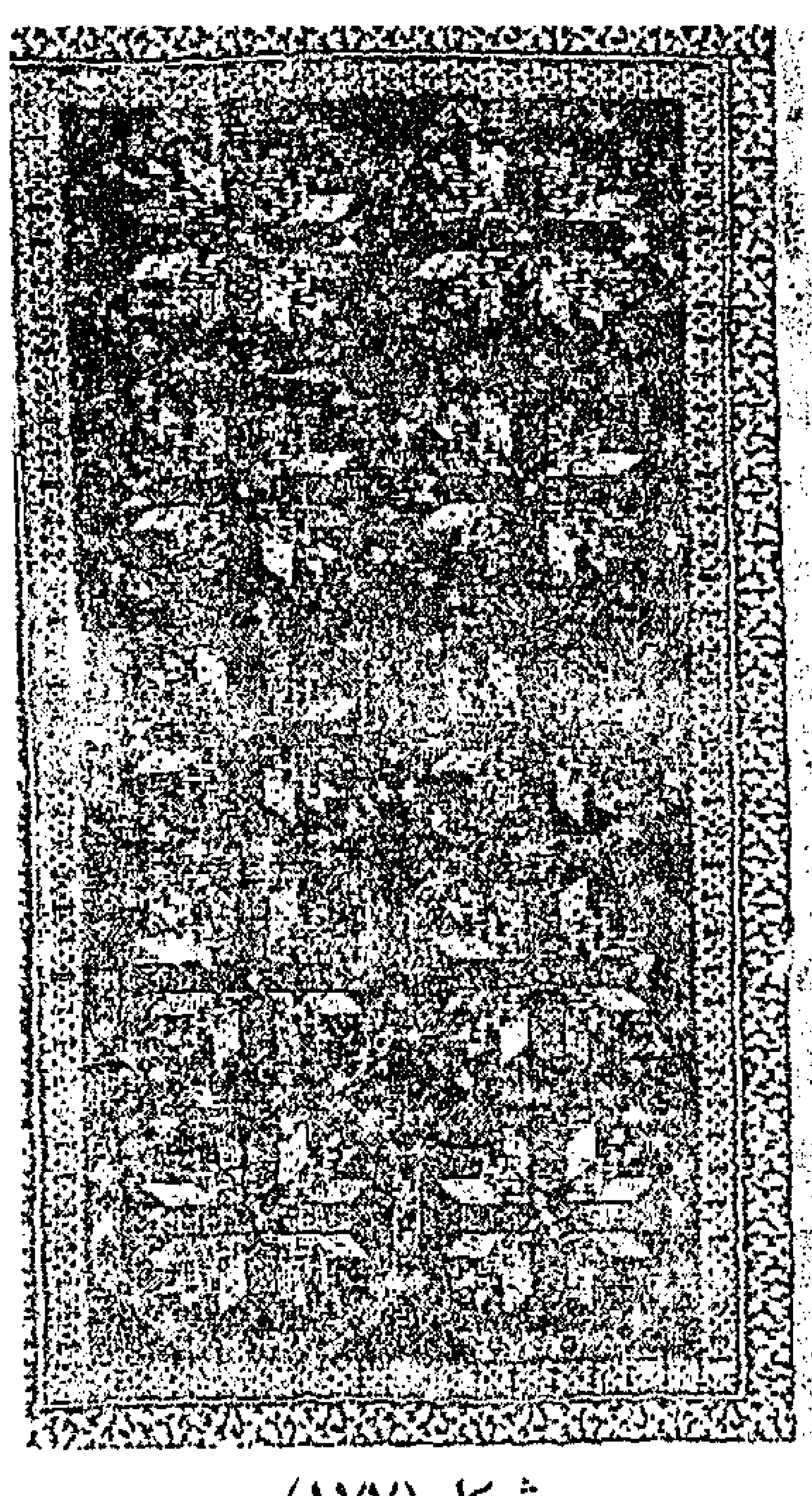
شكل (١٧٤)



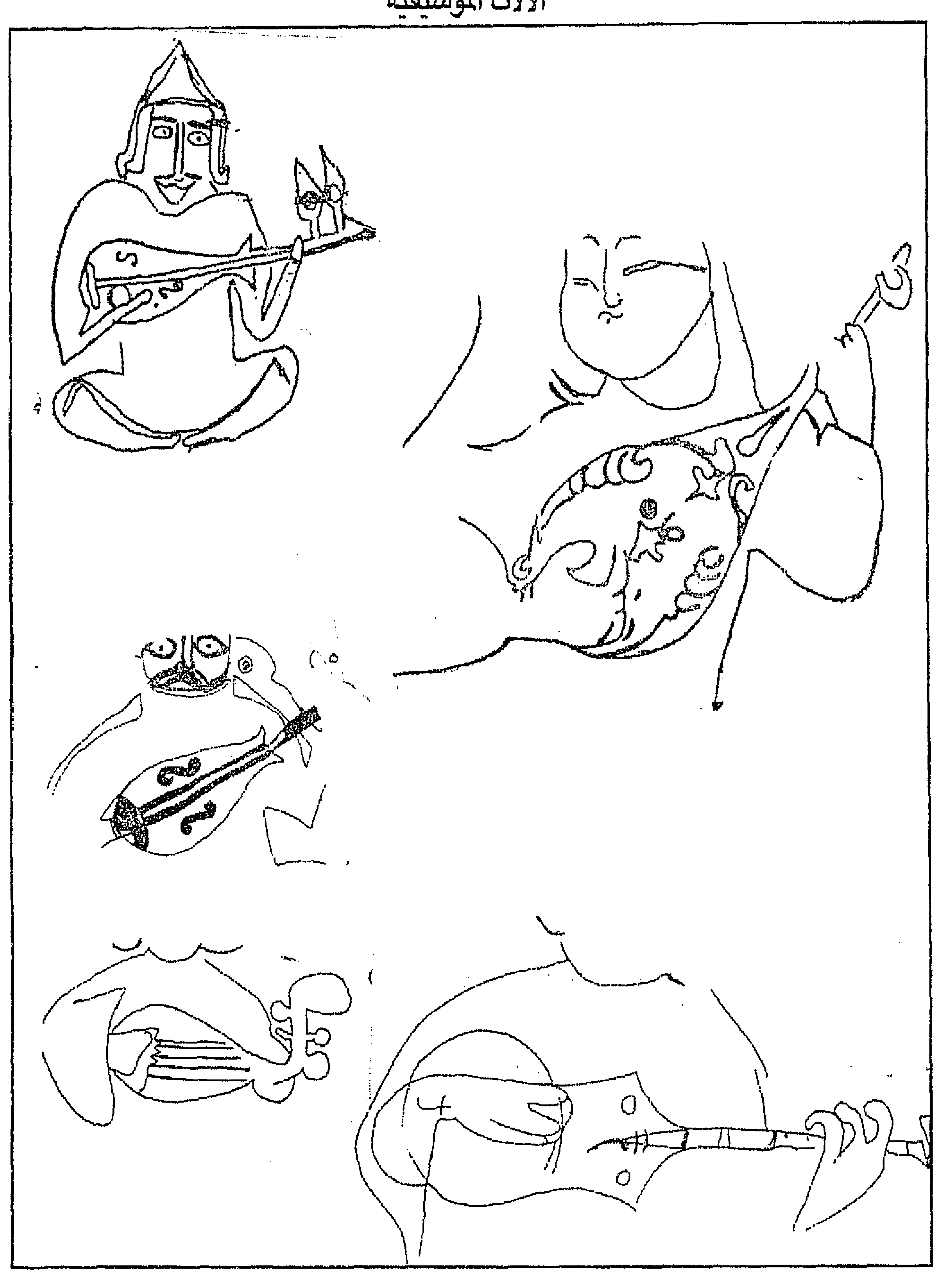
شكل (١٧٥)



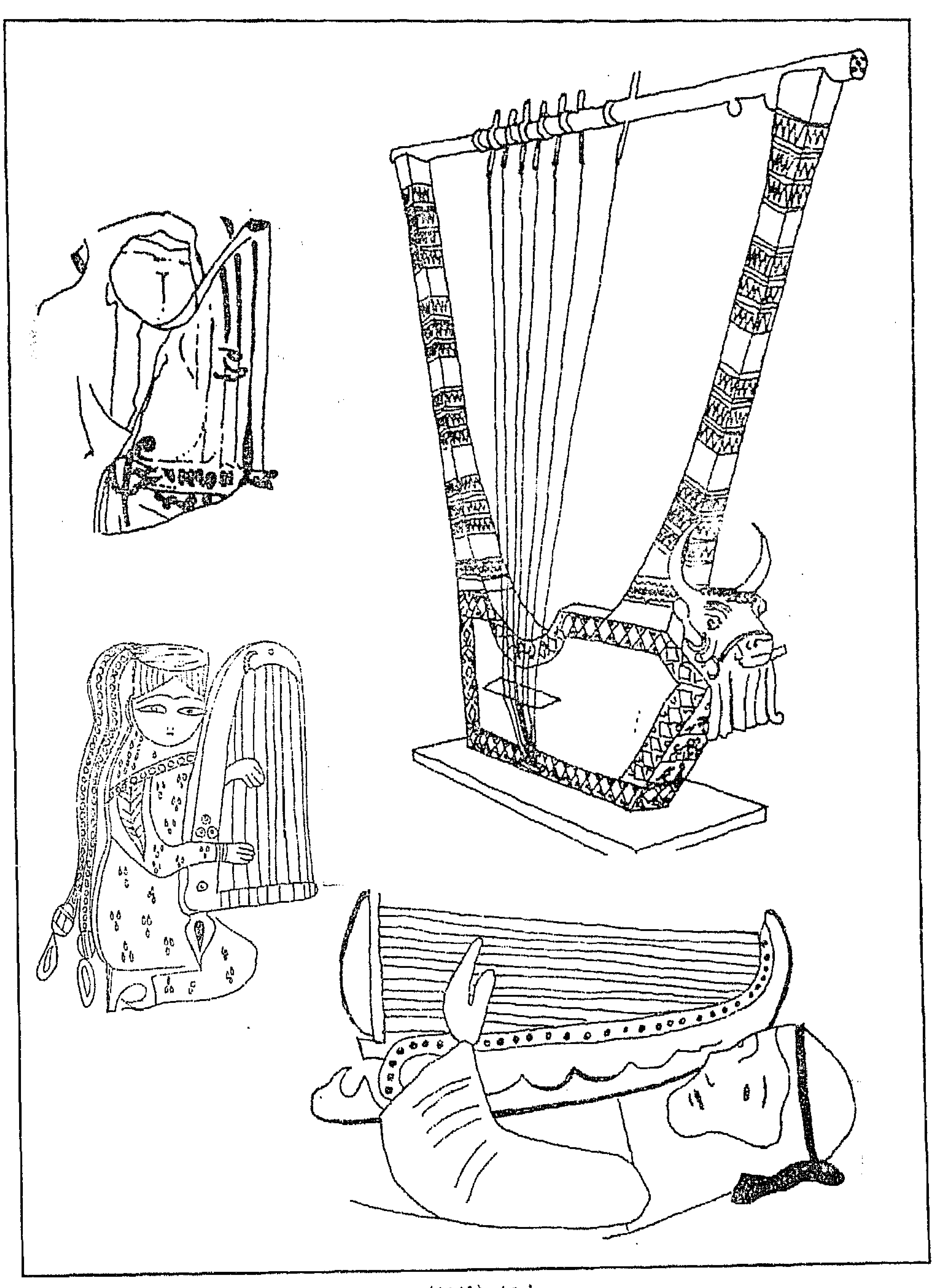
شكل (١٧٦)



شكل (١٧٧)

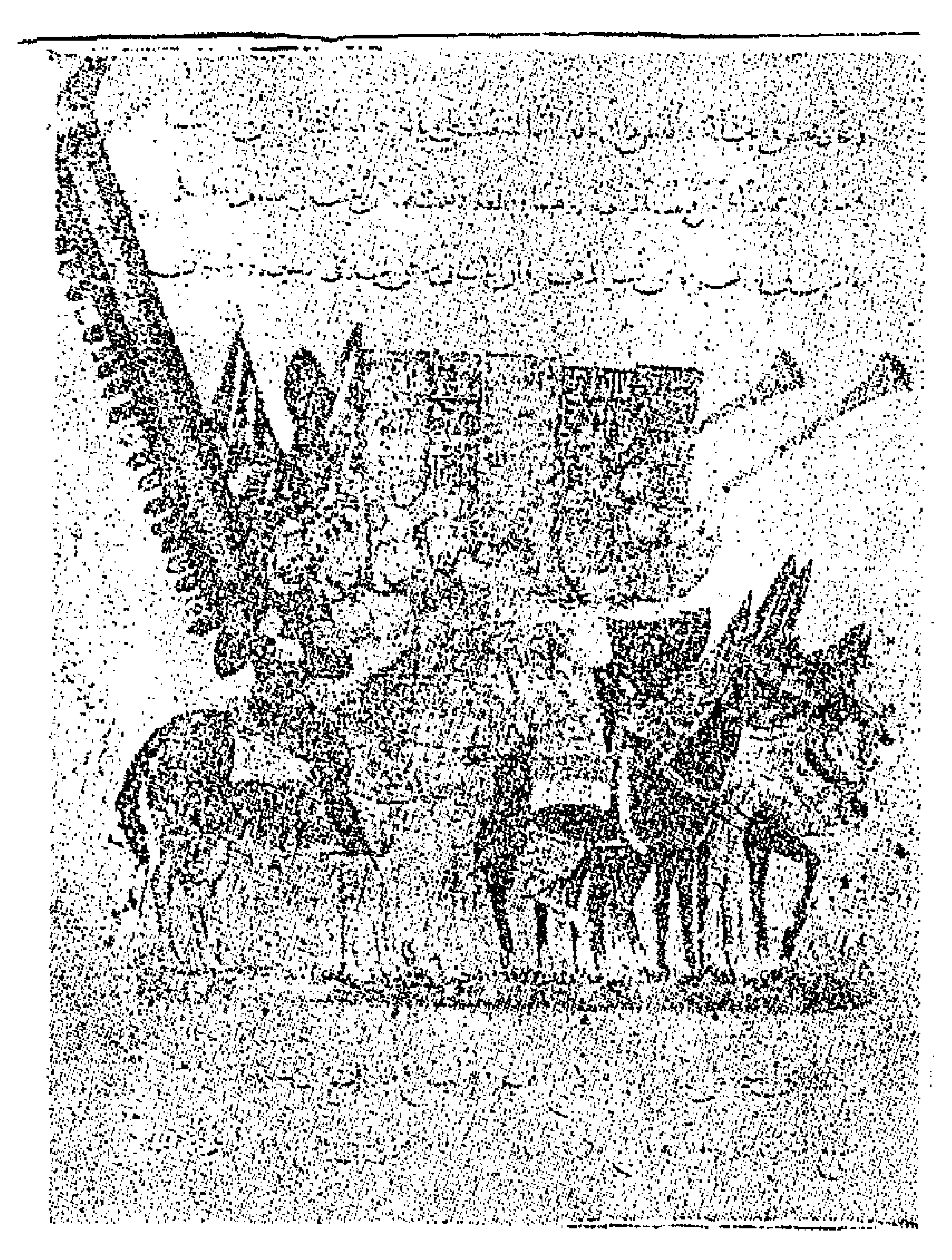


شكل (١٧٨)

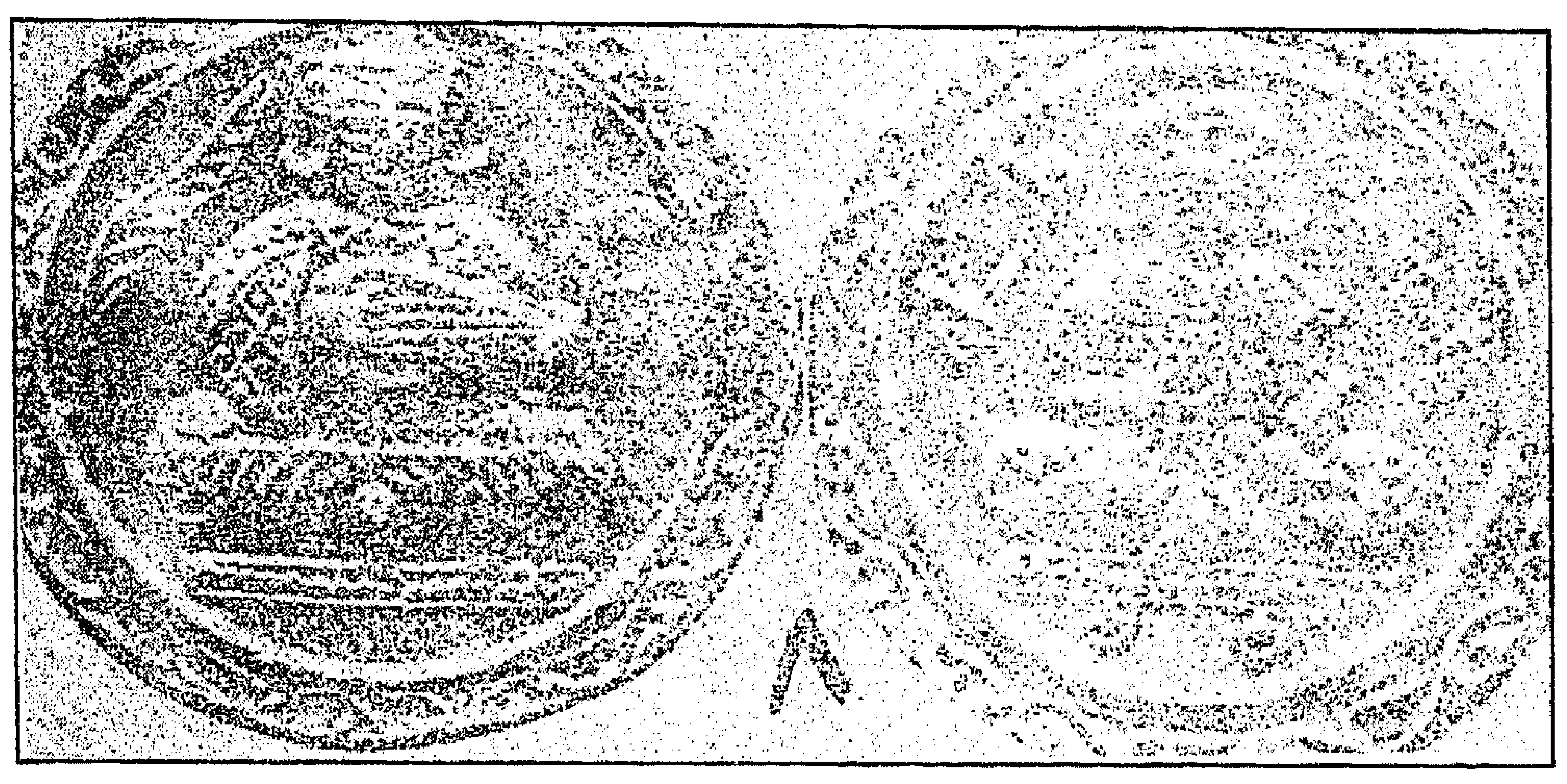


شكل (١٧٩)

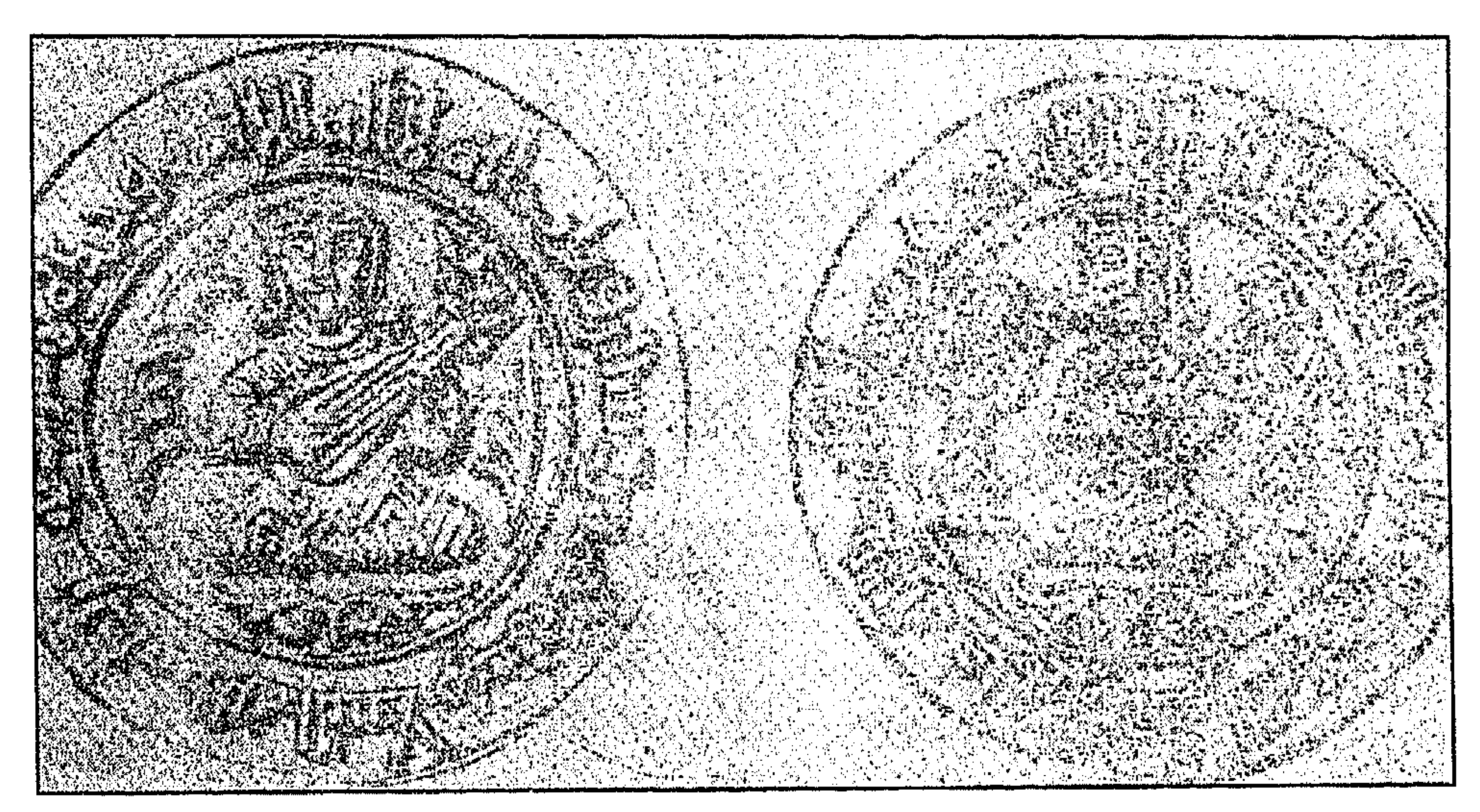




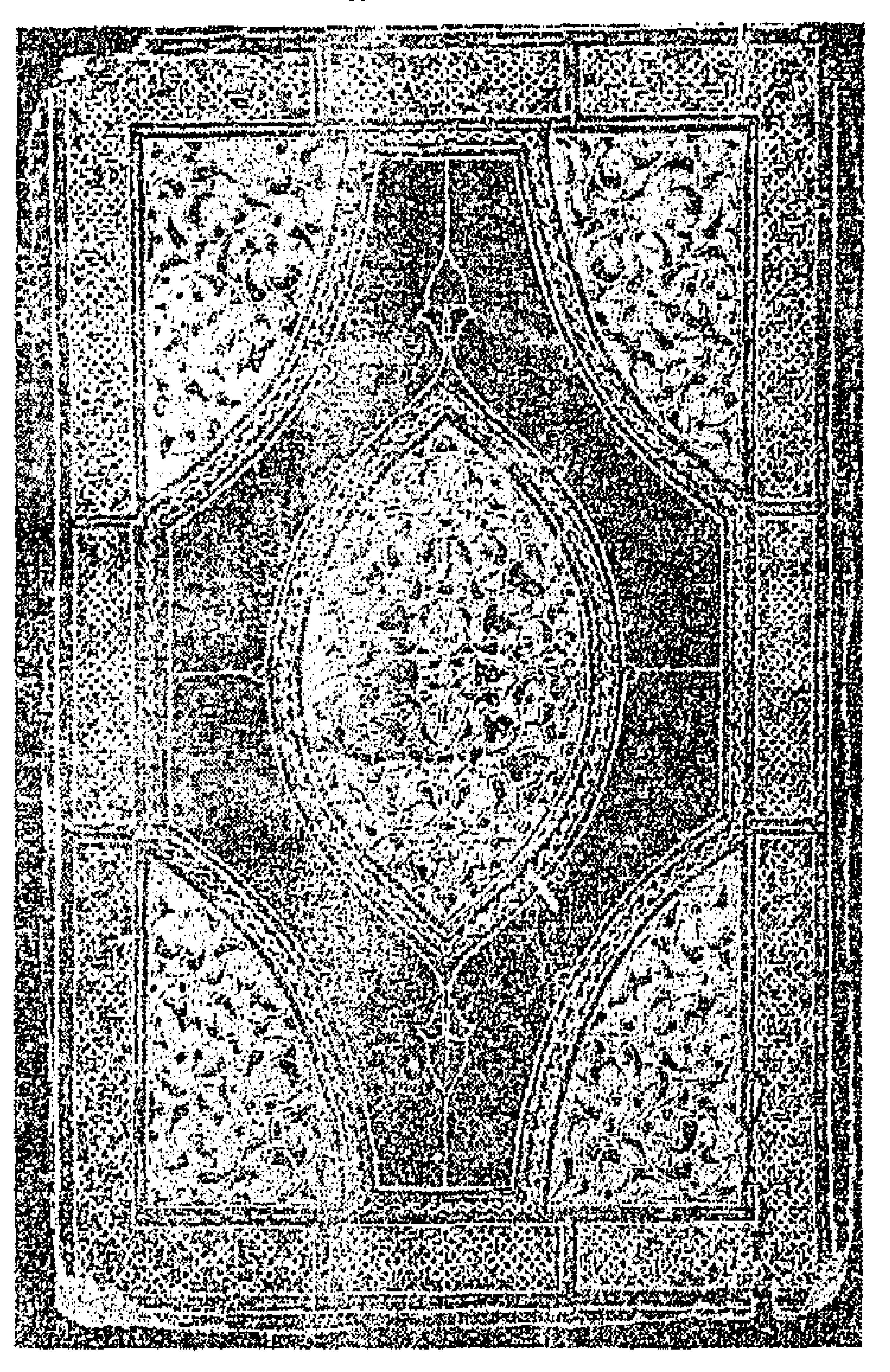
شكل (١٨٠)

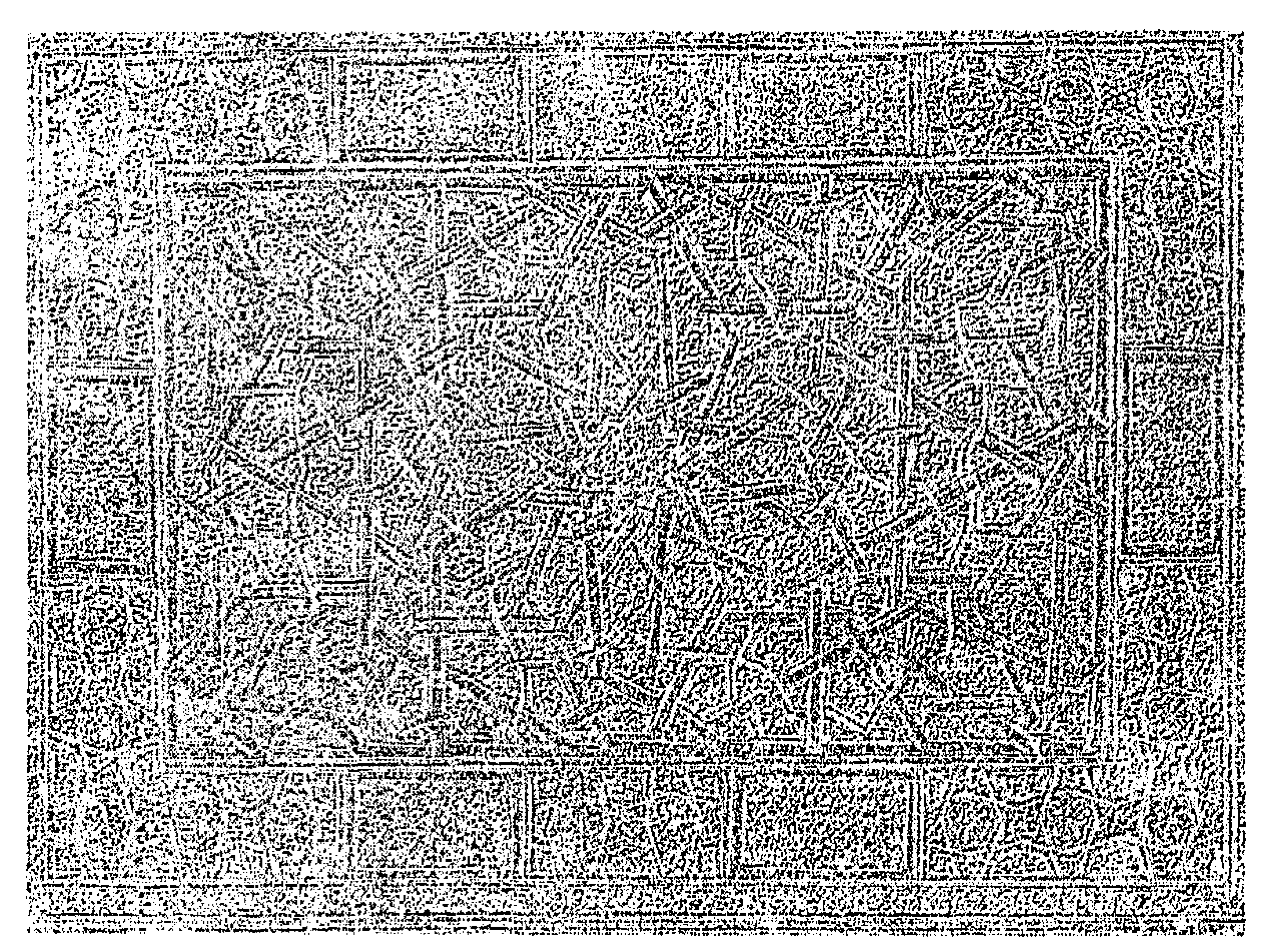


شكل (١٨١)

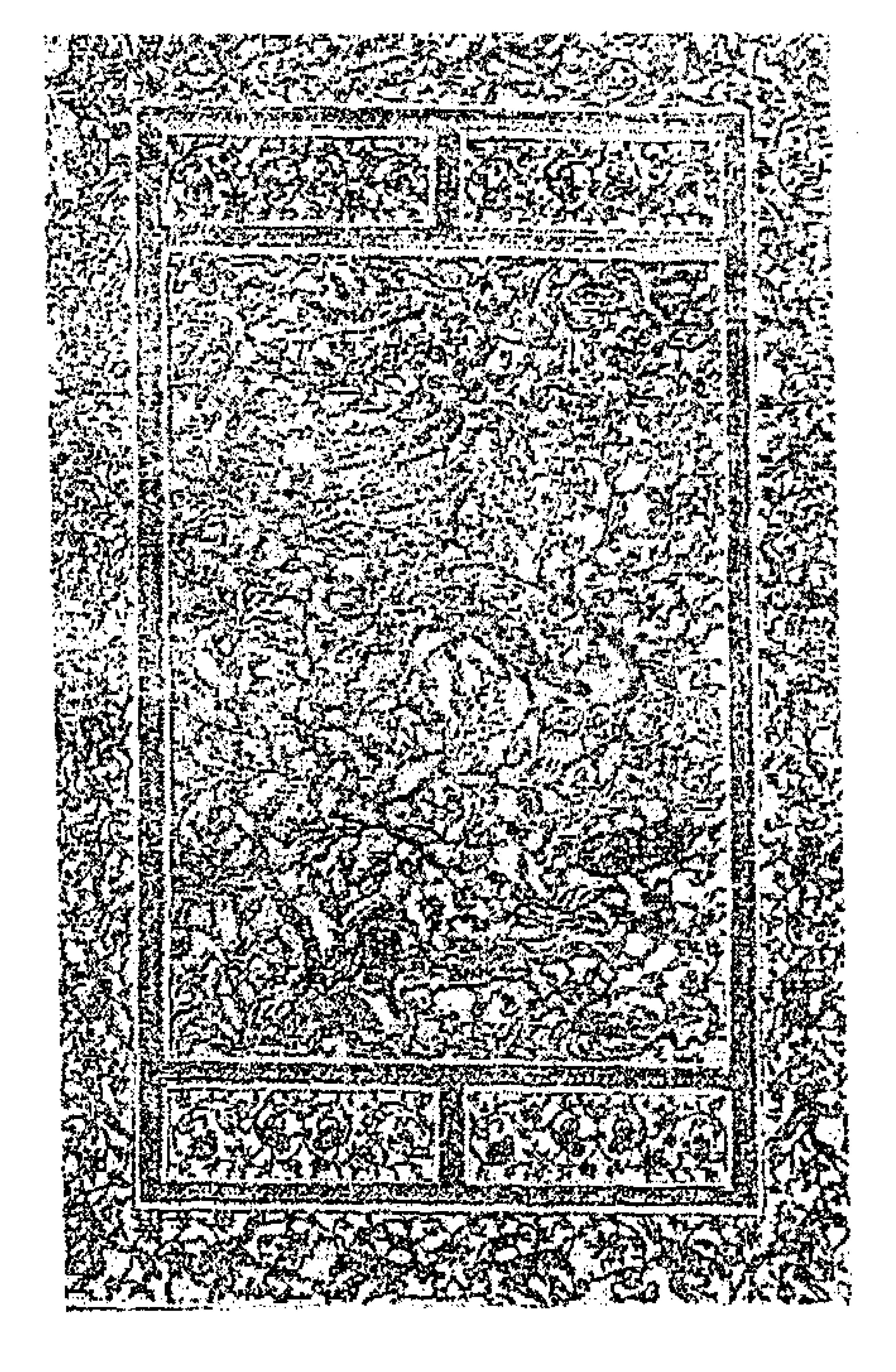
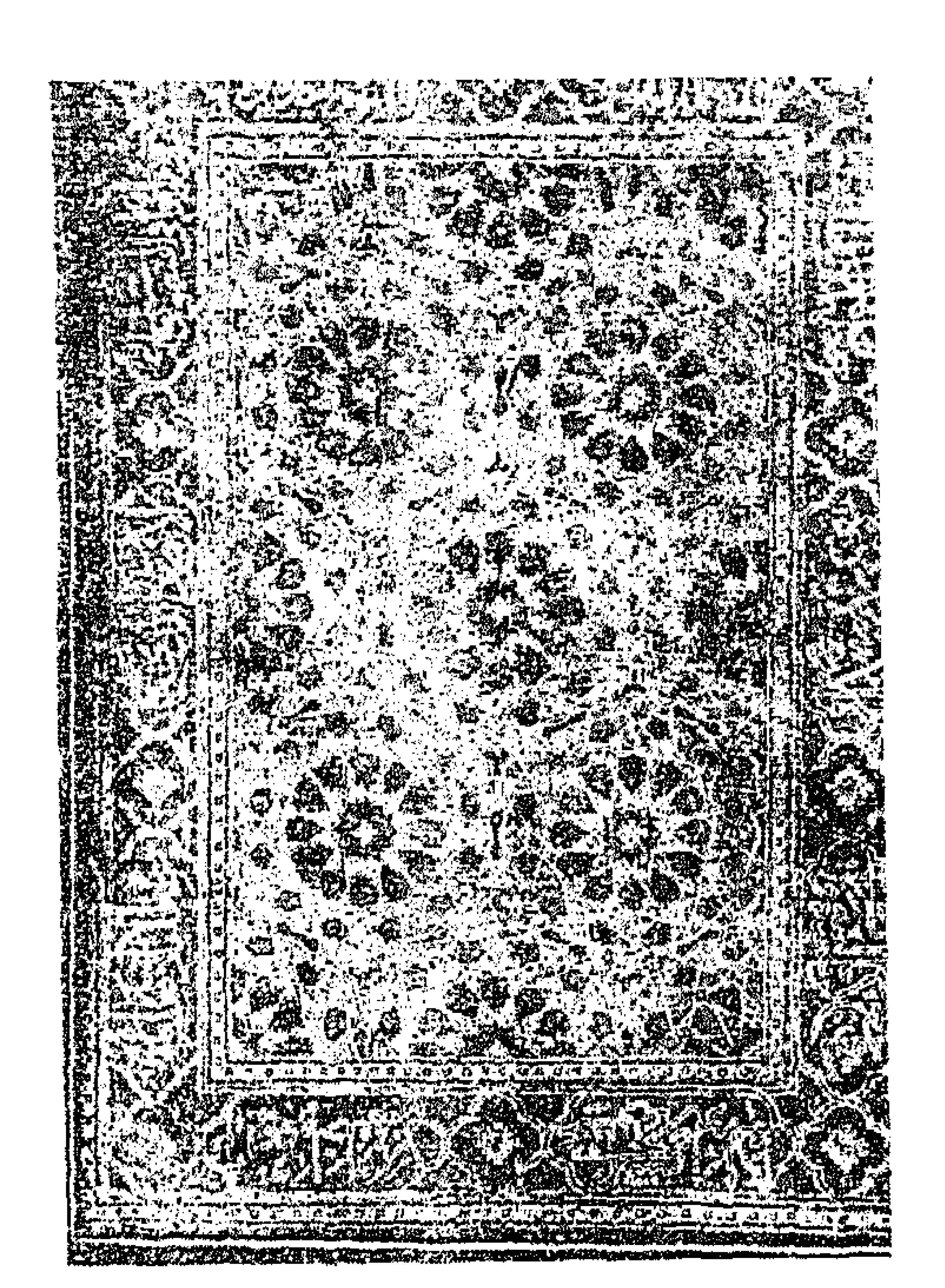


شكل (١٨٢)

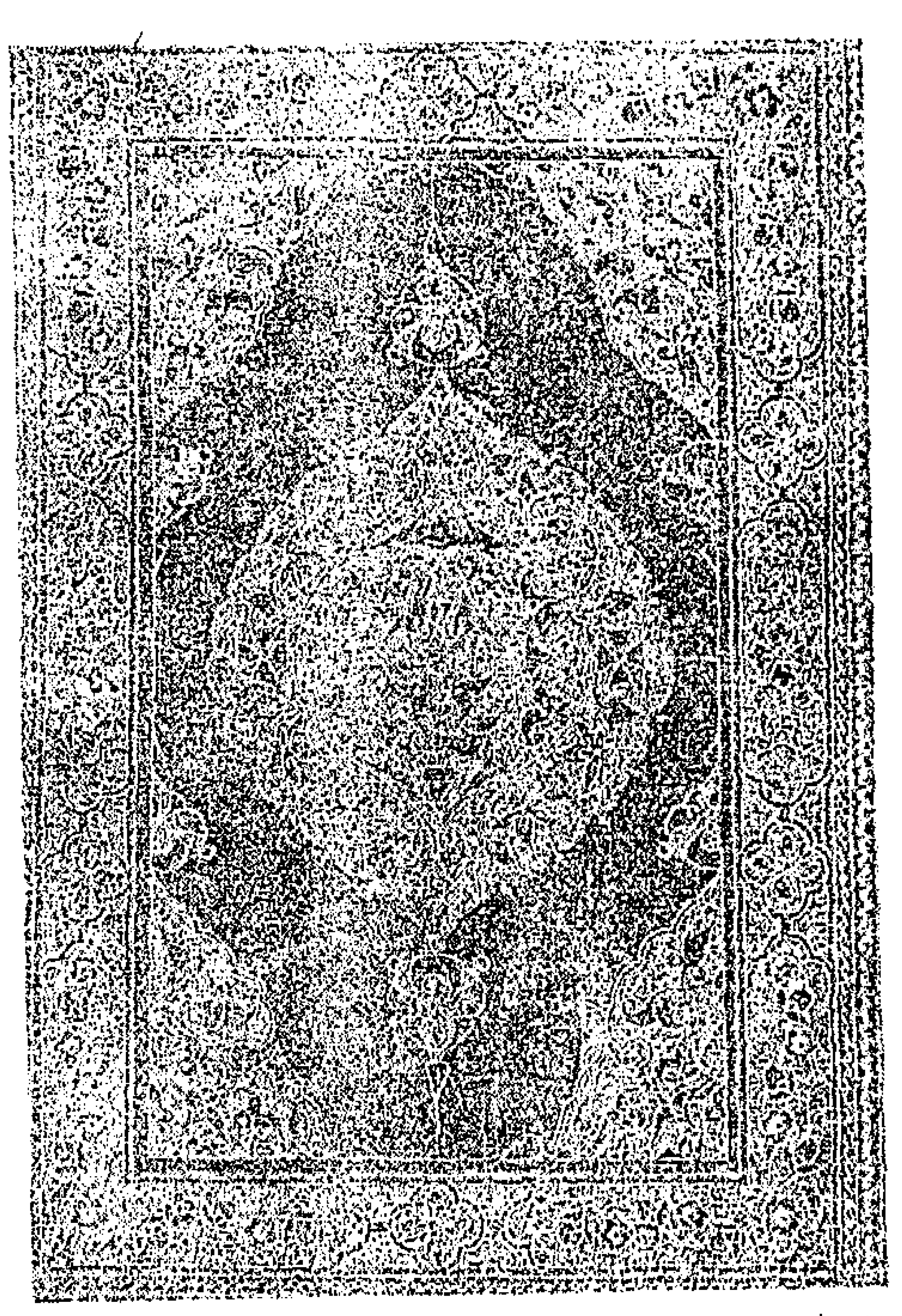
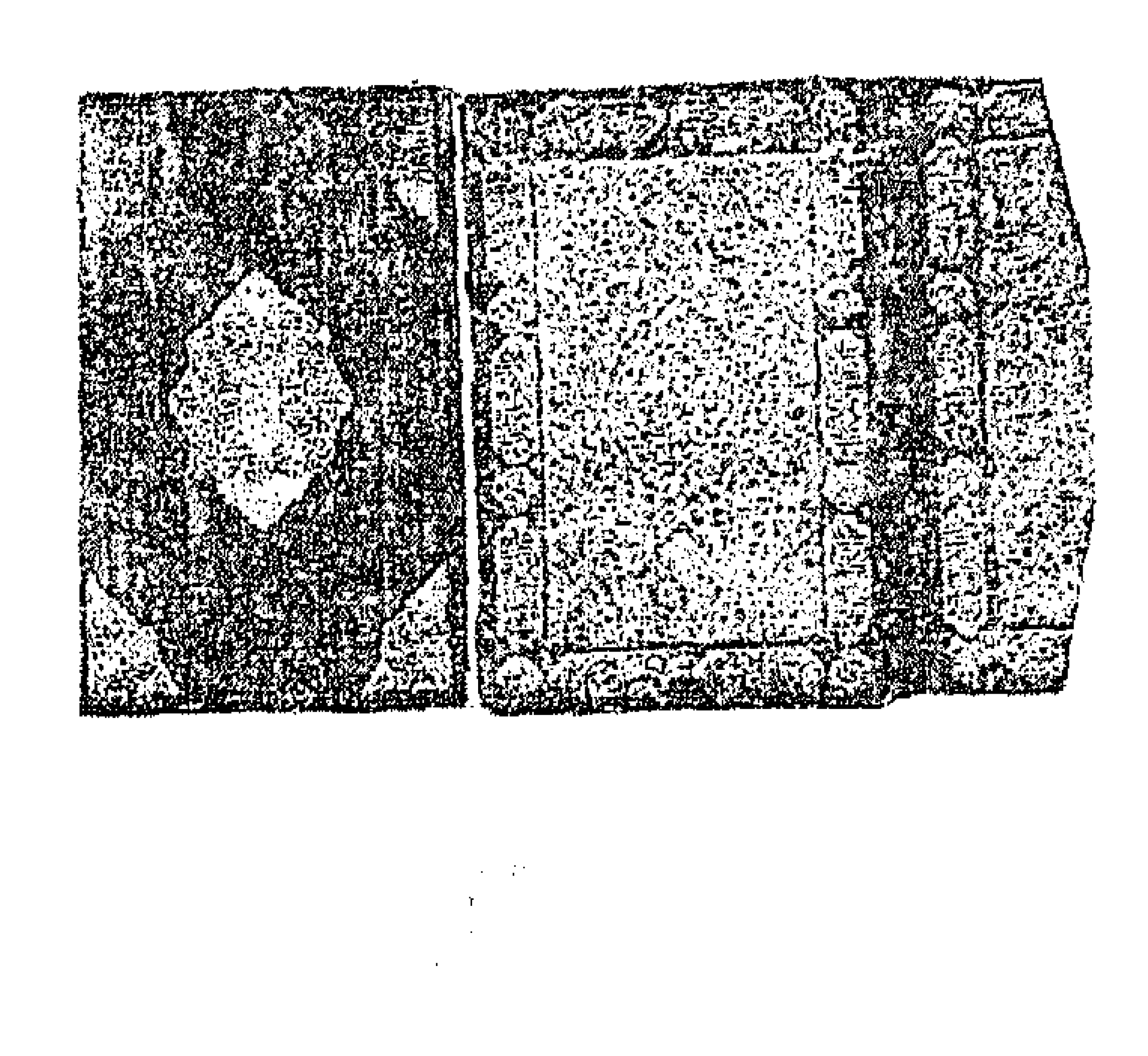




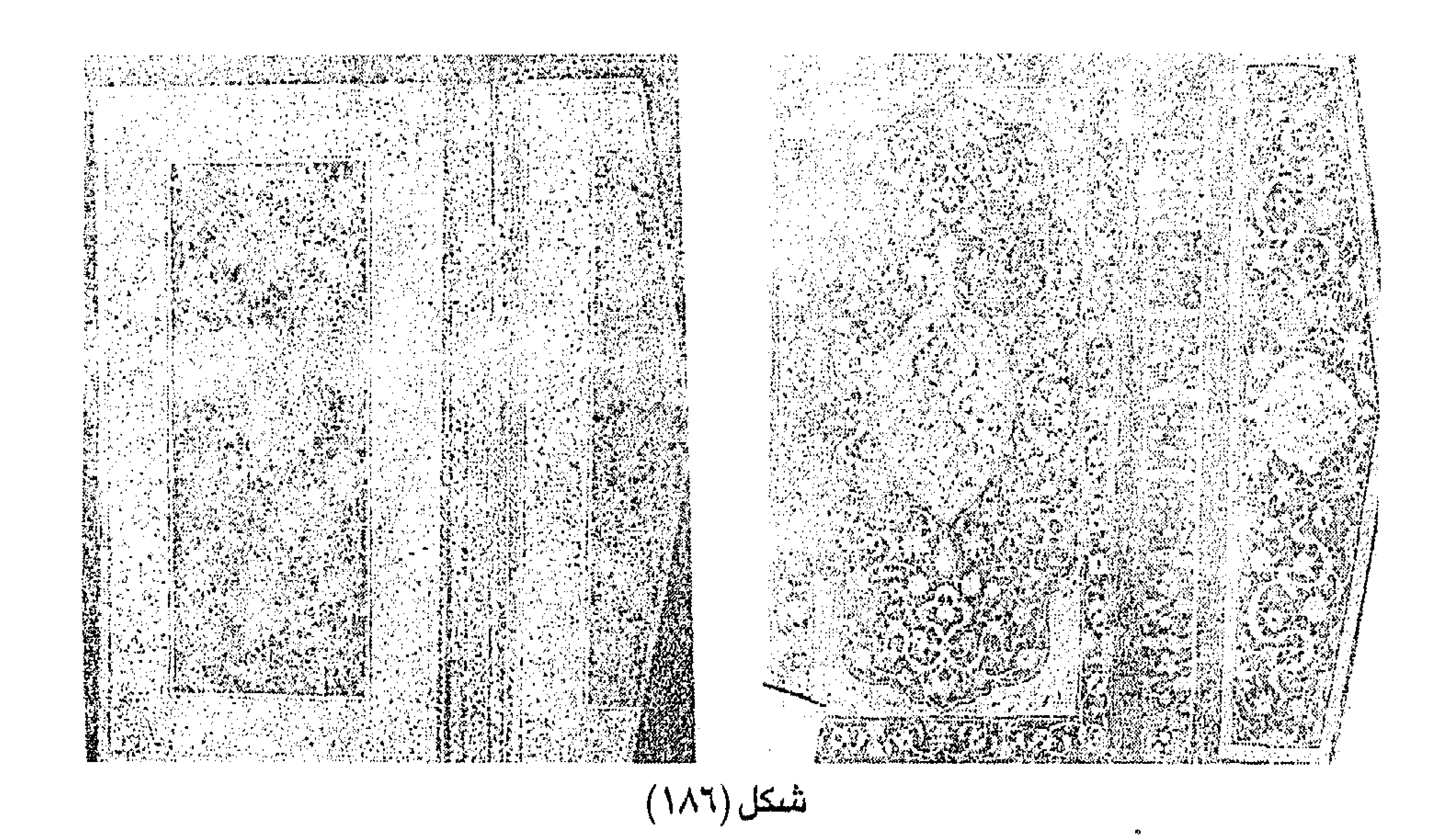
شكل (١٨٣)

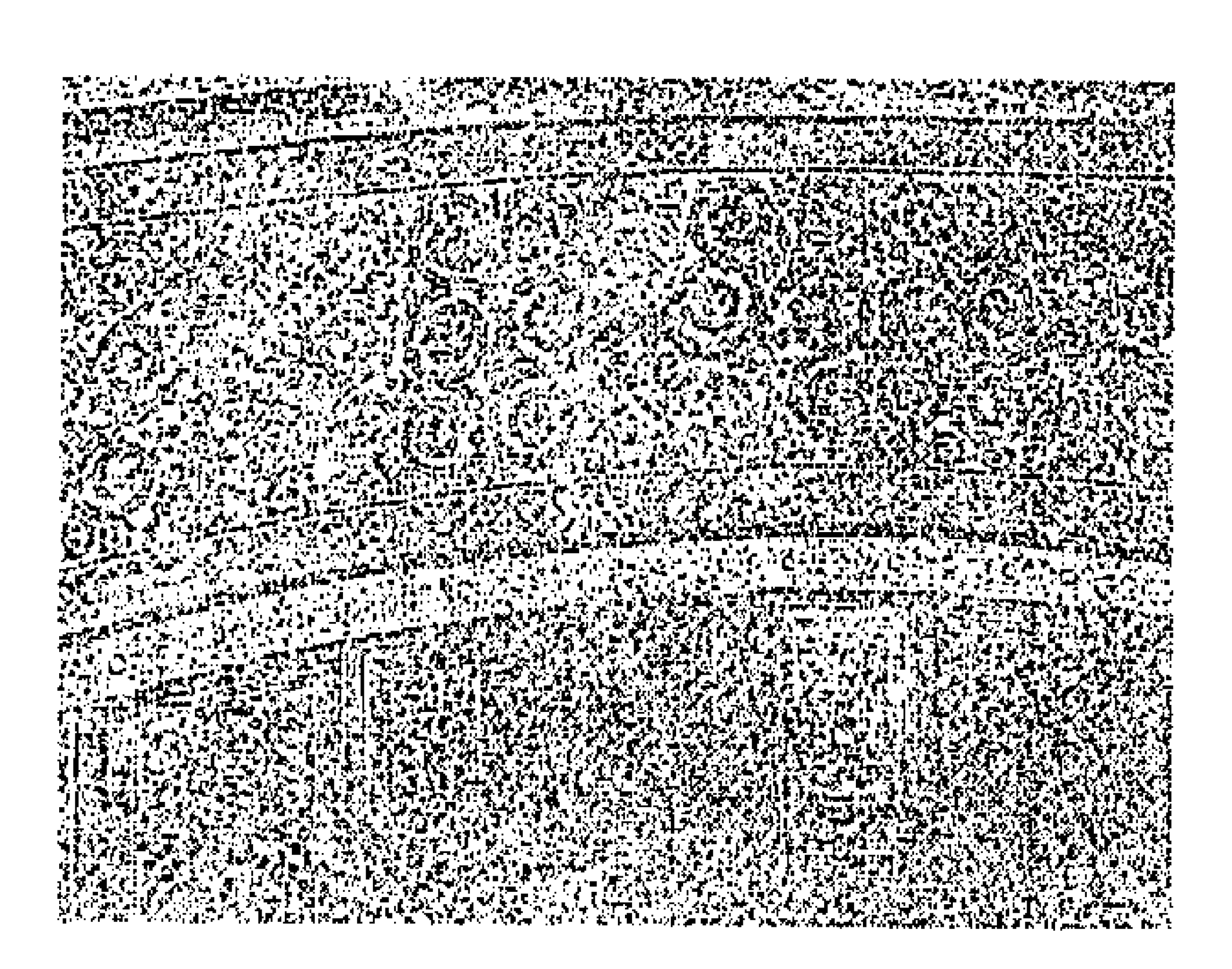
شكل (١٨٤)

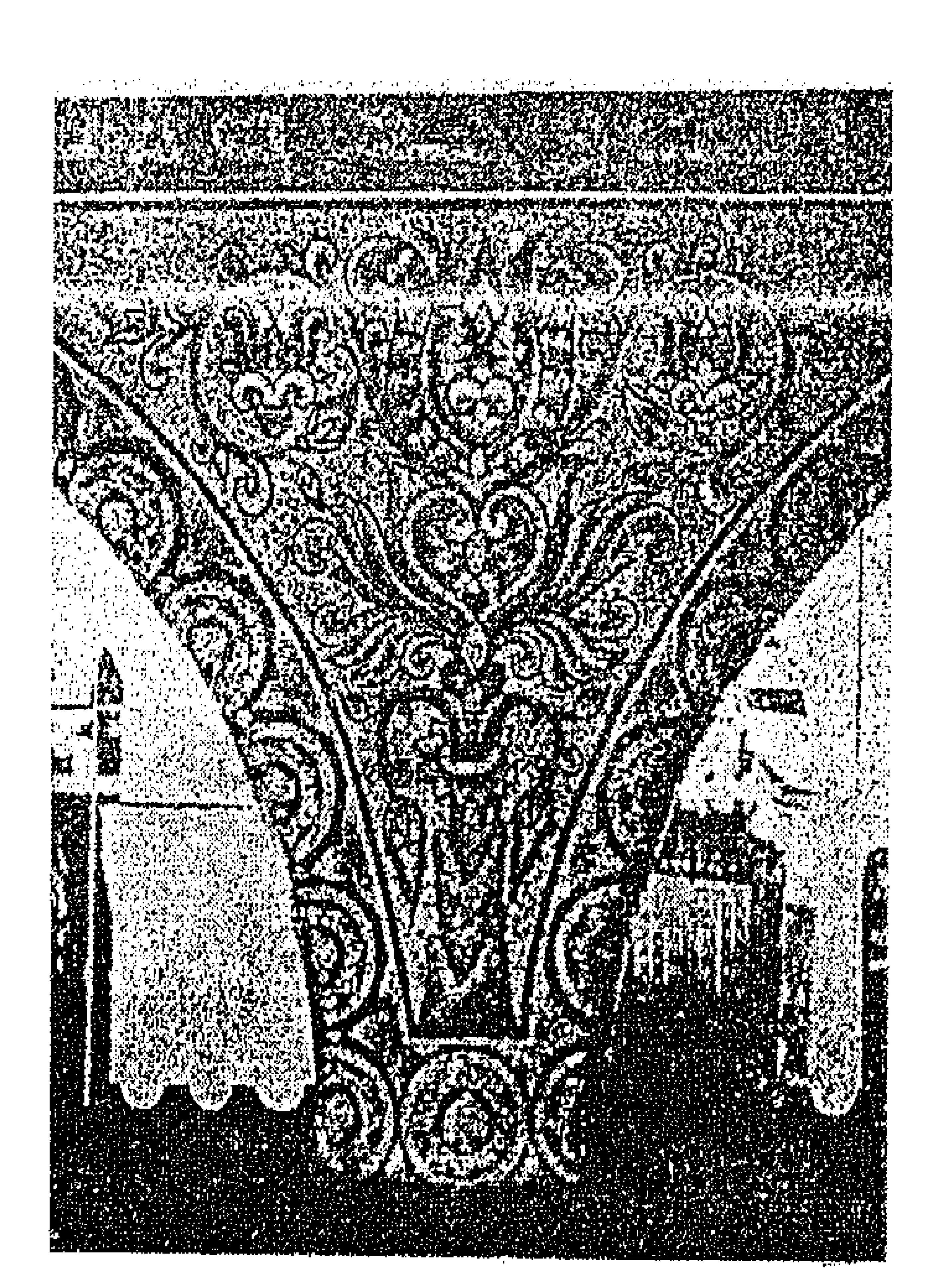



شكل (١٨٥)

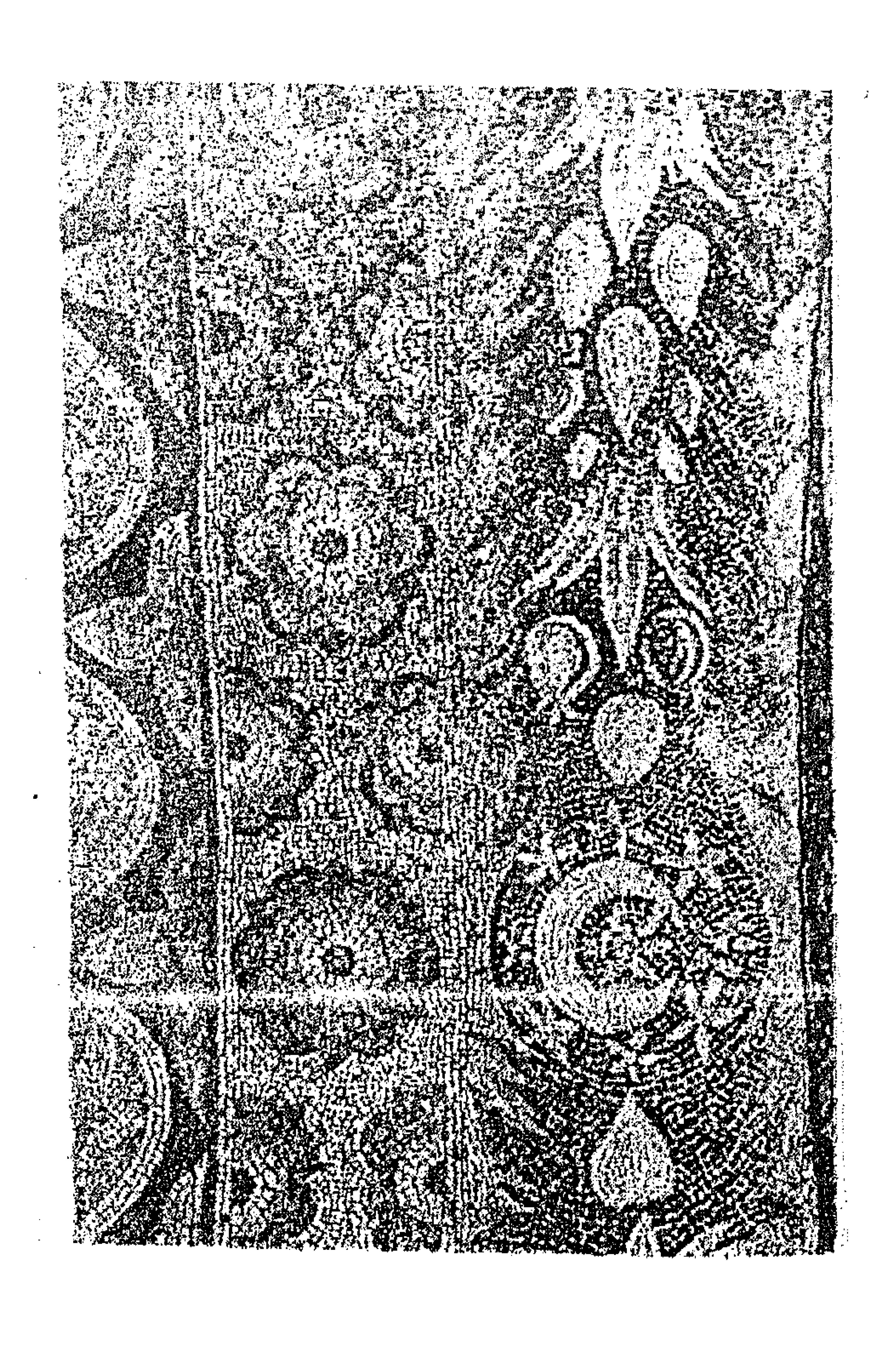


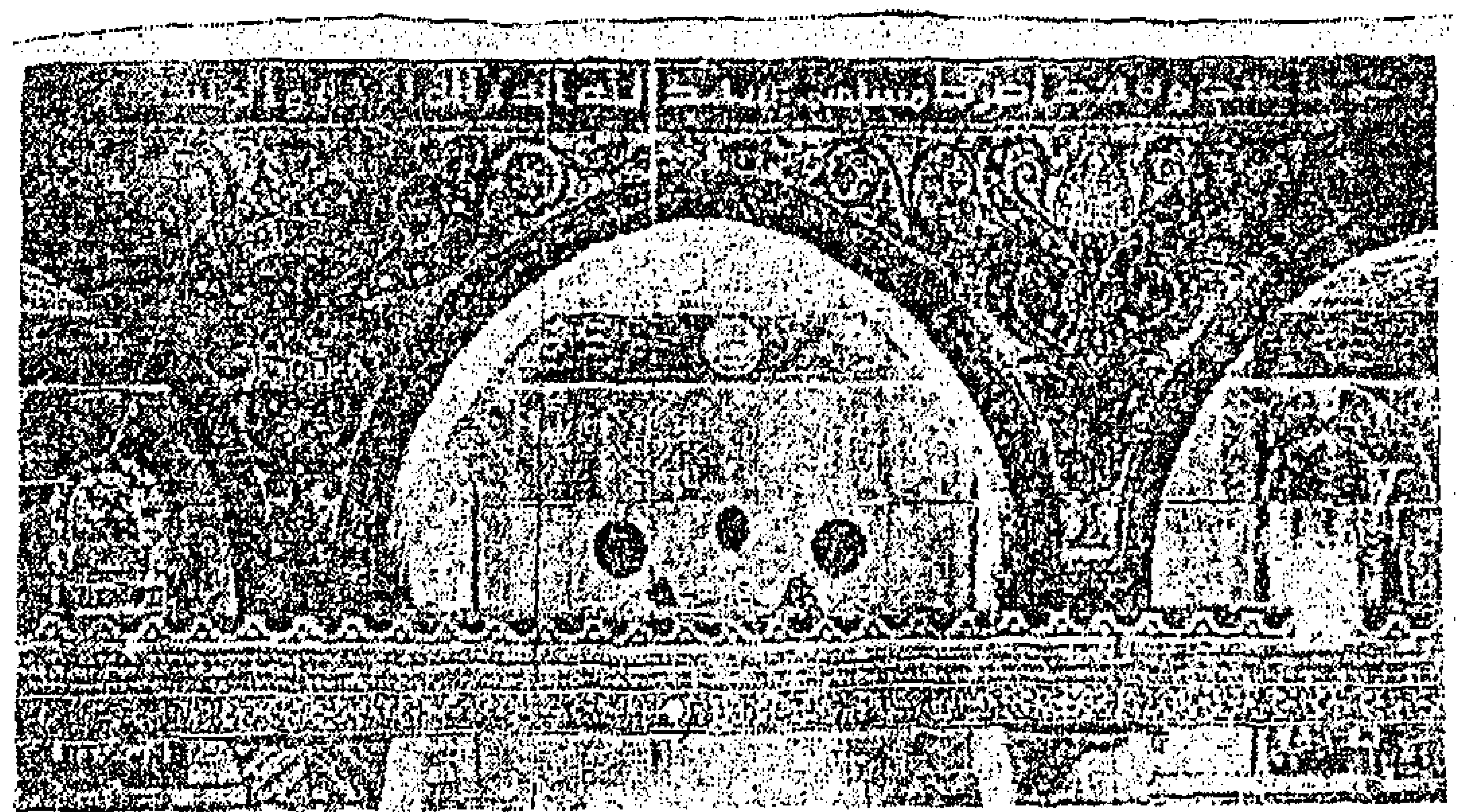
شكل (١٨٦)



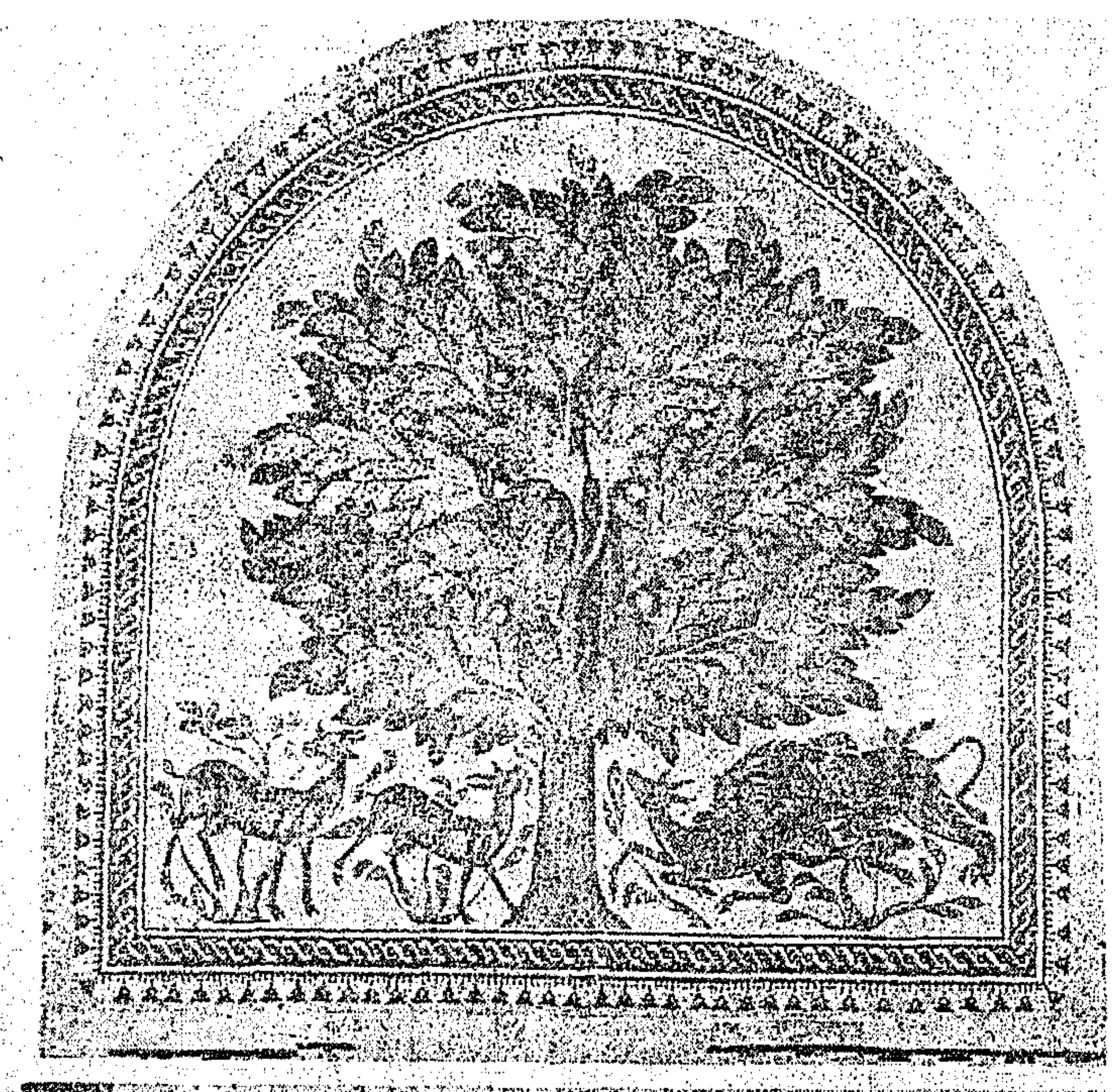
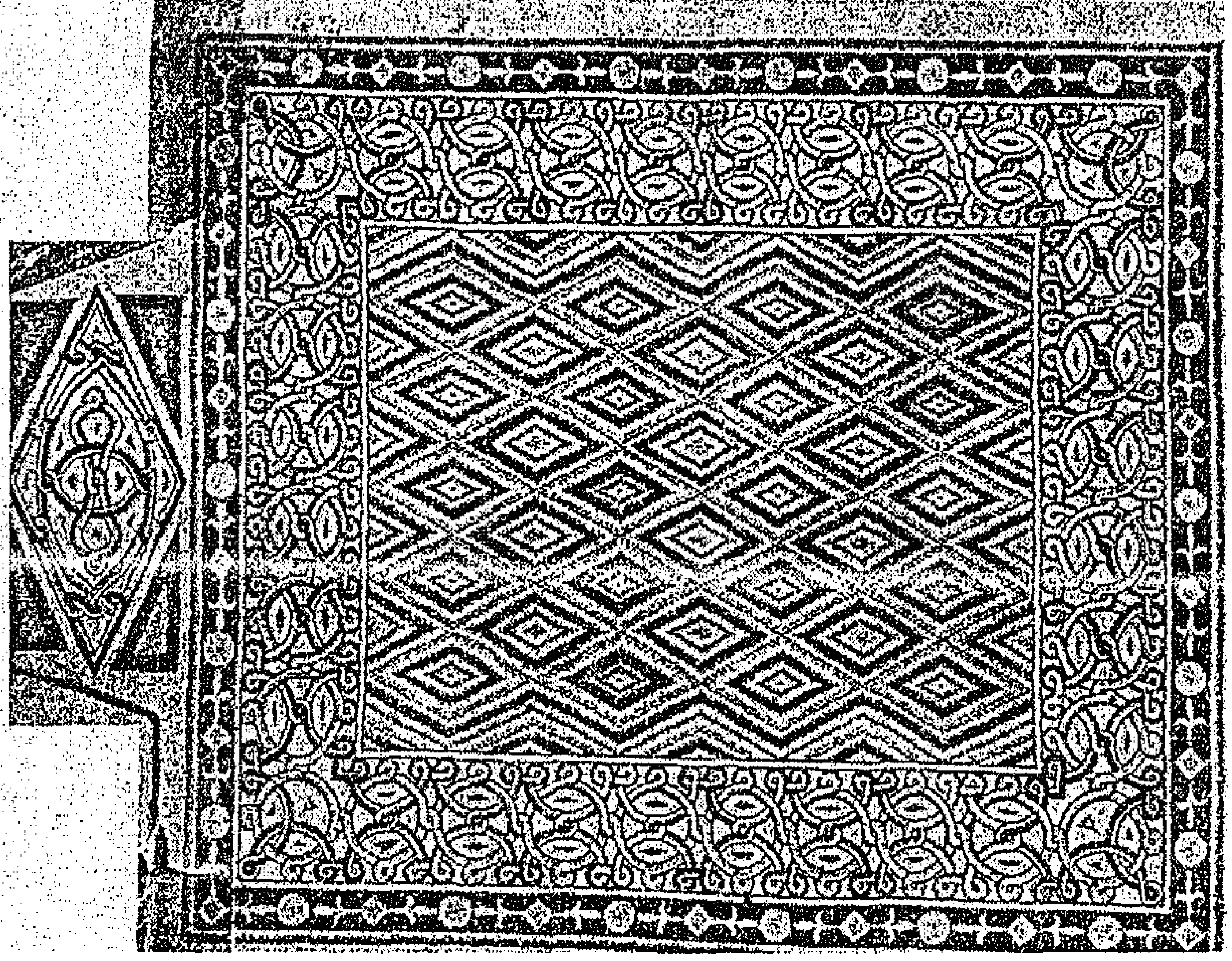


شكل (١٨٧)

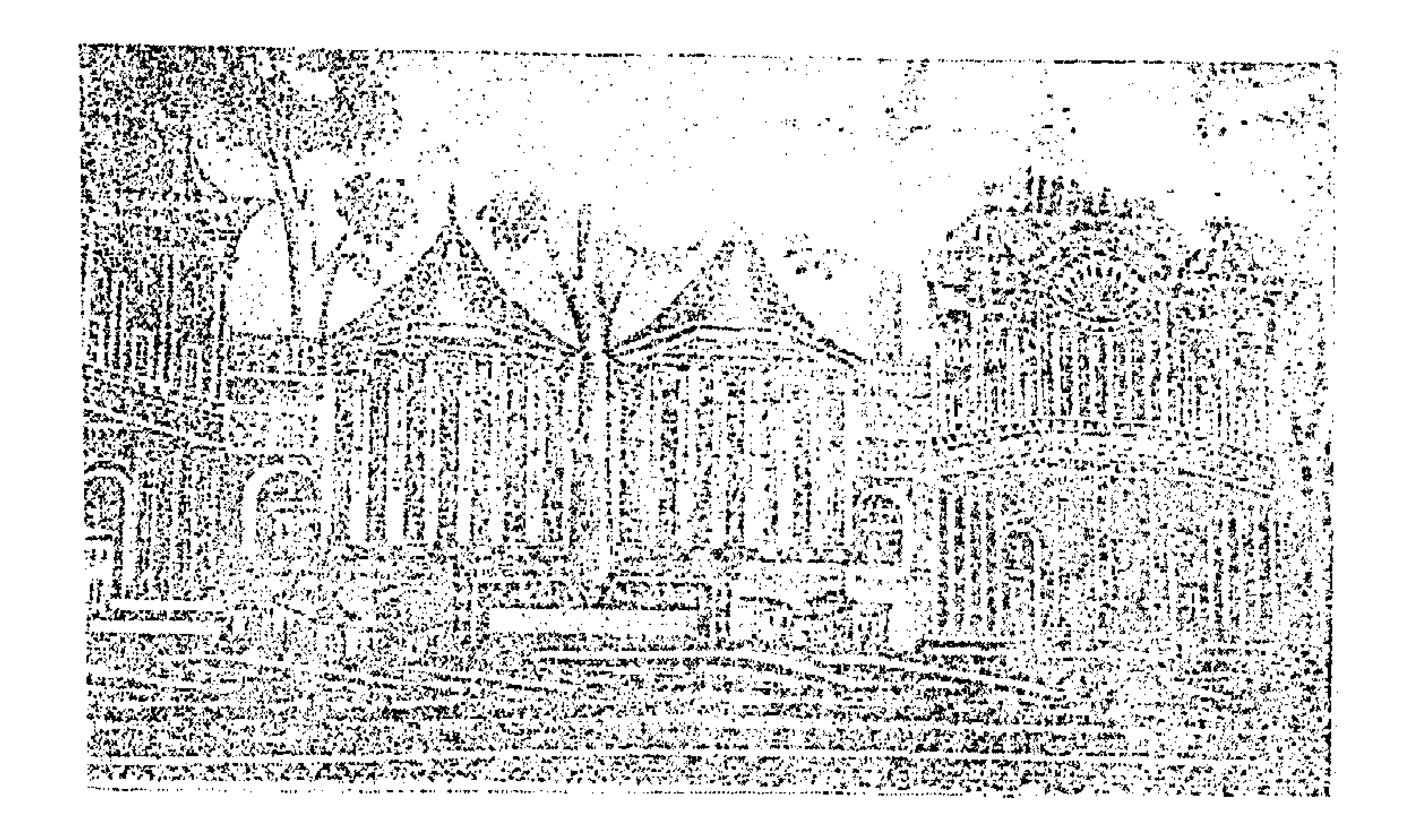




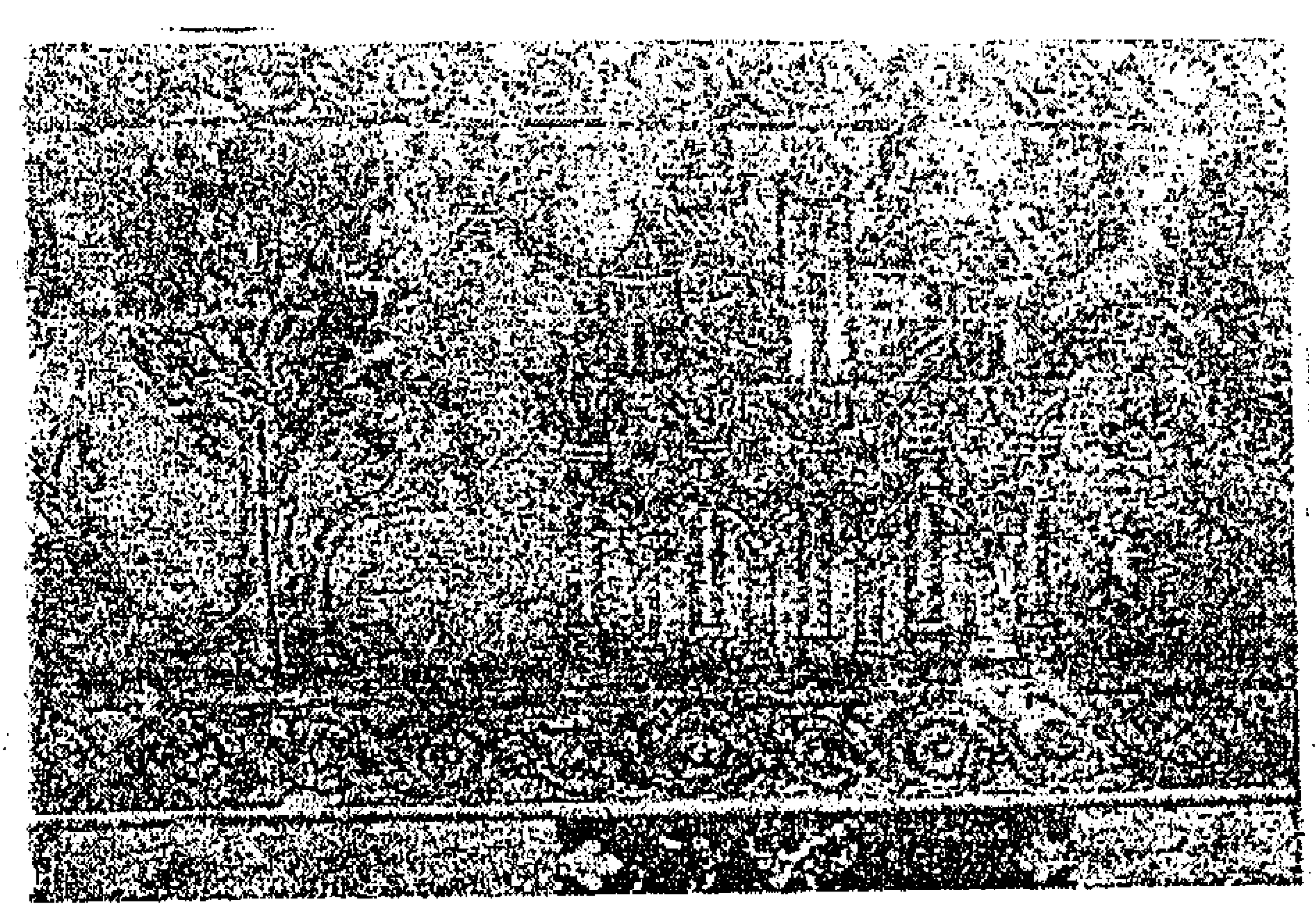
شكل (١٨٨)

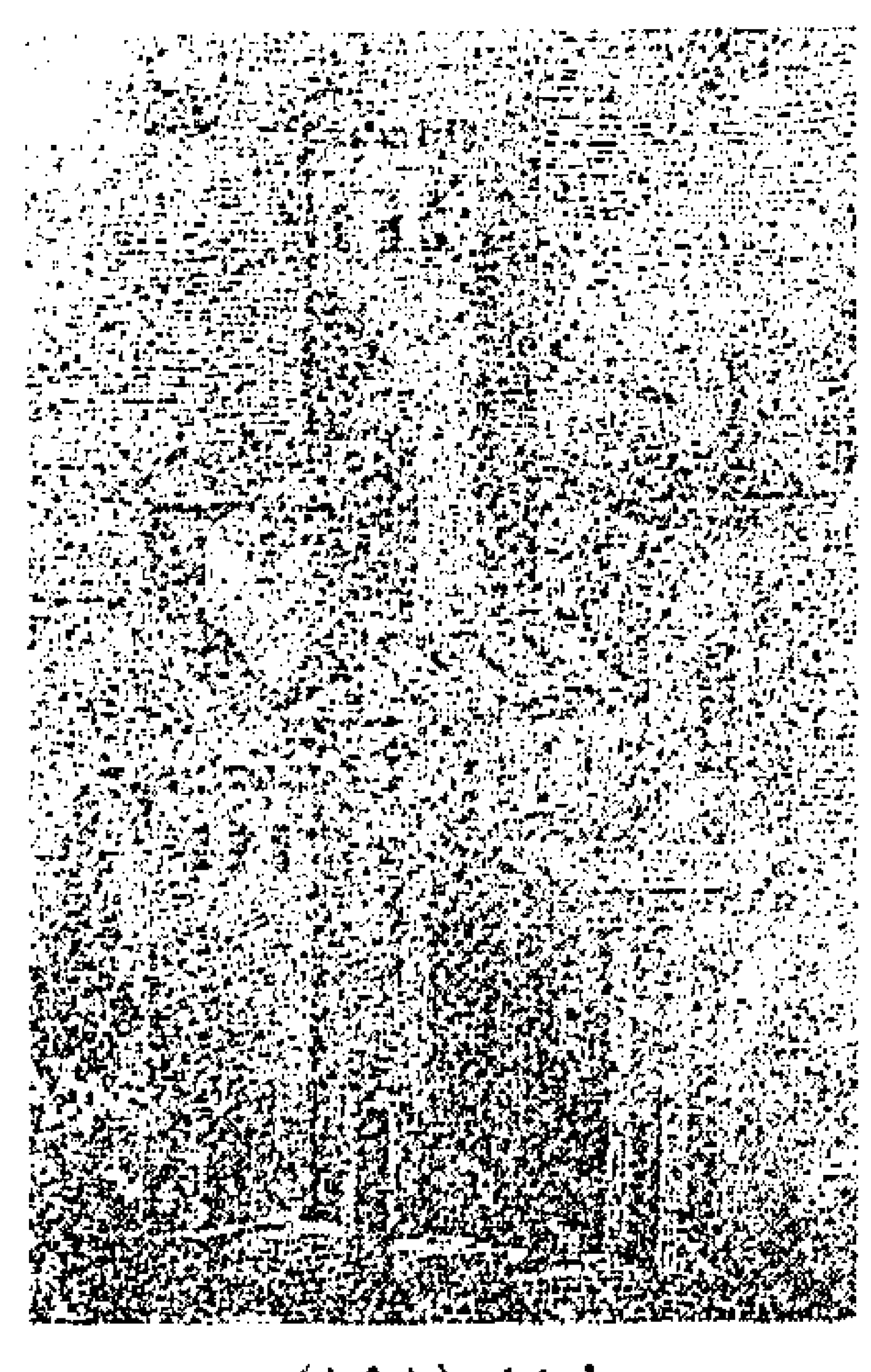
شكل (١٨٩)



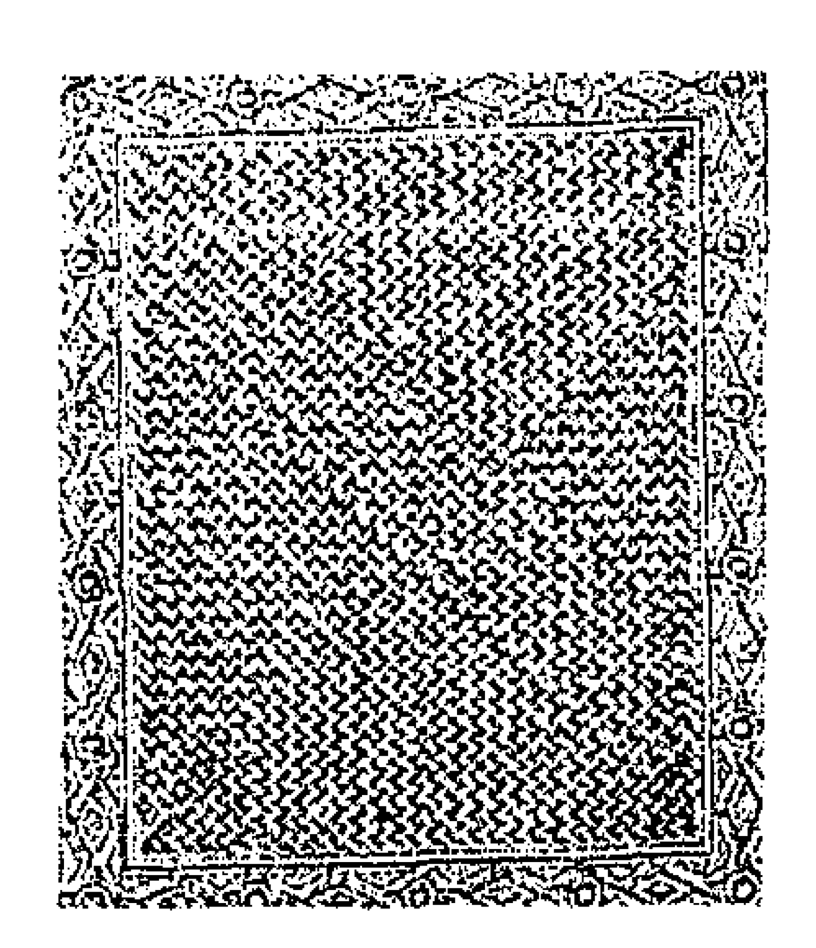


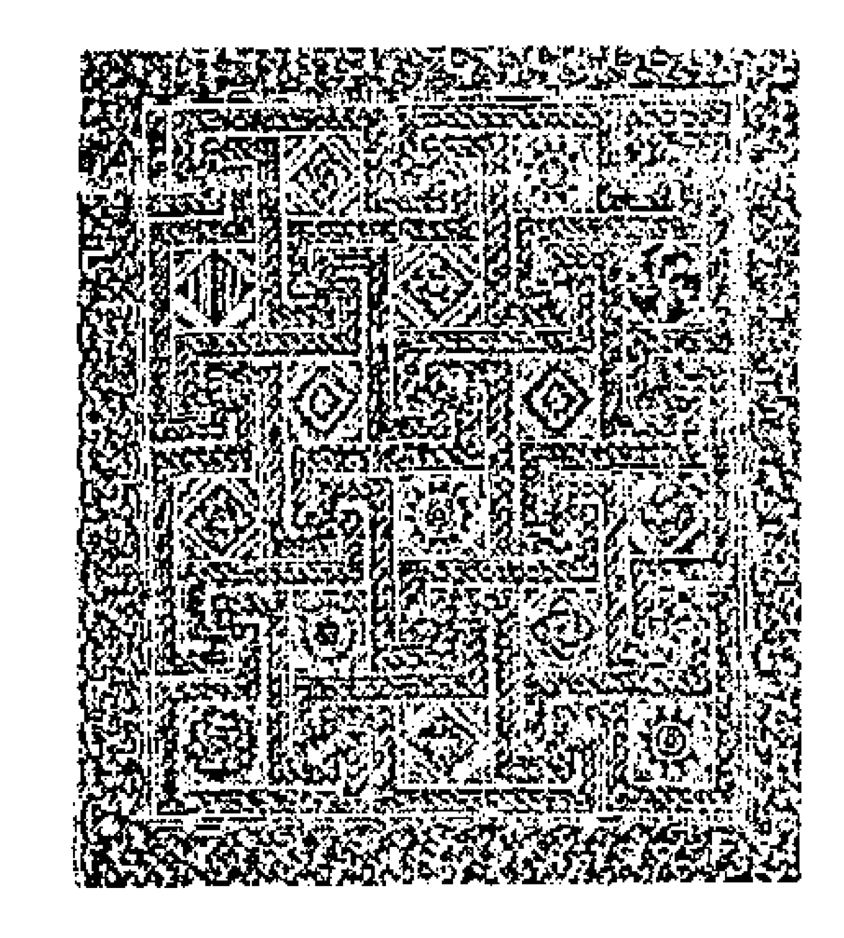


شكل (١٩٠)

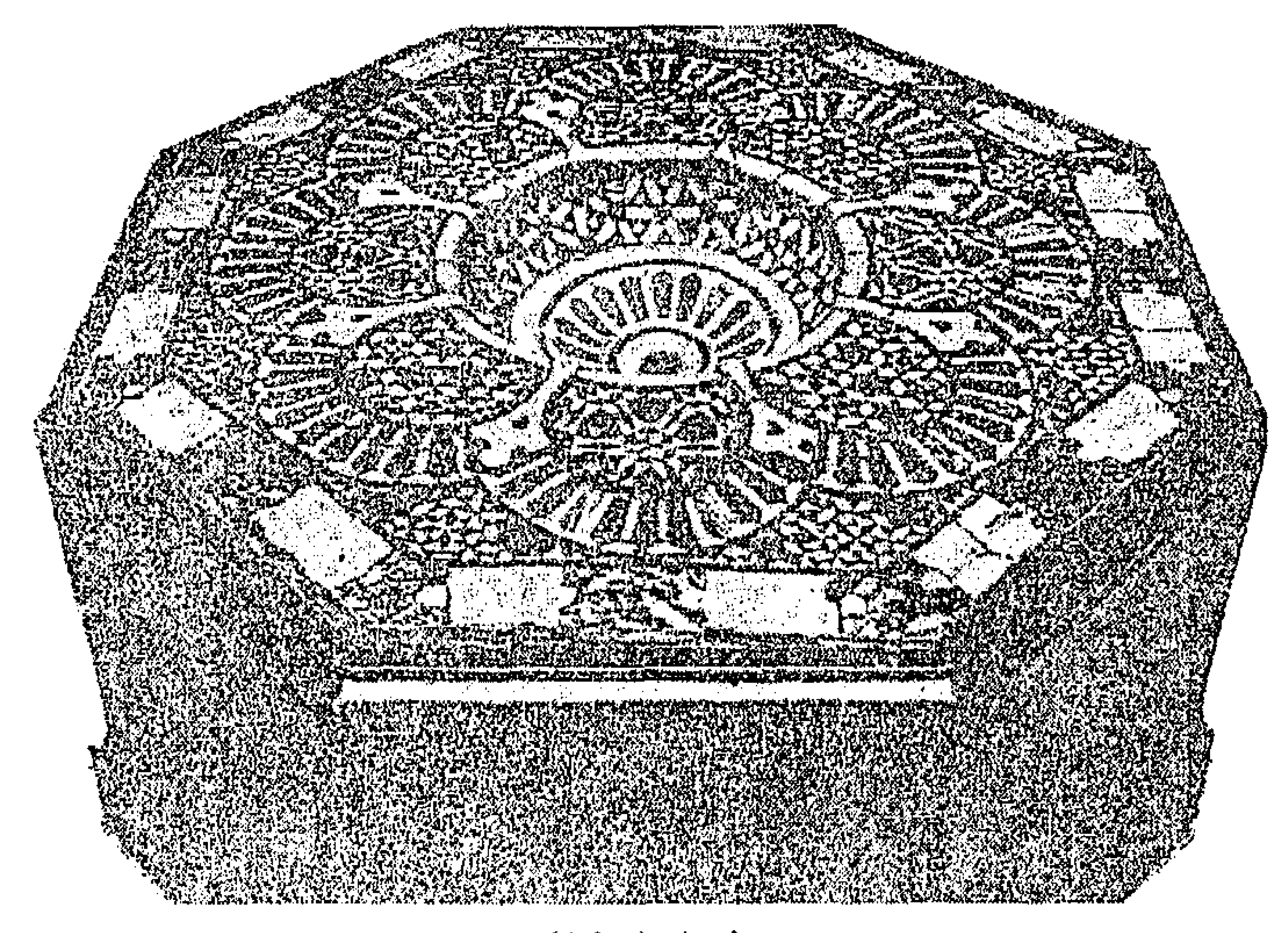


شكل (١٩١)



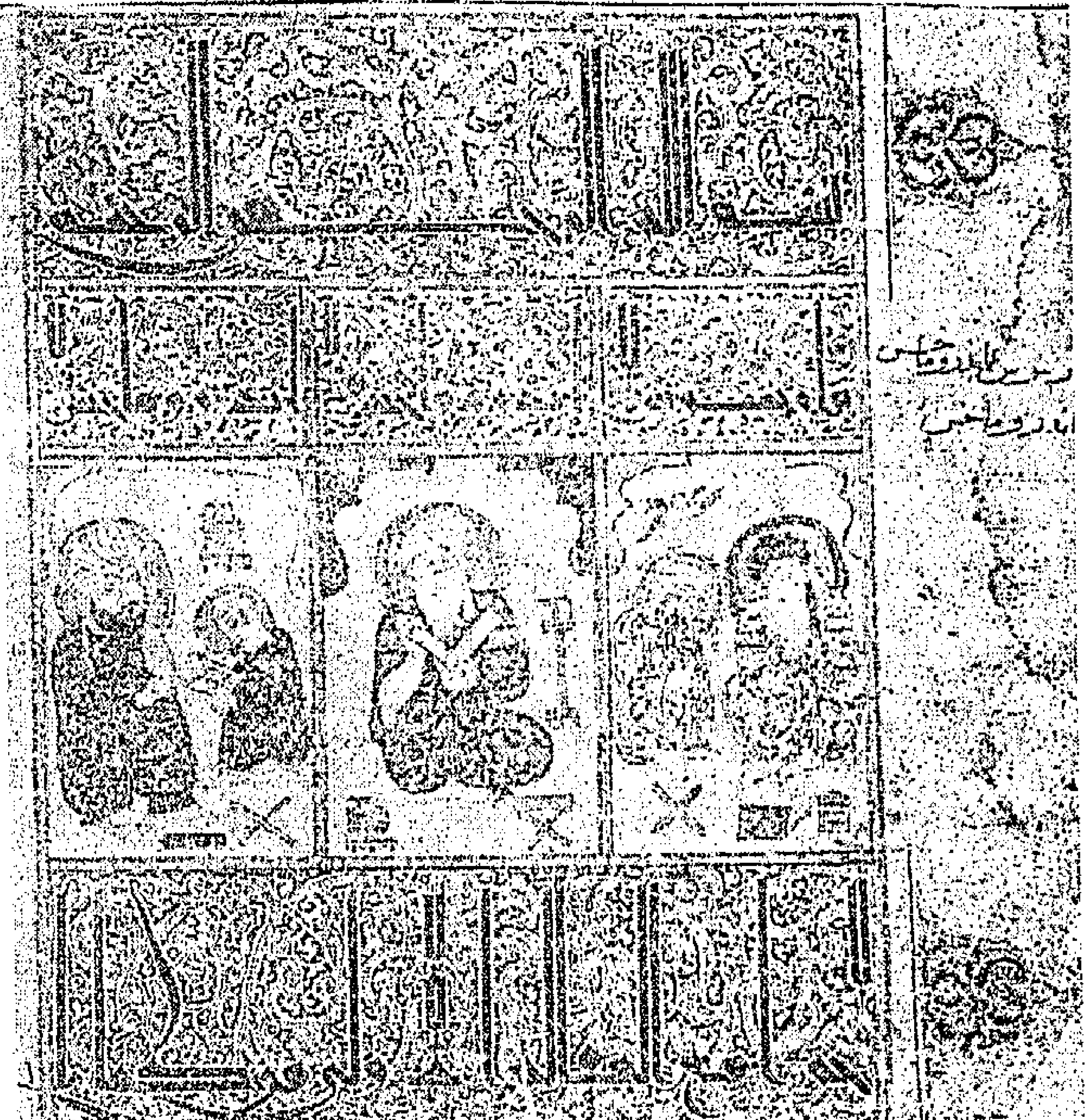


شكل (١٩٢)

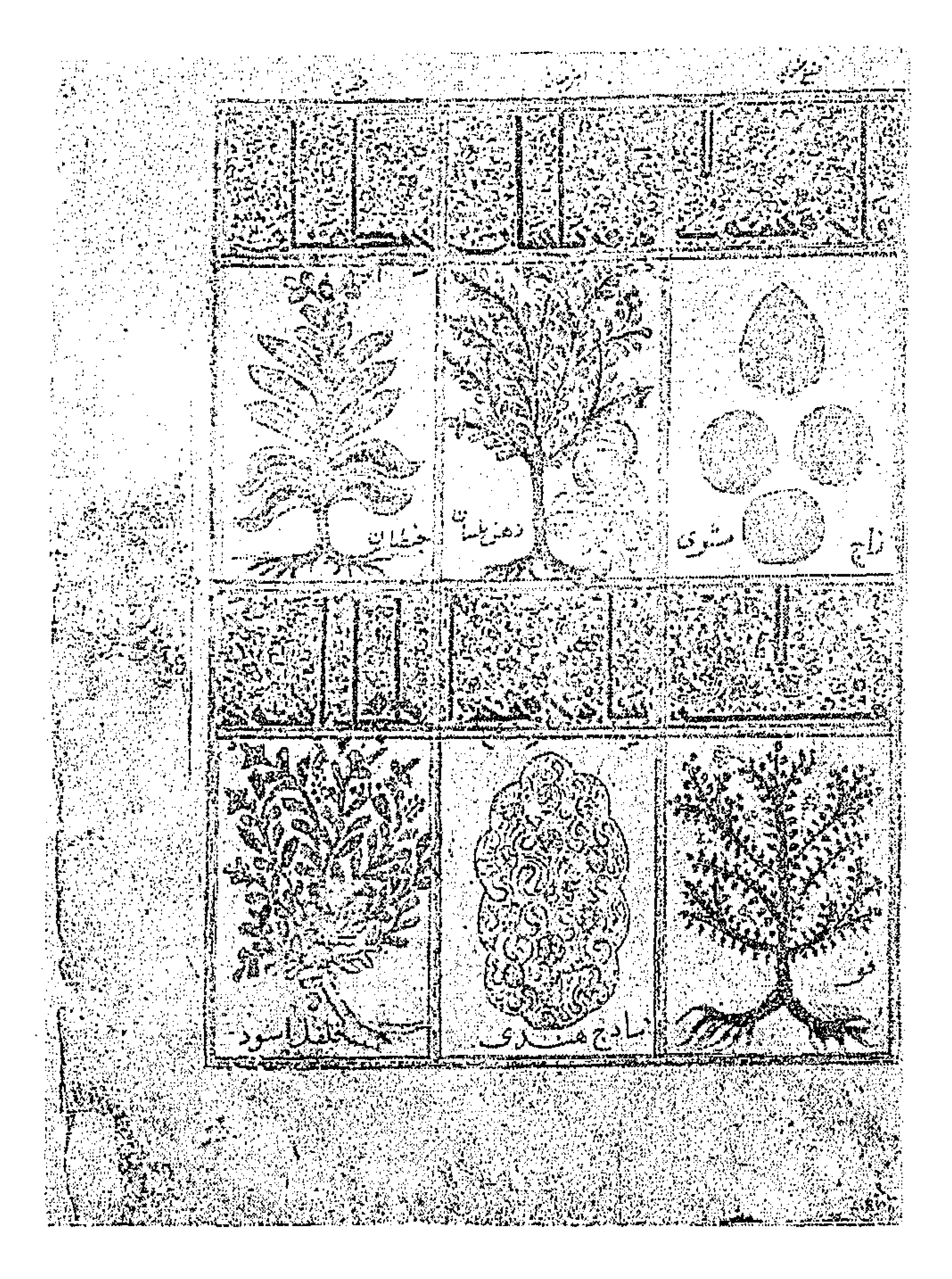


شكل (١٩٣)





شكل (١٩٤)





شكل (١٩٥)



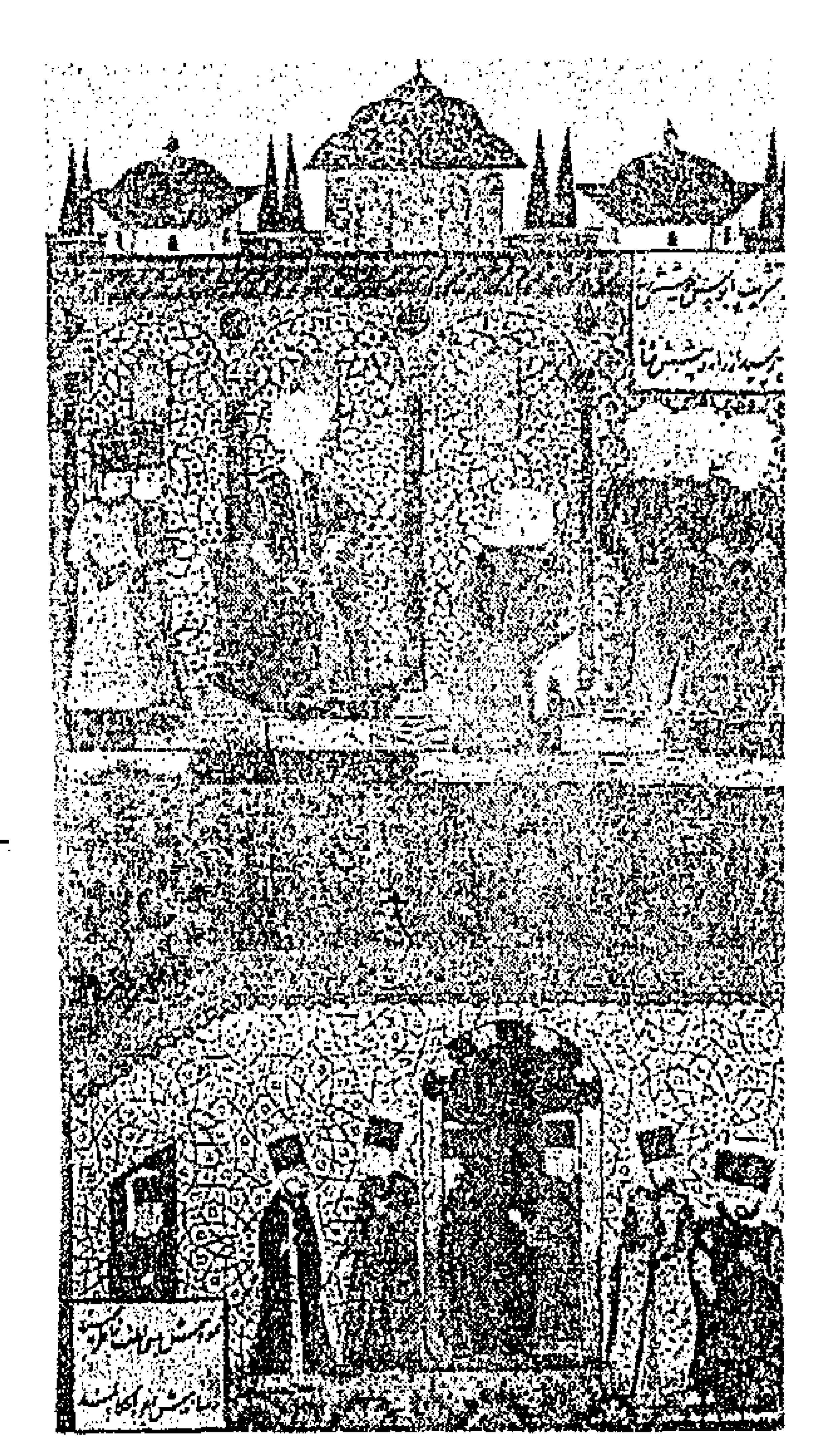
شكل (١٩٦)

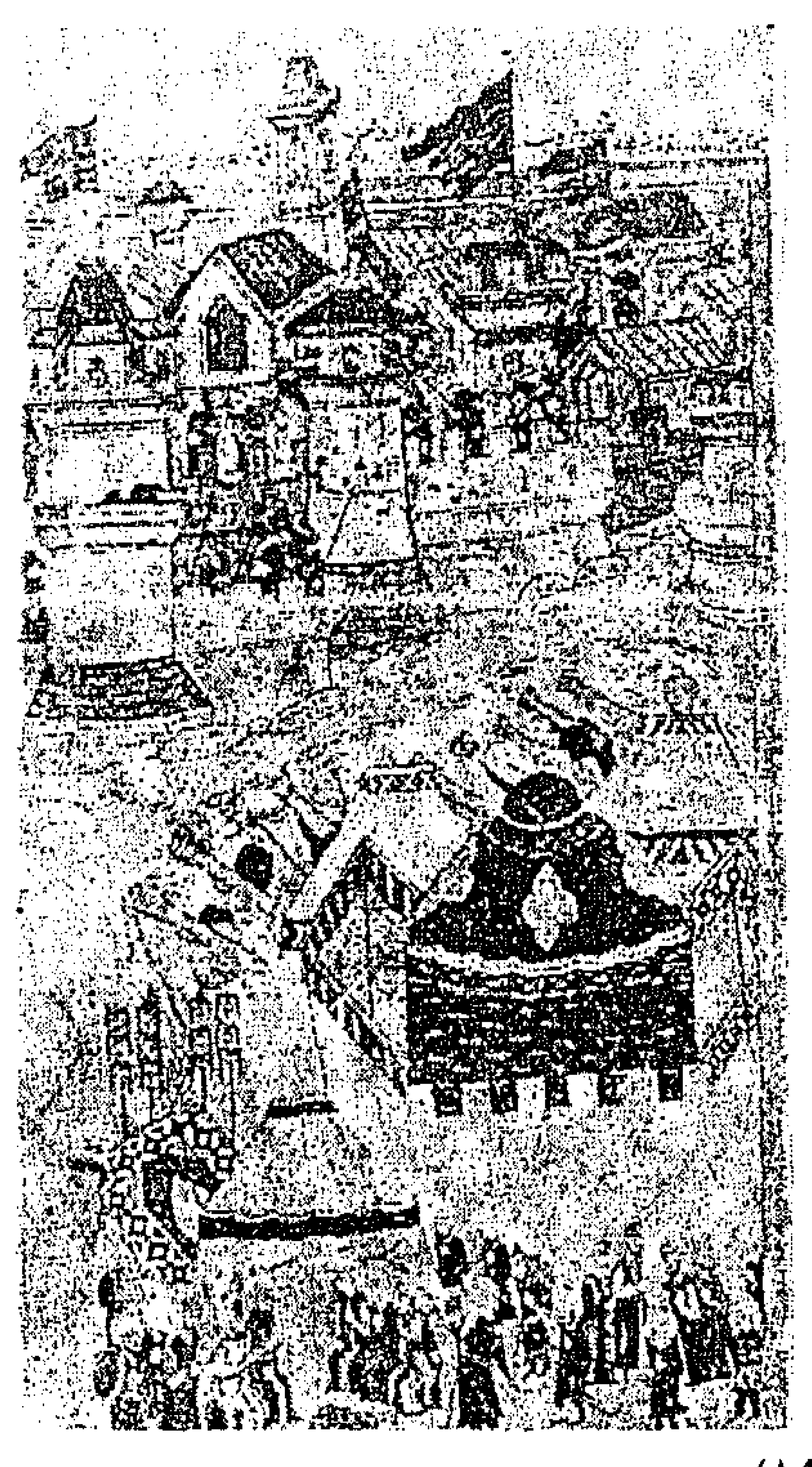


شکل (۱۹۷)

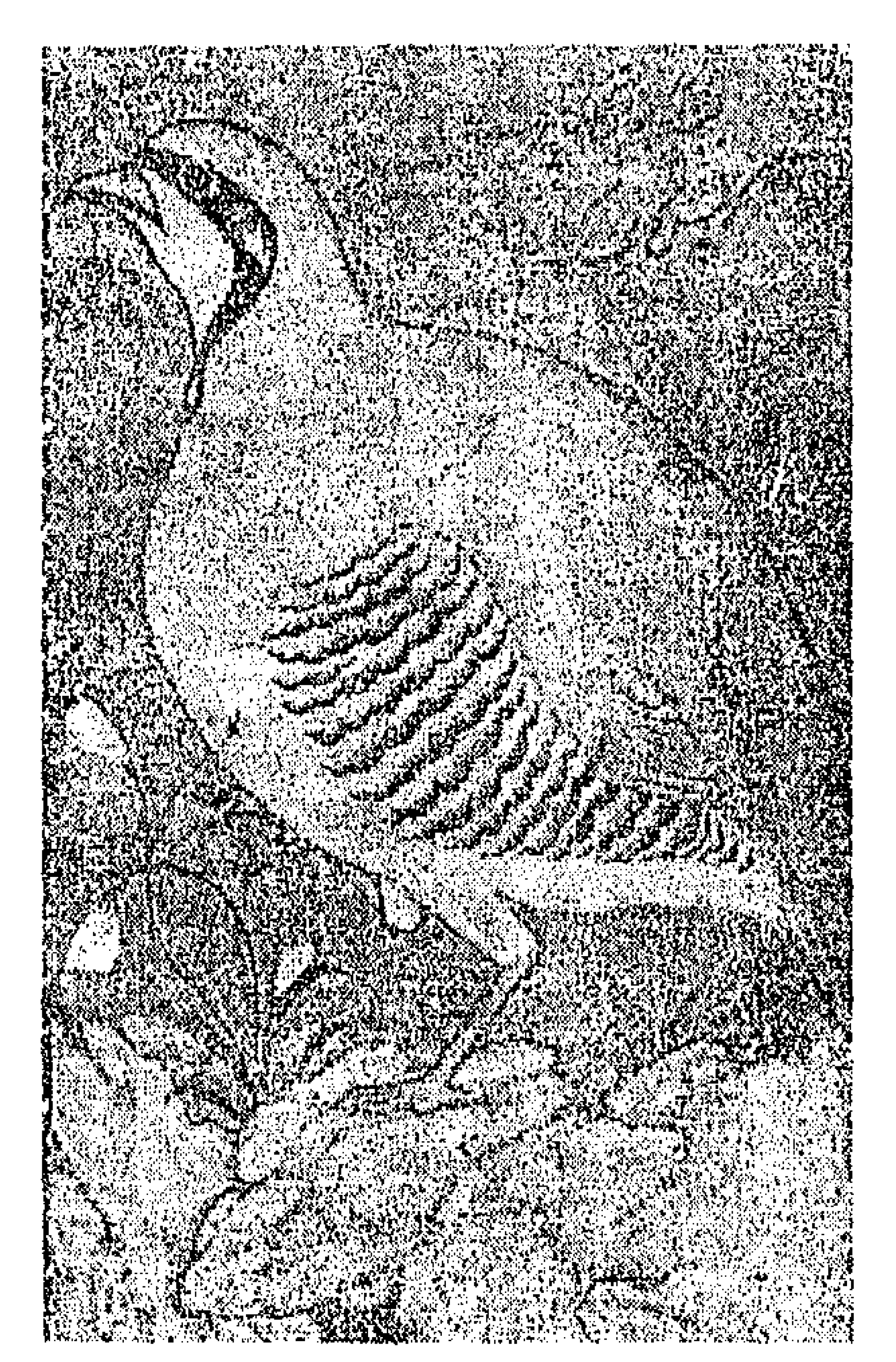


شكل (١٩٨)



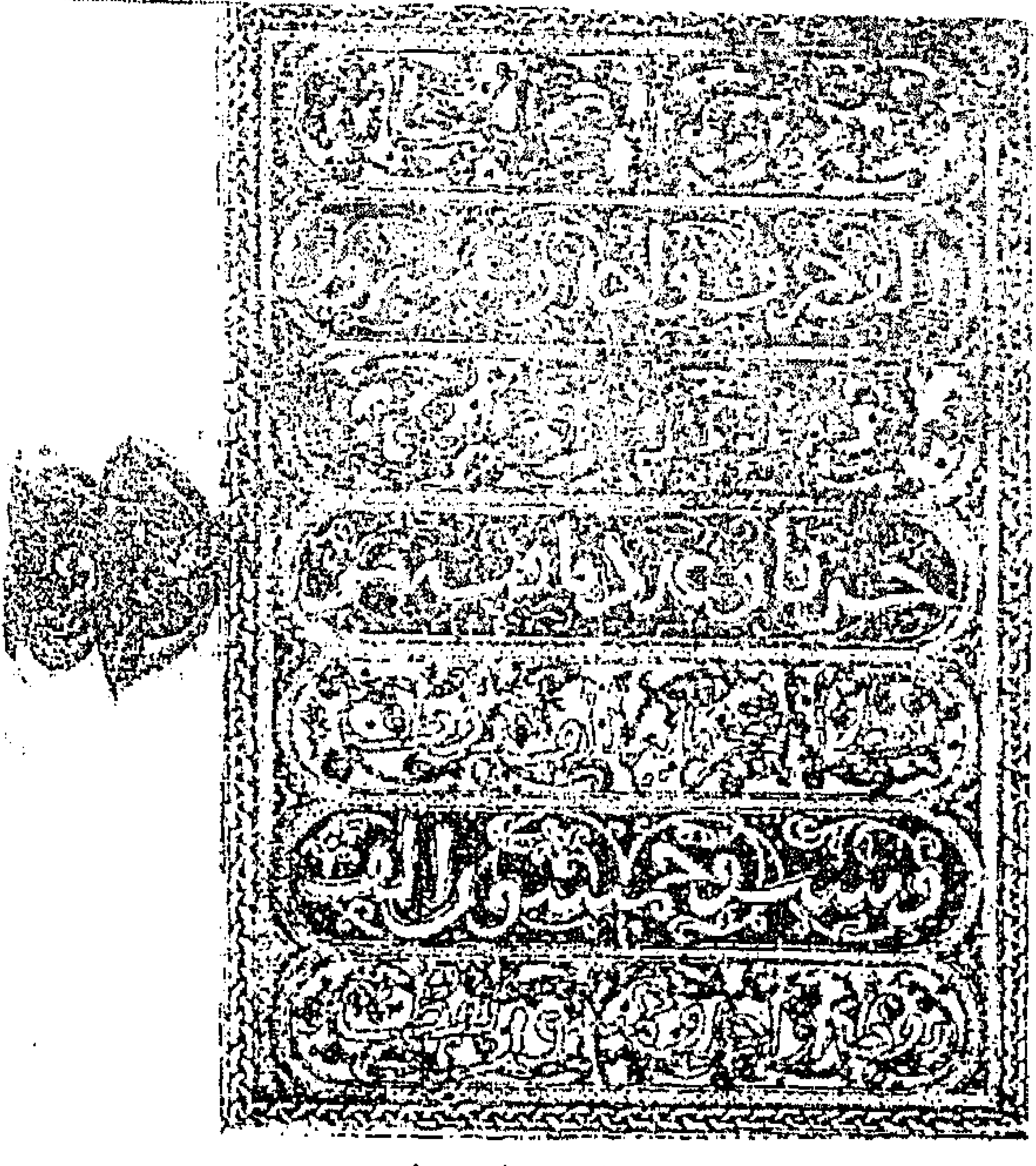


شكل (١٩٩)

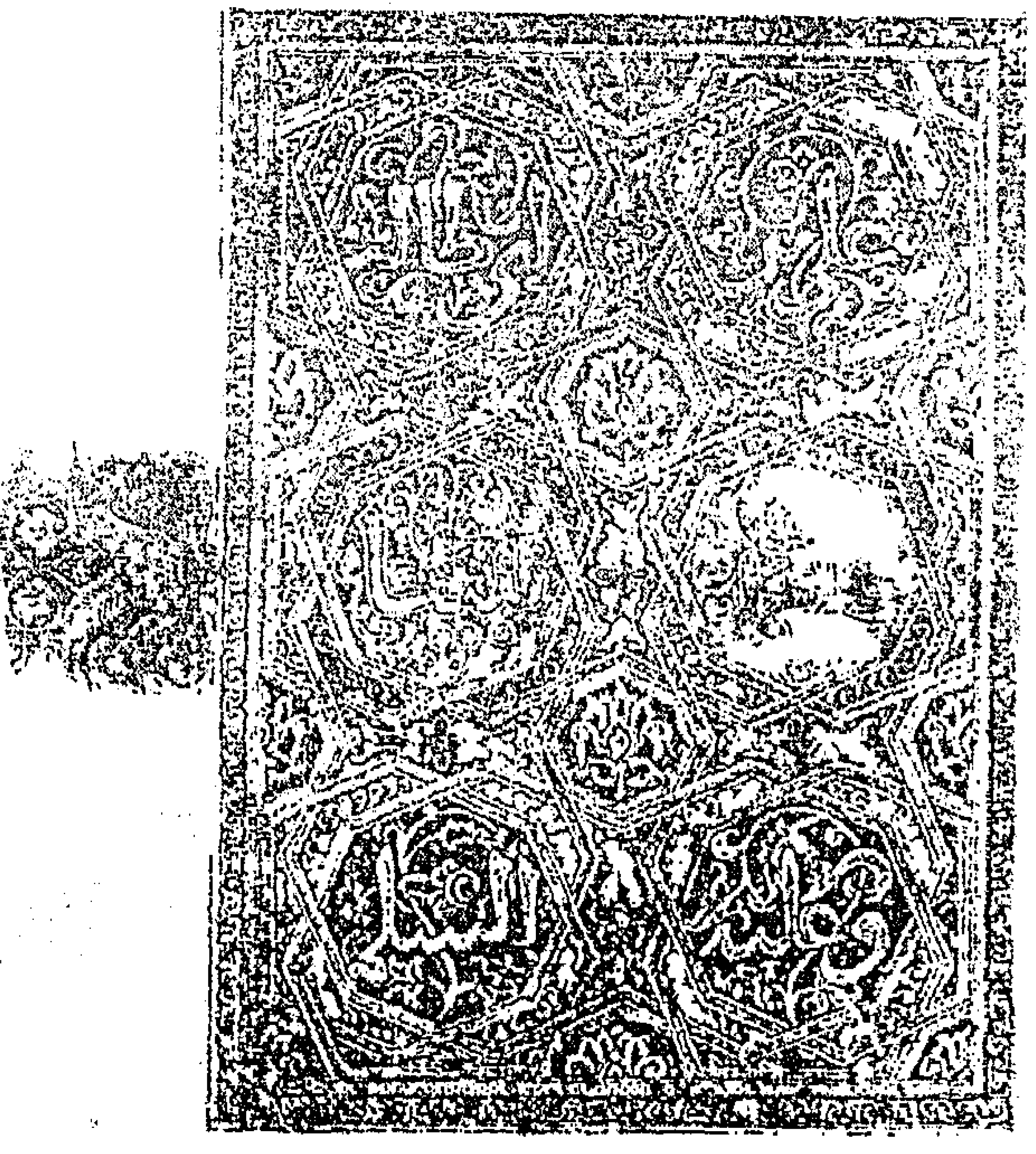




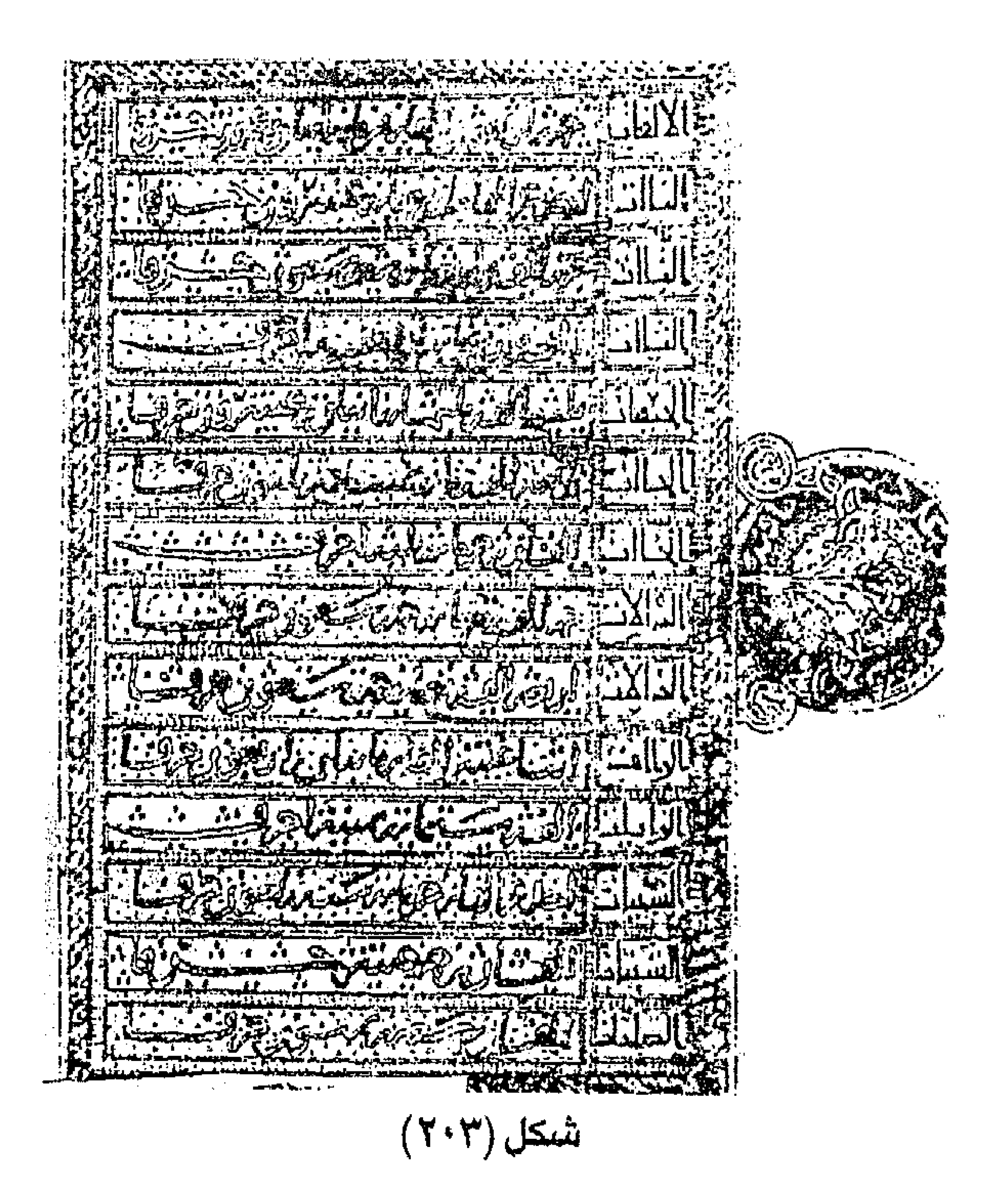
شكل (٢٠٠)



شكل (٢٠١)



شكل (٢٠٢)

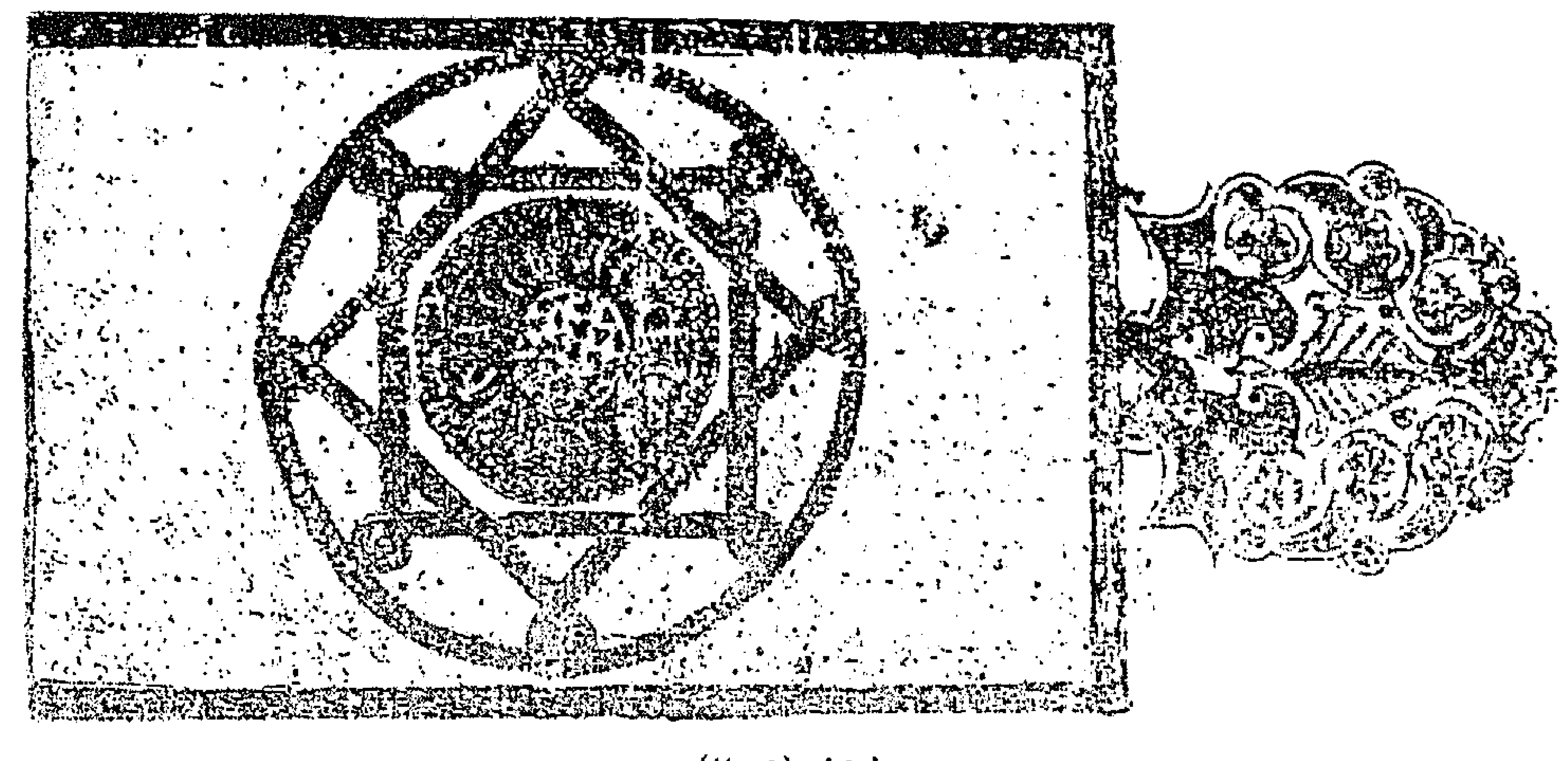


شكل (٢٠٣)

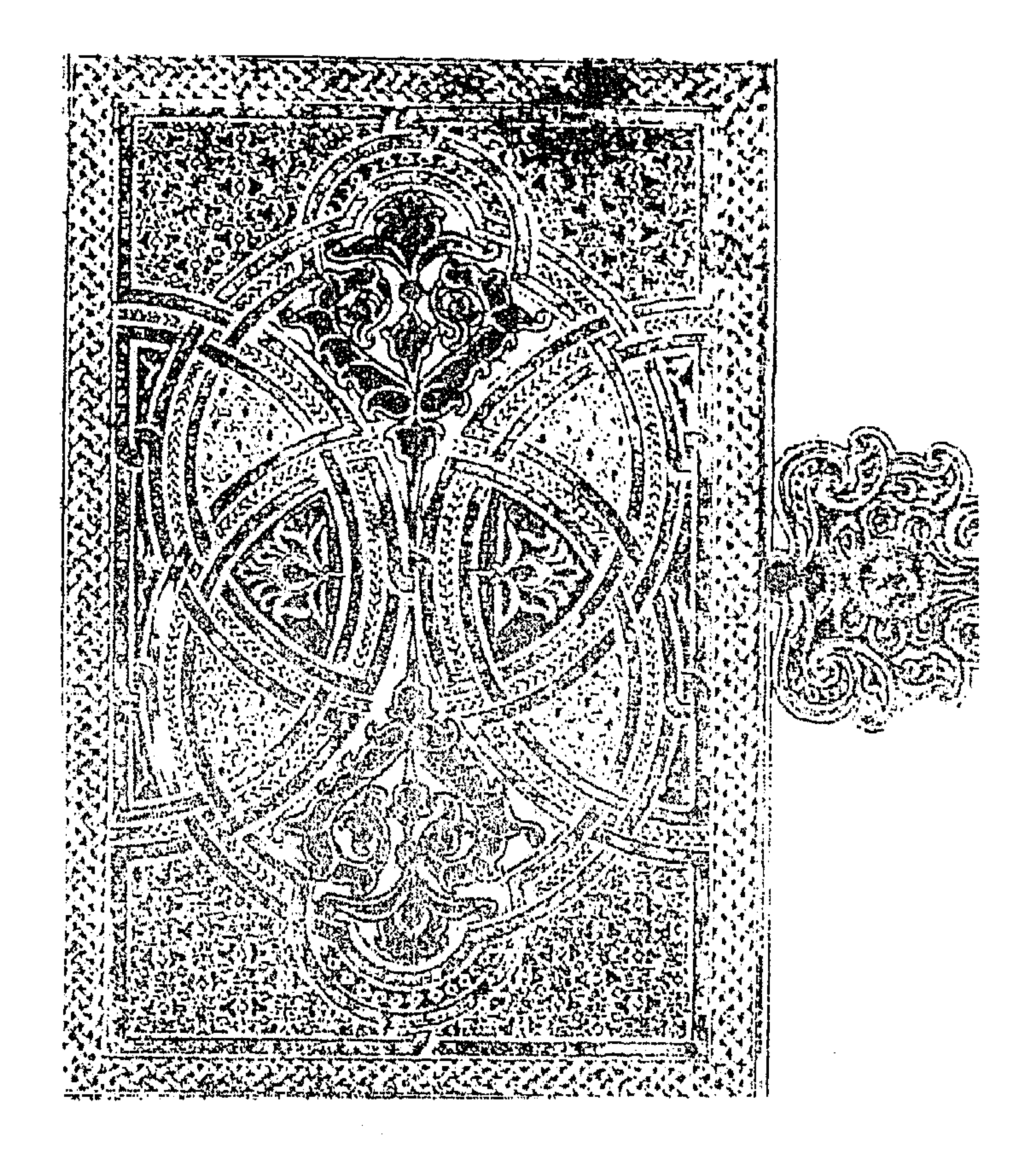
صدق الله العظيم الحي القيوم الذي
لا إله إلا هو وبلغت الرسل الكرام
على ما قال ربنا ومولانا من الشاهدين
وصلى الله على سيدنا نبيه محمد
وعترته الطاهرين وسلم عليهم
أجمعين ولا قوة إلا بالله رب العالمين

كتب هذه الختمة علي بن هلال بمدينة السلام
سنة إحدى وتسعين وثلثمائة حامدا لله
تعالى على نعمه ومصليا على نبيه محمد وآله
ومسلم تسليما

شكل (٢٠٤)



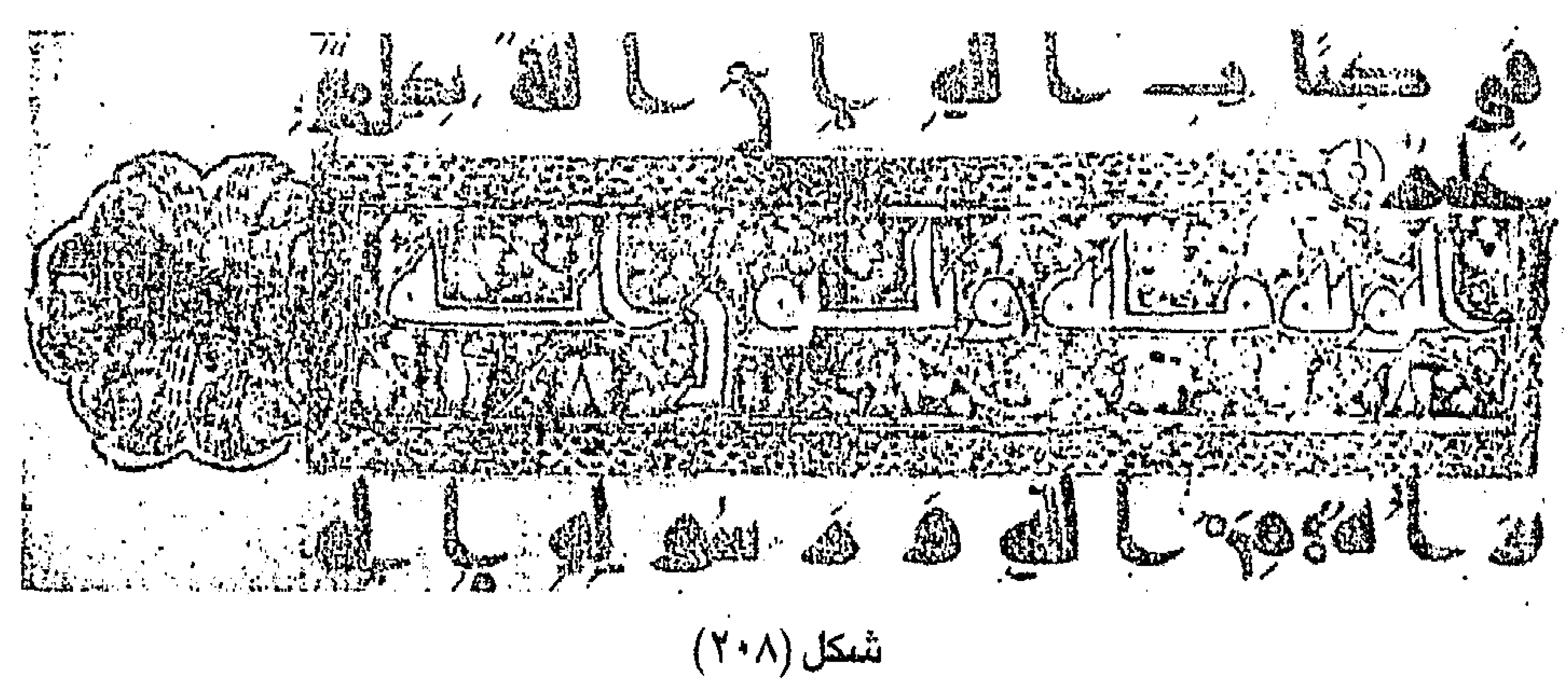
شكل (٢٠٥)



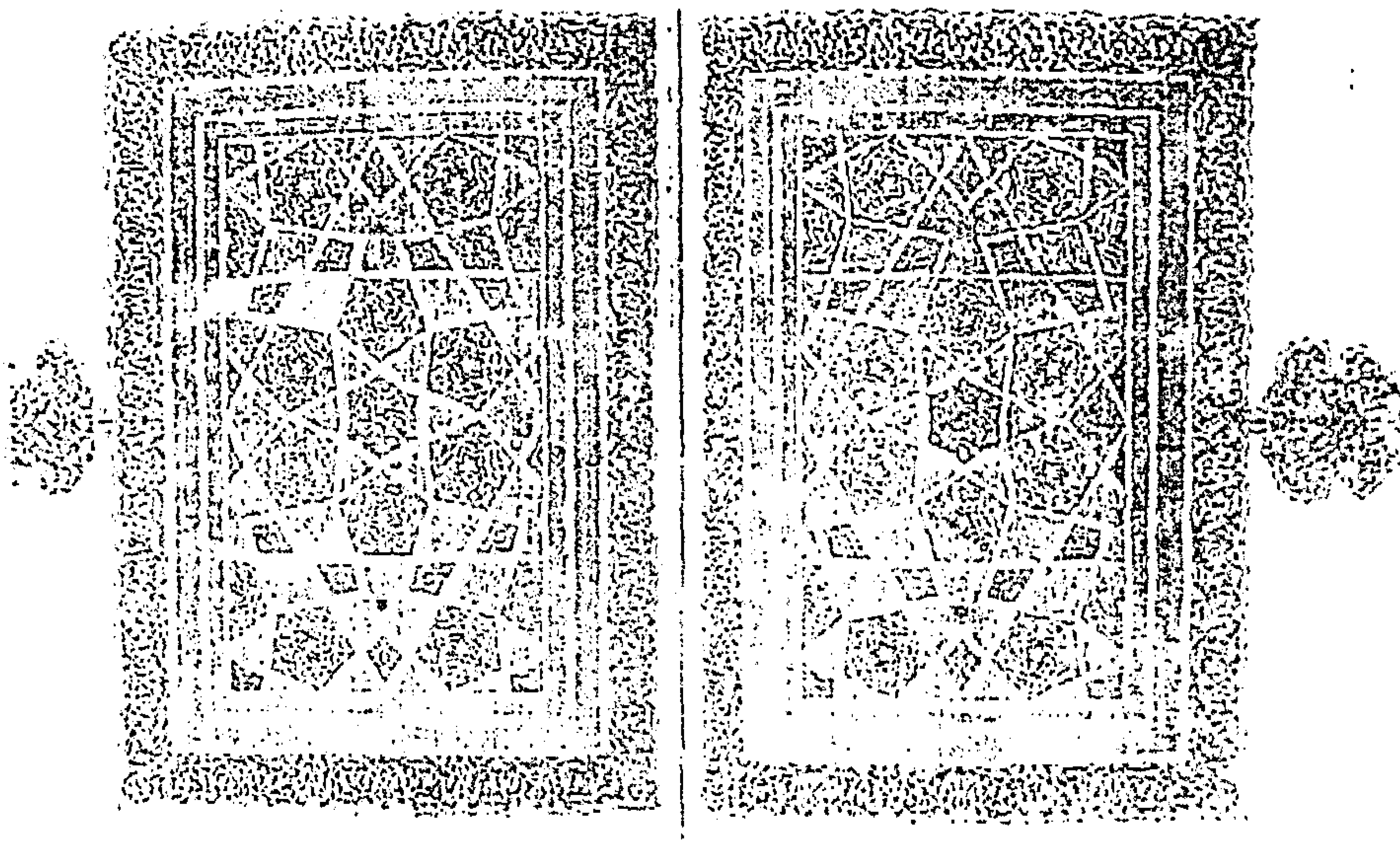
شكل (٢٠٦)



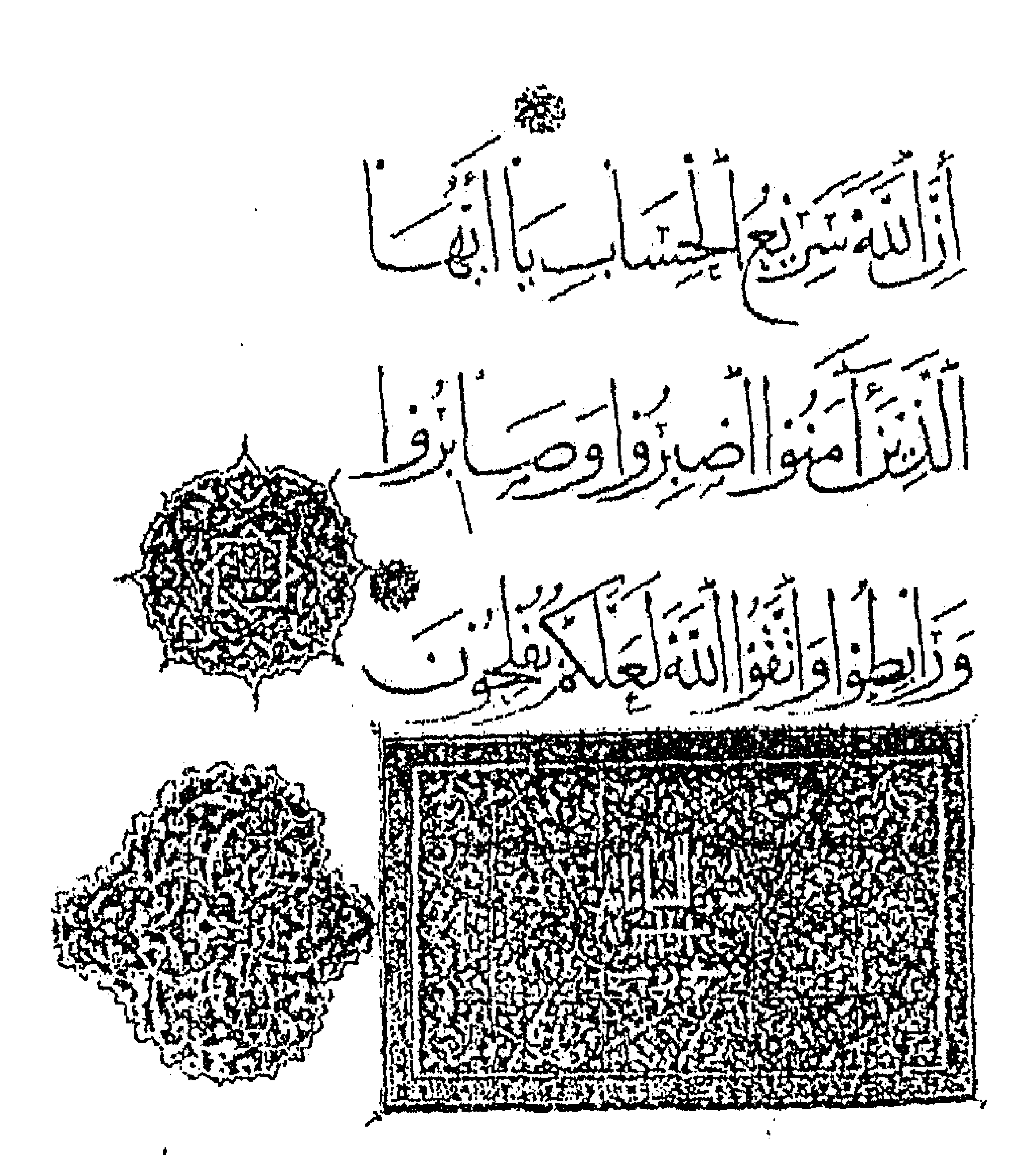
شكل (٢٠٧)



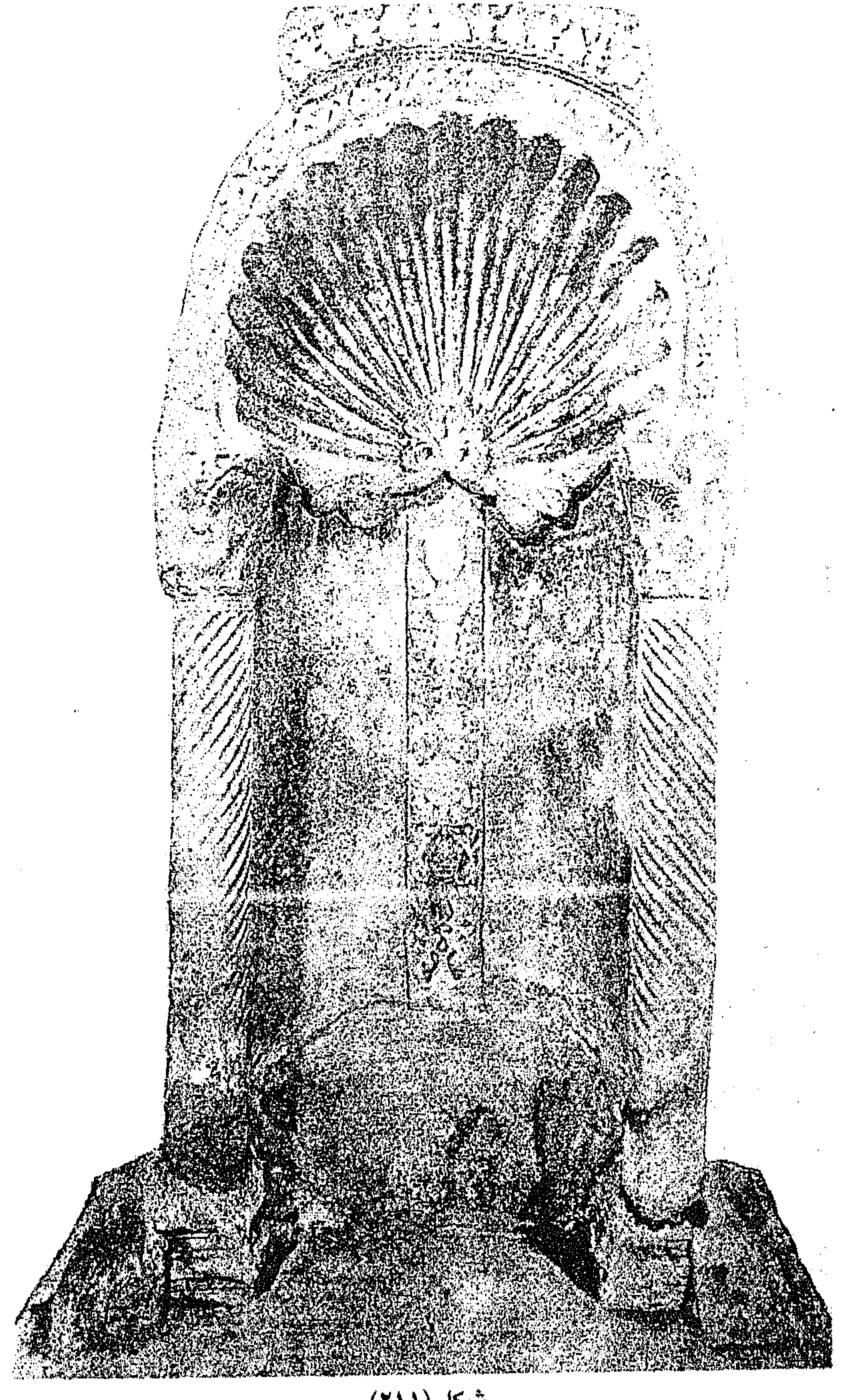
شكل (٢٠٨)



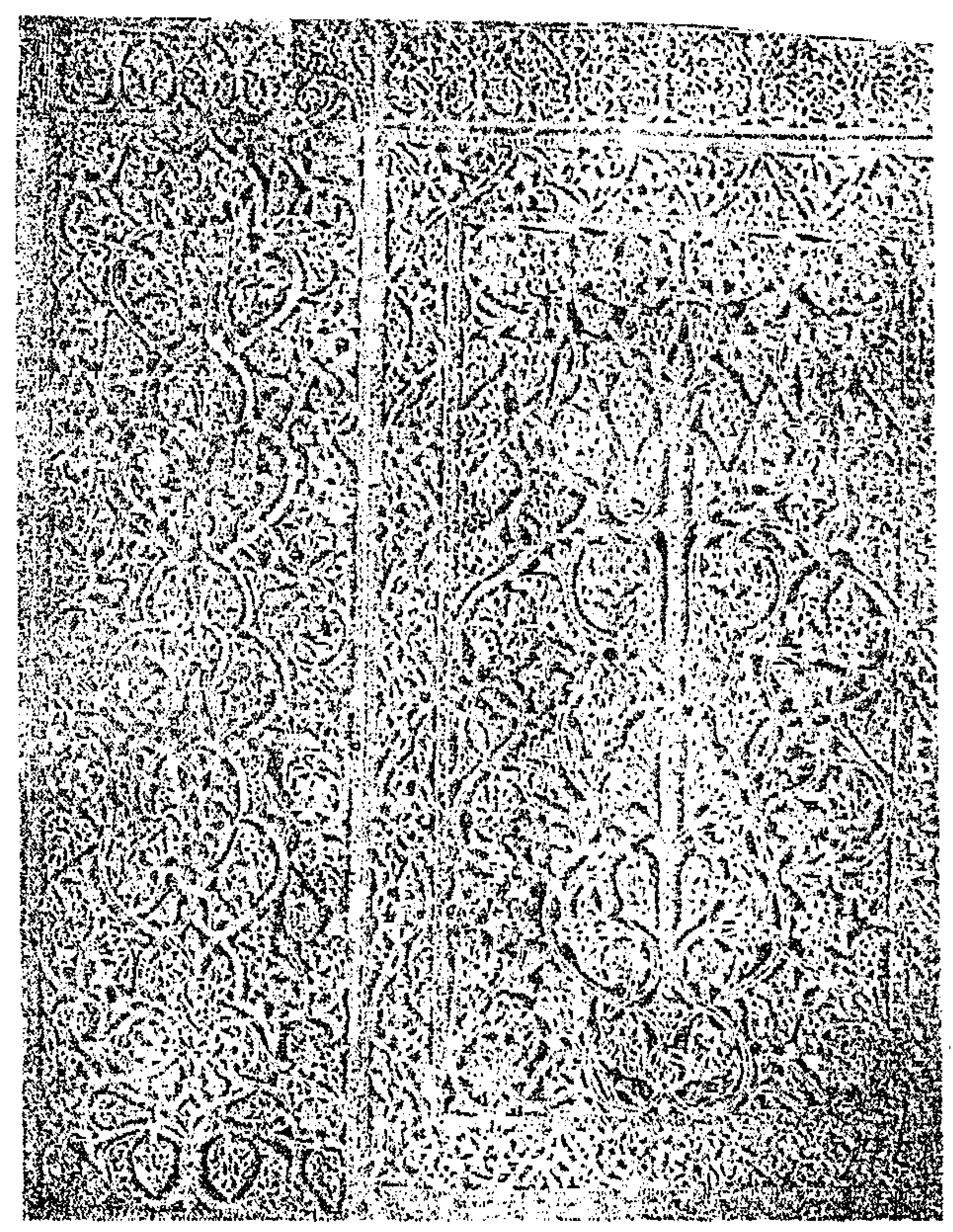
شكل (٢٠٩)

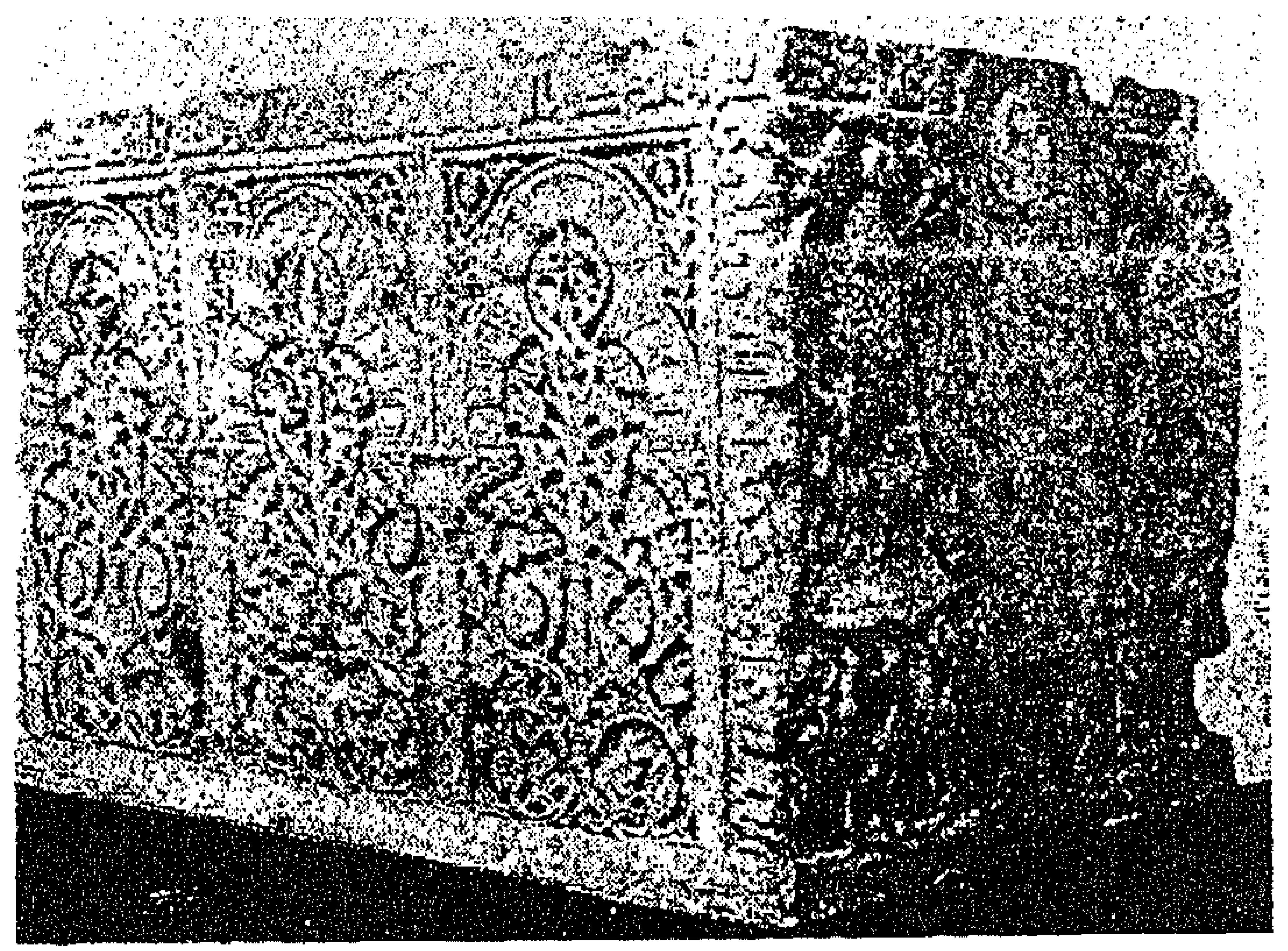


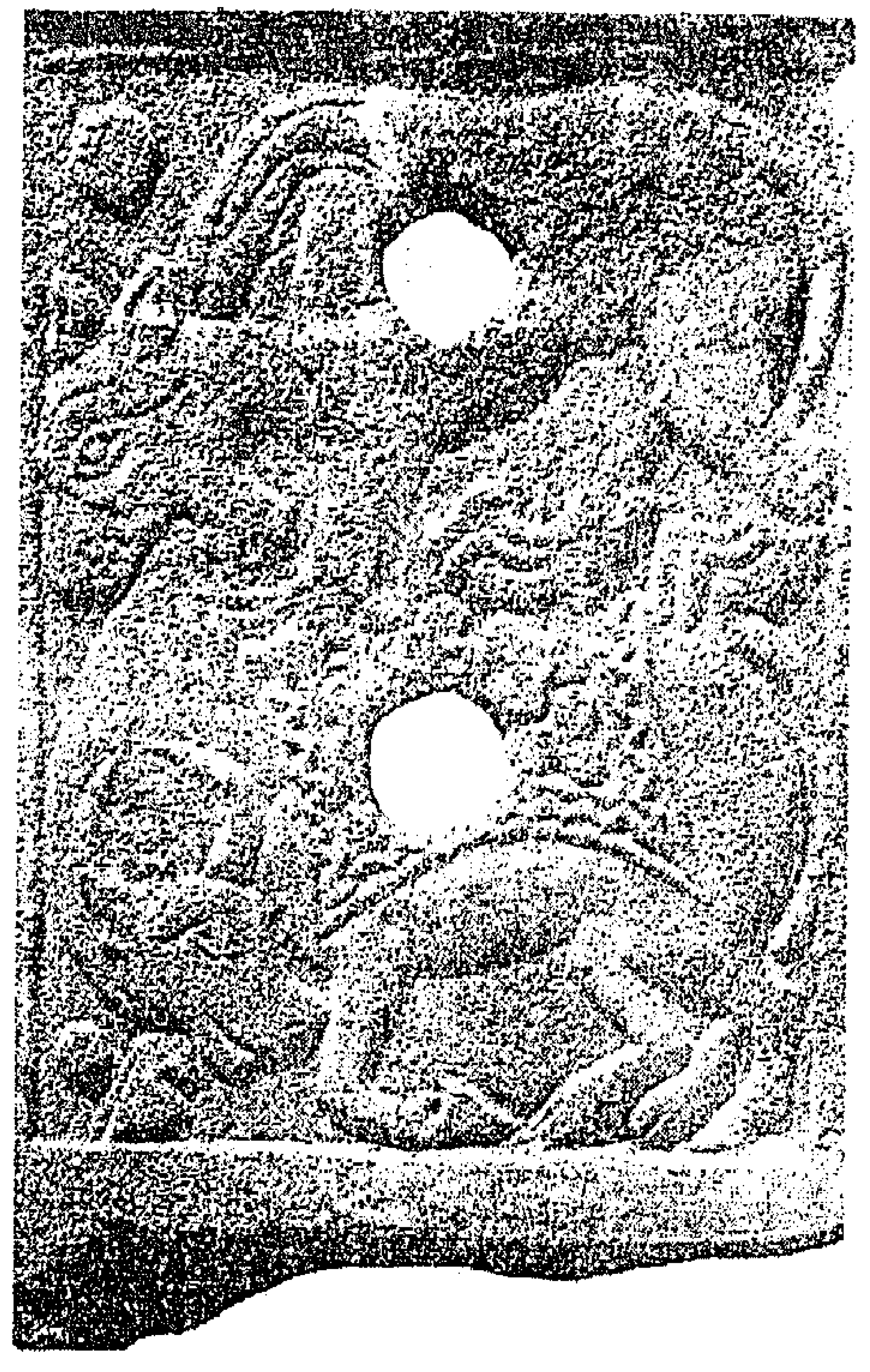
شكل (٢١٠)



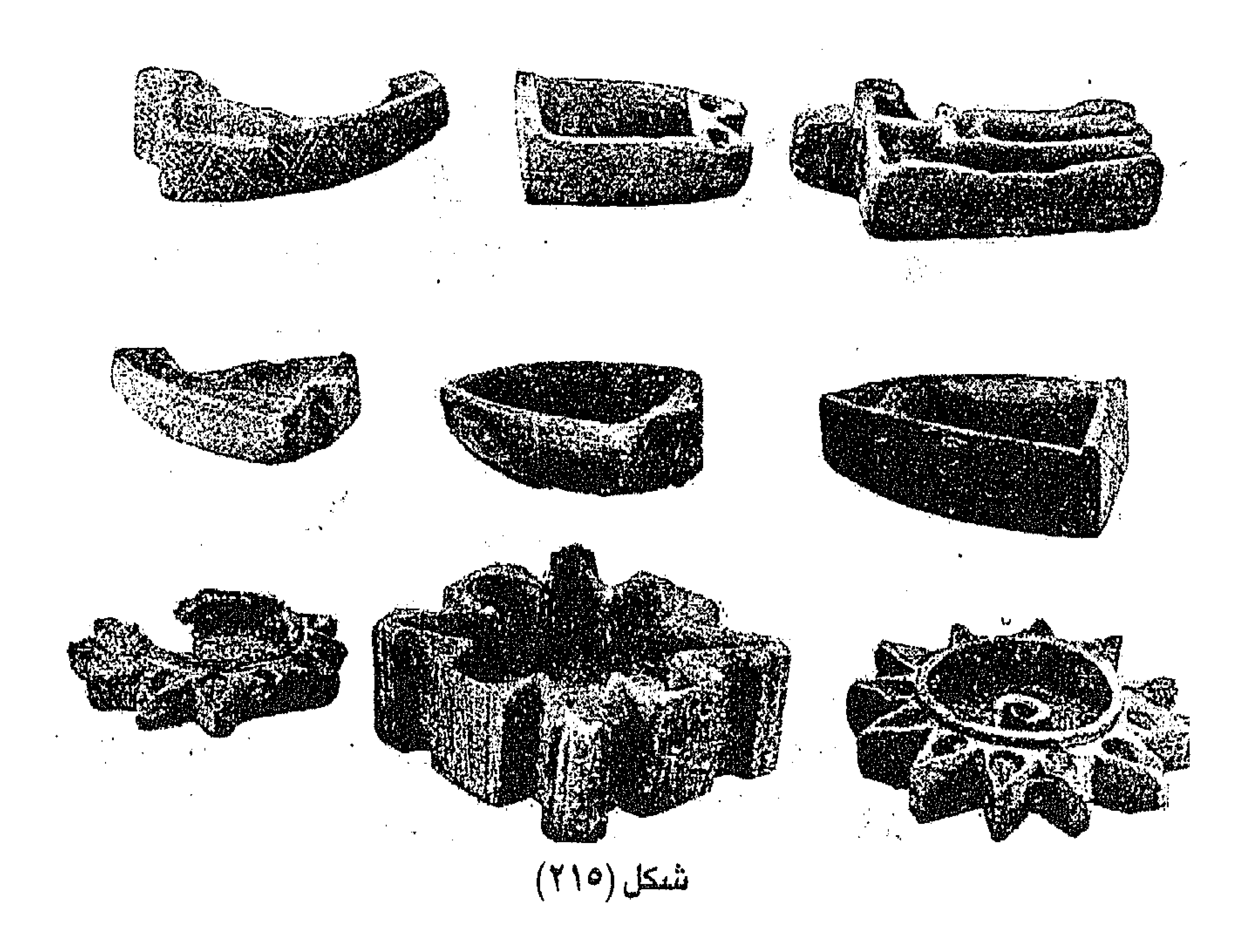
شكل (٢١١)


شكل (٢١٢)


شكل (٢١٣)



شكل (٢١٤)



شكل (٢١٥)

شكل (٢١٦)

شكل (٢١٧)

شكل (٢١٨)

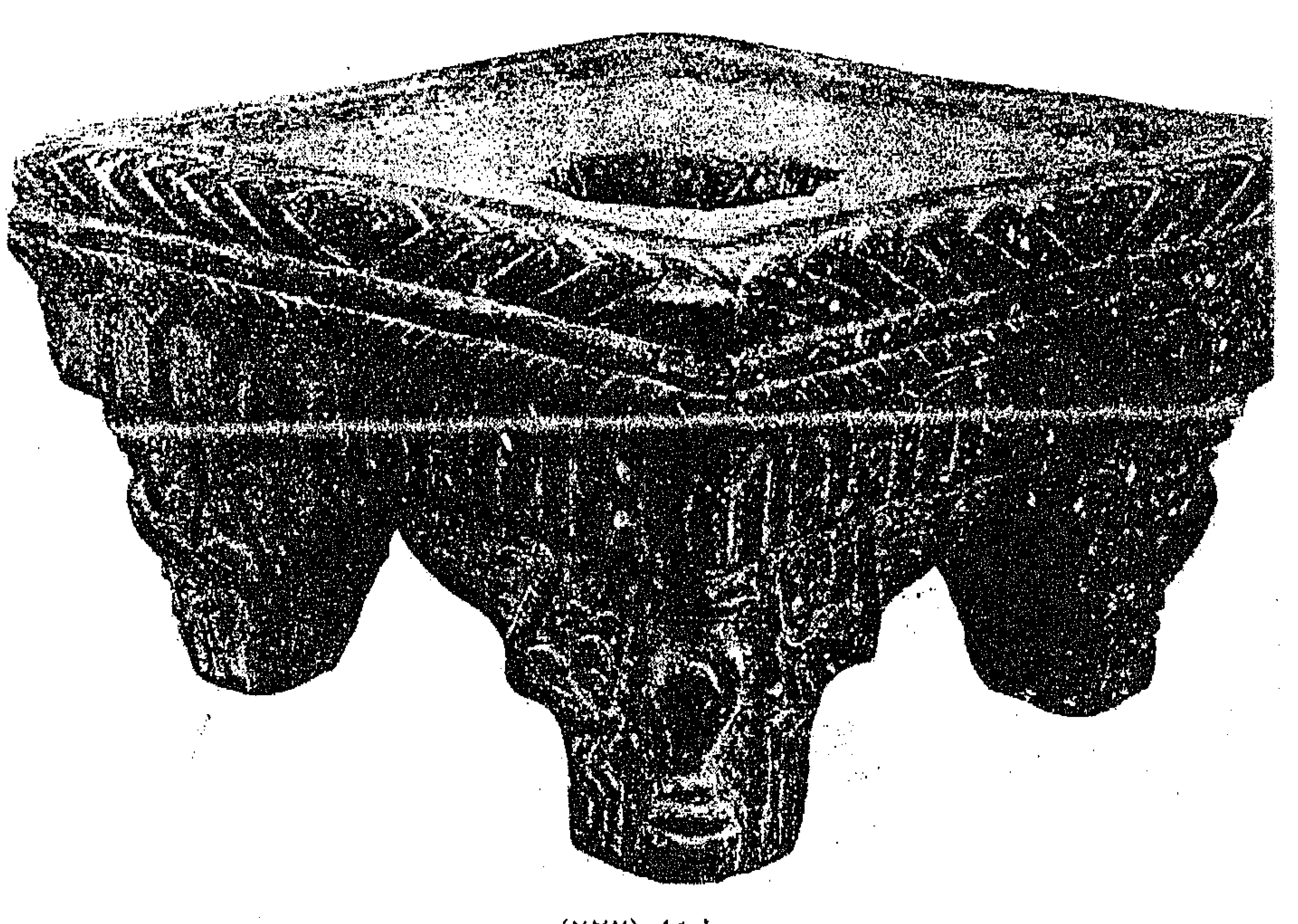
شكل (٢١٩)



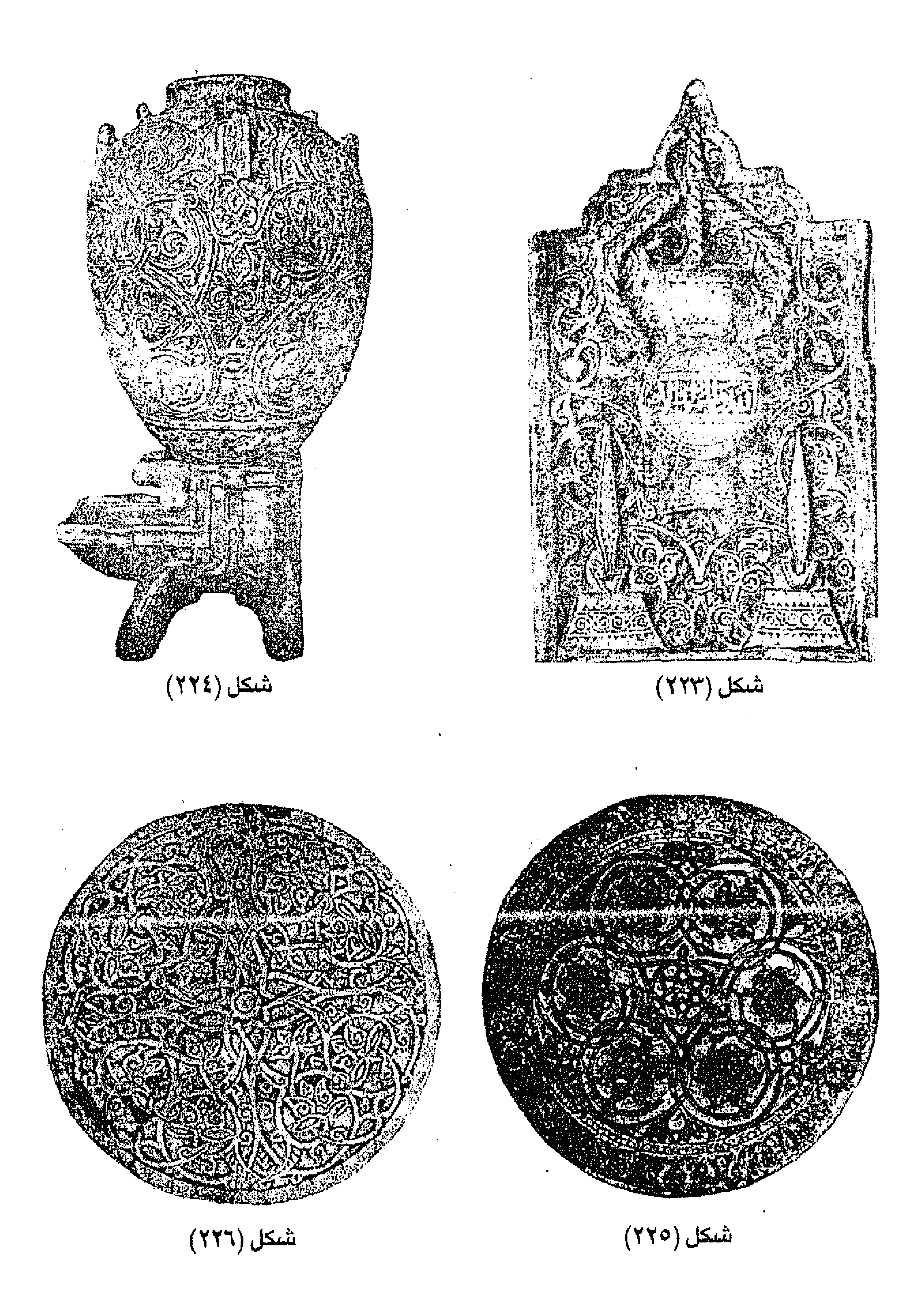
شكل (٢٢٠)



شكل (٢٢١)



شكل (٢٢٢)

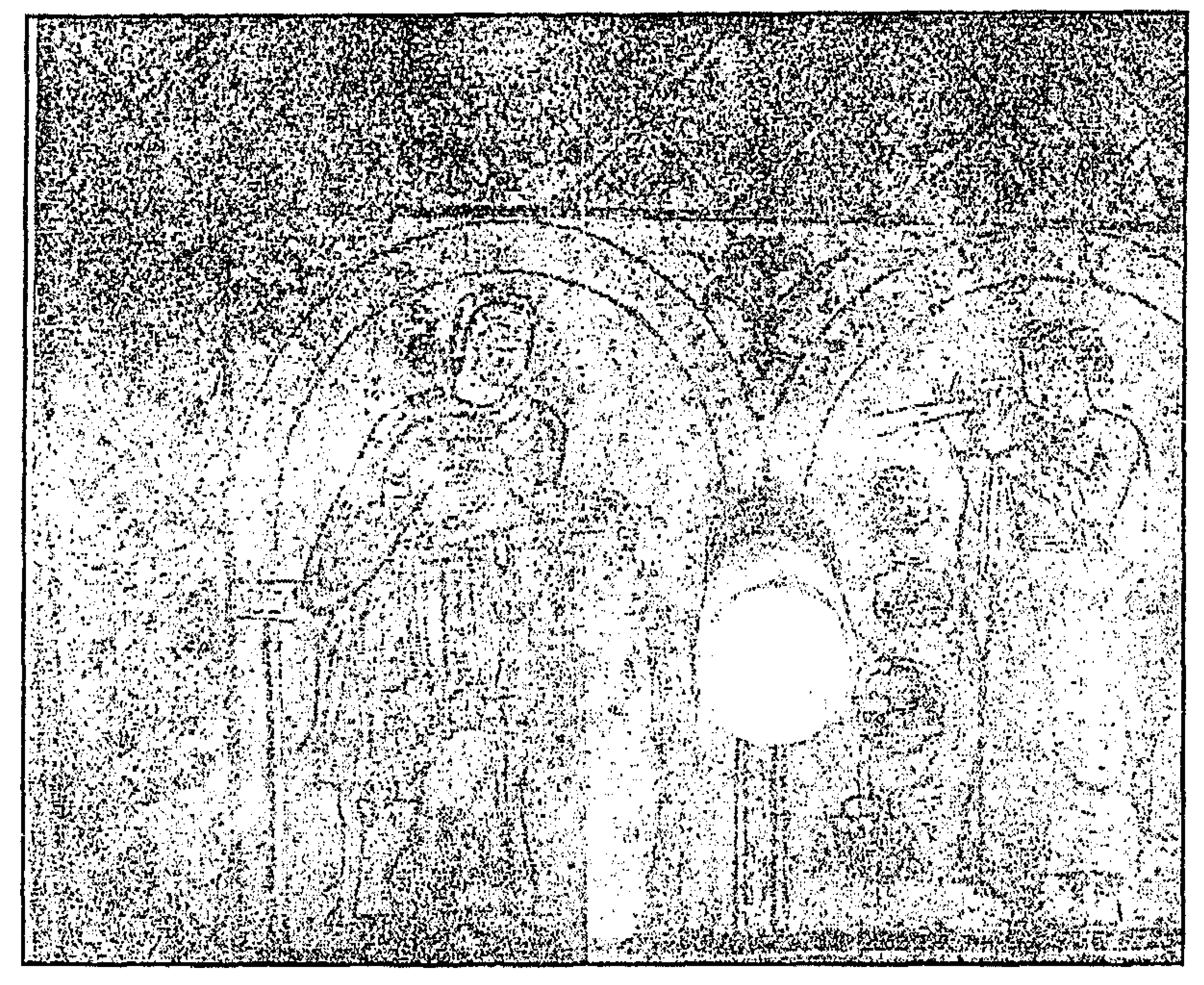


شكل (٢٢٣)

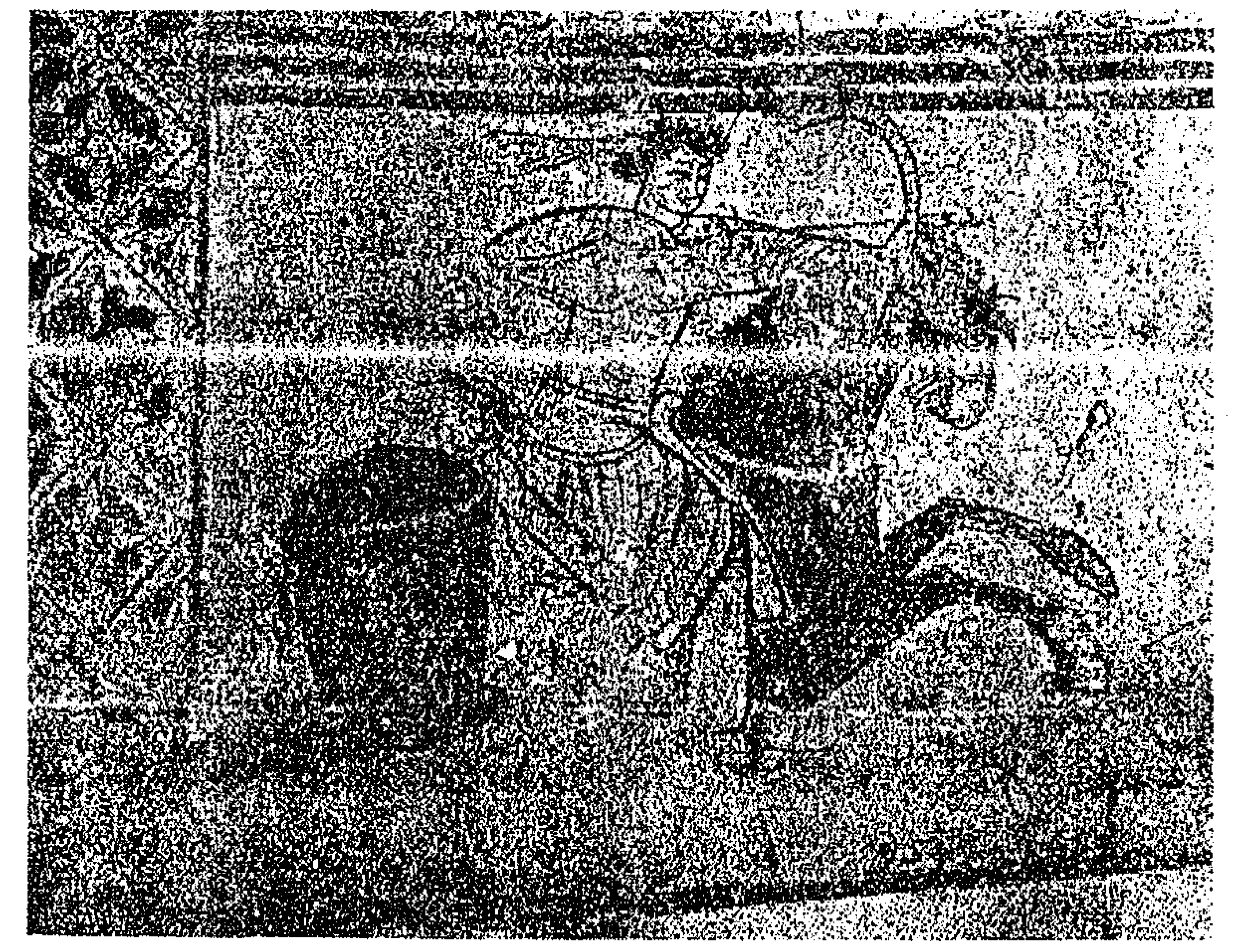
شكل (٢٢٤)

شكل (٢٢٥)

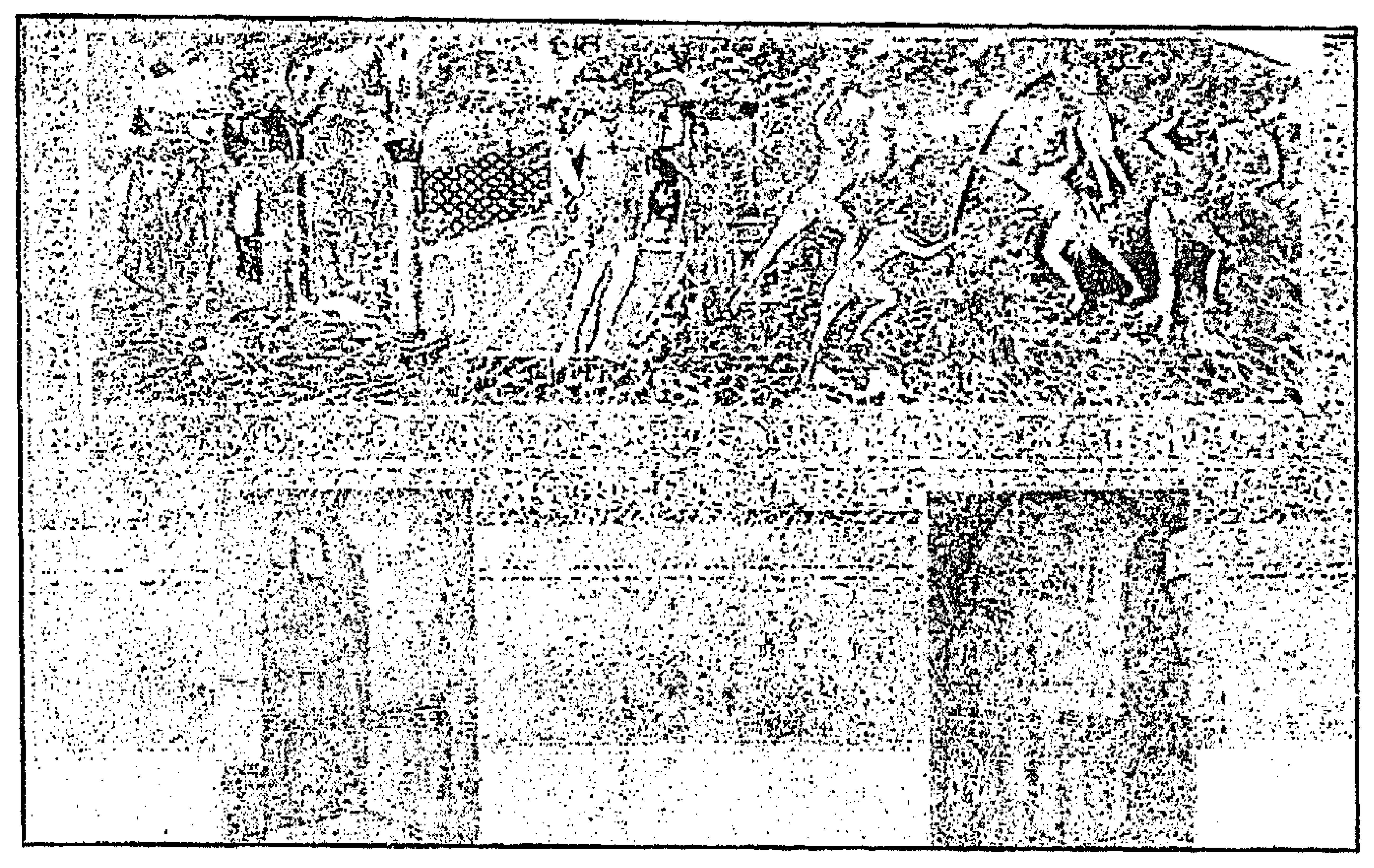
شكل (٢٢٦)



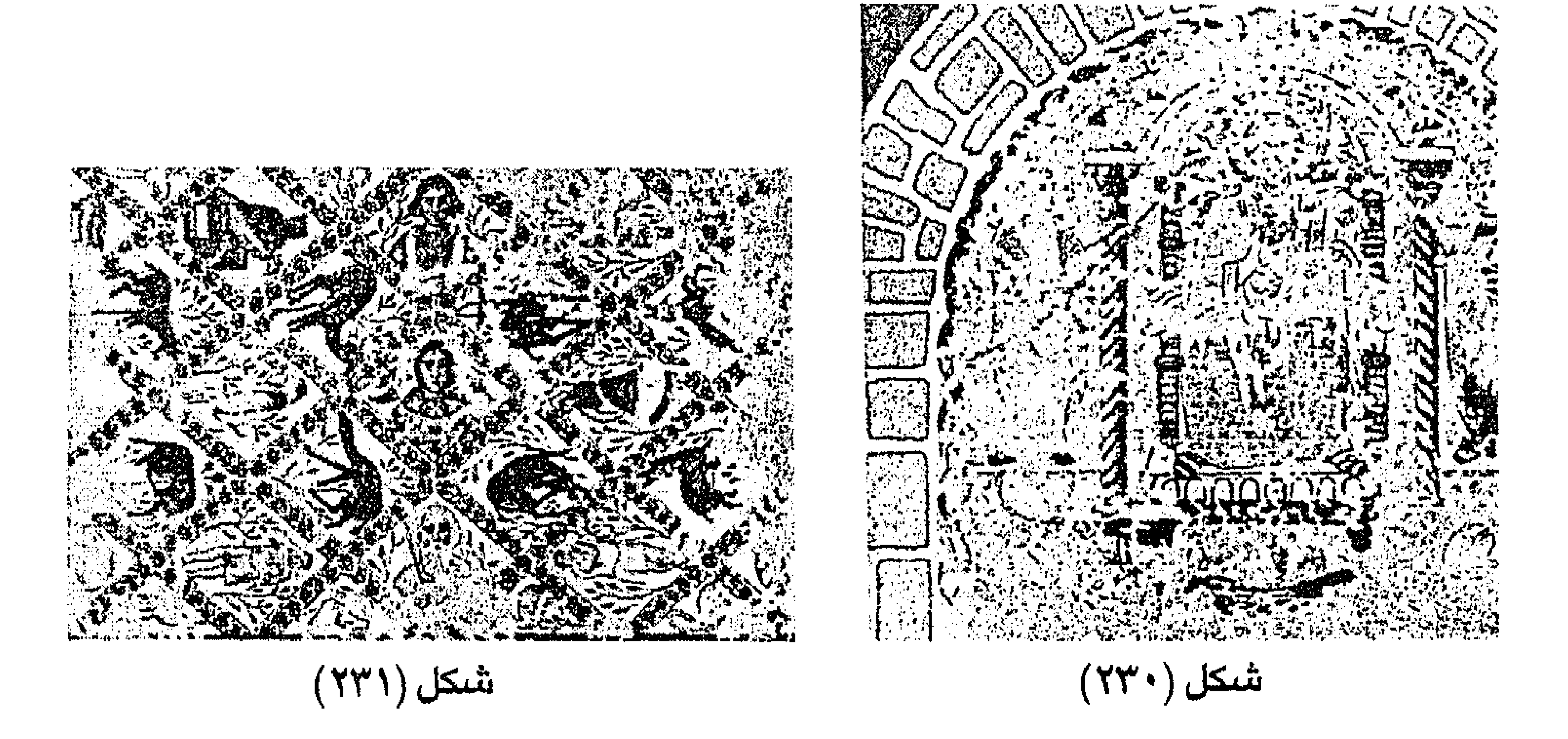
شكل (٢٢٧)



شكل (٢٢٨)

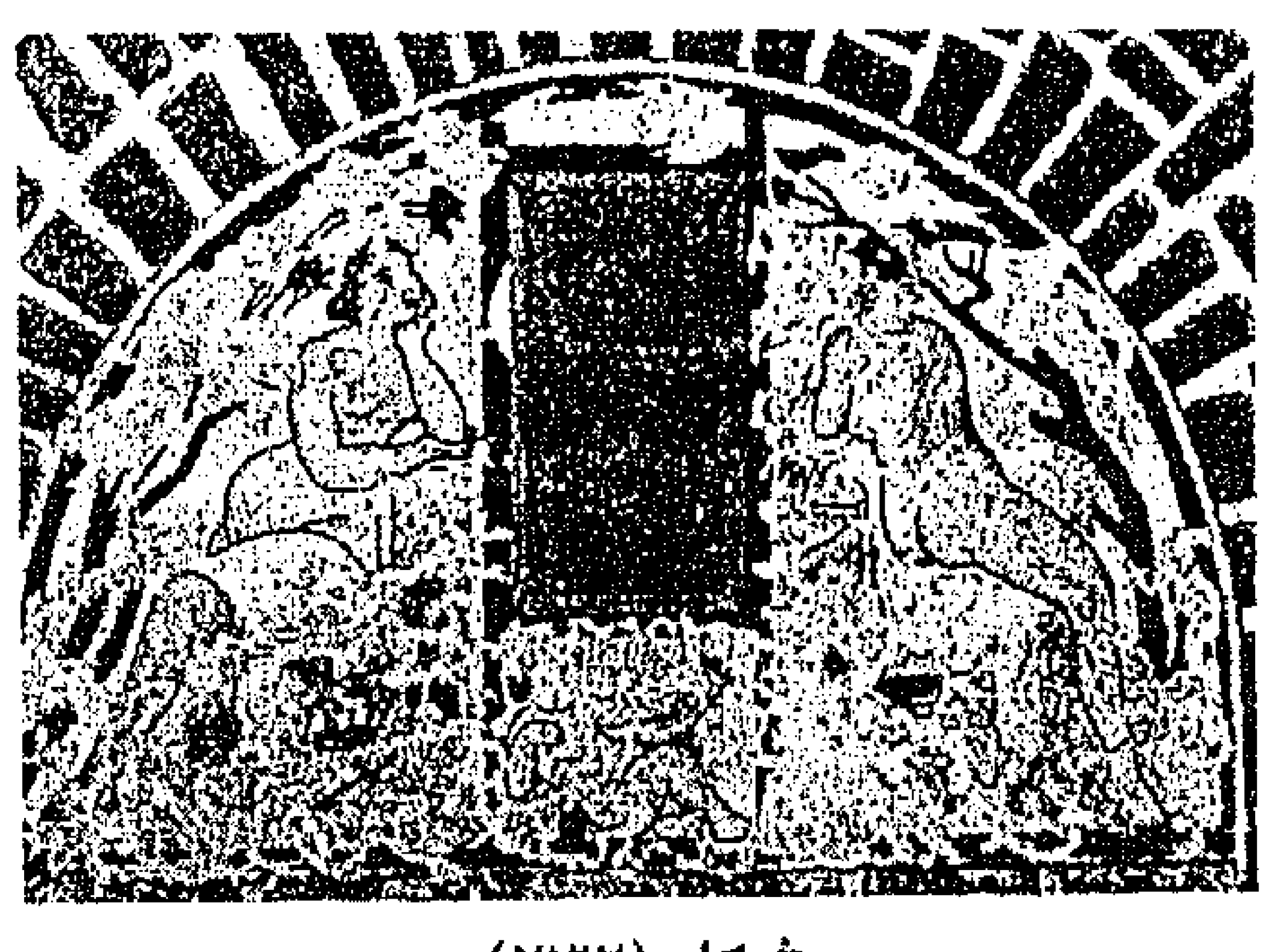


شكل (٢٢٩)



شكل (٢٣٠)

شكل (٢٣١)

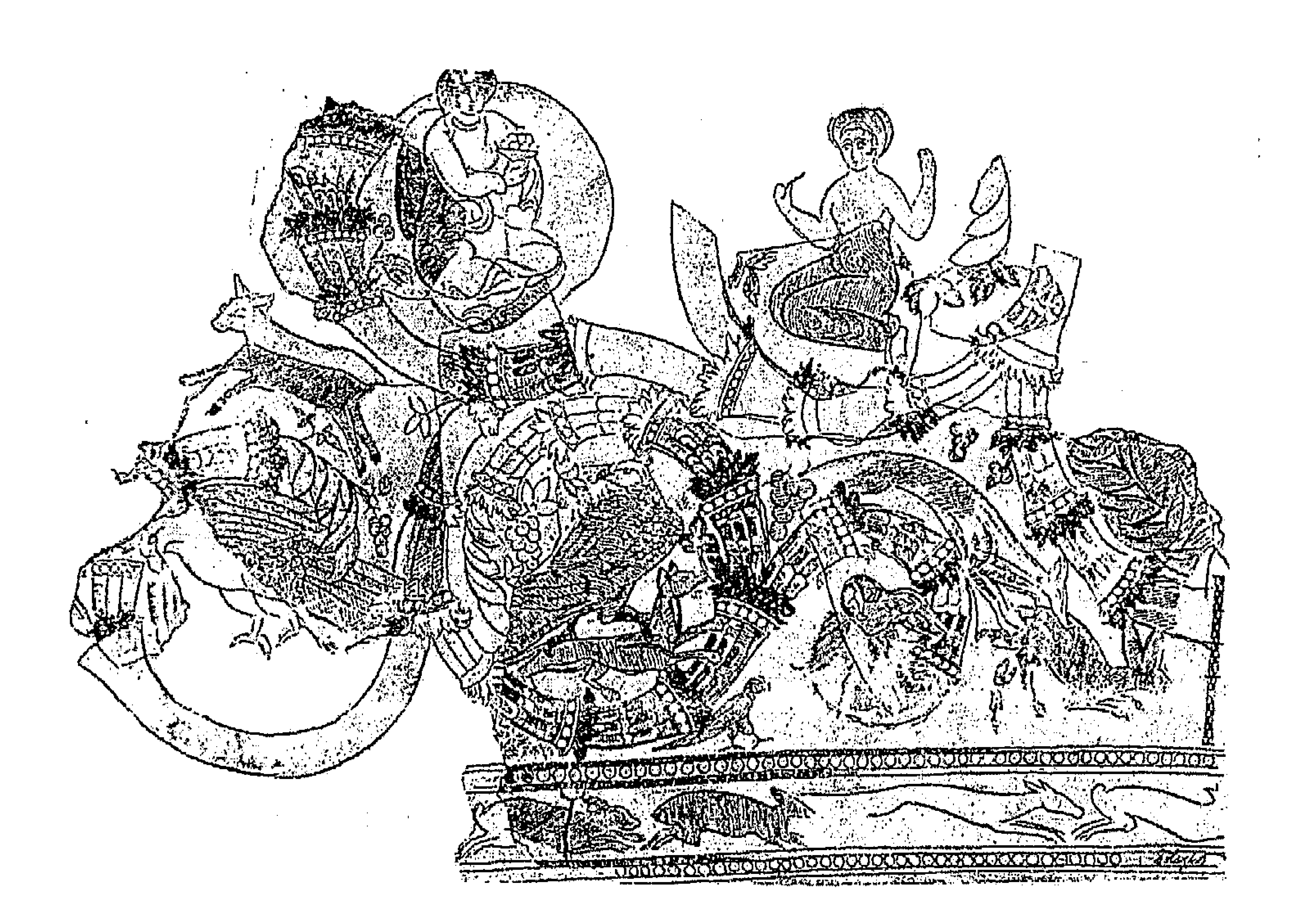


شكل (٢٣٢)

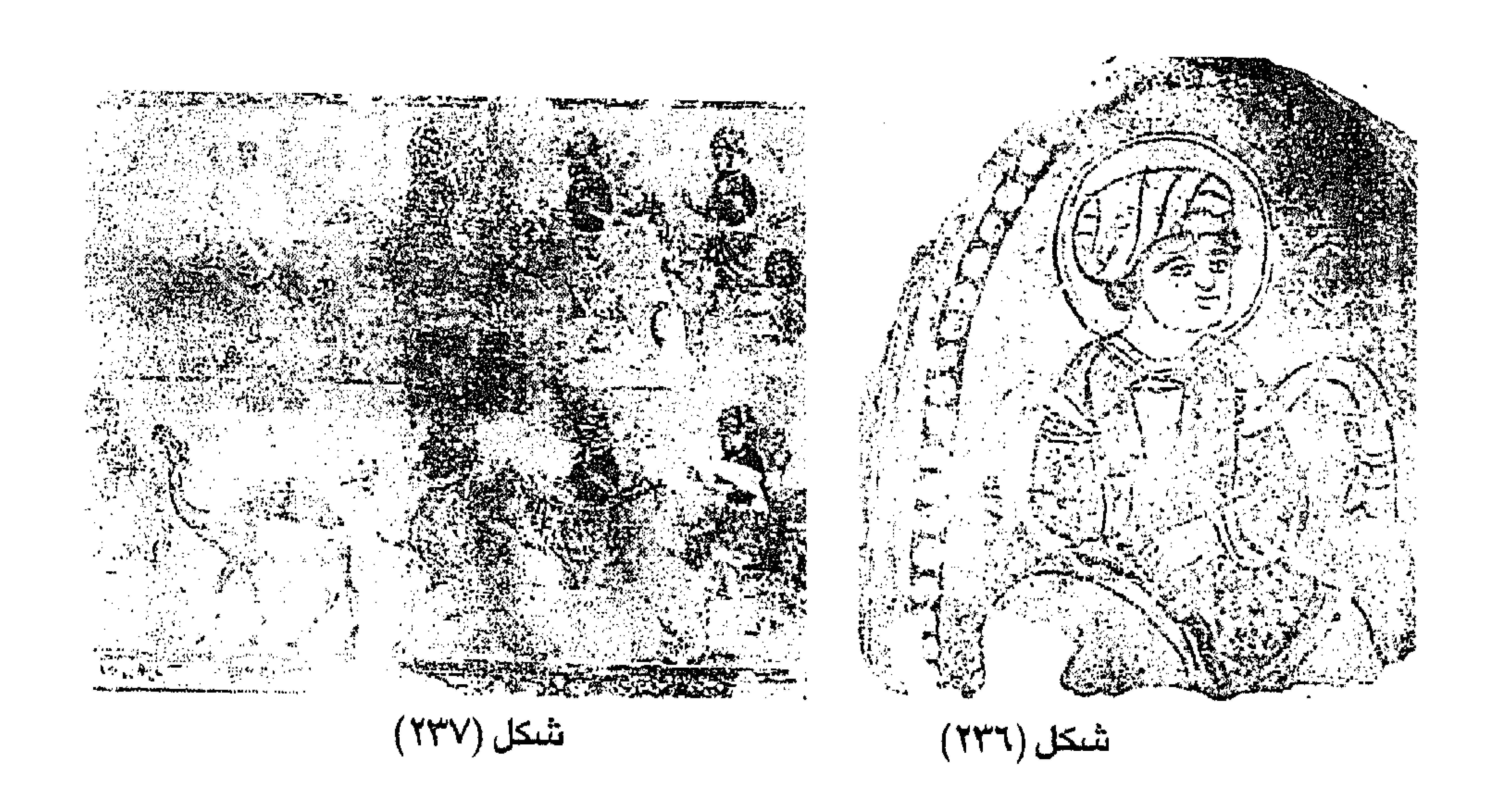
شكل (٢٣٣)



شكل (٢٣٤)

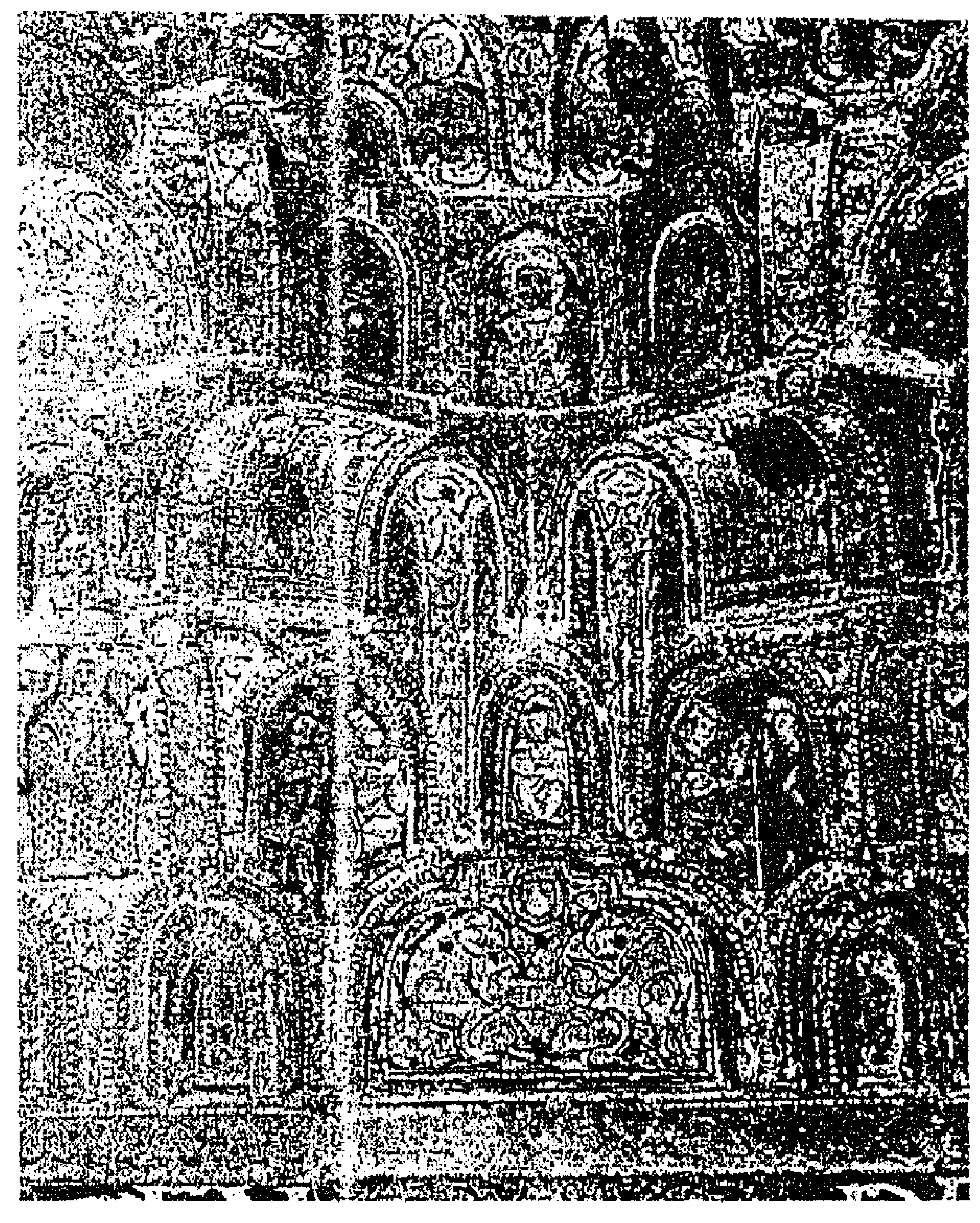


شكل (٢٣٥)



شكل (٢٣٦)

شكل (٢٣٧)



شكل (٢٣٨)

السيرة الذاتية

الأستاذ الدكتور ناهض عبد الرازق دفتر القيسي

١- حصل على درجة البكالوريوس من كلية الآداب - جامعة بغداد سنة ١٩٦٧.

٢- حصل على درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة بغداد بتقدير جيد جداً سنة ١٩٧٤.

٣- حصل على الدكتوراه من جامعة لندن (مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية) سنة ١٩٧٩.

٤- عين في قسم الآثار - كلية الآداب جامعة بغداد سنة ١٩٧٩م.

٥- حصل على درجة الأستاذية سنة ١٩٩٤م.

٦- أشرف على العديد من طلبة الدراسات العليا (للدكتوراه والماجستير).

٧- ألف خمسة عشر كتاباً في مجال النقود والخط العربي والفنون الإسلامية.

٨- نشر أكثر من ثمانين بحثاً علمياً في مجلات علمية أجنبية وعربية.

٩- درّسَ سنة ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ م بقسم الآثار - الجامعة الأردنية

١٠- حصل على تقدير الأساتذة المتميز من سنة ٢٠٠٥م من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية.

١١- منسق الاتحاد العام اللاآثاريين العرب في العراق منذ سنة ٢٠٠١م

١٢- أول رئيس لجمعية الآثاريين في العراق.

١٣- شارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية داخل وخارج الوطن.

١٤- زار معهد المسكوكات في جامعة تيوبنكي بألمانيا عام ٢٠٠٧ ودرس قسم من مجموعتهم.



Arabic Islamic Decorative Arts



دار المناهج للنشر والتزيع
Dar-almanahej puplisher
عمان -شارع الملك حسين -عمارة الشركة المتحدة للتأمين
هاتف ٤٦٥٠٦٢٤ فاكس ٤٦٥٠٦٦٤ ص.ب ٢١٥٣٠٨ عمان ١١١٢٢ الأردن
Info@daralmanahej.com
WWW.daralmanahej.com

تصميم دار المناهج